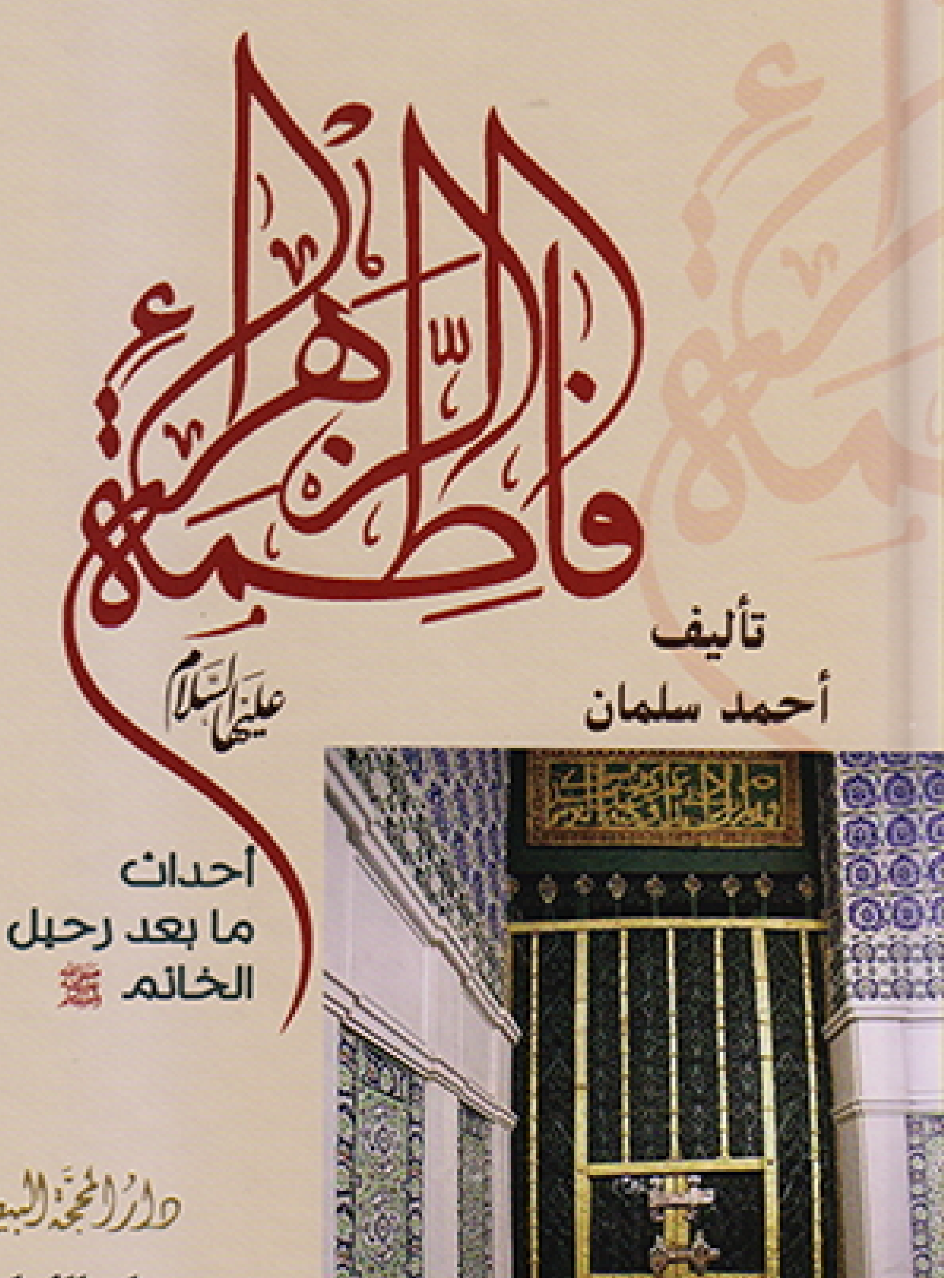
FATIMA AL-ZAHRAA

AHMAD SALMAN



فاطمة الزهراء عليها السلام

تأليف

أحمد سلمان

أحداث
ما بعد رحيل
الخاتم ﷺ

دار المحجة البيضاء

دار الأولياء



فاطمة الزهراء عليها السلام

أحداث ما بعد رحيل الخاتم صلى الله عليه وآله

فاطمة الزهراء عليها السلام

أحداث ما بعد رحيل الخاتم صلى الله عليه وآله

تأليف
أحمد سلمان

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

الإهداء

إلى من فُطم الخلق عن معرفتها

إلى من على معرفتها دارت القرون الأولى

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُربَةَ أَحْمَدٍ   أَنْ لَايَشَمّ مَدَى الزّمَانِ غَوَالِيا

قُلْ لِلْمُغَيَّبِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى   كُنْتَ تَسْمَعُ صَرْخَتِي ونِدَائِيا

صُبَّتْ عَلَيّ مَصَائِبُ لَوْ أَنَّهَا   صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ صِرْنَ لَيَالِيَا

مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام



مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد ﷺ وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة الأبدية على أعدائهم ومبغضيهم من الآن إلى قيام يوم الدين، أمّا بعد:

فإنّ النّظر في سيرة الأمم السابقة من الأمور الراجحة عقلاً وشرعاً: أمّا عند العقلاء فإنّنا نجدهم باختلاف انتماءاتهم الدينية والقومية والمناطقيّة يهتمّون بتاريخهم، ويبحثون في سير عظمائهم ومن كان لهم تأثير إيجابي في حاضرهم، بل يعتبرون إهمال مثل هذه الأمور قبيحاً، بحيث أصبحت الأمة التي لا تهتم بتاريخها أمّة متخلّفة.

أمّا شرعاً فإنّ النصوص القرآنية قد حثّت على ذلك، ودعت إلى تدبّر سير الأقوام الماضية:

منها: قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٤٢].

وغيرهما من الآيات القرآنية التي ذكرت قصص الأقوام الأخرى وما صنعوه مع الأنبياء والمرسلين، التي حثّنا القرآن على التدبّر فيها والاتعاظ بها، كما في قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ**﴾ [يوسف: ٣].

من هنا فإنّ من أوجب الواجبات هو معرفة تاريخ أمّتنا وما جرى في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعدها من أحداث مهمّة كان لها تأثير مباشر على مستقبل الأمّة الإسلامية.

ولهذا فإنّي رأيت أن أتعرّض لأهمّ الأحداث التي حصلت في هذه الأمّة بعد استشهاد المصطفى صلى الله عليه وآله، لاسيما التي كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام طرفاً فيها؛ لأسباب سنذكرها لاحقاً، ونبحثها بحثاً موضوعيًّا مجرّداً عن كلّ عصبية أو اتباع للأهواء كما هو دأب أكثر المؤرخين.

وقد سبقني كثير من محقّقي وفضلاء الطائفة[١] للتصنيف في هذه القضية، وبذلوا ما في وسعهم لتبيان الحقائق، إلّا أنّ ما أفاضوا به علينا

---

(١) منهم: الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره في كتابه (فدك في التاريخ)، والسيد محمد مهدي الخرسان في كتابه (المحسن السبط: مولود أم سقط؟)، والسيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه (مأساة الزهراء)، والسيد هاشم الهاشمي في كتابه (حوار مع فضل الله)، وهذه الكتب من المصادر الأساسية التي لا يستغني عنها الباحث أبداً، وقد استفدت منها كثيراً في هذا البحث.

وأثبتوه في مصنّفاتهم كان في الأعمّ الأغلب جزئيًّا؛ وذلك لأنّ بعضها تعرّض لقضية الهجوم على الدار، وأهمل قضية الميراث وفدك، وبعضها تعرّض لفدك، وأهمل باقي القضايا، كما أنّ بعضها اعتمد في بحثه على مصادر العامة، ولم يتطرّق إلى مصادر الخاصة، وهكذا..

ومن هنا ففكرة هذا الكتاب هو الحديث عن كلّ الأحداث المهمّة التي حصلت بعد استشهاد الخاتم ﷺ، والتي كانت السيدة الزهراء عليها السلام مركزا لها، والتعرّض إلى مصادر هذه الأحداث المعتمدة عند الخاصة والعامة، مع مناقشة أهمّ الإشكالات والشبهات التي أثيرت على مرّ التاريخ.

أسأل الله تعالى أن يوفقّنا لإتمام هذا البحث على أحسن وجه؛ ليكون نبراساً لمن خفيت عنه مثل هذه الحقائق، ومصباحاً لمن اغترّ بما يحاول ترويجه بعض المغرضين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيّبين الطاهرين.

في ١٢ ربيع الأول ١٤٣٤هـ   أحمد سلمان

تمهيد

قبل الدخول في هذا البحث، لابدّ من الإجابة على بعض الأسئلة التي قد تُطرح من هنا أو هناك حول جدوى مثل هذه البحوث التاريخية وفائدتها، خصوصاً في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن.

١ - لماذا نبحث في التاريخ؟

من الأسئلة المهمّة التي كثيراً ما يطرحها البعض هو: لماذا هذا الاهتمام بدراسة الأحداث التارخية؟ أليس في هذا إشغال للناس بالماضي السحيق، وتغييب لهم عن الواقع؟ والحال أنّ المطلوب منّا في هذه المرحلة هو غضّ الطرف عن أحداث الماضي، والسعي لتغيير واقعنا المتردّي.

والجواب: أنّه لا يمكن الفصل بين الماضي والحاضر؛ إذ أنّ ما نعيشه اليوم ليس إلّا وليد تراكمات الأحداث التاريخية التي مرّت على أمّتنا، وكذلك مستقبلنا سيكون وليد حاضرنا، فالماضي والحاضر والمستقبل بمثابة خط مستقيم، متى ما انحرف منه مقدار بسيط انحرف الباقي، وكلّما طال الخطّ زاد البعد عن الهدف الصحيح.

أضف إلى هذا أنّ ما حدث في التاريخ سواء في الأمم البائدة أو في أمّتنا هو عين ما يمرّ علينا اليوم وسيحدث لنا في المستقبل، فمن يستقرئ مفردات التاريخ يجد أنّ السنن التاريخية لا تتبدّل ولا تتغيّر، ولذا فإنّ معرفة حقيقة ما جرى على الأمم السابقة وعوامل نجاحها وأسباب فشلها

سيعطي هذه الأمّة فرصة أكبر للنجاح.

وقد أشار القرآن الكريم لهذه الحقيقة في أكثر من مورد، منها: قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، فالآية صريحة في أنّ كل ما يجري على الأمم السابقة جار في هذه الأمّة حتى القرح الذي هو أبسط الجراحات.

ومنها: قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢] تدلّ الآية على أنّ السنن الإلهية في هذا الكون لا تتغيّر ولا تتبدّل وهي باقية في هذه الأمّة.

وهذا ما يفسّر لنا ذكر القرآن لبعض الأنبياء دون البقيّة، والإكتفاء ببعض القصص دون غيره، إذ أنّ هذا المقدار المذكور في القرآن الكريم هو الذي ستبتلى الأمّة بمثله:

فكما عبدت الأمم السابقة العجل: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة: ٩٢]، فسيكون أيضاً في هذه الأمة من يعبد عجلاً.

وكما انقلبت الأمم السابقة على وصيّ نبيها، واستضعفته، وسعت في قتله: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فسيكون في هذه الأمّة من ينقلب على وصيّ نبيّها، ويسعى في قتله.

أمّا الأحاديث الشريفة فقد نصّت على نفس هذا المعنى وأكّدته بما لا يدع مجالاً للشك، ولعلّ أشهر هذه الأحاديث هو قول النبي صلى الله عليه وآله: لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب

تبعتموهم[١].

وعن حذيفة رضي الله عنه، قال: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ولتنقضنّ عرى الإسلام عروة عروة، وليصلينّ النساء وهن حُيَّض، ولتسلكنّ طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، وحذو النعل بالنعل، لا تخطئون طريقهم، ولا يخطأنكم...[٢].

فهذان الحديثان ينصّان على أنّ مصير هذه الأمّة سيؤول إلى ما آلت إليه الأمم الأخرى من انحراف على خطّ الأنبياء عليهم السلام واتباع لظالميهم، وهذا ما فهمه شراح الحديث من هذه الأحاديث:

قال ابن حجر العسقلاني[٣]: قال ابن بطّال: أعلم صلى الله عليه وسلم أنّ أمّته ستتبع المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم، وقد أنذر في أحاديث كثيرة بأنّ الآخر شر، والساعة لا تقوم إلّا على شرار الناس، وأنّ الدين إنّما يبقى قائماً عند خاصّة من الناس؛ قلت: **وقد وقع معظم ما أنذر به صلى الله عليه وسلم وسيقع بقية ذلك**[٤].

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٥١.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥١٦. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) هو شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني عسقلاني الأصل مصري المولد، ولد سنة ٧٧٣هـ، وتوفي سنة ٨٥٢هـ عرف بتضلعه في علم الحديث حتى لقّب بأمير المؤمنين في الحديث؛ له مجموعة من المؤلفات في التراجم والسير وعلم المصطلح والتخريج من أشهرها كتاب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري). (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ١٧٨)

(٤) فتح الباري ١٣/ ٢٥٥.

وقال النووي[١]: والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدّة الموافقة لهم، **والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات**، لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم[٢].

فالبدع والأهواء والمعاصي والمخالفات التي حصلت في الأمم السابقة هي بعينها تحصل في هذه الأمّة، وستكون سبباً في انقسام المسلمين وتشرذمهم كما كانت كذلك في الماضي.

من هنا نعلم أنّ البحث في التاريخ هو في الحقيقة أوّل خطوة يقوم بها الإنسان لإصلاح واقعنا، فما لم نشخّص أصل المشكلة ونعرف بواطنها لن نستطيع تغيير حاضرنا الذي نعيشه.

٢- كيف نبحث في التاريخ؟

قبل الخوض في غمار البحث التاريخي، لا بدّ من طرح سؤال آخر لا يقلّ أهمية عن السؤال السابق، وهو كيف نبحث في التاريخ؟

لا بدّ من تحرير الآلية التي نستطيع من خلالها التعامل مع الروايات التاريخية التي سنتعرّض لها، بحيث يصبح عندنا منهج محدّد، نرجع إليه لتقييم المرويات التي سنذكرها وسنرتّب عليها الأثر.

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي المعروف بمحيي الدين النووي فقيه ومحدّث ولغوي ولد سنة ٦٣١هـ وتوفي سنة ٦٧٦هـ شافعي المذهب عرف بأنّه محرّر المذهب الشافعي ومنقّحه حتى عدّت كتبه الفقهية من أصول المذهب الشافعي له مصنّفات كثيرة جدّا من أشهرها (رياض الصالحين، الأذكار، الأربعين النووية وشرح صحيح مسلم). للمزيد (الأعلام للزركلي ٨/ ١٤٩)

(٢) شرح مسلم ٩/ ٢٥.

عندنا ثلاثة مناهج متصوَّرة، وهي:

الأول: قبول كلّ ما ورد في كتب التاريخ والتصديق به واعتباره صحيحاً، وهذا لا يقول به عاقل نظراً إلى أنّ كتب التاريخ قد جمعت المتناقضات، وقرّبت الأضداد، فلا تجد شيئاً منقولا في كتب التاريخ إلّا تجد شيئاً آخر بخلافه، ولا تجد شخصية أثنى عليها مؤرِّخ إلّا وتجد آخر قد قدح فيها، وهذا ما لا ينكره أي شخص اطلع على التاريخ ولو بمقدار بسيط.

وممّا لا شكّ فيه أنّ كتب التاريخ قد ابتُليت هي الأخرى بالوضع مثل كتب الأحاديث، فاخترع القصّاصون الأساطير، وألبسوها ثوب الواقع، وتقرّب المرتزقة للظالمين بمدح أسلافهم وتمجيدهم، ولعبت الحكومات دوراً كبيراً في هذا التحريف والتزييف كما هو معروف.

وعلى هذا فلا يمكن قبول هذا المنهج والتصديق بكلّ ما ورد في كتب التاريخ الموجودة بين أيدينا الآن.

الثاني: ردّ كلّ المروايات التاريخية، وإغلاق باب البحث في التاريخ كما ذهب إليه بعضهم، وهذا المسلك قد تبيّن بطلانه ممّا تقدّم، فضلاً عن مخالفته لسيرة العقلاء.

الثالث: الترجيح بين الروايات التاريخية، وذلك بقبول ما ثبتت صحّته واعتباره، وردّ ما لم يثبت كونه كذلك.

وهنا يأتي السؤال الأهم: كيف يتم الترجيح بين الروايات التاريخية؟

ذهب بعضهم إلى أنّه يشترط في الخبر التاريخي صحّة السند، فكما يُشترط في الحديث الفقهي البحث في رواة سلسلة السند وإثبات وثاقتهم؛

ليكون الخبر الحجّة، فكذلك الأمر في الخبر التاريخي، إذ أنّ قبوله يتوقّف على وثاقة رواته.

وهذا الكلام غير صحيح البتّة، ولم يقل به محصِّل، إذ أنّ اشتراطهم ذلك في الخبر الفقهي مردّه إلى كون هذا الخبر يحوي حكماً سننسبه للشارع المقدّس، ولا يجوز ذلك - أي النسبة - إلّا بدليل قطعي، وحيث أنّ الشارع قد أمضى سيرة العقلاء القائمة على ترتيب الأثر على خبر الثقة جوّزوا نسبة الخبر الذي يكون مصداقاً لهذا - خبر ثقة - للشارع المقدّس بناء على هذا الإمضاء.

أمّا الخبر التاريخي فلا يوجد فيه نسبة شيء للشارع المقدّس، فنحن لسنا في مقام التعبّد، بل بصدد إثبات موضوعات خارجية، وهذه تثبت بالطرق العقلائية المعتادة، فكلّ خبر اطمأنّ الباحث لصدقه وكان منشأ هذا الإطمئنان أمراً عقلائيًّا اعتبر حجّة .

فمثلاً عندما يتابع الإنسان نشرة الأخبار لن يسأل عن وثاقة المذيع، وعندما يقرأ خبراً في صحيفة لن يسأل عن عدالة المحرّر، وعندما يبحث عن تاريخ عائلته لن يتحرّى السند الصحيح المتّصل بالثقات، بل المدار على الإطمئنان.

ومن هنا إذا رجعت إلى كلمات علمائنا الأعلام، تجد أنّهم فصَّلوا بين الطريقتين:

قال الشيخ كاشف الغطاء قدس سره[١] في جواب عن سؤال حول قضية

(١) الشيخ العلامة محمد حسين بن الشيخ علي بن محمد رضا بن الشيخ جعفر الكبير الذي تنسب إليه العائلة، ولد المترجَم سنة ١٢٩٤هـ في النجف الأشرف وتوفي بها سنة

تاريخية: نعم، خبر زيد بن أرقم وابن وكيدة كلاهما في بعض الكتب المعتبرة، **والمراد هنا الإعتبار التاريخي، لا الإعتبار الذي عليه المدار في الأخبار التي يُستنبط منها الأحكام الشرعية من الصحيح والحسن والموثّق،** بل هو من قبيل قولنا: تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير معتبران؛ ويكفي في هذا المعنى من الاعتبار للخبر أن ينقله مثل صاحب البحار والطريحي في المنتخب فضلاً عما رواه السيد ابن طاووس في اللهوف، أو الشيخ المفيد في الإرشاد[1].

وذكر السيد محسن الأمين قدس سره[2] كلاماً قريباً منه، حيث قال: **ليس (نهج البلاغة) مرجعاً للأحكام الشرعية حتى نبحث عن أسانيده، ونوصله إلى علي** عليه السلام، إنّما هو منتخب من كلامه في المواعظ والنصائح وأنواع ما يعتمده الخطباء من مقاصدهم، ولم يكن غرض جامعه إلّا جمع قسم من الكلام السابق في ميدان الفصاحة والبلاغة على حدّ ما جمع غيره من كلام الفصحاء والبلغاء الجاهليين والإسلاميين - الصحابة وغيرهم - بسند وبغير سند، ولم نركم تعترضون على أحد في نقله لخطبة أو كلام بدون سند وهو في الكتب يفوق الحد، إلّا على (نهج البلاغة)، ليس هذا إلّا لشيء في

١٣٧٣هـ، ويكفينا في التعريف به ما قاله المحقق الطهراني في ترجمته: (والحقيقة، أنّه من مجتهدي الشيعة الذين غاصوا بحار علوم أهل البيت عليهم السلام، فاستخرجوا من تلك المكامن والمعادن، جواهر المعاني ودراري الكلم فنشروها بين الجمهور).

(١) جنة المأوى: ٢٢٢.

(٢) العلامة السيد محسن بن بن السيد عبد الكريم بن السيد علي بن السيد محمد الأمين العاملي المنشأ الزيدي النسب، ولد سماحته سنة ١٢٨٤هـ وتوفي ببيروت سنة ١٣٧١هـ، وقد ترك مجموعة من المؤلفات من أشهرها وأهمّها كتاب (أعيان الشيعة).

النفس، مع أن جلّ ما فيه مروي بالأسانيد في الكتب المشهورة المتداولة[١].

فالبحث في الأسانيد والتقسيم الرباعي المعروف عند الشيعة إنّما هو خاص بالروايات التي تحوي أحكاماً شرعية إلزامية، أمّا غيرها فلا يُشترط فيها ذلك، بل يكفي فيها حصول الإطمئنان من أيّ منشأ عقلائي.

وهذا التفكيك بين منهج التعامل مع الخبر الفقهي والخبر التاريخي موجود أيضاً عند كبار علماء الجرح والتعديل عند أهل السنة والجماعة:

المثال الأول: ما نقل عن أحمد بن حنبل[٢]: سئل أحمد بن حنبل وهو على باب النضر هاشم بن القاسم فقيل له يا أبا عبد اللهّ ما تقول في موسى بن عبيدة ومحمد بن إسحاق فقال أما موسى بن عبيدة فلم يكن به بأس ولكن حدث بأحاديث مناكير عن عبد اللهّ بن دينار وأما محمد بن إسحاق فرجل **تكتب عنه هذه الأحاديث يعني المغازي ونحوها فأما إذا جاء الحلال والحرام** أردنا قوما هكذا وقبض أصابع يديه الأربع[٣].

أقول: كلامه صريح في التفصيل بين شروط الراوي الذي ينقل الحلال والحرام وشروط من ينقل أحاديث السيرة والمغازي.

المثال الثاني: ما نقل عن يحيى بن معين[٤] أحد فطاحل هذا العلم عند

---

(١) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ، إمام المذهب الحنبلي، ويلقّبه أتباعه بإمام أهل السنّة وإمام أهل الحديث، وقد عرف بأنّه محدّث وناقد للرجال والأسانيد من أهم المؤلفات المنسوبة إليه (المسند). (للمزيد سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧)

(٢) جنة المأوى: ٢٢٢.

(٣) النكت على مقدمة ابن الصلاح ٢/ ٨٨٨.

(٤) أبو زكريا يحيى بن معين بن عون من كبار علماء الجرح والتعديل عند أهل السنة

أهل السنة والجماعة: وسألته عن البكائي أعني زيادا فقال: **لا بأس به في المغازي وأما في غيره فلا**[١].

أقول: كلامه صريح في التفصيل بين المغازي وغيرها ولا يحتاج مزيد بيان.

المثال الثالث: ما قاله الحافظ البيهقي[٢] (توفي ٤٥٨هـ) عند تعرّضه للخلاف الوارد بينهم في الحديث المرسل، قال: والآخر أن يكون الذي أرسله من متأخري التابعين الذين يعرفون بالأخذ عن كل أحد وظهر لأهل العلم بالحديث ضعف مخارج ما أرسلوه **فهذا النوع من المراسيل لا يقبل في الأحكام ويقبل في ما لا يتعلق به حكم من الدعوات وفضائل الأعمال والمغازي وما أشبهها**[٣].

أقول: هنا يبيّن البيهقي أنّ الشرط الإتصال الذي شدّدوا عليه في قبول الحديث يتساهل فيه عند الحديث عن أخبار السيرة والمغازي.

المثال الرابع: ما ذكره ابن حجر العسقلاني عند ترجمته لسيف بن عمر التميمي، قال: سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب الردّة، ويقال

والجماعة حتى عبّر عنه الذهبي بقوله: (الإمام الحافظ الجهبذ شيخ المحدّثين) ولد سنة ١٥٨هـ وتوفي سنة ٢٣٣هـ أقواله في توثيق وتجريح الرجال مبثوثة في كتب التراجم والتاريخ. (للمزيد سير أعلام النبلاء ١١/ ٧١)

(١) تاريخ ابن معين ١١٤.

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين الخراساني المعروف بالبيهقي ولد سنة٣٨٤هـ وتوفي سنة ٤٥٨هـ وكان محدّثا فقيها أصوليا حتّى قيل فيه: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبا يجتهد فيه لكان قادرا على ذلك! (للمزيد سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٦٨)

(٣) دلائل النبوة ١/ ٤٠.

له: الضبي، ويقال غير ذلك، الكوفي، **ضعيف الحديث، عمدة في التاريخ**، أفحش ابن حبان القول فيه، من الثامنة، مات في زمن الرشيد[١].

أقول: فالمراد من قوله: «ضعيف الحديث» أي أنّ رواياته للأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله التي تحوي تشريعاً غير مقبولة، لكنّ رواياته للأخبار التاريخية يعتمد عليها، ويركن لها.

المثال الخامس: ما ذكره الحافظ الذهبي[٢] في ترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة المعروف، قال: والذي تقرَّر عليه العمل **أنّ ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية، مع أنه يشذّ بأشياء، وأنّه ليس بحجة في الحلال والحرام**، نعم ولا بالواهي، بل يستشهد به[٣].

أقول: تفصيل الذهبي واضح جدًّا، إذ أنّه ضعّف ابن اسحاق في جانب الحلال والحرام، إلّا أنّه قوّاه في جانب التاريخ، واعتبره مرجعاً فيه.

المثال السادس: ما ذكره الحافظ ابن كثير[٤] عند تعرّضه لمحمد بن عمر المعروف بالواقدي، قال: والواقدي عنده زيادات حسنة، وتاريخ

---

(١) تقريب التهذيب ١/ ٤٠٨.

(٢) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ولد سنة ٦٧٣هـ وتوفي سنة ٧٤٨ اشتغل بالتاريخ والسير والتراجم والمصطلح وألّف كتبا كثيرة في هذا الشأن منها: ميزان الإعتدال، سير أعلام النبلاء، تاريخ الإسلام، تذكرة الحفّاظ،... (للمزيد الأعلام للزركلي ٥/ ٣٢٦)

(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٣.

(٤) أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ولد سنة ٧٠١هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ صنّف في كلّ الفنون كالتفسير والحديث والمصطلح والتاريخ والسيرة وغيرها... (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ٣٢٠)

محرَّر غالباً، **فإنّه من أئمّة هذا الشأن الكبار**، وهو صدوق في نفسه مكثار كما بسطنا القول في عدالته وجرحه في كتابنا الموسوم بالتكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، ولله الحمد والمنّة[١].

مدح ابن كثير الواقدي، ووسمه بالصدق، رغم أنّ أغلب أئمة الجرح والتعديل قد طعنوا فيه وفي صدقه.

من خلال هذه الأمثلة الثلاثة نعلم أنّ تضعيفات المحدّثين الموجودة في كتب التراجم إنّما هي منصبّة على جانب حديثهم، أي الروايات المنقولة عن النبي المصطفى ﷺ، ولا تشمل المرويّات التاريخية.

وبناء على هذا يقول الدكتور أكرم ضياء العمري[٢]: **أمّا اشتراط الصحّة الحديثية في قبول الأخبار التاريخية التي لا تمسّ العقيدة والشريعة ففيه تعسّف كثير، والخطر الناجم عنه كبير**؛ لأنّ الروايات التاريخية التي دوّنها أسلافنا المؤرّخون لم تُعامل معاملة الأحاديث، بل تمّ التساهل فيها، وإذا رفضنا منهجهم فإنّ الحلقات الفارغة في تاريخنا ستمثل هوّة سحيقة بيننا وبين ماضينا، مما يولّد الحيرة والضياع والتمزّق والانقطاع[٣].

ولهذا، فإنّ الذي يذهب إلى أنّ القضية التاريخية لا تثبت إلّا بالأسانيد الصحيحة على طريقة المحدّثين جاهل بأسس البحث العلمي كما تبيّن، وإلّا فالأخبار التاريخية تثبت عن طريق شهرتها واستفاضتها في الكتب، أو من خلال القرائن التي تحفّ بالخبر.

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ٢٨٨.

(٢) دكتور في التاريخ الإسلامي والحديث معاصر.

(٣) دراسات تاريخية: ٢٧.

وعلى هذا الأساس فإن السيد أبا القاسم الخوئي قدس سره[١] الذي يُعتبر من أقطاب مدرسة (الوثوق المخبري) طبّق هذا المنهج في أكثر مورد:

قال في معجمه عند تعرّضه لترجمة (جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه): وفي هذه الروايات، وإن كانت كلّها ضعيفة، **إلّا أنّ جلالة مقام جابر واضحة، معلومة، ولا حاجة معه إليها**[٢].

وقال في ترجمة (عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه): إنّ ما تقدم من الروايات وإن كانت كلها ضعيفة السند، إلا أنّها مستفيضة، **على أنّ جلالة عمرو بن الحمق من الواضحات التي لا يعتريها شكّ**، مضافاً إلى أنّ شهادة البرقي على أنّه كان من شرطة الخميس فيها كفاية[٣].

فالقضايا التاريخيّة المشهورة لا تُبحث بطريقة المحدّثين، وهي مناقشة كلّ سند على حدة، والبحث في وثاقة كل واحد من رجاله، بل يبحث كالآتي:

- عدد المصادر التي نقلت الخبر.
- هل هذه المصادر ينقل بعضها عن بعض، أم هي متعدِّدة فعلاً؟
- هل الذين نقلوا الخبر هم من طائفة واحدة، أو من عدّة طوائف؟
- هل يُتصوَّر وجود دافع للكذب عند كلّ هؤلاء؟
- هل يوجد لهذا الخبر معارض؟

---

(١) زعيم الحوزة العلمية المرجع الديني آية الله العظمى السيد أبو القاسم بن السيد علي أكبر الخوئي قدس سره ولد سنة ١٣١٧هـ وتوفي سنة ١٤١٣ هـ بالنجف الأشرف وهو أشهر من أن يعرّف.

(٢) معجم رجال الحديث ٤/ ٣٣٤.

(٣) معجم رجال الحديث ١٤/ ١٠٠.

- هل يوجد مانع عقلي أو نقلي من التصديق بالخبر؟

وعليه فإنّ صحّة النصوص التاريخية واعتبارها لا يتوقّف على البحث السندي ووثاقة المخبرين كما يزعم البعض، بل هناك عدّة قرائن يمكن من خلالها التثبّت من صحّة الخبر والركون إليه، ووثاقة المخبر هي إحدى هذه الطرق.

٣- لماذا اخترنا هذه الفترة؟

السؤال الآخر الذي يواجهنا هو: لماذا خصّصنا البحث بهذه الفترة أي في الأحداث التي وقعت بعيد استشهاد النبي ﷺ دون بقية الأحداث التي وقعت في هذه الأمّة.

والجواب: أنّ هذه الفترة هي أكثر الفترات حساسيّة في تاريخنا، ويمكن إثبات أهميتها من جهتين:

الجهة الأولى: هي أنّ الفترة الأولى التي تتلو موت أي زعيم في العالم سواء كان زعيماً دينيًّا أو سياسيًّا أو حتّى اقتصاديًّا تكون مهمّة بالنسبة لأتباعه؛ لأنّ غيابه يترك فراغاً كبيراً بينهم، يجعلهم يسعون لسدّه في أسرع وقت، وهذا ما يسبّب في العادة ربكة في الوضع العام، وهو ما حصل في الدولة الإسلامية في ذلك العصر، حيث كان غياب النبي ﷺ بمثابة زلزال قوي لهذه الدولة الفتيّة، كشف عن حقيقة كثير من الصحابة الذين اتّضحت نواياهم من خلال ردود أفعالهم.

الجهة الثانية: هي أنّ الإفتراق الذي يعيشه المسلمون اليوم هو وليد تلك الخلافات التي حصلت في الأيام الأولى من وفاته ﷺ، فمذهب

المسلم في هذا الزمن هو ناتج تحليله للأحداث التي حصلت حينها.

وهذا ما أكّده الشهرستاني[(١)] حيث قال: في بيان أوّل شبهة وقعت في الملة الإسلامية، وكيفية انشعابها، ومن مصدرها، ومن مظهرها، **وكما قرّرنا أنّ الشبهات التي وقعت في آخر الزمان هي بعينها تلك الشبهات التي وقعت في أول الزمان**، كذلك يمكن أن نقرّر في زمان كل نبي ودور صاحب كل ملّة وشريعة **أنّ شبهات أمته في آخر زمانه ناشئة من شبهات خصماء أول زمانه من الكفار والملحدين وأكثرها من المنافقين**، وإن خفي علينا ذلك في الأمم السالفة لتمادي الزمان، فلم يخف في هذه الأمة أن شبهاتها نشأت كلها من شبهات منافقي زمن النبي عليه الصلاة والسلام[(٢)].

فهذا الكلام - الذي أورده في كتاب صنّفه أساساً لبيان فرق المسلمين المختلفة - يؤكّد الحقيقة التي ذكرناها، وهو أنّ ما نعيشه اليوم من سوء حال يرجع إلى الاختلاف الذي حصل في تلك الفترة!

وممّا يؤكّد أهميّة البحث في هذه الفترة هو سعي الكثير من النّاس إلى إغلاق باب البحث في تلك الأحداث، والحثّ على الإعراض عن معرفة ما حصل فيها.

فقد روى الخلال بسنده عن أبي الحارث، حدَّثهم قال: سألت أبا عبد

---

(١) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ولد سنة ٤٧٦هـ وتوفي سنة ٥٨٤هـ أشعري الأصول شافي الفروع عرف باشتغاله بعلم الكلام، من أشهر مصنّفاته كتاب (الملل والنحل). (للمزيد الأعلام للزركلي ٦/ ٢١٥)

(٢) الملل والنحل ١/ ٢١.

الله [يعني أحمد بن حنبل] قلت: هذه الأحاديث التي رُويت في أصحاب النبي ﷺ ترى لأحد أن يكتبها؟ قال: لا أرى لأحد أن يكتب منها شيئاً، قلت: فإذا رأينا الرجل يطلبها ويسأل عنها، فيها ذكر عثمان وعلي ومعاوية، وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ، قال: إذا رأيت الرجل يطلب هذه ويجمعها، **فأخاف أن يكون له خبيئة سوء**(١).

فمجرّد السؤال عن الأمور التي حصلت بين الصحابة يعتبر في نظر أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي وزعيم أصحاب الحديث، جُرماً يكشف عن سوء طويّة السائل!

بل تمادى بعضهم في هذا المنهج إلى الدعوة لإتلاف كلّ الروايات والأخبار التي تعرّضت لأحداث هذه الفترة، وقد صرّح الذهبي بهذا عند تعرّضه لما يسمّى بطعن الأقران، حيث قال: كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنّه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه، بل يُطوى ولا يُروى، كما تقرّر عن الكفّ عن كثير ممّا شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمرّ بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، **وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيّه وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفو القلوب،** وتتوفّر على حبّ الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعيّن عن العامة وآحاد العلماء، وقد يرخّص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العريّ من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم، كما علّمنا الله تعالى(٢).

---

(١) السنة للخلال: ٥١٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٢.

ومن هنا اختلق أهل السنة والجماعة قاعدة اعتبروها من أصولهم أطلقوا عليها اسم: (الإمساك عمّا شجر بين الصحابة)، وواجهوا بها كل من يحاول البحث في حقيقة ما حصل في هذه الفترة الزمنية.

لذلك فكلّ من يقترب من هذه الفترة الزمنية يصاب بسهام التضليل والتفسيق والتبديع، والواقع خير دليل على هذا، فكثير من معاصرينا اتُّهموا بالتشيع لمجرّد أن ناقشوا ما حصل في السقيفة مثلاً، أو تعرّضوا لبعض الحوادث في سيرة بعض الصحابة.

٤- لماذا فاطمة عليها السلام؟

السؤال الرابع هو: لماذا اخترنا أن تكون السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام محوَراً للأحداث التي سنتناولها دون غيرها من أهل البيت عليهم السلام أو الصحابة؟

والجواب على هذا هو: أنّ السيّدة الزهراء عليها السلام توفّرت فيها خصوصية اتّفق المسلمون عليها، ولم يتفّق على وجودها في غيرها، وهي أنّها عليها السلام امتداد طبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله.

ولا نقصد هنا بقولنا: (طبيعي) مجرّد البنوّة والعلقة النسبية، بل نريد من هذا التعبير أنّه ثبت بالأدلّة الصحيحة والنّصوص الصريحة أنّ النبي صلى الله عليه وآله ربط بينها وبينه في كل شيء:

منها: قوله صلى الله عليه وآله: **فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**(١).

والمراد بالبضعة في اللغة هو الجزء، وقد فهم هذا المعنى المفسّر

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢١٠، كتاب سليم بن قيس: ٣٩١.

الآلوسي[1] في (روح المعاني) حيث عبّر عن الزهراء عليها السلام بقوله: فاطمة البضعة الأحمدية والجزء المحمّدي[2].

ومنها قوله صلى الله عليه وآله: إنّ فاطمة مني...[3].

و(من) في هذا المورد هي للتبعيض، فهذا الحديث هو تعبير على نفس المعنى المتقدّم بصيغة أخرى.

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله: فاطمة مضغة مني، يقبضني ما قبضها، ويبسطني ما بسطها[4].

والمضغة في اللغة هي قطعة اللحم الصغيرة التي تكون في الفم، وقد استخدم هذا اللفظ في القرآن بنفس المعنى كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله: إنّما فاطمة شجنة مني، يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها[5].

والمراد من (الشجنة) هو القرب الشديد الذي لا يُتصوّر معه انفكاك وانفصال، ولهذا يقال: «حديث ذو شجون» أي متشعّب جدًّا، لكن مرتبط بعضه ببعض.

---

(١) شهاب الدين محمود شكري الآلوسي من كبار مفسّري أهل السنة والجماعة نظرا لتضلع الرجل في جملة من العلوم كاللغة والكلام والحديث وغيرها ولد سنة ١٢١٧هـ وتوفي سنة ١٢٧٠هـ). (للمزيد الأعلام للزركلي ٧/ ١٧٦)

(٢) روح المعاني ٢٢/ ١٢.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٤٧.

(٤) مسند أحمد ٤/ ٣٢٣.

(٥) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٥٤.

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله وقد أخذ بيد فاطمة عليها السلام: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة منّي، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبيّ، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله(١).

ومن يتتبّع الروايات يجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله استخدم كلّ المصطلحات التي تدلّ على أنّ الزهراء عليها السلام جزء لا يتجزّأ منه صلى الله عليه وآله، فهي (منه، وهي بضعة منه، وشجنة منه، ومضغة منه، وقلبه، وروحه)، فهذا التعدّد يكشف عن مراد النبي صلى الله عليه وآله الحقيقي لما يقوله، لا على سبيل التجوّز كما ادّعى البعض ذلك.

ومن هنا نعلم أنّ اهتمامنا بشخصية السيدة الزهراء عليها السلام وجعلها محوراً لبحثنا هو لأنّها - كما قلنا سابقاً - امتداد طبيعي لشخصية رسول الله صلى الله عليه وآله، فكما دلّت الآيات والأحاديث الشريفة على رجحان الاهتمام بسيرته صلى الله عليه وآله والبحث في تفاصيل حياته، فكذلك هذه الأدلّة تسري إلى سيرة الزهراء عليها السلام وحياتها.

---

(١) نور الأبصار ٥٢.

الله يغضب لغضب فاطمة عليها السلام

دلّت الأحاديث الصحيحة على أنّ الله عزّ وجل يرضى لرضا فاطمة عليها السلام، ويغضب لغضبها، وهذه المرتبة العالية التي لا تفوقها مرتبة ولا يعلوها مقام من مختصّاتها عليها السلام، فلم يُدّع مثل ذلك لأحد غيرها.

ومن هنا حاول البعض التشكيك في صحّة هذا الحديث والطعن في دلالته:

١ - من صحّح الحديث؟

ذكر هذا الحديث جملة من حفاظ أهل السنة والجماعة، منهم:

الحاكم النيسابوري[١] في كتابه المستدرك على الصحيحين، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان العامري وأخبرنا محمد بن علي بن دحيم بالكوفة ثنا أحمد بن حاتم بن أبي غرزة قالا: ثنا عبد الله محمد بن سالم ثنا حسين بن زيد بن علي عن عمر بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: إن الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاك[٢].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدوه بن نعيم الطهماني النيسابوري ولد سنة ٣٢١هـ وتوفي سنة ٤٠٥هـ عرف بلقب (الحاكم) وهي أعلى مرتبة عند المحدثين، له الكثير من المصنفات في الحديث والرجال والتاريخ. (للمزيد سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٦٢)

(٢) المستدرك ٣/ ١٥٤.

ثم علّق على الحديث بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[١].

وأورده الهيثمي[٢] في مجمع الزوائد، فقال: عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك[٣].

وعلّق على هذا الحديث بقوله: رواه الطبراني، وإسناده حسن[٤].

وأخرجه أبو نعيم الأصفهاني[٥] في معرفة الصحابة: حدثنا أبو بكر الطلحي، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا عبد الله بن محمد بن سالم، حدثنا حسين بن زيد بن علي بن الحسين، عن علي بن عمر بن علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: يا فاطمة، إنّ الله تعالى يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك[٦].

وعلّق بقوله: تفرد برواية هذا الحديث العترة الطيبة خلفهم عن

---

(١) المستدرك ٣/ ١٥٤.

(٢) نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري، ولدت سنة ٧٣٥هـ وتوفي سنة ٨٠٧هـ حافظ من كبار الحفاظ اشتهر بكتبه في تخريج الحديث. (للمزيد الأعلام للزركلي ٤/ ٢٦٦)

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ١٣٩.

(٤) مجمع الزوائد ٩/ ١٣٩.

(٥) أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني ولد سنة ٣٣٦هـ وتوفي سنة ٤٣٠هـ حافظ ومؤرخ له مجموعة من التصانيف منها (حلية الأولياء). للمزيد (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣)

(٦) معرفة الصحابة ١/ ٣٨١.

سلفهم حتى ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وآله[١].

وأورده الصالحي الشامي[٢] في كتابه (سبل الهدى والرشاد)، قال: روى الطبراني بإسناد حسن، وابن السني في معجمه، وأبو سعيد النيسابوري في (الشرف) عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة: إنّ الله تعالى يغضب لغضبك، ويرضي لرضاك[٣].

كما جعل المحبّ الطبري[٤] باباً في كتابه (ذخائر العقبى) أسماه: (ذكر ما جاء أنّ الله عزّ وجل يغضب لغضبها)، حيث ذكر فيه الحديث بقوله: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يا فاطمة إنّ الله عزّ وجل يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»، خرجه أبو سعد في (شرف النبوة)، والإمام علي بن موسى الرضا في مسنده، وابن المثنى في معجمه[٥].

وغيرهم من الذين أخرجوه في كتبهم ومصنّفاتهم، ونصّوا على صحّته واعتباره عندهم.

---

(١) معرفة الصحابة ١/ ٣٨١.

(٢) شمس الدين محمد بن يوسف الصالحي الشامي لم تذكر المصادر سنة ميلاده، إلّا أنّها أجمعت على تحديد سنة وفاته ٩٤٢هـ، كان من المؤرخين البارزين في القرن العاشر وقد ذكروا أنّ كتابه في السيرة (سبل الهدى والرشاد) هو أوسع كتاب صنّف في بابه وقد جمعه مؤلفه من ألف كتاب! (للمزيد الأعلام ٧/ ١٥٥)

(٣) سبل الهدى والرشاد ١١/ ٤٤.

(٤) هو غير ابن جرير الطبري المفسّر المعروف، والمحبّ هو أبو العباس أحمد بن عبد الله الطبري المكي الشافعي، قال فيه الذهبي: كان إماما صالحا زاهدا كبير الشأن. (تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٤)

(٥) ذخائر العقبى: ٣٩.

٢- المشكّكون في صحّة الحديث

لم يسلم هذا الحديث كغيره من أحاديث مناقب أهل البيت عليهم السلام من الطعن والغمز فيه، حيث تصدّى بعضهم محاولاً تضعيف هذا الحديث:

منهم: ابن تيمية الحراني[(١)]: الذي قال في منهاجه: وأمّا قوله: «ورووا جميعاً أن النبي صلى الله عليه وآله قال: يا فاطمة إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك» فهذا كذب منه، ما رووا هذا عن النبي صلى الله عليه وآله، ولا يُعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروفة، ولا له إسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وآله، لا صحيح ولا حسن[(٢)].

ومنهم: شمس الدين الذهبي: الذي علّق على تصحيح الحاكم بقوله: بل حسين بن زيد منكر الحديث[(٣)].

٢- مناقشة أدلّة المشكّكين:

ما ذكره القادحون لا يرقى لأن يكون علّة قادحة في هذا الحديث، ومن له أدنى معرفة بالصناعة الحديثية يدرك ذلك.

أما كلام ابن تيمية: فهو واضح البطلان، إذ أنّ الرجل يدّعي أنّه لم يرو هذا الحديث أحد من المحدّثين، فإنه قال: (ما رووا هذا عن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ولد سنة ٦٦١هـ وتوفّي في السجن سنة ٧٢٨هـ اختلف أهل السنة في تقييمه فلقّبه بعضهم بشيخ الإسلام واعتبروه من كبار علماء الدين في حين اتّهمه غيرهم بالزندقة نتيجة لأقواله التي يفهم منها التجسيم ونصب العداء لأهل البيت عليهم السلام . (للمزيد الدرر الكامنة لابن حجر ١/ ٤٥)

(٢) منهاج السنة ٤/ ١١٦.

(٣) المستدرك ٣/ ١٥٤.

ولا يعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروفة)، وقد ذكرنا أن من مصادر هذا الحديث المستدرك على الصحيحين، وهو من كتب الحديث المشهورة، بل ما ذكرناه ليس إلّا على سبيل المثال، وإلّا فقد روى هذا الحديث من أصحاب المصنّفات المشهورة حفاظ آخرون، منهم:

١- الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا عبد الله بن محمد بن سالم القزاز حدثنا حسين بن زيد بن علي عن علي بن عمر بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة رضي الله تعالى عنها: إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك[(١)].

٢- ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: حدثنا عبد الله بن سالم المفلوج وكان من خيار الناس نا حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن عمر بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين بن علي عن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لفاطمة رضي الله تعالى عنها: إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك[(٢)].

٣- ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة: يا فاطمة إنّ الله تبارك وتعالى ليغضب - وقال الحيري: يغضب - لغضبك، ويرضى لرضاك[(٣)].

٤- أبو يعلى الموصلي في معجمه: عن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة

---

(١) المعجم الكبير ١/ ١٠٨.

(٢) الآحاد والمثاني ٥/ ٣٦٣.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٣/ ١٥٦.

عليها السلام: «يا فاطمة، إنّ الله عزّ وجل يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»[١].

فهل (المستدرك)، و(معجم الطبراني)، و(الآحاد والمثاني) وكلّ المصادر التي ذكرناها لم يطّلع عليها ابن تيمية؟ فإن كان مطلعاً عليها فهو كاذب في زعمه أن هذا الحديث لم يُرو عن النبي صلى الله عليه وآله، ولا يُعرف في شيء من كتب الحديث المعروفة، وإن لم يطلع عليها فلا يحقّ له أن ينفي وجود حديث وهو بهذا النحو من عدم الاطلاع!!

أمّا كلام الذهبي: فهو أيضاً مردود عليه؛ إذ أنّ إسقاطه للحديث بناء على نكارة أحاديث الحسين بن زيد لا قيمة له:

وذلك لأنّ الحسين بن زيد العلوي قد وثّقه جملة من علماء الجرح والتعديل:

فقد وثّقه الدارقطني كما في سؤالات البرقاني، قال: قلت له: الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن جدّه عن علي، فقال: كلّهم ثقات[٢].

ووثّقه ابن عدي في الكامل، حيث قال: وجملة حديثه عن أهل البيت، وأرجو أنّه لا بأس به، إلّا أنّي وجدت في بعض حديثه النكرة[٣].

ووثّقه ابن حجر العسقلاني في التقريب، قال: الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صدوق ربما أخطأ، من الثامنة، مات وله

---

(١) المعجم لأبي يعلى ١/ ١٩٠.

(٢) سؤالات البرقاني ١/ ٢٢.

(٣) الكامل ٢/ ٣٥١.

ثمانون سنة في حدود التسعين[١].

ونقل توثيق الدارقطني له في تهذيب التهذيب[٢].

فالحسين بن زيد إذن قد وثّقه جمع من أئمّة الجرح والتعديل، فلا ندري لماذا ضعّفه الذهبي، ولم يقم وزناً لهؤلاء؟

فإن قيل: إنّ هناك أقوالاً في تضعيف الرجل تعارض التوثيقات التي جئنا بها، أجبنا بأنّ التوثيق لا يسقط إلّا إذا كان الجرح مفسَّراً، وما قيل في الحسين بن زيد ليس من هذا الباب، بل هو جرح مجمل لا يصمد أمام التوثيقات التي سقناها في ما تقدم.

وفي هذا يقول الخطيب البغدادي[٣]: سمعت القاضي أبا الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري يقول: **لا يُقبل الجرح إلّا مفسَّراً، وليس قول أصحاب الحديث: «فلان ضعيف» و«فلان ليس بشيء» مما يوجب جرحه وردّ خبره**، وإنّما كان كذلك لأنّ الناس اختلفوا فيما يُفسّق به، فلا بدّ من ذكر سببه؛ لينظر هل هو فسق أم لا؟ وكذلك قال أصحابنا: «إذا شهد رجلان بأنّ هذا الماء نجس لم تقبل شهادتهما حتى يبيّنا سبب النجاسة»، فإنّ الناس اختلفوا فيما ينجس به الماء وفي نجاسة الواقع فيه. قلت: **وهذا القول هو الصواب عندنا، وإليه ذهب الأئمة من حفّاظ الحديث ونقّاده، مثل محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وغيرهما**، فإنّ

---

(١) تقريب التهذيب ١/ ٢١٥.

(٢) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٣٩.

(٣) أبو بكر أحمد بن عبد المجيد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي ولد سنة ٣٩٢هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ، اشتهر بسعة حفظه واشتغاله بالحديث والرجال حتى ألّف الموسوعة المعروفة بـ (تاريخ بغداد). (للمزيد سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٧٠)

البخاري قد احتجّ بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم والجرح لهم، كعكرمة مولى بن عباس في التابعين، وكاسماعيل بن أبي أويس، وعاصم بن علي، وعمرو بن مرزوق في المتأخرين، وهكذا فعل مسلم بن الحجاج، فإنّه احتجّ بسويد بن سيد وجماعة غيره، واشتهر عمّن ينظر في حال الرواة الطعن عليهم، وسلك وأبو داود السجستاني هذه الطريق وغير واحد ممن بعده، فدلّ ذلك على أنهّم ذهبوا إلى أنّ الجرح لا يثبت إلّا إذا فُسّر سببه وذُكر موجبه[١].

نأتي الآن إلى الطعون التي ذُكرت في الحسين بن زيد لنثبت أنّها ليست من الجرح المفسَّر المقتضي لسقوط روايات الرجل:

١- ما ذكره ابن أبي حاتم في ترجمة الحسين بن زيد، حيث قال: وقلت لأبي ما تقول فيه (أي الحسين بن زيد)؟ فحرّك يده وقلّبها، يعني تُعرف وتنكر[٢].

والجواب: أنّ هذا الجرح من أبي حاتم لا يعتبر جرحاً معتدًّا به؛ إذ أنّ هذا الرجل عُرف بأنّه متشدّد في شروطه، ولذلك قال ابن تيمية: وأمّا قول أبي حاتم: «يُكتب حديثه ولا يُحتجّ به»، فأبو حاتم يقول مثل هذا في كثير من رجال الصحيحين، **وذلك أنّ شرطه في التعديل صعب، والحجّة في اصطلاحه ليس هو الحجّة في جمهور أهل العلم**، وهذا كقول من قال: «لا أعلم أنّهم رضوه»، وهذا يقتضي أنّه ليس عندهم من الطبقة العالية، ولهذا لم يُخرج البخاري ومسلم له ولأمثاله، لكن مجرد عدم تخريجهما للشخص لا

(١) الكفاية في علم الرواية: ١٣٦.

(٢) الجرح والتعديل ٣/ ٥٣.

يوجب ردّ حديثه، وإذا كان كذلك فيقال: إذا كان الجارح والمعدّل من الأئمة لم يُقبل الجرح إلّا مفسَّراً، فيكون التعديل مقدّماً على الجرح المطلق[١].

فإذا كان قول ابن أبي حاتم: «لا يُحتجّ به» لا يعتبر جرحاً معتدّا به عند ابن تيمية، فمن باب أولى قوله: «يُعرف ويُنكر» ليس بجرح، ولا سيما أنه لم يقل ذلك أيضاً، وإنما أشار بيده، وابنه فسَّر الإشارة بذلك، ولعله يريد شيئاً آخر، وعليه فلا قيمة لما ذكره ابن أبي حاتم الرازي.

٢- ما نُقل عن يحي بن معين كما في تهذيب التهذيب من أنّه قال: لقيته ولم أسمع منه، وليس بشيء[٢].

والجواب: أنّ هذا أيضاً لا يُعتبر نصًّا في جرح الحسين بن زيد، وقد أجاد المعلمي[٣] في بيان هذا المطلب عند مناقشته لهذا المصطلح عند يحيى بن معين، قال:... ثم لو فرض صحّة تلك الكلمة عن ابن معين، **فابن معين مما يطلق «ليس بشيء» لا يريد الجرح، وإنما يريد أنّ الرجل قليل الحديث**، وقد ذكر الكوثري ذلك صفحة ١٢٩ ويأتي تحقيق ذلك في ترجمة ثعلبة من (التنكيل)، **وحاصله أن ابن معين قد يقول: «ليس بشيء» على معنى قلّة الحديث، فلا تكون جرحاً**، وقد يقولها على وجه الجرح كما يقولها غيره فتكون جرحاً، فإذا وجدنا الراوي الذي قال فيه ابن معين: «ليس

---

(١) الفتاوى الكبرى ٣/ ٤٢.

(٢) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٤.

(٣) عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي العتمي اليماني، ولد سنة ١٣١٣ هـ وتوفي سنة ١٣٨٦هـ من أشهر المحقّقين المتأخرين في علم الحديث والرجال عند أهل السنة والجماعة بحيث لقّبه بعضه بـ "ذهبي العصر". (للمزيد الأعلام للزركلي ٣/ ٣٤٢)

بشيء» قليل الحديث وقد وُثِّق، وجب حمل كلمة ابن معين على معنى قلّة الحديث[١].

وكلّ ما ذكره المعلّمي ينطبق على الراوي الذي نحن بصدد البحث فيه، فهو مُقلّ للرواية، ووثّقه جمع من العلماء كما ذكرنا، ممّا يجعلنا نحمل هذه اللفظة على قلّة الرواية.

٣- ما نُقل عن علي بن المديني من أنّه قال في حقّ الحسين بن زيد: فيه ضعف[٢].

والجواب: ليس هذا من الجرح الذي يُسقط حديثه عن الاعتبار إن ثبت عن ابن المديني، بل هو مجرّد تليين للرّاوي.

قال السيوطي في التدريب: (ليس بذلك، ليس بذاك القوي فيه) ضعف (أو في حديثه ضعف) **هذه من مرتبة ليّن الحديث، وهي الأولى** (ما أعلم به بأساً) هذه أيضاً منها، أو من آخر مراتب التعديل كأرجو أن لا بأس به[٣].

فمن جُرح بهذا اللفظ فإنّ حديثه ينزل إلى درجة الحسن، لا أن يُحكم عليه بالضعف، هذا لو كان هذا كلّ ما ورد في حقّه، أمّا إذا عورض هذا اللّفظ بتعديل كما هو الحال في الحسين بن زيد فإنّه لاشكّ في عدم اعتبار هذا الجرح، كلّ هذا مع التسليم بصدوره عن ابن المديني، وإلّا فإنّي بحثت عن سند لهذا الكلام فلم أجد لذلك عيناً ولا أثراً.

---

(١) التنكيل ١/ ٥٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٢/ ٢٩٤.

(٣) تدريب الراوي ١/ ٢٩٦.

أمّا اللفظ الوحيد الذي تكرّر في كلاماتهم فهو وجود نكارة في أحاديث الحسين بن زيد، وقد تمسّك بهذا اللفظ أغلب من حاول إسقاط الحديث وتضعيفه.

فالجواب عليه: هو أنّ هذا أيضاً لا يمكن جعله مطعناً فيه، إذ أنّ كلّ ما ساقوه من روايات رواها الرجل لا نكارة فيها، بل الظاهر أنّ مقصودهم من الحديث المنكر هو ما نحن بصدد الكلام فيه، وهو قول النبي صلى الله عليه وآله في حقّ السيّدة الزهراء عليها السلام: إنّ الله يرضى لرضاها، ويغضب لغضبها.

وفي هذا يقول السيد محسن الأمين العاملي قدس سره: وقولهم: «ربما أخطأ»، و«فيه ضعف ليس بشيء» و«يُعرف ويُنكر»، أي تارة يروي ما هو معروف، وأخرى ما ليس بمعروف، ولعل ذلك كله لروايته هذا الحديث الذي نقله الذهبي في ميزانه عن ابن عدي، قال: أنبأنا أبو علي، أنبأنا عبد الله بن محمد بن سالم، أنبأنا حسين بن زيد، عن علي بن عمر بن علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن الحسين بن علي، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك[(١)].

علماً أنّ الحديث ورد من طريقٍ خالٍ من الحسين بن زيد، حيث رواه الحاكم في كتابه فضائل الزهراء عليها السلام، قال: حدّثني عبد العزيز بن عبد الملك الأموي، حدّثني سليمان بن أحمد بن يحيى، حدّثنا محمود بن الربيع العامري، حدّثنا حماد بن عيسى غريق الجحفة، قال: حدّثتنا طاهرة بنت عمرو بن دينار، قالت: حدّثني أبي، عن عطاء، عن جابر رضي الله عنه قال: قال

(١) أعيان الشيعة ٦/ ٢٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: إنّ الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك[١].

ومن هنا نعلم أنّ الحديث صحيح، ولا مطعن فيه أبداً، لا في سنده ولا في متنه، وهو منقبة عظيمة للزهراء عليها السلام.

---

(١) فضائل الزهراء: ٤٦.

من آذاها فقد آذاني

دلّت الأحاديث الصحيحة على وجود ملازمة بين إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وبين إيذاء الزهراء عليها السلام، بل بين مطلق إغضاب النبي صلى الله عليه وآله وإغضابها عليها السلام.

١- ألفاظ الحديث:

أخرج هذا المضمون جملة من محدّثي وحفّاظ أهل السنّة والجماعة بألفاظ مختلفة:

فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني[(١)].

وفيه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: فإنما هي - أي فاطمة - بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها[(٢)].

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: إنّها فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها[(٣)].

وروى الحاكم في مستدركه بسنده عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: إنّما فاطمة شجنة مني، يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢١٠.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ١٥٨.

(٣) مسند أحمد ٤/ ٥.

(٤) المستدرك ٣/ ١٥٤.

٢- معنى الحديث:

من يقرأ هذه الأحاديث يعلم أنّ النبي صلى الله عليه وآله في مقام بيان وجود علقة بينه صلى الله عليه وآله وبين ابنته وروحه التي بين جنبيه فاطمة عليها السلام، وهذا ما يولّد ملازمة بينهما، فمن آذى فاطمة عليها السلام أو أغضبها، فقد آذى وأغضب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن المعلوم أنّ من يقوم بهذا الجرم فإنّ مصيره النّار وبئس المصير تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وهذا ما فهمه شرّاح الحديث من هذا النصّ الصحيح:

قال ابن حجر العسقلاني: وفي الحديث تحريم أذى من يتأذّى النبي صلى الله عليه وسلم بتأذّيه؛ لأنّ أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام اتفاقاً، قليله وكثيره، وقد جزم بأنّه يؤذيه ما يؤذي فاطمة، **فكل من وقع منه في حقّ فاطمة شيء فتأذّت به فهو يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة هذا الخبر الصحيح**، ولا شيء أعظم في إدخال الأذى عليها من قتل ولدها، ولهذا عُرف بالاستقراء معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد[١].

وقال النووي: في هذا الحديث **تحريم إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم بكل حال وعلى كل وجه، إن تولّد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحاً** وهو حي، وهذا بخلاف غيره؛ قالوا: وقد أعلم صلى الله عليه وسلم بإباحة نكاح بنت أبي جهل لعلي بقوله: «لست أحرّم حلالا»، ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين: إحداهما: أنّ ذلك تؤدّي إلى أذى فاطمة، فيتأذّى حينئذ النبي صلى الله عليه وآله، فيهلك

---

(١) فتح الباري ٩/ ٢٨٨.

من آذاه، فنهى عن ذلك لكمال شفقته على عليّ وعلى فاطمة[١].

وقال الصالحي الشامي في سيرته: **إنّه لا يجوز أن يؤذى النبي ﷺ بفعل مباح ولا غيره**، وأمّا غيره من الناس فيجوز أن يؤذى بمباح وليس له المنع منه، ولا يأثم فاعل المباح وإن وصل ذلك إلى أذى غيره، قال: ولذلك قال النبي ﷺ: إذا أراد علي ابن أبي طالب أن يتزوّج ابنة أبي جهل: إنّما فاطمة بضعة مني، وإنّي لا أحرّم ما أحلّ الله، ولكن لا والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبداً. فجعل حكمها في ذلك حكمه أنه لا يجوز أن تؤذى بمباح[٢].

من هنا نعلم بطلان محاولة تمييع الحديث بإضافة قيد فيه - كما حاول البعض- وهو أنّ حرمة إيذاء فاطمة عليها السلام إنّما تكون بغير وجه حق، أمّا لو كانت تتأذّى من الحق أو تغضب منه فلا إشكال في ذلك!

فإنّ هذا الكلام يعارض إطلاق الأحاديث بحرمة إيذائها وإغضابها من دون تقييده بحقّ أو بغير حقّ، ولو قبلنا بهذا القيد فإنّ هذا الحديث يخرج عن كونه فضيلة وخصوصية للزهراء عليها السلام ليشمل جميع المسلمين، فالنبي ﷺ يؤذيه من يؤذي أي مظلوم في هذه الأرض.

٣- إشكال ابن تيمية حول الحديث:

لم يجد ابن تيمية الحرّاني مفرًّا من التسليم بصحّة الحديث سنداً ودلالة، ولذلك لم يناقش في هذا الجانب، بل حاول إلزام الشيعة بمضمون الحديث، بحيث لو طبّقوه على الواقع لكانوا أوّل المتضرِّرين!

---

(١) شرح مسلم ١٦/ ٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ١/ ٢٦٠.

قال في منهاجه: وأمّا قوله: «رووا جميعاً أن فاطمة بضعة مني، من آذاها آذاني، ومن آذاني آذى الله» فإنّ هذا الحديث لم يرو بهذا اللفظ، بل روي بغيره، كما روي في سياق حديث خطبة علي لابنة أبي جهل لما قام النبي ﷺ خطيباً، فقال: إنّ بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، وإنّي لا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إنّما فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها، إلّا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلّق ابنتي وينكح ابنتهم. وفي رواية: إني أخاف أن تُفتَن في دينها، ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه، فقال: حدّثني فصدّقني، ووعدني فوفى لي، وإنّي لست أحلّ حراماً، ولا أحرّم حلالاً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدوّ الله مكاناً واحداً أبداً. رواه البخاري ومسلم في الصحيحين من رواية علي بن الحسين والمسور بن مخرمة، فسبب الحديث خطبة علي رضي الله عنه لابنة أبي جهل، والسبب داخل في اللفظ قطعاً، إذ اللفظ الوارد على سبب لا يجوز إخراج سببه منه، بل السبب يجب دخوله بالاتفاق، وقد قال في الحديث: «يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»، ومعلوم قطعاً أن خطبة ابنة أبي جهل عليها رابها وأذاها، والنبي صلى الله عليه وآله رابه ذلك وآذاه، فإن كان هذا وعيداً لاحقا بفاعله، لزم أن يلحق هذا الوعيد علي بن أبي طالب، وإن لم يكن وعيداً لاحقاً بفاعله، كان أبو بكر أبعد عن الوعيد من علي، وإن قيل: إنّ عليًّا تاب من تلك الخطبة، ورجع عنها، قيل: فهذا يقتضي أنّه غير معصوم، وإذا جاز أنّ من راب فاطمة وآذاها يذهب ذلك بتوبته جاز أن يذهب بغير ذلك من الحسنات الماحية، فإن ما هو أعظم من هذا الذنب تذهبه الحسنات الماحية

والتوبة والمصائب المكفرة[١].

فكأنّ ابن تيمية يقول: إنّكم إذا أردتم تطبيق الحديث على أحد فأنتم ملزمون بتطبيقه في بادئ الأمر على علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّه السبب في صدور هذا الحديث عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله.

٤- دفع إشكال ابن تيمية:

الجواب على دعوى ابن تيمية الحراني هو أنّ هذه القصّة أي خطبة الإمام علي عليه السلام لبنت أبي جهل والتي تسبّبت في غضب الزهراء عليها السلام وأذيّتها غير ثابتة، ولا يمكن التمسّك بها، بل يمكننا أن نقطع بأنه لم يثبت أنّ بضعة المصطفى عليها السلام قد غضبت أو تأذت من أمير المؤمنين عليه السلام.

أمّا تفصيل هذا فسيأتيك في الباب اللاحق.

---

(١) منهاج السنّة ٤/ ١١٧.

هل غضبت الزهراء عليها السلام من أمير المؤمنين عليه السلام؟

حاول البعض التمسّك بالأحاديث التي يظهر منها وجود خلاف بين الإمام علي عليه السلام وبين الزهراء عليها السلام لإلزام الشيعة بذلك، وقد سبق أن ذكرنا كلام ابن تيمية الحرّاني في ذلك.

ولكثرة تمسّك المخالفين بهذه الأحاديث ارتأيت أن أضع كلّ هذه الروايات على طاولة البحث؛ لنرى هل تصلح أن تكون دليلاً على ذلك أم لا؟

١- خطبة الإمام علي عليه السلام لبنت أبي جهل:

أبرز ما يُتمسّك به في كتب أهل السنّة والجماعة هي رواية المسور بن مخرمة التي ذكرها ابن تيمية، وحاول إلزام الشيعة بها، وقد رويت في الصحيحين في أكثر من مورد وبصور مختلفة نتيجة لتقطيع الرواية؛ لكي تطابق الباب الذي ستندرج تحته.

أمّا الرواية الأصلية كاملة فقد ذكرها مسلم في صحيحه بسنده عن ابن شهاب أن علي بن الحسين حدَّثه أنهم - يعني أهل البيت عليهم السلام - حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، لقيه المسور بن مخرمة، فقال له: هل لك إليَّ من حاجة تأمرني بها؟ قال: فقلت

له: لا، قال له: هل أنت مُعْطِيَّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فإنّي أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتنيه لا يُخلص إليه أبداً حتى تبلغ نفسي؛ إنّ علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة، فسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم، فقال: إنّ فاطمة مني، وإنّي أتخوّف أن تُفتن في دينها، قال: ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن، قال: حدّثني فصدّقني، ووعدني فأوفى لي، وإنّي لست أحرّم حلالاً، ولا أحلّ حراماً، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكاناً واحداً أبداً[(١)].

وهذه القصّة احتوت إشكالات كثيرة تسقطها عن الإعتبار، بل تجعلنا نقطع بأنّها كذب وافتراء:

الإشكال الأول: انفراد المسور بن مخرمة بروايتها:

انفرد برواية هذه القصّة المسور بن مخرمة، ومن يقرأ ترجمة هذا الرجل يجد أنّه قد تفنّن في التقرّب إلى أعداء أمير المؤمنين عليه السلام ومبغضيه!

قال الزبير بن بكّار في كتابه "نسب قريش" عند تعرّضه للمسور بن مخرمة: وكانت الخوارج تغشى المسور بن مخرمة وتعظّمه وينتحلون رأيه حتى قتل...[(٢)]

والتعبير بأنّهم «يعظّمونه» و «ينتحلون رأيه» يكشف عن أنّه لم يكن من عامّة الخوارج، بل كان رأساً من رؤوسهم وزعيماً من زعمائهم، ولا يخفى عن القارئ الكريم بغض الخوارج لأمير المؤمنين عليه السلام وحقدهم

---

(١) صحيح مسلم ٧/ ١٤١.

(٢) نسب قريش ٢٦٢.

عليه، بل لعلّ السمة البارزة فيهم هي التديّن ببغضه صلوات الله عليه!

ويكفي أن يعرف القارئ أنّ قاتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو واحد من هذه الفئة الضالّة التي اعتبرت قتله من أعظم الأعمال تقرّباً إلى الله عزَّ وجل، حتّى قال قائلهم[1]:

يا ضَرْبةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أرادَ بها لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضْوَانا

إلّاإنّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمَاً فَأَحْسَبُهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ الله مِيْزَانا

ولذلك حكم النبي صلى الله عليه وآله على هذه الفرقة بالكفر والخروج من الدين كما ثبت ذلك عند الفريقين من قوله صلى الله عليه وآله: قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرَّمِيَّة، يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد[2].

والعجيب من الذهبي كيف اختصر العبارة اختصارا مخلّا ليشوّش على القارىء، حيث قال: كانت الخوارج تغشاه، وينتحلونه[3].

فالتعبير بـ«ينتحلونه» يشعربأنّهم ينسبون أنفسهم له دون وجه حقّ ممّا يبرىء المسور من تهمة الانتساب للخوارج، أمّا التعبير بـ«ينتحلون رأيه» فإنّه يدلّ على أنّ آراء المسور بن مخرمة كانت متطابقة مع آراء الخوارج لعنهم الله.

---

(١) القائل هو شاعر الخوارج (عمران بن حطّان) والعجيب أنّ البخاري وثّقه واعتمد عليه في صحيحه، وفي المقابل أعرض عن حديث جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وغيره من الأئمة الأطهار عليهم السلام.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٠٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩١.

كما نقل الذهبي عن عطاء بن يزيد قوله: كان ابن الزبير لا يقطع أمراً دون المسور بمكة[١].

وعداء عبد الله بن الزبير لآل علي عليهم السلام معروف مشهور لا يخفى على من غاص في طيات التاريخ واطلع على أحداث تلك الفترة!

فهو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً أباه الزبير: قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء، ففرق بيننا وبينك[٢].

وقال عليه السلام فيه: ما زال الزبير يعدّ منّا - أهل البيت - حتى نشأ عبد الله[٣].

وهو الذي حبس محمد بن الحنفية عليه السلام وبعض بني هاشم في بئر زمزم، وتوعّدهم بالإحراق كما نقل الطبري في تاريخه، قال: حبس محمدَ بن الحنفية ومن معه من أهل بيته، وسبعة عشر رجلاً من وجوه أهل الكوفة بزمزم، وكرهوا البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمة، وهربوا إلى الحرم، وتوعّدهم بالقتل والإحراق، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعّدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً[٤].

بل ورد في ترجمته أنّه ترك الصلاة على محمد وآل محمد، فقد نقل البلاذري في أنسابه عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه مخاطباً الرجل: ذلك والله أبلغ إلى جاعريتك، بغضي والله ضرّك، وآثمك إذ دعاك إلى ترك الصلاة

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٩٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٥١٩.

(٣) الإستيعاب ٣/ ٩٠٦.

(٤) تاريخ الطبري ٤/ ٥٤٤.

على النبي صلى الله عليه وآله في خطبك، فإذا عوتبت على ذلك، قلت: إنّ له أُهَيْل سوء، فإذا صليت عليه تطاولت أعناقهم وسمت رؤوسهم[١].

والطامة الكبرى أنّ هذا الرجل أي المسور بن مخرمة كان من أعظم أنصار معاوية!

فقد نقل ابن عساكر بسنده عن عروة بن الزبير: إنّ المسور بن مخرمة أخبره أنّه قدم وافداً على معاوية بن أبي سفيان، فقضى حاجته، ثم دعاه فأخلاه، فقال: يا مسور ما فعل طعنك على الأئمّة؟ قال مسور: دعنا من هذا، وأحسن فيما قدمنا له، قال معاوية: لا والله لتكلّمني بذات نفسك بالذي تعيب علي، قال مسور: فلم أترك شيئاً أعيبه عليه إلّا بيّنته له، فقال معاوية: لا أبرأ من الذنب، فهل تعد يا مسور مما نلي من الإصلاح في أمر العامة، فإنّ الحسنة بعشر أمثالها، أم تعد الذنوب وتترك الإحسان؟ قال المسور: لا والله ما نذكر إلا ما ترى من هذه الذنوب، فقال معاوية: فإنّا نعترف لله بكل ذنب أذنبناه، فهل لك يا مسور ذنوب في خاصّتك تخشى أن تهلك إن لم يغفرها الله لك؟ قال مسور: نعم، قال: فما يجعلك برجاء المغفرة أحق مني؟ فوالله لم ألي من الإصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أخيَّر بين أمرين: بين الله وغيره إلّا اخترت الله على سواه، وإنّي لعلى دين يقبل فيه العمل ويجزى فيه بالحسنات، ويجزى فيه بالذنوب، إلا أن يعفو الله عنها، وإنّي أحتسب كل حسنة عملتها بأضعافها من الأجر، وألي[٢] أموراً عظاماً لا أحصيها ولا يحصيها من عمل لله بها، في إقامة الصلاة للمسلمين،

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٩١.

(٢) كذا في طبعة تاريخ دمشق، وفي تاريخ بغداد ١/ ٥٧٦: وأوازي.

والجهاد في سبيل الله، والحكم بما أنزل الله، والأمور التي لست أحصيها عدداً، فيكفي في ذلك، قال المسور: فعرفت أنّ معاوية قد خصمني حين ذكر ما ذكر. قال عروة بن الزبير: فلم **أسمع المسور ذكر معاوية إلا صلّى عليه**(١).

فليتدبّر القارئ في كلام عروة بن الزبير، فالمسور كان لا يذكر معاوية إلّا صلّى عليه، كما نصنع نحن عند ذكر نبيّنا صلى الله عليه وآله، وهذا ما يدلّ على الرابط القويّ الذي يجمعهما.

إذن فالمسور كان قريباً من ثلاثة أطراف، وهم: بنو الزبير، وبنو أمية، والخوارج، ورغم العداء القائم بين هذه الأطراف الثلاثة إلّا أنّ الجامع الوحيد بينهم هو بغضهم الشديد لعلي بن أبي طالب عليه السلام ونصبهم العداء له ولآله الأطهار عليهم السلام.

فمن كان هذا حاله كيف تُقبل روايته القادحة في أمير المؤمنين عليه السلام، خصوصاً هذه الرواية التي احتوت انتقاصا من مقامه عليه السلام؟

علماً أنّ شرّاح الحديث قد اعترفوا بدلالتها على الحطّ من مقام أمير المؤمنين عليه السلام، حتّى وصل الأمر بابن حجر العسقلاني أن يتعجّب من صدور هذا الكلام من المسور بن مخرمة، قال: ولا أزال أتعجّب من المسور كيف بالغ في تعصّبه لعلي بن الحسين حتى قال: إنّه لو أودع عنده السيف لا يمكّن أحداً منه حتى تزهق روحه، رعاية لكونه ابن ابن فاطمة محتجًّا بحديث الباب، ولم يراع خاطره في أنّ ظاهر سياق الحديث المذكور غضاضة على علي بن الحسين، **لما فيه من إيهام غضّ من جدّه علي بن أبي**

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٥٨/ ١٦٨.

طالب حيث أقدم على خطبة بنت أبي جهل على فاطمة، حتى اقتضى أن يقع من النبي ﷺ في ذلك من الإنكار ما وقع[١].

أمّا الروايات التي أخرجها عبد الرزّاق الصنعاني في مصنّفه والتي ذكرت فيها هذه القصّة فلا تحلّ لنا المشكلة؛ لأنّ كلّ رواتها لم يدركوا هذه الحادثة:

فقد رواها عبد الرزاق عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار أنّ عليًّا خطب ابنة أبي جهل، فقام النبي ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ علي بن أبي طالب خطب العوراء ابنة أبي جهل، ولم يكن ذلك له، ولا تجتمع بنت نبي الله وابنة عدو الله[٢].

وعمرو بن دينار الراوي لهذا الخبر وُلد بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام بعدّة سنوات، قال الذهبي: عمرو بن دينار الإمام الكبير الحافظ أبو محمد الجمحي مولاهم المكي الأثرم، أحد الأعلام وشيخ الحرم في زمانه، **وُلد في إمرة معاوية** سنة خمس أو ست وأربعين[٣].

وقد نصّ الذهبي في ترجمته أنّه سمع من المسور بن مخرمة[٤]، فلعلّه سمع القصّة منه.

ورواها بسنده عن الشعبي، قال: جاء علي إلى رسول الله ﷺ يسأله عن ابنة أبي جهل، وخطبها إلى عمّها الحارث بن هشام، فقال النبي ﷺ:

---

(١) فتح الباري ٩/ ٢٨٥.

(٢) المصنّف ٧/ ٣٠١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠٠.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٠١.

عن أيّ بالها تسألني؟ أعن حسبها؟ قال: لا، ولكن أريد أن أتزوّجها، أتكره ذلك؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنّما فاطمة بضعة مني، وأنا أكره أن تحزن أو تغضب، فقال علي: فلن آتي شيئاً ساءك[١].

وهذه الرواية أيضاً مرسلة؛ لأنّ عامر بن شرحبيل الشعبي لم يدرك الحادثة، بل هو من التابعين، وسيأتي لاحقاً تفصيل حال هذا الرجل[٢].

ورواها بسنده عن معمر عن الزهري، وعن أيوب عن ابن أبي مليكة أنّ علي بن أبي طالب خطب ابنة أبي جهل حتى وعد النكاح، فبلغ ذلك فاطمة، فقالت لأبيها: يزعم الناس أنك لا تغضب لبناتك، وهذا أبو حسن قد خطب ابنة أبي جهل حتى وعد النكاح، فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر أبا العاص بن الربيع، فأثنى عليه في صهره، ثم قال: إنّما فاطمة بضعة مني، وإنّي أخشى أن يفتنوها، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله تحت رجل، قال: فسكت علي عن ذلك النكاح وتركه[٣].

وهذه الرواية أيضاً مرسلة، لا يمكن الإعتماد عليها؛ لأنّ ابن أبي مليكة لم يدرك الحادثة، قال الذهبي: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، الإمام الحجّة الحافظ أبو بكر وأبو محمد القرشي التيمي

---

(١) المصنّف ٧/ ٣٠١.

(٢) في فصل: هل رضيت الزهراء عليها السلام على الشيخين؟

(٣) المصنّف ٧/ ٣٠١.

المكي القاضي الأحول المؤذن، **وُلد في خلافة علي أو قبلها**[(١)].

وقد نصّ الذهبي أنّه روى عن المسور بن مخرمة في جملة من روى عنهم، فلعلّه قد روى خصوص هذا الخبر عنه.

وعليه فيبقى المسور بن مخرمة هو الذي انفرد برواية هذه الحادثة، وقد تبيّن لك حاله كما تقدّم.

الإشكال الثاني: سنّ تلقّي الحديث:

إنّ رواية المسور بن مخرمة لا يمكن أن تُقبل لقرينة موجودة في الرواية، وهي تعبير المسور بأنّه كان يومئذ **محتلماً!**

والسبب في ذلك أنّ المسور وُلد بعد الهجرة، والحادثة حصلت قبل السنة العاشرة، فيلزم من ذلك أنّ عمره أقل من سنّ الاحتلام الطبيعي عند الإنسان، وقد أكّد هذه الحقيقة ابن حجر العسقلاني في ترجمة المسور، حيث قال: قال يحيى بن بكير: وكان مولده بعد الهجرة بسنتين، وقدم المدينة في ذي الحجة بعد الفتح سنة ثمان وهو غلام أيفع ابن ست سنين[(٢)].

ولا يُتصوّر من ابن ست أو سبع سنين أن يكون محتلماً، ومن هنا التفت شرّاح الحديث لهذا الإشكال وأجابوا عنه بعدّة أجوبة:

منها: أنّ الإحتلام المذكور هنا هو من الحِلم لا من الحُلم كما نقل ذلك ابن حجر في الإصابة، قال: وقد تأوّل بعضهم أن قوله: «محتلم» من الحِلْم – بالكسر – لا من الحُلم – بالضم –، يريد أنه كان عاقلاً ضابطاً لما

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٨.

(٢) الإصابة ٦/ ٩٤.

يتحمله[١].

ومنها: ما نُقل عن ابن سيّد النّاس[٢] من أنّ هذا اللفظ خطأ، والصحيح هو (كالمحتلم)، قال: هذا غلط، والصواب ما وقع عند الإسماعيلي بلفظ كالمحتلم، أخرجه من طريق يحيى بن معين عن يعقوب بن إبراهيم بسنده المذكور إلى علي بن الحسين، قال: والمسور لم يحتلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنّه ولد بعد ابن الزبير، فيكون عمره عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ثماني سنين[٣].

ومنها: جواب الحافظ ابن حجر الذي اعتبر قوله «محتلم» من باب التشبيه، قال: أو يحمل قوله: «محتلم» على المبالغة، والمراد التشبيه، فتلتئم الروايتان، وإلّا فابن ثمان سنين لا يقال له: «محتلم» ولا كالمحتلم، إلّا أن يريد بالتشبيه أنّه كان كالمحتلم في الحذق والفهم والحفظ[٤].

والخلاصة أنّ الأجوبة تنتهي إلى احتمالين:

إمّا أن يكون المسور فعلاً قد بلغ سنيّ الحلم، فهذا ممتنع لصغر سنّه كما تقدّم، إلّا أن يقول قائل: «إنّ هذا استثناء في ولد آدم»، فذلك كلام آخر.

وإمّا أن لا يكون المسور بالغاً فهنا يستحكم الإشكال؛ لأنّه قد

---

(١) الإصابة ٦/ ٩٤.

(٢) فتح الدين محمد بن محمد بن محمد اليعمري الإشبيلي المعروف بـ(ابن سيد الناس) ولد سنة ٦٧١هـ وتوفي سنة ٧٣٤هـ كان فقيها ومؤرخا ومحدّثا، واشتغل بعلم الحديث والتاريخ والسيرة. (للمزيد الأعلام للزركلي ٧/ ٣٤)

(٣) فتح الباري ٩/ ٢٨٦.

(٤) فتح الباري ٩/ ٢٨٦.

اختُلف في سنّ تحمّل رواية الصبي قبل البلوغ، فمنعه جملة من علماء الحديث، واختلف الباقون في أدنى سنّ التحمّل!

الإشكال الثالث: بطولة المسور المزعومة:

مما يثير التساؤل: الموقف البطولي الذي أظهره المسور بن مخرمة عند طلبه سيف رسول الله صلى الله عليه وآله من الإمام زين العابدين عليه السلام، حيث أبدى استعداده للموت حماية للسيف، قال: هل أنت مُعْطِيَّ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فإنّي أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن أعطيتنيه لا يخلص إليه أبداً حتى تبلغ نفسي[1].

والإشكال هو: كيف يصدر مثل هذا الموقف من رجل عُرف بركونه لأعداء أهل البيت عليهم السلام وتولّيهم، أليس هذا غريباً؟

والأهمّ من هذا هو ما اعترف به ابن حجر العسقلاني، واعتبره أعجوبة الحديث، وهو قوله: بل أتعجّب من المسور تعجّباً آخر أبلغ من ذلك، **وهو أن يبذل نفسه دون السيف رعاية لخاطر ولد ابن فاطمة، وما بذل نفسه دون ابن فاطمة نفسه أعني الحسين والد علي الذي وقعت له معه القصة** حتى قُتل بأيدي ظلمة الولاة[2].

يظهر جليًّا أنّ المسور كان بصدد محاولة فاشلة لتحسين صورته عند عامّة النّاس؛ لما عُرف به من حبّه لبني أمية وركونه لهم، فأظهر هذه الكلمات الرنّانة للوصول لمآربه، لكنّه أبى إلّا أن يدسّ السمّ في العسل، فجمع بين إظهار جاهزيته للدفاع عن أهل البيت عليهم السلام، وبين الطعن في

(١) صحيح مسلم ٧/ ١٤١.

(٢) فتح الباري ٩/ ٢٨٦.

أمير المؤمنين عليه السلام.

الإشكال الرابع: ما العلاقة بين السيف والخطبة؟

ما العلاقة بين سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قضيّة خطبة أمير المؤمنين عليه السلام لبنت أبي جهل؟ إذ أنّ المسور بن مخرمة ربط بين الأمرين دون وجه ظاهر.

وهذا ما فتح باب الاستفهام أمام شرّاح الحديث الذين احتاروا أمام هذه المعضلة، فحاولوا الخروج منها بكلّ وسيلة، حتى أضحكت أجوبتهم كل ذي لُبّ:

فمنها: جواب الكرماني[1] الذي قال في شرحه على البخاري: فإن قلت: ما وجه مناسبة هذه الحكاية لطلب السيف؟ قلت: **لعلّ غرضه من أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحترز ممّا يوجب الكدورة بين الأقرباء**، وكذلك أنت أيضاً ينبغي أن تحترز منه، وتعطيني هذا السيف، حتى لا يتجدّد بسببه كدورة أخرى[2].

ولا ندري هل إعطاء سيف رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل ليس من ورثته **ممّا** يذهب الكدورة؟ بل هل إعطاؤه لرجل أموي الهوى خارجي المنهج يحلّ هذه المشكلة إن كانت موجودة أصلاً؟

---

(١) شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني ولد سنة ٧١٧ هـ وتوفي سنة ٧٨٦هـ اشتغل بعلم الحديث وألف شرحا كبيرا على صحيح البخاري أسماه (الكواكب الدراري) وعرف بين الناس بـ (شرح الكرماني على صحيح البخاري). (للمزيد الأعلام للزركلي ٧/ ١٥٣)

(٢) الكواكب الدراري ١٣/ ٧٢.

ومنها: ما ذكره العيني[١] في شرحه على البخاري حيث قال: **إنّما ذكر المسور قصة خطبة علي بنت أبي جهل ليُعلم علي بن الحسين زين العابدين بمحبته في فاطمة وفي نسلها؛** لما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

وهذا ما يزيد الأمر غرابة! فكيف يدلّ هذا الحديث على محبّة المسور بن مخرمة لبني فاطمة عليها السلام وهو يريد أن يأخذ من الإمام عليه السلام سيف رسول الله صلى الله عليه وآله من دون مقابل يقدّمه للإمام زين العابدين عليه السلام؟!

ومنها: الجواب الذي اعتمده ابن حجر العسقلاني، وهو: كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله **كان يحبّ رفاهية خاطر فاطمة** عليها السلام **فأنا أيضاً أحب رفاهية خاطرك؛ لكونك ابن ابنها،** فأعطني السيف حتى أحفظه لك؛ (قلت:) وهذا الأخير هو المعتمد، وما قبله ظاهر التكلّف[٣].

فهل يحبّ المسور رفاهية علي بن الحسين عليه السلام بذكر حديث ينتقص فيه من مقام جدّه أمير المؤمنين عليه السلام؟ ولو كان الأمر كما قاله ابن حجر لكان في وسع المسور أن يذكر عشرات الحوادث التي تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحب رفاهية خاطر فاطمة عليها السلام من دون الحاجة للتعريض بأمير المؤمنين عليه السلام، مع أن ظاهر الحديث أن المسور كان يريد أن يأخذ السيف لنفسه، لا لحفظه للإمام عليه السلام!

---

(١) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني الحنفي، ولد سنة ٧٦٢هـ وتوفي سنة ٨٥٥هـ كان فقيها على مذهب أبي حنيفة النعمان، من أهم مؤلفاته شرحه لصحيح البخاري الذي قيل أنّه استغرق فيه عشرون سنة. (للمزيد الأعلام للزركلي ٧/ ١٦٣)

(٢) عمدة القاري ١٥/ ٣٤.

(٣) فتح الباري ٦/ ١٥٠.

ولا يخفى أن في هذا الحديث ترويجاً لولائه الأموي وتعريضاً صريحاً بالإمام علي عليه السلام، وذلك عند قوله: ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس، فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن، قال: حدّثني فصدقني، ووعدني فأوفى لي[1].

فإن المسور ذكر صهراً أمويًّا للنبي صلى الله عليه وآله وقارنه بالإمام علي عليه السلام، فذكر أن الأوّل حدّث فصدق، ووعد وأوفى، وهذا يعني أن الثاني وهو علي عليه السلام لم يكن كذلك!

والنتيجة أنه لا يمكن الربط بين السيف والخطبة بأي وجه إلّا بتأويلات متكلَّفة باردة كالتي ذكرناها.

الإشكال الخامس: الاضطراب في الحديث:

الاضطراب في متن هذا الحديث واضح جليّ؛ وذلك لأنّ الحديث قد اختلفت ألفاظه عند ذكر قضية الخطبة، فتارة يكون أمير المؤمنين عليه السلام هو الخاطب كما في لفظ صحيح البخاري: «إنّ عليًّا خطب بنت أبي جهل»[2]، وتارة يكون بنو المغيرة هم الذين استأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في الأمر كما في لفظ صحيح مسلم: «إنّ بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب»[3]، وورد هذا اللفظ أيضاً في مسند أحمد[4] وفي

---

(١) صحيح مسلم ٧/ ١٤١.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢١٢

(٣) صحيح مسلم ٧/ ١٤١.

(٤) مسند أحمد ٤/ ٣٢٨.

سنن الترمذي[١] وسنن أبي داود[٢] وسنن ابن ماجة[٣].

وفي سنن الترمذي عن عبد الله بن الزبير، أن عليًّا ذكر بنت أبي جهل، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «إنّما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها»[٤].

وهذا الحديث يدلّ على أنّه لم تكن خطبة، وإنّما ذكرها علي عليه السلام، فإن صحّ هذا الخبر فلعل أعداءه لما سمعوه يذكرها نسجوا من عندهم قصة كاملة لا صحة لها، وجعلوا ذكره لها خطبة واقعة!!

ومن هنا جعل الطحاوي[٥] هذا الحديث من مشكل الآثار، وقال تعليقاً عليه: فاحتمل أن يكون ذلك كان لخطبة من علي كان أتاها إليهم، واحتمل أن يكون ذلك ليخطبوا عليًّا إلى نفسه لها، وإن لم يكن علي قبل ذلك خطبها إليهم[٦].

فإن كان بنو المغيرة هم الذين خطبوا ابنتهم لعلي عليه السلام فلا حجّة في

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٣٥٩.

(٢) مسند أبي داود ١/ ٤٦٠.

(٣) سنن ابن ماجة ١/ ٦٤٣.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٦٩٨، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. المعجم الكبير للطبراني ١٣/ ١١٣.

(٥) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المعروف بالطحاوي نسبة لقرية طحا بصعيد مصر، ولد سنة ٢٣٨ هـ وتوفي سنة ٣٢١هـ ،عالم تفقه على مذهب الشافعي ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة، له مؤلفات في شتى الفنون من أشهرها (العقيدة الطحاوية). (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ٢٠٦)

(٦) مشكل الآثار ١١/ ١٤٨.

هذا الحديث لابن تيمية ولغيره؛ لأنّ الأمير عليه السلام لم يُغضب الزهراء عليها السلام أو يؤذيها، وإن كان الثاني وهو أنّ عليًّا عليه السلام هو الذي خطبها فدون إثبات ذلك خرط القتاد.

الإشكال السادس: ما ذنب بنت أبي جهل؟

تعليل النبي صلى الله عليه وآله منعه لوقوع رفضه لهذا الزواج هو عدم إمكانية اجتماع بنت عدو الله وبنت رسول الله صلى الله عليه وآله عند رجل واحد، وفي هذا الكلام تحميل للبنت وزر أبيها، وهذا بعيد عن روح الإسلام وخلق رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نصّ القرآن على المنع من ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، كما أن مثل هذا السلوك يتنافى مع قوله تعالى في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

بل إنّ الملاحظ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّج بنات أعداء الله كما في زواجه من صفيّة بنت حيي بن أخطب كبير اليهود، وزواجه من أم حبيبة بنت أبي سفيان كبير المنافقين في عصره، فمن باب أولى أن لا يجتمع رسول الله مع بنت عدوّ الله.

فكيف ينهى رسول الله عن شيء هو قد صنعه؟ والله عزّ وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

أمّا ما ادّعاه البعض من أنّ هذا الأمر من مختصّات النبي صلى الله عليه وآله أنّ لا يُتزوّج على بناته فمدفوع بأنّ هذا الأمر لا يثبت إلّا بدليل صحيح كما قرّره علماء السير:

منهم ابن الملقّن[١]، قال: فإن الذي ينبغي ولا يعدل إلى غيره أن لا تثبت خصوصيّة إلّا بدليل صحيح[٢].

ومنهم إمام الحرمين الجويني[٣]، قال: ذكر الإختلاف في مسائل الخصائص خبط غير مفيد فإنه لا يتعلق به حكم ناجز تمس إليه حاجة وإنما يجري الخلاف فيا لا نجد بدا من إثبات حكم فيه فإن الأقيسة لا مجال لها والأحكام الخاصة تتبع فيها النصوص وما لا نص فيه فتقدير اختيار فيه هجوم على الغيب من غير فائدة[٤].

وما ينسف هذه الدعوى هو ما ذكره المؤرّخون من أنّ عثمان بن عفّان قد جمع بين رقيّة بنت المصطفى صلى الله عليه وآله وبين رملة بنت شيبة، فأين هذه الخصوصية المدّعاة؟

قال ابن حجر العسقلاني: رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية، قُتل أبوها يوم بدر كافراً، ذكرها أبو عمر فقال: كانت من المهاجرات، هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان[٥].

---

(١) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الأنصاري الأندلسي المعروف بابن الملقّن ولد سنة ٧٢٣هـ وتوفي سنة ٨٠٤هـ من علماء الحديث والفقه له جملة من المصنّفات منها: التذكرة في علوم الحديث، البدر المنير، وغيره... (للمزيد الأعلام للزركلي ٥/ ٥٧)

(٢) غاية السول ٥.

(٣) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني الملقّب بـ (إمام الحرمين) ولد سنة ٤١٩هـ وتوفي سنة ٤٧٨هـ عرف بتضلّعه في علم الكلام وأصول الفقه وصنّف الكتب فيهما. (للمزيد الأعلام للزركلي ٤/ ١٦٠)

(٤) روضة الطالبين ٢/ ٤٥٤.

(٥) الإصابة ٨/ ١٤٢.

وشيبة بن ربيعة كان من أعدى أعداء النبي صلى الله عليه وآله، حتّى إنّه صلى الله عليه وآله كان يدعو عليه في كلّ صلاة، فقد روى البخاري في صحيحه: عن عبد الله بن مسعود، قال: استقبل النبي صلى الله عليه وآله الكعبة، فدعا على نفر من قريش، على شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأبي جهل بن هشام، فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوماً حارًّا[(١)].

فهذه الاشكالات تجعلنا نشكّ في أصل هذه القصّة، ونذهب إلى أنّها موضوعة مكذوبة، أو على أقلّ التقادير كذب تفاصيلها التي أريد منها الطعن والانتقاص من أمير المؤمنين عليه السلام[(٢)].

٢- هل لهذه القصة وجود في كتب الشيعة؟

قد يتساءل البعض: هل هذه القصّة لها وجود في كتب الشيعة الإمامية؟ وماهي درجة صحّتها؟ وهل هي مبتلاة بنفس الإشكالات التي ذكرناها في البحث السابق؟

الجواب: أنّ الشيخ الصدوق قدس سره[(٣)] ذكر في كتابه (علل الشرائع)

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٦.

(٢) نحن ننكر هذا التعليل لمخالفته لروح الإسلام، أمّا عدم جواز اقتران أمير المؤمنين عليه السلام بامرأة أخرى في حياة الزهراء عليها السلام فقد ورد في بعض رواياتنا المعتبرة، وذكرت علّة أخرى غير ما تقدّم في رواية المسور، وهي ما رواه الشيخ قدس سره بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حرّم الله النساء على علي عليه السلام ما دامت فاطمة عليها السلام حيّة قال: قلت كيف؟ قال: لأنّها طاهرة لا تحيض.

(٣) الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، جليل القدر، يكنى أبا جعفر، كان جليلا، حافظا للأحاديث، بصيرا بالرجال، ناقدا للاخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه له نحو من ثلاثمائة مصنف ، وفهرست كتبه

مضموناً قريباً من مضمون هذه الرواية، قال: حدثنا علي بن أحمد قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى عن عمرو ابن أبي المقدام وزياد بن عبد الله قالا: أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال له: يرحمك الله هل تشيّع الجنازة بنار، ويُمشى معها بمجمرة أو قنديل أو غير ذلك مما يضاء به؟ قال: فتغيَّر لون أبي عبد الله عليه السلام من ذلك، واستوى جالساً، ثم قال: إنّه جاء شقيّ من الأشقياء إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها: أما علمت أنّ عليًّا قد خطب بنت أبي جهل؟ فقالت: حقًّا ما تقول؟ فقال: حقًّا ما أقول (ثلاث مرات). فدخلها من الغيرة مالا تملك نفسها، وذلك أن الله تبارك وتعالى كتب على النساء غيرة، وكتب على الرجال جهاداً، وجعل للمحتسبة الصابرة منهن من الأجر ما جعل للمرابط المهاجر في سبيل الله، قال: فاشتدّ غمّ فاطمة من ذلك، وبقيت متفكّرة هي حتّى أمست، وجاء الليل، حملت الحسن على عاتقها الأيمن والحسين على عاتقها الأيسر، وأخذت بيد أم كلثوم اليسرى بيدها اليمنى، ثم تحوّلت إلى حجرة أبيها، فجاء علي فدخل حجرته، فلم ير فاطمة، فاشتدّ لذلك غمّه، وعظم عليه، ولم يعلم القصة ما هي، فاستحى أن يدعوها من منزل أبيها، فخرج إلى المسجد يصلي فيه ما شاء الله، ثم جمع شيئاً من كثيب المسجد واتكى عليه ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله ما بفاطمة من الحزن أفاض عليها من الماء، ثم لبس ثوبه ودخل المسجد، فلم يزل يصلّي بين راكع وساجد، وكلّما صلّى ركعتين دعا الله أن يُذهب ما بفاطمة من الحزن والغم، وذلك أنّه خرج من

معروف. (الفهرست للطوسي ٢٣٧)

عندها وهي تتقلّب وتتنفّس الصعداء، فلمّا رآها النبي صلى الله عليه وآله أنّها لا يهنيها النوم وليس لها قرار، قال لها: قومي يا بنيّة. فقامت، فحمل النبي صلى الله عليه وآله الحسن، وحملت فاطمة الحسين، وأخذت بيد أم كلثوم، فانتهى إلى علي عليه السلام وهو نايم، فوضع النبي صلى الله عليه وآله رجله على رجل عليّ فغمزه، وقال: قم يا أبا تراب، فكم ساكن أزعجته، ادعُ لي أبا بكر من داره وعمر من مجلسه وطلحة. فخرج علي فاستخرجهما من منزلهما، واجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أما علمت أن فاطمة بضعة منّي، وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتى كان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتى، قال: فقال علي: بلى يا رسول الله، قال: فما دعاك إلى ما صنعت؟ فقال علي: والذي بعثك بالحقّ نبيًّا ما كان منّي ممّا بلغها شيء، ولا حدَّثتُ بها نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: صدقت وصدقت، ففرحت فاطمة عليها السلام بذلك، وتبسمت حتى رئي ثغرها، فقال أحدهما لصاحبه: إنّه لعجب لحينه ما دعاه إلى ما دعانا هذه الساعة؟ قال: ثم أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي، فشبّك أصابعه بأصابعه، فحمل النبي صلى الله عليه وآله الحسن، وحمل الحسينَ عليٌّ، وحملت فاطمة أم كلثوم وادخلهم النبي بيتهم، ووضع عليهم قطيفة، واستودعهم الله، ثم خرج، وصلّى بقية الليل[1].

وهذه الرواية لا يمكن للطرف الآخر أن يتمسّك بها لعدّة أمور:

أمّا من جهة السند:

---

(١) علل الشرائع ١/ ١٨٥.

أولاً: أحمد بن محمد بن يحي[١] المذكور هو أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، بقرينة الكنية والراوي عنه، وهو علي بن أحمد الدقّاق[٢]، وهذا الراوي مجهول الحال، لم يرد في حقّه أي توثيق.

ثانياً: من المستبعد جدًّا أن يروي عمرو بن أبي المقدام الذي هو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام عن القطّان الذي روى عنه الصدوق رضي الله عنه الذي كان في الغيبة الكبرى بواسطتين، فمن تتبّع روايات الشيخ الصدوق رضي الله عنه عنه في كتبه يجد أنّه يروي عنه بخمس أو ست وسائط! وهذا ما يثبت أنّ في سند هذا الحديث إرسالاً.

أمّا من جهة المتن:

فإنّ الرواية لا تدلّ على أنّ عليّا عليه السلام هو الذي خطب بنت أبي جهل، بل هي نصّ في تبرئته؛ لأنّ كل فقرات الحديث تدلّ على أنّ الأمر مجرّد إشاعة روّجها البعض لخلق بلبلة في البيت النبوي.

أولا: نجد أنّ الإمام الصادق عليه السلام عبّر على ناقل هذا الخبر بقوله: «شقي من الأشقياء»، ممّا يكشف أنّ نقله لهذه الحادثة كان لغرض سيئ منذ البداية، بل يمكن القول أنّ الحادثة هي مؤامرة لاثارة الفتنة في البيت النبوي.

ثانياً: من الملاحظ أنّ النبي صلى الله عليه وآله عندما أراد معالجة هذه المسألة التي من المفترض أن تكون عائلية صعد المنبر، وخطب في النّاس ليلاً، وأصرّ

---

(١) نصّ على جهالته الشيخ عبد الله المامقاني قدس سره في تنقيح المقال ٨/ ١٣٧ والسيد الخوئي قدس سره كما في المفيد من معجم رجال الحديث ٥٠.

(٢) ذكر ذلك المحقق التستري قدس سره في القاموس ١/ ٦٧٠.

على دعوة أشخاص محدّدين ملمّحاً بدورهم في نشر هذه الإشاعة.

ثالثاً: استفسر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من عليّ عليه السلام على الملأ لكي يبيّن موقفه الحقيقي من الإشاعة، فأجاب الأمير عليه السلام بقوله: «والذي بعثك بالحق نبيًّا ما كان مني مما بلغها شيء، ولا حدّثت بها نفسي»، ممّا يؤكّد براءة أمير المؤمنين عليه السلام من كلّ ما حصل.

رابعاً: تتمّة الحديث تبيّن أنّ الزهراء عليها السلام ماتت غاضبة على أبي بكر وعمر، وهو ما يفسِّر سبب ذكر الإمام الصادق عليه السلام لهذه الحادثة من البداية، وهو إثبات أنّ جدّته الزهراء عليها السلام ماتت غاضبة على من ذكرناهم، ولعلّ هذا بسبب أنّ والد ابن أبي المقدام كان من البترية.

كلّ هذه الأمور تؤكّد أنّ هذا الحديث لا يخدم من يحاول إلزام الشيعة به، بل يثبت غضبها عليها السلام على من غصبها حقّها.

علماً أنّ الشيخ الصدوق رضي الله عنه قد روى حديثاً آخر عن الإمام الصادق عليه السلام فيه تكذيب صريح لهذه القضيّة، وهو ما أخرجه في أماليه: بسنده عن علقمة، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، وقد قلت له: يا ابن رسول الله، أخبرني من تقبل شهادته ومن لا تقبل شهادته، فقال: يا علقمة، كل من كان على فطرة الإسلام جازت شهادته، قال: فقلت له: تقبل شهادة المقترف للذنوب؟ فقال: يا علقمة، لو لم تقبل شهادة المقترفين للذنوب لما قبلت إلا شهادات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم؛ لأنهم هم المعصومون دون سائر الخلق، فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً، أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان، فهو من أهل العدالة والستر، وشهادته مقبولة، وإن كان في نفسه مذنباً، ومن اغتابه بما فيه فهو خارج عن ولاية

الله عزَّ وجل داخل في ولاية الشيطان، ولقد حدثني أبي ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام : أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من اغتاب مؤمناً بما فيه، لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه، فقد انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير، قال علقمة: فقلت للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله، إنّ الناس ينسبوننا إلى عظائم الأمور، وقد ضاقت بذلك صدورنا، فقال عليه السلام: يا علقمة، إن رضا الناس لا يُملك، وألسنتهم لا تُضبط، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام ؟ ألم ينسبوا يوسف عليه السلام إلى أنه همّ بالزنا ؟...

إلى أن قال: ... وما قالوا في الأوصياء عليهم السلام أكثر من ذلك، ألم ينسبوا سيد الأوصياء عليه السلام إلى أنّه كان يطلب الدنيا والملك، وأنه كان يؤثر الفتنة على السكون، وأنّه يسفك دماء المسلمين بغير حلّها، وأنه لو كان فيه خير ما أمر خالد بن الوليد بضرب عنقه؟ **ألم ينسبوه إلى أنّه عليه السلام أراد أن يتزوّج ابنة أبي جهل على فاطمة عليها السلام، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله شكاه على المنبر إلى المسلمين، فقال: إنّ عليًّا يريد أن يتزوّج ابنة عدو الله على ابنة نبي الله،** ألا إن فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني، ومن سرَّها فقد سرّني، ومن غاظها فقد غاظني؟[1].

٣- شبهات أخرى يُتمسّك بها:

حاول البعض التمسّك ببعض الروايات الأخرى الموجودة في كتب الشيعة لإثبات ما يُدعّى من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أغضب السيدة الزهراء عليها السلام.

---

(١) أمالي الصدوق: ١٦٤.

وهي الرواية التالية التي رواها الشيخ الصدوق رضي الله عنه في علل الشرائع عن أبيه رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا الحسن بن عرفة (بسرّ من رأى)، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا محمد بن إسرائيل، قال: حدثنا أبو صالح عن أبي ذر رحمة الله عليه، قال: كنت أنا وجعفر بن أبي طالب مهاجرين إلى بلاد الحبشة، فأهديت لجعفر جارية قيمتها أربعة آلاف درهم، فلما قدمنا المدينة أهداها لعلي عليه السلام تخدمه، فجعلها علي عليه السلام في منزل فاطمة، فدخلت فاطمة عليها السلام يوماً فنظرت إلى رأس علي عليه السلام في حجر الجارية، فقالت: يا أبا الحسن فعلتها؟ فقال: لا والله يا بنت محمد، ما فعلت شيئاً، فما الذي تريدين؟ قالت: تأذن لي في المصير إلى منزل أبي رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال لها: قد أذنت لك. فتجلببت بجلبابها، وتبرقعت ببرقعها، وأرادت النبي صلى الله عليه وآله، فهبط جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمد إنّ الله يقرئك السلام، ويقول لك: إنّ هذه فاطمة قد أقبلت إليك تشكو عليًّا، فلا تقبل منها في علي شيئاً. فدخلت فاطمة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: جئت تشكين عليّا؟ قالت: إي وربّ الكعبة. فقال لها: ارجعي إليه، فقولي له: رغم أنفي لرضاك. فرجعت إلى علي عليه السلام، فقالت له: يا أبا الحسن رغم أنفي لرضاك (تقولها ثلاثاً)، فقال لها علي عليه السلام: شكوتيني إلى خليلي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ واسوأتاه من رسول الله صلى الله عليه وآله، أشهد الله يا فاطمة أنّ الجارية حرّة لوجه الله، وأنّ الأربعمائة درهم التي فضلت من عطائي صدقة على فقراء أهل المدينة. ثم تلبس وانتعل، وأراد النبي صلى الله عليه وآله، فهبط جبرئيل فقال: يا محمد إنّ الله يقرئك السلام، ويقول لك قل لعلي: قد أعطيتك الجنة بعتقك الجارية في رضا فاطمة، والنار بالأربعمائة درهم التي تصدّقت بها، فأدخل

الجنة من شئت برحمتي، وأخرج من النار من شئت بعفوي. فعندها قال علي عليه السلام: أنا قسيم الله بين الجنة والنار[١].

ويرد على هذه الرواية أمور:

أولاً: أنّ هذه الرواية من روايات العامّة، وليس من رواياتنا، إذ أنّ الحسن بن عرفة من محدّثي أهل السنة والجماعة، فقد ذكر النجاشي في ترجمة سعد الأشعري راوي هذا الخبر: سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي أبو القاسم، شيخ هذه الطائفة وفقيهها ووجهها، **كان سمع من حديث العامة شيئاً كثيراً، وسافر في طلب الحديث، لقي من وجوههم الحسن بن عرفة..**[٢].

ولذلك تجد أنّ كلّ رواة الخبر من العامّة، وهم: وكيع ومحمد بن إسرائيل وأبو صالح، وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقاً.

ثانياً: الرّاوي عن أبي ذر الغفاري المعبّر عنه في الخبر بأبي صالح هو (ذكوان السمّان)، وقد نصّ علماء الجرح والتعديل على أنّه لم يسمع من أبي ذر، بل لم يلتق به البتّة.

قال ابن أبي حاتم[٣] في المراسيل: قال أبو زرعة: أبو صالح ذكوان عن أبي بكر الصديق مرسل، وذكوان عن عمر مرسل، وقال: أبو صالح

---

(١) علل الشرائع ١/ ١٦٣.

(٢) الفهرست ١٧٧.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن ادريس المعروف بابن أبي حاتم الرازي ولد سنة ٢٤٠هـ وتوفي سنة ٣٢٤هـ من كبار حفاظ ونقّاد الحديث عند أهل السنة والجماعة (للمزيد سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٤٦)

السمان لم يلق أبا ذر[١].

وقال العلائي[٢] في جامع التحصيل: ذكوان أبو صالح السمان معروف، قال أبو زرعة: لم يلق أبا ذر، وهو عن أبي بكر وعن عمر وعن علي رضي الله عنهم مرسل[٣].

فهذه الرواية إذن مرسلة، وليست مسندة، والمرسل من قسم الضعيف، لا تقوم به حجّة، كما تقرّر ذلك في علم الحديث.

ثالثاً: ذكر الخبر أنّ أبا ذر رضي الله عنه قد هاجر مع جعفر بن أبي طالب للحبشة، وهذا الأمر لم ينقله أحد من رواة الحديث والتاريخ والسّير، بل الثابت الذي لا خلاف فيه أنّ أبا ذر جاء من أرضه إلى مكّة، وآمن بالنبي صلى الله عليه وآله هناك، ثمّ رجع إلى قومه، ودعاهم للإسلام، ولحق بالنبي صلى الله عليه وآله في المدينة المنوّرة.

قال ابن عبد البرّ[٤] في ترجمته: كان من كبار الصحابة قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة، فكان خامساً، ثم انصرف إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى قدم على النبيّ صلى الله عليه وآله المدينة، وله في إسلامه خبر حسن يُروى من

---

(١) تهذيب التهذيب ٣/ ١٩٠.

(٢) صلاح الدين خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي ولد سنة ٦٩٤هـ وتوفي سنة ٧٦١هـ مفسر ومحدّث وفقيه وأصولي. (للمزيد الأعلام للزركلي ٢/ ٣٢١)

(٣) جامع التحصيل ١/ ١٧٤.

(٤) أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري الأندلسي الشهير بابن عبد البر ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة ٤٦٣هـ محدّث ومؤرخ وفقيه على مذهب مالك بن أنس. (للمزيد سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٥٣)

حديث ابن عباس، ومن حديث عبد الله بن الصامت عنه[1].

رابعاً: من الواضح أنّ هذه القصّة هي حبكة من المخالفين لتمييع منقبة أمير المؤمنين عليه السلام في أنّه قسيم النّار والجنّة، كما حاولوا إخفاءها ومنع المحدّثين من تداولها.

فقد منعوا الأعمش من التحديث بهذا الخبر، وضغطوا عليه، كما روى ذلك العقيلي بسنده عن عيسى بن يونس، قال: ما رأيت الأعمش خضع إلا مرّة واحدة، فإنه حدّثنا بهذا الحديث: (قال عليّ: أنا قسيم النار)، فبلغ ذلك أهل السنة، فجاؤوا إليه، فقالوا: أتحدّث بأحاديث تقوّي بها الروافض والزيدية والشيعة؟ فقال: سمعته فحدّثت به، فقالوا: فكل شيء سمعته تحدّث به؟ قال: فرأيته خضع ذلك اليوم[2].

بل وصل بهم الأمر إلى إتلاف كلّ الصّحف التي دُوّن فيها هذا الحديث، وقد روى الخلّال هذه الحادثة المهمة، فقال: جاء سلّام بن أبي مطيع إلى أبي عوانة، فقال: هات هذه البدع التي قد جئتنا بها من الكوفة، قال: فأخرج إليه أبو عوانة كتبه، فألقاها في التنور، فسألت خالداً: ما كان فيها؟ قال: حديث الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: استقيموا لقريش، وأشباهه، قلت لخالد: وأيش؟ قال: حديث علي: أنا قسيم النار، قلت لخالد: حدَّثكم به أبو عوانة، عن الأعمش؟ قال: نعم[3].

---

(١) الإستيعاب ٤/ ١٦٥٣.

(٢) الضعفاء ٣/ ٤١٦.

(٣) السنة للخلال ٥٢٠.

وما هذا الحديث الذي نحن بصدد بحثه إلّا محاولة أخرى لتضييع هذا المقام العظيم لأمير المؤمنين عليه السلام.

وروى الصدوق رضي الله عنه: حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال : حدثنا أبو سعيد الحسن بن علي السكري قال: حدثنا الحسين بن حسان العبدي قال: حدثنا عبد العزيز بن مسلم عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله الفجر، ثم قام بوجه كئيب، وقمنا معه، حتى صار إلى منزل فاطمة صلوات الله عليها، فأبصر عليًّا نائماً بين يدي الباب على الدقعاء[1]، فجلس النبي صلى الله عليه وآله، فجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول: قم فداك أبي وأمي يا أبا تراب. ثم أخذ بيده، ودخلا منزل فاطمة، فمكثنا هنية، ثم سمعنا ضحكاً عالياً، ثم خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله بوجه مشرق، فقلنا: يا رسول الله دخلت بوجه كئيب، وخرجت بخلافه؟ فقال: كيف لا أفرح وقد أصلحت بين اثنين أحب أهل الأرض إليَّ وإلى أهل السماء[2].

وفي نفس المصدر: حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن علي بن الحسين السكري قال حدثنا عثمان بن عمران قال: حدثنا عبيد الله بن موسى عن عبد العزيز عن حبيب بن أبي ثابت قال: كان بين علي وفاطمة عليهما السلام كلام، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله، وألقى له مثال فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة عليها السلام فاضطجعت من جانب، وجاء علي عليه السلام فاضطجع من جانب، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يده فوضعها على سرّته، وأخذ

---

(١) الدقعاء: التراب.

(٢) علل الشرائع ١/ ١٥٥.

يد فاطمة فوضعها على سرّته، فلم يزل حتّى أصلح بينهما، ثم خرج، فقيل له: يا رسول الله دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البشرى في وجهك؟ قال: ما يمنعني وقد أصلحت بين اثنين أحب من على وجه الأرض إليّ.

فالجواب عليها بعد إغماض النظر عن ظلمة أسانيدها وجهالة أغلبية رواتها، فإنّ الشيخ الصدوق رضي الله عنه الذي تفرّد بروايتها قد طعن في صحّتها بقوله: ليس هذا الخبر عندي بمعتمد، ولا هو لي بمعتقد في هذه العلة، لأنّ عليًّا عليه السلام وفاطمة عليها السلام ما كان ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الاصلاح بينهما؛ لأنّه عليه السلام سيّد الوصيّين، وهي سيدة نساء العالمين، مقتديان بنبي الله صلى الله عليه وآله في حسن الخلق[١].

وقد نزع صاحب كتاب (أحاديث يحتجّ بها الشيعة)[٢] ثوب الحياء إن كان قد لبسه في حياته عندما نقل هذا النصّ لإثبات أنّ الزهراء عليها السلام قد غضبت من أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ... أنّ الحسن بن علي دخل على جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتعثر بذيله، فأسرّ إلى النبي عليه الصلاة والسلام سرًّا، فرأيته وقد تغيَّر لونه، ثم قام النبي عليه الصلاة والسلام حتى أتى منزل فاطمة ... ثم جاء علي، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده، ثم هزّها إليه هزًّا خفيفاً، ثم قال: يا أبا الحسن إياك وغضب فاطمة، فإنّ الملائكة تغضب لغضبها، وترضى لرضاها» (بحار الأنوار٤٣/ ٤٢، مجمع النورين ص١٤٢ لأبي

---

(١) علل الشرائع ١/ ١٥٦.

(٢) عبد الرحمن الدمشقية من المشاغبين الذين تصدّوا لمناقشة الشيعة والردّ على إشكالاتهم في الفضائيات وفي المواقع الإلكترونية.

الحسن المرندي، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣/ ١١٤)[(١)].

وعندما تبحث في المصادر التي ذكرها الرجل، تجد أنّها كلّها تنقل عن كتاب المناقب لابن شهرآشوب، وهو بنفسه قد صرّح أنّه ينقل عن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، والأدهى والأمر أنّ راوي الخبر هو معاوية بن أبي سفيان، قال ابن عبد ربه الأندلسي في العقد: عن عبد الله بن الزبير في خبر عن معاوية بن أبي سفيان قال: دخل الحسن بن علي على جدّه صلى الله عليه وآله وهو يتعثر بذيله...[(٢)].

بل إنّ ابن شهرآشوب رضي الله عنه[(٣)] نفسه لم يقبل الخبر، ولذلك عقّب عليه بقول الشيخ الصدوق رضي الله عنه: هذا غير معتمد؛ لأنهما منزَّهان عن أن يحتاجا أن يُصلح بينهما رسول الله صلى الله عليه وآله[(٤)].

وكلّ ما ذكروه من الأدلّة على غضب الزهراء عليها السلام من أمير المؤمنين عليه السلام هو كما رأيت، إمّا من روايات العامة التي لا قيمة لها عندنا، أو احتجوا بكلام قد اقتطع من سياقه، فحُمل على غير وجهه.

نعم، أصحّ ما يمكن التمسّك به هو خطبتها عند رجوعها عليها السلام من المسجد ولقائها بالأمير عليه السلام، حيث قالت: يا ابن أبي طالب، اشتملت

---

(١) أحاديث يحتج بها الشيعة ٩٥٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣/ ١١٤.

(٣) رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني رحمه الله ولد سنة ٤٨٨هـ وتوفي سنة٥٨٨هـ من فقهاء ومؤرخي الإمامية الأقدمين، له مجموعة من المصنفات من أشهرها (معالم العلماء) وكتاب (مناقب آل أبي طالب).

(٤) مناقب آل أبي طالب ٣/ ١١٤.

شملة الجنين[١]، وقعدت حجرة الظنين[٢]، نقضت قادمة الأجدل[٣]، فخانك ريش الأعزل[٤]، هذا ابن أبي قحافة قد ابتزّني نحيلة أبي وبليغة ابني، والله لقد أجدّ في ظلامتي، وألدّ[٥] في خصامي، حتى منعتني قيلة[٦] نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا مانع ولا دافع، خرجت والله كاظمة، وعدت راغمة، فليتني ولا خيار لي متّ قبل ذلّتي، وتوفيت قبل منيّتي، عذيري فيك الله حامياً، ومنك عادياً، ويلاه في كل شارق، ويلاه مات المعتمد، ووهن العضد، شكواي إلى ربي، وعدواي إلى أبي، اللهم أنت أشد قوة.

فأجابها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: لا ويل لك، بل الويل لشانئك، نهنهي من غربك، يا بنت الصفوة، وبقية النبوة، فوالله ما ونيت في ديني، ولا أخطأت مقدوري، فإن كنت ترزئين البلغة فرزقك مضمون، ولعيلتك مأمون، وما أعدّ لك خير مما قُطع عنك، فاحتسبي. فقالت: حسبي الله

---

(١) وردت في بعض النسخ (مشيمة الجنين)، والاشتمال هو لفّ الثوب على الجسد؛ والمشيمة هي ما يغطي الجنين في رحم أمّه؛ والمعنى هنا أنّك غيّبت كما يغيّب الجنين في رحم أمّه.

(٢) الحجرة بالضم حظيرة الإبل، والظنين المتهم، أي أنّك أصبحت في مقام الاتهام والحال أنّ أعداءك هم أهل التهمة، وقد رويت (حجزة الظنين) والحجزة بالزاء معقد الإزار.

(٣) قادمة الأجدل: الأجدل هو الصقر والقادمة هي الريش التي تكون في جناحه ويتمكّن به من الطيران ، وهذا التعبير وحدة حال أمير المؤمنين عليه السلام في مواجهة الأعداء وأنّه لا ناصر له ولا معين

(٤) ريش الأعزل: الأعزل هو الطائر الذي لا يقدر على الطيران.

(٥)خصم لدود وعدو لدود أي شديد الخصومة والمعاداة.

(٦) يقال للأنصار بنو قَيلة.

ونعم الوكيل[١].

وهذا النصّ لا يدلّ على غضب الزهراء عليها السلام على أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه لا ملازمة بين العتاب وبين الغضب، إذ أنّ العتاب قد يكون لأغراض أخرى كالتعريض بالغير، والتدليل على غضبها ممن غصبها حقّها، أو لتقرير حقيقة ما.

ومن يقرأ هذه الخطبة يعلم أنّ الزهراء عليها السلام كانت بصدد بيان الفرق بين موقف أمير المؤمنين عليه السلام وبين موقف الأنصار الذين خذلوها ولم ينصروها ممن ابتزّها نحلتها وبالغ في عداوتها.

وقد أجاب العلامة المجلسي قدس سره[٢] على هذا الإشكال بقوله: إنّ هذه الكلمات صدرت منها عليها السلام لبعض المصالح، ولم تكن واقعا منكرة لما فعله، بل كانت راضية، وإنّما كان غرضها أن يتبين للناس قبح أعمالهم وشناعة أفعالهم، وأنّ سكوته عليه السلام ليس لرضاه بما أتوا به؛ ومثل هذا كثيرا ما يقع في العادات والمحاورات، كما أنّ ملكا يعاتب بعض خواصه في أمر بعض الرعايا، مع علمه ببراءته من جنايتهم، ليظهر لهم عظم جرمهم، وأنّه ممّا استوجب به أخص الناس بالملك منه المعاتبة، ونظير ذلك ما فعله موسى عليه السلام، لمّا رجع إلى قومه غضبان أسفا، من إلقائه الألواح، وأخذه برأس أخيه يجره إليه ولم يكن غرضه الإنكار على هارون، بل أراد بذلك أن يعرف

---

(١) أمالي الطوسي ٦٨١، الإحتجاج ١/ ١٤٥.

(٢) العلامة محمد باقر بن محمد تقي الأصفهاني المجلسي قدس سره من كبار علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام توفي سنة ١١١١ هـ بعد أن قضى عمره في خدمة الدين والمذهب وترك تراثا ضخما من المؤلفات على رأسها موسوعة بحار الأنوار.

القوم عظم جناياتهم، وشدّة جرمهم، كما مرّ الكلام فيه؛ وأمّا حمله على أنّ شدّة الغضب والأسف حملتها على ذلك، مع علمها بحقية ما ارتكبه عليه السلام، فلا ينفع في دفع الفساد، وينافي عصمتها وجلالتها التي عجزت عن ارتكابها أحلام العباد(١).

وأجاب السيد محسن الأمين قدس سره بجواب مماثل: هذا اللّوم والتأنيب من الزهراء لأمير المؤمنين عليه السلام لا ينافي عصمته وعصمتها وعلوّ مقامهما، فما هو إلّا مبالغة في إنكار المنكر، وإظهار لما لحقها من شدّة الغيظ، كما فعل موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه غضبان أسفاً، وألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه وشريكه في الرسالة يجرّه إليه(٢).

بل قد وردت روايات صريحة على لسان الأمير عليه السلام ينصّ فيها على عدم إغضابه للزهراء عليها السلام طيلة حياتها:

منها: الرواية التي نقلها العلامة المجلسي في البحار، والتي رود فيها قوله: قال علي عليه السلام: فوالله ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر، حتى قبضها الله عزَّ وجل، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان(٣).

من هنا نعلم أنه لا وجود لما يمكن أن يُتمسَّك به في كتب الشيعة لإثبات أنّ الزهراء عليها السلام قد غضبت من أمير المؤمنين عليه السلام، وما ذكره بعضهم ليس إلّا سراباً بقيعة يحسبه الظمآن ماء.

---

(١) بحار الأنوار ٢٩/ ٣٢٥.

(٢) أعيان الشيعة ١/ ٣١٨.

(٣) بحار الأنوار ٤٣/ ١٣٤.

إثبات غضب الزهراء عليها السلام من الشيخين

من الحقائق التاريخية التي لا يمكن التشكيك فيها هو وقوع خلاف بين الزهراء عليها السلام وبين الحكومة التي كانت قائمة في عصرها، وقد أدّى هذا الخلاف إلى سخط بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله على من تولى السلطة في ذلك الوقت، إلى حين انتقالها للرفيق الأعلى واجدةً عليهم.

١- مصادر غضب الزهراء عليها السلام:

لا يكاد يخلو كتاب حديثيّ أو مصدر تاريخيّ من التعرّض لهذه المسلَّمة التاريخية، وفي هذا الباب سنذكر بعض المصادر على سبيل المثال لا الحصر، مع مراعاة اختلاف الألفاظ التي عبّروا بها عمّا حصل:

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أم المؤمنين أخبرته أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورّث ما تركنا صدقة؛ **فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفّيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر**، قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلّا عملت به، فإنّي أخشى إن تركت شيئاً من أمره

أن أزيغ، فأمّا صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس، فأمّا خيبر وفدك فأمسكهما عمر، وقال: هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه، وأمرهما إلى من ولي الأمر، قال: فهما على ذلك إلى اليوم[١].

ورواه البخاري بلفظ آخر، قال: عن عروة عن عائشة: أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا نورّث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، **فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته، فلم تكلّمه حتى توفّيت، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر**، فلمّا توفّيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها[٢].

وروى الترمذي بسنده عن أبي هريرة : أنّ فاطمة جاءت أبا بكر وعمر تسأل ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّي لا أورّث، قالت: **والله لا أكلمكما أبداً. فماتت ولا تكلمهما**[٣].

وقد أخرج هذه الحادثة مسلم في صحيحه[٤]، وأحمد في مسنده[٥]،

(١) صحيح البخاري ٤/ ٤٢.

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٨٢.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٥٧.

(٤) صحيح مسلم ٥/ ١٥٤.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ١/ ٦.

وابن حبّان في صحيحه[١]، وغيرهم من المحدّثين والمؤرِّخين، مثل ابن أبي الحديد المعتزلي الذي نقله بلفظ آخر، قال: وروى هشام بن محمد، عن أبيه قال: قالت فاطمة لأبي بكر: إنّ أمّ أيمن تشهد لي أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك، فقال لها: يا ابنه رسول الله والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أبيك، ولوددت أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لأن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري، أتراني أعطي الأحمر والأبيض حقّه وأظلمك حقّك وأنت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ هذا المال لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله، وإنّما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النبي به الرجال، وينفقه في سبيل الله، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وليته كما كان يليه، **قالت: والله لا كلمتك أبداً!** قال: والله لا هجرتك أبداً، **قالت: والله لأدعونَّ الله عليك**، قال : والله لأدعونَّ الله لك. **فلما حضرتها الوفاة أوصت ألّا يصلي عليها**، فدُفنت ليلاً، وصلّى عليها عباس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة[٢].

٢- دعوى الإدراج:

حاول بعض المعاصرين[٣] التملّص من هذه القضية، وهي وفاة الزهراء عليها السلام غاضبة على أبي بكر بسبب النزاع الذي حصل بينهما، بادّعاء أنّ هذا المقطع - الذي فيه نُصّ على الغضب - مُدْرَج[٤] من كلام ابن

---

(١) صحيح ابن حبّان ١١/ ١٥٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢١٤.

(٣) عثمان الخميس

(٤) الإدراج: أن يذكر الرّاوي كلاماً من عنده، ويصله بالحديث، فيُتوهّم أنّه من أصل الحديث، والحال أنّه زيادة من الراوي.

شهاب الزهري، وبما أنّ هذا الرجل لم يدرك الحادثة، فلا قيمة لما قاله؛ لأنه في حكم المنقطع!

قال: وكذا القول بأنّ فاطمة عليها السلام وجدت على أبي بكر، الذي يظهر أنّه من زيادات الزهري وإدراجه، وليس من أصل الرواية[١].

والجواب على هذا:

أولاً: أنّ ما ذكره المشكل دعوى تفتقر إلى الدليل؛ لأنّ الإدراج يعني إثبات أنّ هذه الفقرة ليست من أصل الحديث، بل هي من كلام الراوي، ومثل هذا لا يكون بمجرّد الدعوى، بل يحتاج إلى دليل عليه، وإلّا فإنّ مثل هذا يمكن أن يُدَّعى في كلّ الأحاديث النبوية!

ثانياً: أنّ وقوع مثل هذا النوع من الإدراج نادر؛ لأنّه في وسط الحديث، بخلاف ما لو كان في أوّله أو آخره، فالراوي ربما يدرج شيئاً في الخبر لبيان غامض أو تفسير مبهم، فيتوهّم أنّه من الحديث، ومثل هذا يكون عادة في آخر الحديث، أمّا في الوسط فهو نادر جدًّا.

وفي ذلك يقول السيوطي: فأمّا مُدْرج المتن، فتارة يكون في آخر الحديث كما ذكره، وتارة في أوَّله، وتارة في وسطه، كما ذكره الخطيب وغيره؛ **والغالب وقوع الإدراج آخر الخبر، ووقوعه أوَّله أكثر من وسطه؛** لأنّ الرّاوي يقول كلاماً يريد أن يستدل عليه بالحديث، فيأتي به بلا فصل، فيُتوهَّم أن الكل حديث[٢].

وعليه فنحن لا نفتقر إلى مجرّد دليل هنا، بل نحتاج دليلاً قويًّا يناسب

---

(١) حقبة من التاريخ: ٣٠٢.

(٢) تدريب الرّاوي ١/ ٢٠٧.

حجم هذه الدعوى التي ادّعاها.

ثالثاً: اشترك جملة من الرواة في نقل هذه الفقرة عن ابن شهاب الزهري في أكثر من جامع من الجوامع الحديثية:

فقد رواها عنه (صالح) كما في صحيح البخاري، قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم ابن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنّ عائشة أم المؤمنين أخبرته أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله مما أفاء الله عليه، فقال لها: أبو بكر إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، **فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت**...[1]

ورواه عنه (عقيل بن خالد) كما في صحيح البخاري، قال: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورّث ما تركنا صدقة، إنّما يأكل آل محمد في هذا المال، وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأعملنّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، **فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته، فلم تكلّمه حتى توفّيت**[2].

(١) صحيح البخاري ٤/ ٤٢.

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٨٢.

ورواه عنه (شعيب بن أبي حمزة) كما في صحيح ابن حبّان، قال: عن شعيب عن الزهري، قال: حدثني عروة بن الزبير أنّ عائشة أخبرته، أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ فيما أفاء الله على رسوله، وفاطمة رضوان الله عليها حينئذ تطلب صدقة رسول الله ﷺ التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، قالت عائشة: فقال أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورث ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمد من هذا المال، ليس لهم أن يزيدوا على المأكل، وإنّي والله لا أغيّر شيئاً من صدقات رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملنّ فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً، **فوجدت فاطمة على أبي بكر من ذلك، فهجرته فلم تكلّمه حتى توفّيت**[1].

ورواه عنه (معمر بن راشد) كما في السنن الكبرى: أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار ببغداد أنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة: أنّ فاطمة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا نورث ما تركناه صدقة، إنّما يأكل آل محمد من هذا المال، والله إنّي لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه بعد إلّا صنعته، قال: **فغضبت فاطمة** رضي الله عنها، **وهجرته فلم تكلّمه حتى ماتت**، فدفنها علي

(١) صحيح ابن حبّان ١١/ ١٥٢.

رضي الله عنه ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر[١].

ورواه (الوليد بن محمد) كذلك عن الزهري كما في تاريخ المدينة لابن شبّة، قال: حدثنا سويد بن سعيد، والحسن بن عثمان قالا، حدثنا الوليد بن محمد، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله على رسوله، وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث، ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإنّي لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأعملنّ فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة رضي الله عنها منها شيئاً، **فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلّمه حتى توفّيت**، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، فلما توفّيت، دفنها زوجها عليٌّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها علي رضي الله عنه[٢].

ومن البعيد جدّا أن يجتمع كلّ هؤلاء على رواية هذه الفقرة دون الاشارة إلى أنّها مدرجة من الزهري، ومن البعيد أيضاً أن يكون هذا الأخير قد اعتاد إدراج هذه الفقرة في كلّ مرّة روى فيها الخبر.

رابعاً: نصّ في كتب علم المصطلح على طرق مخصوصة يُعرف بها المدرج، قال السيوطي في التدريب: ويُدرك ذلك بوروده منفصلاً في رواية أخرى، أو بالتنصيص على ذلك من الرّاوي أو بعض الأئمة المطّلعين، أو

---

(١) السنن الكبرى ٦/ ٣٠٠.

(٢) تاريخ المدينة ١/ ١٩٧.

باستحالة كونه صلى الله عليه وسلم يقول ذلك[١].

وكلّ هذه الطرق المذكورة لا تنطبق على حديثنا، فلم يرد الحديث منفصلاً، ولا يوجد نصّ من الزهري على ذلك أو من أحد أئمّة الحديث، ولا يوجد مانع عقلي أو شرعي من حصول هذا الأمر، بل وجدنا جميع أئمّة الحديث نقلوا هذه الحادثة دون نكير بينهم.

خامساً: قد ورد أنّ الزهراء عليها السلام هجرت أبا بكر من طريق آخر، وهو ما رواه الترمذي في سننه بسنده عن أبي هريرة: أنّ فاطمة جاءت أبا بكر وعمر تسأل ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّي لا أورث، قالت: **والله لا أكلّمكما أبداً. فماتت ولا تكلّمهما**[٢].

وما ادّعاه الترمذي من أنّ المراد من قول الزهراء عليها السلام: «لا أكلّمكما» هو: تعني في هذا الميراث أبداً، أنتما صادقان[٣]، فهو ممّا يأباه كلّ من سلمت سليقته العربية من الاعوجاج، وسلم قوله من اتباع الأهواء.

ولذلك نجد أن ابن حجر العسقلاني قد نقل تعقّب الشاشي للترمذي مقرًّا له حيث قال: وتعقّبه الشاشي بأنّ قرينة قوله: «غضبت» يدلّ على أنّها امتنعت من الكلام جملة، **وهذا صريح الهجر**[٤].

سادساً: ادّعى كثير من علماء أهل السنّة والجماعة في محاولة لتخفيف وطأة هذا الحديث أنّ أبا بكر وعمر قد استرضيا فاطمة عليها السلام بعد ذلك،

---

(١) تدريب الراوي ١/ ٢٢٦.

(٢) سنن الترمذي ٤/ ١٥٧.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٥٧.

(٤) فتح الباري ٦/ ١٣٩.

فرضيت، كما سيأتي الكلام فيه لاحقاً.

فإن كانوا قد استرضوها فهذا يثبت أنّه قد سبق إغضابها، وهذا هو المطلوب؛ لأنّ الاسترضاء لا يكون إلّا بعد وقوع الهجر أو الغضب.

٣- هل رضيت الزهراء عليها السلام على الشيخين؟

حاول بعض الحفّاظ وشرّاح الحديث حلّ هذه المشكلة بادّعاء أنّ الزهراء عليها السلام رضيت على الشيخين بعد أن قدما إلى بيتها واسترضياها، فقبلت منهم ذلك.

واستندوا إلى ما رواه البيهقي: أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ ثنا محمد بن عبد الوهاب ثنا عبدان بن عثمان العتكي بنيسابور ثنا أبو ضمرة عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي، قال: لما مرضت فاطمة رضي الله عنها أتاها أبو بكر الصديق، فاستأذن عليها، فقال علي رضي الله عنه: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: تحب أن آذن له؟ قال: نعم. فأذنت له، فدخل عليها يترضّاها، وقال: والله ما تركت الدّار والمال والأهل والعشيرة إلّا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت. **ثم ترضّاها حتى رضيت**[1].

وقد رأى بعضهم أن هذا الخبر هو المخرج الآمن لهم من هذا الإشكال المحكم:

قال ابن حجر في الفتح: إسناده إلى الشعبي صحيح، وبه يزول

---

(١) السنن الكبرى ٦/ ٣٠١.

الإشكال في جواز تمادي فاطمة عليها السلام على هجر أبي بكر[١].

والجواب:

أولاً: هذا الحديث مرسل؛ لأنّ الشعبي لم يدرك الحادثة أصلاً، فقد قال الذهبي في ترجمته: مولده في إمرة عمر بن الخطاب لست سنين خلت منها، فهذه رواية؛ وقيل: ولد سنة إحدى وعشرين، قاله شباب، وكانت جلولاء في سنة سبع عشرة[٢].

وقد اعترف بإرسال الحديث كلّ من استشهد به كالبيهقي في سننه[٣]، وابن حجر في الفتح[٤]، وابن كثير في البداية والنهاية[٥]، ولا شكّ أنّ المرسل من قسم الضعيف كما تقرّر ذلك في علم المصطلح.

واحتمال ابن كثير أنّ الشعبي سمعه من الإمام علي عليه السلام[٦] لا دليل عليه؛ لأنّ علماء الحديث قد اختلفوا في سماع عامر بن شراحيل الشعبي من علي عليه السلام[٧]، وأكثرهم على نفيه، أمّا من جزم بالسماع كالدارقطني فإنه نصَّ على أنه لم يسمع من أمير المؤمنين عليه السلام إلا حديثاً واحداً فقط[٨].

---

(١) فتح الباري ٦/ ١٣٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٥.

(٣) السنن الكبرى ٦/ ٣٠١.

(٤) فتح الباري ٦/ ١٣٩.

(٥) البداية والنهاية ٥/ ٣١٠.

(٦) البداية والنهاية ٥/ ٣١٠.

(٧) قال الزيلعي في نصب الراية ٤/ ١١٠: وتكلّم الناس في سماع الشعبي من علي. قال ابن القطان في كتابه: وهو محلّ نظر، مع أنّ سنّه محتمل لإدراك علي.

(٨) قال ابن حجر في التهذيب ٥/ ٦٠: قال الدارقطني في العلل: «لم يسمع الشعبي من علي

ثانياً: عُرف عامر بن شراحيل الشعبي ببغضه لأمير المؤمنين عليه السلام، فقد ظهرت على فلتات لسانه عدّة عبارات تثبت هذا الأمر:

فقد روى ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن): عن شريك، عن إسماعيل بن أبي خالد أنه قال: سمعت الشعبي يحلف بالله عزّ وجل **لقد دخل عليٌّ حفرته وما حفظ القرآن**[(١)].

وقد أشار إلى هذا القول الحاكم النيسابوري في مقدّمة كتابه فضائل الزهراء عليها السلام، حيث قال: وممّا حملني على تحرير هذه الرسالة، أن حضرت مجلساً حضره أعيان الفقهاء والقضاة والأمناء من المزكّين وغيرهم، وجرى بحضرتهم ذكر أمير المؤمنين عليه السلام، فانتدب له عين من أعيان الفقهاء فقال: **كان عليٌّ لا يحفظ القرآن،** وهذا الشعبي قد نصّ عليه! [(٢)]

ثمّ قال في حقّ الشعبي: إنّ الشعبي لم يسمع منه - أي من أمير المؤمنين عليه السلام - إنّما رآه رؤية، ثمّ ظهر ميله إلى أعدائه طمعاً في الدنيا[(٣)].

فهل يوجد رجل في قلبه حبّ لأمير المؤمنين وسيّد الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول مثل هذا، ويقسم عليه، مع أنه لا دليل عنده عليه، بل الدليل دلَّ على خلافه؟

وقد صرّح ابن أبي الحديد المعتزلي بانحراف الشعبي عن الأمير عليه السلام

إلا حرفاً واحداً، ما سمع غيره». كأنه عنى ما أخرجه البخاري في الرجم عنه عن علي حين رجم المرأة، قال: رجمتها بسُنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٣.

(٢) فضائل الزهراء: ٢٠.

(٣) فضائل الزهراء: ٢٠.

في شرحه على النهج في باب (في ذكر المنحرفين عن علي)، قال: روى أبو نعيم، عن عمرو بن ثابت، عن أبي إسحاق، قال: ثلاثة لا يؤمّنون على علي بن أبي طالب: مسروق، ومرة، وشريح، وروى أنّ الشعبي رابعهم[١].

وقد روي من طرقنا عن حمدويه وإبراهيم، قال: حدثنا أيوب بن نوح، عن صفوان، عن عاصم بن حميد، عن فضيل الرسان، عن أبي عمر البزاز، قال: سمعت الشعبي وهو يقول: وكان إذا غدا إلى القضاء جلس في مكاني، فإذا رجع جلس في مكاني، فقال لي ذات يوم: يا أبا عمر إنّ لك عندي حديثاً أحدّثك به؟ قال: قلت له: يا أبا عمرو ما زال لي ضالة عندك، قال: قال لي: لا أم لك، فأي ضالة تقع لك عندي؟ قال: فأبي أن يحدثني يومئذ. قال: ثم سألته بعد، فقلت: يا أبا عمرو حدثني بالحديث الذي قلت لي؟ قال: سمعت الحارث الأعور وهو يقول: أتيت أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام ذات ليلة، فقال: يا أعور ما جاءك؟ قال: فقلت: يا أمير المؤمنين جاء بي والله حبّك. قال: فقال: أما إنّي سأحدّثك لشكرها، أما إنّه لا يموت عبد يحبّني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحب، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره. قال: ثم قال لي الشعبي بعد: **أما إنّ حبّه لا ينفعك، وبغضه لا يضرّك**[٢].

ولهذا قال الشيخ المفيد رضي الله عنه[٣] فيه: وذلك أنّ الشعبي كان مشهورا

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤/ ٩٨.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٢٩٩.

(٣) الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بـ (ابن المعلم) و (الشيخ المفيد) من كبار علماء الإمامية ولد سنة ٣٣٦هـ وتوفي سنة ٤١٣هـ، كان زعيم الشيعة على الإطلاق في بغداد وعرف بمناظراته ومحاوراته مع أصحاب المذاهب المخالفة حتى

بالنصب لعلي عليه السلام ولشيعته وذريته، وكان معروفا بالكذب سكّيرا خمّيرا مقامرا عيارا، وكان معلما لولد عبد الملك بن مروان وسميرا للحجاج(١).

وقد عقد الشيخ المامقاني قدس سره(٢) بحثا كاملا في تحقيقه لتنقيح المقال حول نصب الشعبي العداء والبغض لسيد الوصيين عليه السلام وشيعته، نقل فيه ما ورد في حقّ هذا الرجل وختمه بقوله: قرّت عيون الأمة الإسلامية بهذا المحدّث الثقة الأمين الذي لم يدع منكرا إلّا وارتكبه وهو متجاهر به، ولا واجبا إلهيا إلّا واستهان به فيالله وللمسلمين! كيف يوثق من يسامر مثل الحجّاج وعبد الملك بن مروان الذين هما من أظهر مصاديق أئمة الضلال، والمستهزئين بالكتاب، وكيف لا ينبذ مثل هذا المتسكّع على أبواب أئمة الجور ويربّي أولادهم لينال لمظة من عيشهم؟! أم كيف لا يوهّن حديث السكير وأستاذ الشطرنج؟ وكيف يمكن أن يعدّ في عداد رواة السنة من يكون عيّارا؟! وكيف يعدّ في سلسلة حفاظ الشريعة الاسلامية الغرّاء من يكون مخنّثا يتزيّأ بزي أرباب الخلاعة ويتزيأ بزي أهل المجون والفسوق بلبس الثياب المعصفرة في مجلس النبيذ والشطرنج...(٣)

فهل يُقبل قول مثل هذا الرجل في خصوص هذه المسألة التي جعلت عقول هؤلاء حيارى؟

اعتبر بعضهم يوم وفاته عيدا لهم.

(١) الفصول المختارة ٢١٦.

(٢) العلامة الشيخ محي الدين بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد حسن المامقاني قدس سره ولد سنة ١٣٤١هـ وتوفي سنة ١٤٢٩هـ من عائلة علمية عريقة عرفت بخدمتها للحديث الشريف وروايات أهل البيت عليهم السلام.

(٣) تنقيح المقال ١٧/ ٦٧ (هامش)

ثالثاً: أنّ قول الشعبي يخالف ما هو مروي في الصحيحين بلفظ صريح، وهو أنّ فاطمة هجرت أبا بكر ولم تكلّمه إلى حين وفاتها، فهل يقدّم هذا الحديث المرسل على ما هو مرويّ في الصحيحين؟!

وما ذكره بعضهم من أنّ قول المثبت مقدّم على قول النّافي غير صحيح في هذا المقام، لأنّ شهادة الشعبي عندهم لا يمكن أن تعارض شهادة عائشة، فالأوّل لم يدرك الحادثة، ولا نعلم من أين سمع هذا الحديث أساساً، في حين أنّ عائشة شهدت الواقعة، بل هي قريبة من الطرفين.

فهل الشعبي المتأخّر زمناً أعلم بما جرى بين أبي بكر والد عائشة وبين فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة زوجها؟

علماً أنّ من يتابع روايات الرجل المتعلّقة بهذا الأمر يجد أنّها بأجمعها مخالفة لما ثبت في الصحيحين، بل معارضة لما اعتُبر من مسلّمات التاريخ، كروايته أنّ أبا بكر هو الذي صلّى على فاطمة عليها السلام حين توفيت[1]، مع أنّ صريح رواية البخاري أنّه لم يكن يعلم أساساً بخبر موتها إلا بعد دفنها.

رابعاً: وردت من طرق الخاصة عدّة روايات تنقل أنّ الشيخين استرضيا الزهراء عليها السلام، لكنّها أبت أن ترضى عنهما، وتوعدّتهما بأن تشكوهما إلى الله عزّ وجل:

منها: الحديث المعتبر الذي رواه سليم بن قيس الهلالي في كتابه، قال: وكان علي عليه السلام يصلّي في المسجد الصلوات الخمس، فكلّما صلّى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ إلى أن ثقلت، فسألا عنها وقالا: قد كان

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٢٩.

بيننا وبينها ما قد علمت، فإن رأيت أن تأذن لنا، فنعتذر إليها من ذنبنا؟ قال عليه السلام: ذاك إليكما. فقاما فجلسا بالباب، ودخل علي عليه السلام على فاطمة عليها السلام، فقال لها: أيتها الحرّة، فلان وفلان بالباب يريدان أن يسلّما عليك، فما ترين؟ قالت عليها السلام: البيت بيتك، والحرّة زوجتك، فافعل ما تشاء. فقال: شدّي قناعك. فشدّت قناعها، وحوّلت وجهها إلى الحائط، فدخلا وسلّما، وقالا: ارضي عنا رضي الله عنك. فقالت: ما دعاكما إلى هذا؟ فقالا: اعترفنا بالإساءة، ورجونا أن تعفي عنا، وتخرجي سخيمتك. فقالت: فإن كنتما صادقين فأخبراني عما أسألكما عنه، فإنّي لا أسألكما عن أمر إلا وأنا عارفة بأنكما تعلمانه، فإنّ صدقتما علمت أنّكما صادقان في مجيئكما. قالا: سلي عما بدا لك. قالت: نشدتكما بالله هل سمعتما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني؟ قالا: نعم، فرفعت يدها إلى السماء، فقالت: اللهم إنهما قد آذياني، فأنا أشكوهما إليك وإلى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله، وأخبره بما صنعتما، فيكون هو الحاكم فيكما. قال: فعند ذلك دعا أبو بكر بالويل والثبور، وجزع جزعا شديداً، فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة؟[1].

وما رواه الطبري الصغير بسند معتبر عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: وكان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً، ولم تَدَعْ أحداً ممن آذاها يدخل عليها، وكان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سألا أمير المؤمنين أن يشفع لهما إليها، فسألها أمير المؤمنين عليه السلام، فأجابت، فلما

---

(١) كتاب سليم: ٣٩١.

دخلا عليها قالا لها: كيف أنت يا بنت رسول الله؟ قالت: بخير بحمد الله، ثم قالت لهما: ما سمعتما النبي صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله؟ قالا: بلى، قالت: فوالله لقد آذيتماني، قال: فخرجا من عندها وهي ساخطة عليهما[(١)].

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق رضي الله عنه في العلل بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: فلما مرضت فاطمة مرضها الذي ماتت فيه أتياها عايدين، واستاذنا عليها، فأبت أن تأذن لهما، فلما رأى ذلك أبو بكر أعطى الله عهداً أن لا يظله سقف بيت حتى يدخل على فاطمة ويتراضاها، فبات ليلة في البقيع ما يظله شيء، ثم إنّ عمر أتى عليًّا عليه السلام فقال له: إنّ أبا بكر شيخ رقيق القلب، وقد كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله في الغار، فله صحبة، وقد أتيناها غير هذه المرة مراراً نريد الإذن عليها، وهي تأبى أن تأذن لنا حتى ندخل عليها فنتراضى، فإن رأيت أن تستأذن لنا عليها فافعل، قال: نعم. فدخل علي على فاطمة عليها السلام، فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت، وقد تردَّدا مراراً كثيرة، ورددتِهما ولم تأذني لهما، وقد سألاني أن استأذن لهما عليك؟ فقالت: والله لا آذن لهما، ولا أكلمهما كلمة من رأسي حتى ألقى أبي، فاشكوهما إليه بما صنعاه وارتكباه مني، فقال علي عليه السلام: فإنّي ضمنت لهما ذلك. قالت: إن كنت قد ضمنت لهما شيئاً فالبيت بيتك والنساء تتبع الرجال، لا أخالف عليك بشيء، فأذن لمن أحببت. فخرج علي عليه السلام فأذن لهما، فلما وقع بصرهما على فاطمة عليها السلام سلّما عليها، فلم ترد عليهما، وحوّلت وجهها عنهما، فتحوّلا واستقبلا وجهها

---

(١) دلائل الإمامة: ١٣٥.

حتى فعلت مراراً، وقالت: يا علي جاف الثوب، وقالت لنسوة حولها: حوّلن وجهي، فلمّا حولن وجهها حوّلا إليها، فقال أبو بكر: يا بنت رسول الله إنّما أتيناك ابتغاء مرضاتك واجتناب سخطك، نسألك أن تغفري لنا، وتصفحي عما كان منا إليك، قالت: لا أكلمكما من رأسي كلمة واحدة أبداً حتى ألقى أبي، وأشكوكما إليه، وأشكو صنيعكما وفعالكما وما ارتكبتما مني. قالا: إنّا جئنا معتذرين مبتغين مرضاتك، فاغفري واصفحي عنا، ولا تواخذينا بما كان منا. فالتفتت إلى علي عليه السلام وقالت: إنّي لا أكلمهما من رأسي كلمة حتى أسألهما عن شيء سمعاه من رسول الله، فإن صدقاني رأيت رأيي، قالا: اللهم ذلك لها، وإنّا لا نقول إلا حقّا، ولا نشهد إلا صدقاً. فقالت: أنشدكما الله أتذكر أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استخرجكا في جوف الليل لشيء كان حدث من أمر علي؟ فقالا: اللهم نعم. فقالت: أنشدكما بالله هل سمعتما النبي صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها، من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟ قالا: اللهم نعم. قالت: الحمد لله، ثم قالت: اللهم إنّي أشهدك فاشهدوا يا من حضرني أنهما قد أذياني في حياتي وعند موتى، والله لا أكلمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي، فأشكوكما بما صنعتما بي وارتكبتما مني. فدعا أبو بكر بالويل والثبور، وقال: ليت أمي لم تلدني. فقال عمر: عجباً للناس كيف ولّوك أمورهم وأنت شيخ قد خرفت، تجزع لغضب امرأة، وتفرح برضاها، وما لمن أغضب امرأة. وقاما وخرجا[١].

---

(١) علل الشرائع ١/ ١٨٧.

وقد روى ابن قتيبة ما يؤكّد هذا المعنى حيث قال:... فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإنّا قد أغضبناها. فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليًّا فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم تردّ عليهما السلام، فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليَّ من قرابتي، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أنّي متّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقّك وميراثك من رسول الله، إلا أني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا نورّث، ما تركنا فهو صدقة. فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا: نعم، سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: فإنّي أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعونّ الله عليك في كل صلاة أصلّيها. ثم خرج باكياً، فاجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي. قالوا: يا خليفة رسول الله، إن هذا الأمر لا يستقيم، وأنت أعلمنا بذلك، إنّه إن كان هذا لم يقم لله دين. فقال: والله لولا ذلك وما أخافه من

رخاوة هذه العروة ما بتّ ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعدما سمعت ورأيت من فاطمة[(١)].

من هنا نعلم أنّه لا يصحّ نسبة الرضا للزهراء عليها السلام لضعف المستند، وتبقى الحقيقة التي أثبتناها بلا معارض، وهي أنّ الزهراء عليها السلام ماتت وهي غاضبة ساخطة واجدة على الشيخين!

٤- محاولة أخرى:

بعد فشل المحاولات السابقة، ذهب بعض الحفّاظ إلى تأويل هذه النصوص وليّ أعناقها، بصرف الروايات عن ظاهرها، وحمل الغضب والوجد والهجران على معانٍ لا تسبّب مشكلة لهم.

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: قال بعض الأئمة: إنّما كانت هجرتها انقباضاً عن لقائه والاجتماع به، وليس ذلك من الهجران المحرَّم؛ لأن شرطه أن يلتقيا فيعرض هذا وهذا، وكأن فاطمة عليها السلام لما خرجت غضبى من عند أبي بكر تمادت في اشتغالها بحزنها ثم بمرضها[(٢)].

وقال الكرماني في شرحه: وأما غضب فاطمة فهو أمر حصل على مقتضى البشرية، وسكن بعد ذلك، أو الحديث كان متأوّلاً عندها بما فضل من معاش الورثة وضروراتهم ونحوها، وأما هجرانها فمعناه انقباضها عن لقائه، لا الهجران المحرَّم من ترك السلام ونحوه، ولفظ: «مهاجرته»

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٠. (أضفنا في آخر الكتاب ملحقاً لإثبات صحّة نسبة هذا الكتاب لابن قتيبة).

(٢) فتح الباري ٦/ ١٤٠.

بصيغة اسم الفاعل لا المصدر[١].

وقال القسطلاني[٢] في شرحه: ولعلّ فاطمة عليها السلام لما خرجت غضبى من عند أبي بكر تمادت في اشتغالها بشأنها ثم بمرضها، والهجران المحرَّم إنما هو أن يلتقيا فيُعرض هذا وهذا[٣].

وقال النووي في شرح مسلم: وأمّا ما ذُكر من هجران فاطمة أبا بكر فمعناه انقباضها عن لقائه، وليس هذا من الهجران المحرَّم الذي هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء. قوله في هذا الحديث: «فلم تكلّمه» يعني في هذا الأمر، أو لانقباضها لم تطلب منه حاجة، ولا اضطرت إلى لقائه فتكلّمه، ولم يُنقل قط أنّهما التقيا فلم تسلّم عليه ولا كلّمته[٤].

وكلّ ما ذُكر أعلاه هو تلاعب بالنصوص، وبيانه أنّ الرواية اشتملت على ثلاثة ألفاظ: «فغضبت، أو فوجدت فاطمة، فهجرته، فلم تكلّمه حتى توفّيت»، وصرف عبارة من هذه عن ظاهرها ممكن، أمّا صرف كلّ التركيب ففيه إشكال.

فالفاء في هذه الفقرة هي فاء السببية «فغضبت» أي غضبت ممّا تقدّم ذكره من منعه ميراثها وأمور أخرى، وقوله «فهجرته» إنما هو بسبب

(١) الكواكب الدراري ١٣/ ٧٥.

(٢) شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ولد سنة ٨٥١هـ وتوفي سنة ٩٢٣ هـ من الحفاظ الشراح للحديث النبوي والمصنّفين في السيرة النبوية من مؤلفاته (إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري/ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية). (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ٢٣٢)

(٣) ارشاد الساري ٥/ ١٩٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٢/ ٧٤.

الغضب؛ ولأنها وجدت عليه هجرته، وهذا الهجران هو الذي جعلها لا تكلّمه.

من خلال هذا البيان بالإضافة إلى سياق الكلام نعلم أنّ الزهراء عليها السلام هجرت أبا بكر لأجل ما حصل بينهما، لا أنه كان مجرّد انقباض كما حاول البعض تأويله، كما أنه لم يكن سكوتاً عمّا كانت تراه حقّا، بل هو غضب وهجران لتسجيل موقفها الرافض لما صنع بحقّها.

٥- ما تخفي القلوب:

بعد فشل المحاولات السابقة، حاول البعض رمي الكرة في ملعب الطرف الآخر بإدانة السيّدة الزهراء عليها السلام:

فقال قائلهم[١]: وأهل السنّة في هذه المسألة لا يبحثون عن عذر لأبي بكر، **وإنّما يبحثون عن عذر لفاطمة،** لأنّهم يرون أنّ أبا بكر يستدلّ بحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وآله رواه أبو بكر، وعثمان، وعمر، وعلي نفسه، والعبّاس، وعبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، كلّ هؤلاء رووا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنّا لا نورث، ما تركنا صدقة»، ففاطمة رضي الله عنها لّما ما قبلت منه هذا الكلام حاول أهل السنة أن يبحثوا عن عذر لفاطمة لا لأبي بكر؛ لأنّهم لا يرون أبا بكر هنا قد أخطأ في حقّ فاطمة؛ قالوا: غضبت على أبي بكر! ونقول: **ما يضّر أبا بكر إذا غضبت عليه فاطمة؟**[٢].

وكذلك قال صاحب كتاب (منحة الجليل) [٣] مخطّئاً الزهراء عليها السلام:

---

(١) عثمان الخميس.

(٢) حقبة من التاريخ: ٣٠٦.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله الراجحي.

وهذا فيه دليل على أنّ الإنسان قد يخطئ ولو كان كبيراً أو عظيماً، فليس هناك معصوم إلّا رسول الله ﷺ في ما يبلغه عن الله، أمّا فاطمة وهي سيدة نساء أهل الجنة ومن أفضل النساء، **فقد غلطت حيث اجتهدت وأخطأت،** وظنّت أن لها حقًّا وكان أبو بكر هو المصيب[1].

وهنا يأتي الميزان الذي ذكرناه في البداية، وهو أنّ الله عزّ وجل يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها، وأنّ من أغضبها فقد أغضب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن آذاها فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وهذا الحديث مطلق، وهو يدل على أن كل من أغضب فاطمة عليها السلام فقد أغضب الله ورسوله صلى الله عليه وآله، كائناً من كان.

---

(١) منحة الجليل ٦/ ٤٠٧.

بماذا طالبت الزهراء عليها السلام؟

رغم كفاية ما مرّ لإدانة السلطة القائمة في ذلك الوقت، وعدم حاجتنا لمعرفة تفاصيل الحادثة لإصدار حكم على من أغضب فاطمة عليها السلام، فإنّه من باب زيادة الإثبات سنتطرّق إلى تفاصيل النزاع الذي وقع بين السيّدة الزهراء عليها السلام وبين الشيخين.

ذكرت الروايات عدّة أمور طالبت بها الزهراء عليها السلام الشيخين، وقد ذُكرت هذه الروايات في صحاح القوم:

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده: عن عائشة أنّ فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي صلى الله عليه وسلم فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، تطلب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم التي بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال[1].

وروى مسلم في صحيحه بسنده: عن عائشة أنّها أخبرته أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وآله في هذا المال[2].

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢١٠.

(٢) صحيح مسلم ٥/ ١٣٥.

من هنا نعلم أنّ الزهراء عليها السلام طالبت بعدّة أمور، هي: الخمس، والفيء، وفدك، والميراث، وصدقات النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة، ولم تنحصر مطالبتها بميراثها أو بفدك كما يحاول أن يصوّر البعض.

١- الخمس:

هو عبادة ماليّة افترضها الله على المسلمين في كتابه حيث قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقد حدّدت الآية القرآنية مصارفه، فقسّمته على ستّة أقسام: منها قسم ذوي القربى، وهم أهل البيت عليهم السلام وعامّة بني هاشم كما عُرف ذلك من سيرته صلى الله عليه وآله في الأحاديث.

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده: عن سعيد بن المسيب أنّ جبير بن مطعم، أخبره قال: مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقلنا: أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا، ونحن بمنزلة واحدة منك! فقال: إنّما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد، قال جبير: ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً[(١)].

إذن فالزهراء عليها السلام طالبت بحقّ لأهل البيت عليهم السلام ثابت بالنصوص القرآنية والروائية، ولم تنحصر طلبتها في ميراثها من المصطفى صلى الله عليه وآله، وقد مُنعت من هذا الحقّ القرآني الذي لا يختلف فيه اثنان.

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٧٩.

وممّا يؤكّد صحّة ما نقوله ما رواه أبو داود في سننه بسنده: عن جبير بن مطعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقسم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل من الخمس شيئاً، كما قسم لبني هاشم وبني المطلب، قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غير أنّه لم يكن يعطي قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يعطيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

فالنّص صريح في مخالفة أبي بكر لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإعراضه عن كتاب الله، ومنعه لما ثبت لأهل البيت عليهم السلام بنصّ القرآن كما تقدّم.

وكالعادة حاول بعض علماء العامّة التبرير للخليفة الأول، فذكروا أنّ منعه لسهم أهل البيت عليهم السلام كان سببه حاجة الدولة الإسلامية لذلك المال!

قال ابن حزم[2] تعليقاً على الخبر المتقدّم: فهذا إسناد في غاية الصحّة والبيان، وإنّما كان الذي لم يعطهم أبو بكر كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيهم، فهو ما كان عليه السلام يعود به عليهم من سهمه، وكانت حاجة المسلمين أيام أبي بكر أشدّ، وأمّا أن يمنعهم الحق المفروض الذي سمّاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لهم فيعيذ الله تعالى أبا بكر من ذلك[3].

ولا أدري كيف فهم ابن حزم هذا المعنى؟ فإنّ النصّ صريح في أنّ أبا بكر ألغى سهم ذوي القربى، وما يؤكّد هذا المعنى هو مطالبة السيّدة

---

(١) سنن أبي داود ٢/ ٢٦، صحّحه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/ ٥٧٦.

(٢) أبو محمد علي بن حزم الأندلسي ولد سنة ٣٨٤هـ وتوفي سنة ٤٥٦هـ فقيه من كبار فقهاء الأندلس شيّد المذهب الظاهري، متكلّم، محدّث، نسّابة من أكثر علماء أهل السنة تصنيفا. (للمزيد الأعلام للزركلي ٤/ ٢٥٧)

(٣) المحلى ٧/ ٣٢٨.

الزهراء عليها السلام بحقّها في الخمس الذي افترضه الله.

ثم لو سلّمنا بأن حاجة المسلمين في أيام أبي بكر كانت أشد، فلماذا ألغى خصوص سهم ذوي القربى دون غيرهم؟ أليسوا هم أحوج إلى المال من غيرهم؟ خصوصاً وأنّ أحاديث العامة تثبت أنّ الزكاة محرّمة عليهم!

وهل من حقّ الخليفة أن يمنع حقًّا أعطاه الله لأحد من الناس بذريعة حاجة مسلمين آخرين؟ كلّ هذه الأسئلة تحتاج إلى إجابة ليتم كلام ابن حزم الظاهري.

٢-الفيء:

الفيء لغة: الفاء والهمزة مع معتلّ بينهما كلمات تدلّ على الرجوع، يقال: فاء الفيء إذا رجع الظل من جانب المغرب إلى جانب المشرق، وكلّ رجوع فيء، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] أي ترجع[(١)].

أمّا اصطلاحاً فقد قال ابن قدامة[(٢)] في تعريفه: الفيء هو الراجع إلى المسلمين من مال الكفار بغير قتال[(٣)].

وقد نصّ القرآن على هذا المعنى حيث قال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) مقاييس اللغة ٤/ ٤٣٦.

(٢) موفق الدين عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي الحنبلي المذهب، ولد سنة ٥٤١هـ وتوفي سنة ٦٢٠هـ فقيه من أكابر فقهاء الحنابلة، ويعتبر كتابه (المغني) من مراجع المذهب. (للمزيد الأعلام للزركلي ٤/ ٦٧)

(٣) المغني ٧/ ٢٩٧.

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الحشر: ٦].

كما بيّن القرآن لنا كيفية تقسيم الفيء حيث قال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

وهذه الآية الأخيرة دلّت على أن لأهل البيت عليهم السلام حقًّا ثابتاً في الفيء إلا أن السلطات الحاكمة في ذلك الوقت منعته عنهم عليهم السلام، وبقي حرمانهم من هذا الحق إلى يومنا هذا!

بل العجيب من ابن القيّم[١] قوله: فأمّا الزكوات والغنائم وقسمة المواريث فإنّها معيَّنة لأهلها، لا يشركهم غيرهم فيها، فلم يشكل على ولاة الأمر بعده من أمرها ما أشكل عليهم من الفيء، ولم يقع فيها من النزاع ما وقع فيه، ولولا إشكال أمره عليهم لما طلبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراثها من تركته، وظنّت أنه يورث عنه ما كان ملكاً له كسائر المالكين، وخفي عليها رضي الله عنها حقيقة الملك الذي ليس مما يورث عنه، بل هو صدقة بعده[٢].

كيف يقول هذا والقرآن قد ذكر مصارف الفيء كما ذكر مصارف الزكاة والخمس؟ كذلك السيرة العملية لرسول الله صلى الله عليه وآله توضّح ما ربّما

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، كان والده قيّما للمدرسة الجوزية فعرف بـ (ابن قيّم الجوزية، وابن القيّم) ولد سنة ٦٩١هـ وتوفي سنة ٧٥١هـ من كبار تلاميذ ابن تيمية الحرّاني. (للمزيد الأعلام للزركلي ٦/ ٥٦)

(٢) زاد المعاد ٣/ ٣٤٨.

يشتبه على بعضهم في النّص القرآني.

والظّاهر أنّ الغرض من مثل هذا الكلام هو التّبرير لمنع أبي بكر الفيء عن آل رسول الله صلى الله عليه وآله، لكي يقال: إنّ ما حصل هو اختلاف في تأويل أمر يجوز فيه الخلاف كما هي عادتهم.

٣- صدقات النبي صلى الله عليه وآله:

أمّا صدقات النبي صلى الله عليه وآله فقد ذكرها السمهودي[١] في (وفاء الوفا) بالتفصيل، وذكر مواضعها في المدينة، ثم قال: وهذه الصّدقات مما طلبته فاطمة رضي الله عنها من أبي بكر، وكذلك سهمه صلى الله عليه وسلم، وكذلك سهمه بخيبر وفدك[٢].

وهذه الأمور قد احتُسبت من ميراثه صلى الله عليه وآله، وهي المشمولة بحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»، الذي سيأتي الكلام فيه لاحقاً.

٤- فدك:

وهي أشهر ما يذكر عادة في هذا الباب، وهي ملك لفاطمة عليها السلام، وقد انتزعها أبو بكر وعمر منها عليها السلام، وسنفرد باباً كاملاً في هذه المسألة، لاسيما في بيان أنّها كانت نحلة، وليست ميراثاً للمصطفى صلى الله عليه وآله.

---

(١) نور الدين علي بن عبد الله الحسني السمهودي ولد سنة ٨٤٤هـ وتوفي سنة ٩١١هـ مؤرخ اهتم بالسيرة النبوية وبتاريخ المدينة المنورة واشتهر بكتابه وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. (للمزيد الأعلام للزركلي ٤/ ٣٠٧)

(٢) وفاء الوفا ٣/ ٣٦٩.

٥- ميراث النبي صلى الله عليه وآله:

وهي جملة أملاكه وتركته التي بقيت بعد استشهاده وانتقاله للرفيق الأعلى صلى الله عليه وآله، وقد حصر المغرضون نزاع الزهراء عليها السلام مع السلطة القائمة في ذلك الوقت في الميراث فقط.

من هنا نعلم أنّ الزهراء عليها السلام قد طالبت بعدّة أمور، وليس بأمر واحد كما اشتبه على كثير من الناس، وهذا الاشتباه هو الذي جعل الصورة غير مكتملة، وقد أشار ابن أبي الحديد(١) إلى هذا في شرحه على نهج البلاغة، حيث قال: واعلم أن الناس يظنون أن نزاع فاطمة أبا بكر كان في أمرين: في الميراث والنحلة، وقد وجدت في الحديث أنها نازعت في أمر ثالث، ومنعها أبو بكر إياه أيضاً، وهو سهم ذوي القربى(٢).

---

(١) عزّ الدين عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد المدائني المعتزلي توفي في سنة ٦٥٦هـ وكان من كبار أدباء عصره من أشهر مؤلّفاته (شرح نهج البلاغة). (للمزيد الأعلام للزركلي ٣/ ٢٨٩)

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٣٠.

فدك

أفردنا هذا الباب بالبحث في فدك، وقد بلغ من شهرته أن سُمّيت خطبة الزهراء عليها السلام التي كانت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بالخطبة الفدكية نسبة لفدك، بل ألّفت كتب بهذا الاسم، مثل كتاب (السقيفة وفدك) للجوهري، وكتاب (فدك في التاريخ) للسيد محمد باقر الصدر قدس سره.

١- ما هي فدك؟

قال الحموي[(١)] في معجم البلدان: فَدَك: بالتحريك، وآخره كاف، قال ابن دريد: فدكت القطن تفديكاً إذا نفشته، وفدك: قرية بالحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم، في سنة سبع صلحاً[(٢)].

وقد نقل ابن هشام[(٣)] في سيرته تفاصيل ما وقع، قال: وحاصر

(١) شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، ولد سنة ٥٧٤هـ وتوفي سنة ٦٢٦ هـ اشتغل بالعلم والأدب وألّف موسوعة أدبية ضخمة عرفت بمعجم الأدباء بالإضافة إلى كتابه المعروف معجم البلدان. (للمزيد سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣١٢)

(٢) معجم البلدان ٤/ ٢٣٨؛ أمّا في عصرنا هذا فهي قرية صغيرة إسمها (الحائط) تتبع إداريا محافظة حائل تبعد عن المدينة مسافة ٢٨٠كم، ولا يزال بعض أهلها يسميها (فدك) بتسكين الفاء.

(٣) جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري توفي سنة ٢١٣هـ مؤرخ عالم بالأنساب واللغة والأخبار وهو الذي اختصر سيرة ابن اسحاق وعرفت فيما بعد بسيرة ابن هشام. (للمزيد الأعلام للزركلي ٤/ ١٦٦)

رسول الله صلى الله عليه وسلم، أهل خيبر في حصنيهم: الوطيح والسلالم، حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يسيّرهم، وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها: الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم، إلا ما كان من ذينك الحصنين، فلمّا سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيّرهم، وأن يحقن دماءهم، ويخلّوا له الأموال، ففعل، وكان فيمن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود، أخو بني حارثة، فلمّا نزل أهل خيبر على ذلك، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم، وأعمر لها، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، **وكانت فدك خالصة لرسول الله** صلى الله عليه وسلم؛ لأنّهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب[١].

وهنا لا بدّ من التركيز على تصريح ابن هشام الأخير، وهو أنّ فدك ليست لعامّة المسلمين، أي ليست من أموال الدولة الإسلامية كي تقسّم طبقاً لما بيّنه القرآن الكريم، بل هي (خالصة) له صلى الله عليه وآله، أي له أن يضعها حيث شاء.

٢- هل فدك نحلة أو ميراث؟

من الأمور الشائعة بين العامّة أنّ السيّدة الزهراء عليها السلام طالبت بفدك بعنوان أنها ميراث، والحال أنّ هذا الأمر اشتباه، إذ أنّ فدكاً لم تكن في يوم من الأيام ميراثاً، بل كانت عطيّة من رسول الله صلى الله عليه وآله بذلها لها في حياته،

---

(١) السيرة النبوية ٣/ ٨٠٠.

فصارت ملكاً لها عليها السلام.

وقد دلّ على هذا عدّة أدلّة:

الدليل الأول: سبب نزول الآية القرآنية

وهي قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وسبب نزولها بيَّنته الروايات:

منها: ما رواه الحاكم النيسابوري في فضائل فاطمة، قال: حدّثنا أبو بكر بن أبي دارم الحافظ بالكوفة، حدّثنا المنذر بن محمد بن المنذر القابوسي، حدّثني أبي، حدّثني عمّي، عن أبيه، عن أبان بن تغلب، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي عليهما السلام، قال: لمّا نزلت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، فأعطاها فدك[1].

وما رواه عن مكّي بن بندار الزنجاني، حدّثنا أبو عبد الله محمد بن فضالة المصري، حدّثنا هارون بن محمد بن أبي الهيذام، حدّثنا عثمان بن طالوت، حدّثنا بشر بن أبي عمرو بن العلاء، قال حدّثني أبي، قال حدّثني عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، فأعطاها فدكاً والعوالي، وقال: هذا قسم قسمه الله لك ولعقبك من السماء، والويل لمن حال دونه[2].

وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده، قال: قرأت على الحسن بن يزيد الطحان هذا الحديث، فقال: هو ما قرأت على سعيد بن خثيم عن فضيل

---

(١) فضائل فاطمة الزهراء: ٥١.

(٢) فضائل فاطمة الزهراء ٥٣.

عن عطية، عن أبي سعيد قال: لما نزلت هذا الآية: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾، دعا النبي فاطمة وأعطاها فدك[(١)].

وذكر السيوطي في الدرّ المنثور: وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس، قال: لّما نزلت: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فدكاً[(٢)].

الدليل الثاني: ادّعاء الزهراء عليها السلام الملكية

فإن الروايات دلّت على أنّ الزهراء عليها السلام قد ادّعت ملكية هذه الأرض عند نزاعها مع أبي بكر حول الموضوع:

منها: ما رواه البلاذري، قال: أخبرنا الفضيل بن عياض عن مالك بن جعونه، عن أبيه قال: قالت فاطمة لأبي بكر: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل لي فدك فاعطني إياها، وشهد لها علي بن أبي طالب، فسألها شاهداً آخر، فشهدت لها أم أيمن؛ فقال: قد علمت يا بنت رسول الله أنّه لا تجوز إلا شهادة رجلين أو رجل وامرأتين، فانصرفت[(٣)].

وروى عن روح الكرابيسي قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: أخبرنا خالد ابن طهمان، عن رجل حسبه روح جعفر بن محمد، أنّ فاطمة عليها السلام قالت لأبي بكر الصديق: أعطني فدك، فقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لي، فسألها البينة، فجاءت بأم أيمن ورباح مولى النبي صلى الله عليه وسلم، فشهدا لها بذلك، فقال: إنّ هذا الأمر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين[(٤)].

---

(١) مسند أبي يعلى ٢/ ٣٣٤.

(٢) الدر المنثور ٤/ ١٧٧.

(٣) فتوح البلدان: ٤٣.

(٤) فتوح البلدان: ٤٣.

وروى ابن شبّة النميري، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن الزبير، قال: حدثنا فضيل ابن مرزوق، قال: حدّثني النميري بن حسان قال: قلت لزيد بن علي رحمة الله عليه – وأنا أريد أن أهجّن أمر أبي بكر–: إنّ أبا بكر انتزع من فاطمة رضي الله عنها فدك، فقال: إنّ أبا بكر كان رجلاً رحيماً، وكان يكره أن يغيّر شيئاً تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته فاطمة رضي الله عنها، فقالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني فدك، فقال لها: هل لك على هذا بيِّنة؟ فجاءت بعلي رضي الله عنه، فشهد لها، ثم جاءت بأم أيمن، فقالت: أليس تشهد أنّي من أهل الجنة؟ قال: بلى، قال أبو أحمد: يعني أنّها قالت ذاك لأبي بكر وعمر، قالت: فأشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها فدك، فقال أبو بكر: فبرجل وامرأة تستحقّينها أو تستحقّين بها القضية؟ قال زيد بن علي: وأيم الله لو رجع الأمر إليَّ لقضيت فيها بقضاء أبي بكر[1].

وفي هذا الخبر إقرار من زيد بن علي رحمه الله بأنّ فاطمة عليها السلام طالبت بفدك على أنّها نحلة لا ميراث، أمّا ذيل الحديث فهو خارج عن بحثنا في هذا الباب؛ لأنّنا لسنا الآن بصدد تقييم حكم أبي بكر، بل نحن بصدد بيان هل كانت فدك نحلة أم ميراث؟

وروى أبو هلال العسكري في كتابه (الأوائل): أخبرنا أبو أحمد، عن محمد بن زكريا، عن ابن عائشة، وعن أبيه عن عمّه قال: شهد علي وأم أيمن عند أبي بكر أنّ النبي صلى الله عليه وسلم وهب فدكاً لفاطمة، وشهد عمر وعبد الرحمن بن عوف أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسمها، فقال أبو بكر: صدقوا وصدقت، كان مالاً لأبيك، وكان يأخذ منها قوته، ويقسم الباقي، فما

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ١/ ١٢٤، وقد حسّن المحقّق الرواية في الحاشية.

تصنعين بها؟ قالت: صنيع أبي، قال: فلكِ عليّ أن أصنع فيها صنيع أبيك عليه الصلاة والسلام. فكان يدفع إليهم ما يكفيهم، ويقسّم الباقي[١].

الدليل الثالث: اعترافات المخالفين

صرّح بعض علماء أهل السنّة والجماعة بأنّ الزهراء عليها السلام **ادّعت** ملكية فدك، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله نحلها إياها:

قال أبو منصور الأزهري[٢]: فدك: قرية بناحية الحجاز ذات عين فوّارة ونخيل كثيرة، أفاءها الله جلّ وعزّ على رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان علي والعباس رضي الله عنهما بعد وفاته يتنازعانها، وسلّمها عمر إليهما، فذكر علي أن النبي صلى الله عليه وسلم **كان جعلها في حياته لفاطمة** رضي الله عنها[٣].

وقال أبو الفتح الشهرستاني: الخلاف السادس في أمر فدك والتوارث عن النبي عليه الصلاة والسلام، ودعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارة **وتمليكاً أخرى**، حتى دُفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي عليه الصلاة والسلام: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة[٤].

وقال الفخر الرازي[٥]: فلمّا مات **ادّعت فاطمة** عليها السلام **أنّه كان ينحلها**

---

(١) الأوائل: ٧٩.

(٢) أبو منصور محمد بن أحمد الهروي المعروف بالأزهري نسبة إلى جدّه الأزهر عالم من علماء اللغة العربية ولد سنة ٢٨٢ هـ وتوفي سنة ٣٧٠هـ عرف بتضلّعه في علوم اللغة العربية. (للمزيد سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٥)

(٣) تهذيب اللغة ٣/ ٣٤٥.

(٤) الملل والنحل ١/ ٢٥.

(٥) محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري الرازي المعروف بالفخر الرازي، ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦ هـ عرف بتضلعه في شتّى العلوم كاللغة والفلسفة والمنطق

فدكاً، فقال أبو بكر: أنت أعزّ الناس عليّ فقراً، وأحبّهم إليّ غنى، لكني لا أعرف صحّة قولك، ولا يجوز أن أحكم بذلك. فشهد لها أم أيمن ومولى للرسول عليه السلام، فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم يكن، فأجرى أبو بكر ذلك على ما كان يجريه الرسول ﷺ، ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول، ويجعل ما يبقى في السلاح والكراع، وكذلك عمر جعله في يد علي ليجريه على هذا المجرى، وردَّ ذلك في آخر عهد عمر إلى عمر، وقال: إن بنا غنى وبالمسلمين حاجة إليه. وكان عثمان رضي الله عنه يجريه كذلك، ثم صار إلى علي، فكان يجريه هذا المجرى، فالأئمة الأربعة اتّفقوا على ذلك[1].

وقال ياقوت الحموي: وهي التي قالت فاطمة رضي الله عنها: **إنّ رسول الله ﷺ نحلنيها**. فقال أبو بكر: أريد لذلك شهوداً. ولها قصة؛ ثم أدّى اجتهاد عمر بن الخطاب بعده لما ولي الخلافة، وفُتحت الفتوح، واتّسعت على المسلمين، أن يردّها إلى ورثة رسول الله ﷺ، فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها، فكان علي يقول: إن النبي ﷺ جعلها في حياته لفاطمة...

إلى أن قال: ... وفي فدك اختلاف كثير في أمره بعد النبي ﷺ وأبي بكر وآل رسول الله ﷺ، ومن رواة خبرها من رواه بحسب الأهواء وشدّة المراء، وأصحّ ما ورد عندي في ذلك ما ذكره أحمد بن جابر البلاذري في

والتفسير والكلام وله مصنّفات قيّمة منها تفسيره المعروف بـ (مفاتيح الغيب). (للمزيد الأعلام للزركلي ٦/ ٣١٣)

(١) مفاتيح الغيب ٢٩/ ٢٨٤.

كتاب الفتوح له فإنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعد منصرفه من خيبر إلى أرض فدك محيصة بن مسعود، ورئيس فدك يومئذ يوشع بن نون اليهودي، يدعوهم إلى الإسلام، فوجدهم مرعوبين خائفين لما بلغهم من أخذ خيبر، فصالحوه على نصف الأرض بتربتها، فقبل ذلك منهم، وأمضاه رسول الله ﷺ، وصار خالصاً له ﷺ؛ لأنّه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكان يصرف ما يأتيه منها في أبناء السبيل، ولم يزل أهلها بها حتى أجلى عمر اليهود، فوجّه إليهم من قوم نصف التربة بقيمة عدل، فدفعها إلى اليهود، وأجلاهم إلى الشام، وكان لمّا قُبض رسول الله ﷺ قالت فاطمة رضي الله عنها لأبي بكر: إنّ رسول الله ﷺ جعل لي فدك، فأعطني إياها. وشهد لها علي بن أبي طالب، فسألها شاهداً آخر، فشهدت لها أم أيمن مولاة النبي ﷺ، فقال: قد علمتِ يا بنت رسول الله أنه لا يجوز إلا شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين. فانصرفت[١].

وقال العلامة الفيومي[٢]: فدك: بفتحتين، بلدة بينها وبين مدينة النبي ﷺ يومان، وبينها وبين خيبر دون مرحلة، وهي مما أفاء الله على رسوله ﷺ، وتنازعها علي والعباس في خلافة عمر، فقال علي: **جعلها النبي ﷺ لفاطمة وولدها**[٣].

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٢٣٩.

(٢) أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي لم يعرف سنة مولده، وتوفي بعد ٧٧٠ هـ لغوي كبير عرف بكتابه (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير). (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ٢٢٤)

(٣) المصباح المنير: ٤٦٥.

قال المجد فيروزآبادي[١]: وهي التي قالت فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: **إنّ رسول الله نحلنيها**. فقال أبو بكر: أريد بذلك شهوداً. فشهد لها علي بن أبي طالب، فطلب شاهداً آخر، فشهدت لها أم أيمن مولاة النبي، فقال: قد علمتِ يا بنت رسول الله أنه لا يجوز إلا شهادة رجل وامرأتين. فانصرفت؛ ثم أدّى اجتهاد عمر بن الخطاب بعده لما ولي الخلافة وفُتحت الفتوح واتسعت على المسلمين أن يردّها إلى ورثة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيه، وكان علي يقول: إنّ النبي جعلها في حياته لفاطمة[٢].

وقال برهان الدين الحلبي[٣]: ولعلّ طلب إرثها من فدك كان منها **بعد أن ادّعت أن النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أعطاها فدكاً**، وقال لها: هل لك بيّنة؟ فشهد لها علي كرّم الله وجهه وأم أيمن، فقال لها: أبرجل وامرأة تستحقيها[٤].

وقال نور الدين السمهودي: وأمّا ما ذكره المجد من **أنّ فاطمة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا **ادّعت نحلة، فروى ابن شبّة النميري ما يشهد له** عن النمير بن حسان، قال: قلت لزيد بن علي - وأنا أريد أن أهجّن أمر أبي بكر-: إنّ أبا بكر

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروزآبادي ولد سنة ٧٢٩ هـ وتوفي سنة ٨١٧هـ، واهتمّ بعلوم اللغة والتاريخ والحديث والسيرة والفقه وله مجموعة من المصنّفات منها (القاموس المحيط). (للمزيد الأعلام للزركلي ٧/ ١٤٦)

(٢) المغانم المطابة: ٣١٢.

(٣) برهان الدين إبراهيم بن محمد الطرابلسي ولد سنة ٧٥٣هـ وتوفي سنة ٨٤١ هـ من أهمّ مؤلفاته كتاب السيرة الحلبية وهي من أوسع ما كتب في هذا الباب. (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ٦٥)

(٤) السيرة الحلبية ٣/ ٤٨٧.

انتزع من فاطمة رضي الله عنها فدك، فقال: إنّ أبا بكر كان رجلاً رحيماً، وكان يكره أن يغيّر شيئاً تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته فاطمة رضي الله عنها، فقالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني فدك. فقال لها: هل لك على هذا بيِّنة؟ فجاءت بعلي رضي الله عنه فشهد لها، ثم جاءت بأم أيمن، فقالت: أليس تشهد أنّي من أهل الجنة؟ قال: بلى، قال أبو أحمد: يعني أنّها قالت ذاك لأبي بكر وعمر، قالت: فأشهد أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها فدك. فقال أبو بكر: فبرجل وامرأة تستحقّينها أو تستحقّين بها القضية؟ قال زيد بن علي: وأيم الله لو رجع الأمر إلي لقضيت فيها بقضاء أبي بكر[١].

قال ابن حجر الهيتمي[٢]: **ودعواها أنه نحلها فدك لم تأت عليها ببيِّنة** إلا بعلي وأم أيمن، فلم يكمل نصاب البيّنة، على أنّ في قبول شهادة الزوج لزوجته خلافاً بين العلماء، وعدم حكمه بشاهد ويمين وإما لعلة كونه ممن لا يراه ككثيرين من العلماء، أو أنها لم تطلب الحلف مع من شهد لها، وزعمهم أنّ الحسن والحسين وأم كلثوم شهدوا لها باطل، على أن شهادة الفرع والصغير غير مقبولة[٣].

وقال المحدّث الزبيدي[٤]: فدك: محركة، بخيبر فيها نخل وعين،

---

(١) وفاء الوفا ٣/ ٣٧٧.

(٢) شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المكي فقيه شافعي المذهب ومتكلّم أشعري، ولد سنة ٩٠٩هـ وتوفي سنة ٩٧٣هـ من مصنّفاته (الصواعق المحرقة، الفتاوى الفقهية الكبرى)... (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ٢٣٤)

(٣) الصواعق المحرقة: ٩٣.

(٤) المرتضى محمد بن محمد الحسيني الزبيدي ولد سنة ١١٤٥هـ وتوفي سنة ١٢٠٥هـ فقيه محدّث متكلّم لغوي من أشهر مؤلفاته (تاج العروس)

أفاءها الله على نبيِّه ﷺ، وكان علي والعباس رضي الله عنهما يتنازعانها، وسلّمها عمر إليهما، فذكر علي رضي الله عنه **أنّ النبي ﷺ كان جعلها في حياته لفاطمة** رضي الله عنها وولدها(١).

فكلّ هؤلاء وغيرهم الكثير اعترفوا أنّ الزهراء عليها السلام ادّعت ملكية فدك، وطالبت بها على أنّها نحلة لا ميراث.

وبالجمع بين الطوائف الثلاثة من الأدلّة لا يبقى مجال للتشكيك في صحّة ما ذكرناه، إذ أنّ الروايات متضافرة بذلك، وفيها الصحيح والحسن كما تقدّم، وتدعمها كلمات العلماء.

الدليل الرابع: المسيرة التاريخية لفدك

من يقرأ تاريخ فدك يجد أنّها أُرجعت أكثر من مرّة لأهل البيت عليهم السلام، وسُلبت منهم كذلك أكثر من مرة:

فقد روى ابن أبي الحديد في شرحه المسيرة التاريخية لفدك، قال: وكان أبو بكر يأخذ غلّتها، فيدفع إليهم منها ما يكفيهم، ويقسِّم الباقي، وكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان عليٌّ كذلك، فلما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها، وذلك بعد موت الحسن بن علي عليه السلام، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلّها لمروان بن الحكم أيام خلافته، فوهبها لعبد العزيز ابنه، فوهبها عبد العزيز لابنه عمر بن عبد العزيز، فلما ولي عمر بن العزيز الخلافة، كانت أول ظلامة ردّها، دعا حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: بل دعا علي بن الحسين

(١) تاج العروس ١٣/ ٦٢٣.

عليه السلام فردّها عليه، وكانت بيد أولاد فاطمة عليها السلام مدّة ولاية عمر بن عبد العزيز، فلما ولى يزيد بن عاتكة قبضها منهم، فصارت في أيدي بني مروان كما كانت يتداولونها، حتى انتقلت الخلافة عنهم، فلما ولي أبو العباس السفاح ردّها على عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثم قبضها أبو جعفر لما حدث من بني حسن ما حدث، ثم ردّها المهدي ابنه على ولد فاطمة عليها السلام، ثم قبضها موسى بن المهدي وهارون أخوه، فلم تزل في أيديهم حتى ولي المأمون، فردّها على الفاطميين[١].

ثم واصل عرض مسيرتها التاريخية بعد المأمون، قال: فلم تزل في أيديهم حتى كان في أيام المتوكل، فأقطعها عبد الله بن عمر البازيار، وكان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها، فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل، فصرم عبد الله بن عمر البازيار ذلك التمر، ووجه رجلاً يقال له: بشران بن أبي أمية الثقفي إلى المدينة فصرمه، ثم عاد إلى البصرة ففلج[٢].

فهذا التردّد في قضية فدك بين الخلفاء يدلّ على عدم قناعة هؤلاء بما صنعه الخليفة الأول بانتزاعه فدك من الزهراء عليها السلام، بل من يستقصي النصوص التاريخية يجد أنّ الرجل بنفسه كان متردّداً في الموضوع، إذ ورد في بعض الأخبار أنّه قد ندم على ما صنعه، وكتب كتاباً بردّ فدك للزهراء عليها السلام:

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢١٧.

فقد روى الشيخ المفيد قدس سره في كتابه (الاختصاص) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، رواية طويلة قال فيها: وخرجت فاطمة عليها السلام من عنده وهي تقول: والله لا أكلّمك كلمة حتى اجتمع أنا وأنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم انصرفت، فقال علي عليه السلام لها: ائت أبا بكر وحده، فإنّه أرقّ من الآخر، وقولي له: ادّعيت مجلس أبي وأنك خليفته، وجلست مجلسه، ولو كانت فدك لك ثم استوهبتها منك لوجب ردّها علي. فلما أتته وقالت له ذلك، قال: صدقت. قال: فدعا بكتاب، فكتبه لها بردّ فدك. فقال: فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر، فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟ فقالت: كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك. فقال: هلمّيه إلي. فأبت أن تدفعه إليه، فرفسها برجله، وكانت حاملة بابن اسمه المحسن، فأسقطت المحسن من بطنها، ثم لطمها، فكأني أنظر إلى قرط في أذنها حين نقفت، ثم أخذ الكتاب فخرقه[1].

وروى سبط ابن الجوزي هذا المضمون مسنداً، قال: وقال ابن إسحاق: حدثني القاسم بن حكيم، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: جاءت فاطمة بنت رسول الله إلى أبي بكر وهو على المنبر، فقالت: يا أبا بكر أفي كتاب الله أن ترثك ابنتك ولا أرث أبي؟ فاستعبر أبو بكر باكياً، ثم قال: بآبائي أبوك وبآبائي أنت. **ثم نزل فكتب لها بفدك**، ودخل عليه عمر فقال: ما هذا؟ قال: كتاب كتبته لفاطمة ميراثها من أبيها، قال: فماذا تنفق على المسلمين وقد حاربت العرب كما ترى؟ ثم أخذ عمر الكتاب،

---

(١) الإختصاص ١٨٥.

فشقَّه[(١)].

فإن كانت الزهراء عليها السلام غير صادقة أو مشتبهة في دعواها ملكية (فدك) بزعمهم، فلماذا عزم الخليفة الأول على ردّ فدك إليها؟

٣- دفع إشكالات:

طُرحت بعض الإشكالات حول كون فدك نحلة من رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته وبضعته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام:

الإشكال الأول: كيف تطالب الزهراء عليها السلام بما تملكه؟

فإن الذهبي بعد أن ذكر حديثاً عن أبي سعيد، قال: لما نزلت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، فأعطاها فدك.

قال: هذا باطل، ولو كان وقع ذلك لما جاءت فاطمة رضي الله عنها تطلب شيئاً هو في حوزها وملكها[(٢)].

والجواب:

ما قلناه فيما تقدَّم من أنّ الخليفة أبا بكر قد (انتزع فدكاً) من الصدّيقة الطاهرة عليها السلام، فمطالبتها بفدك هو بسبب وضع السلطة القائمة في ذلك الوقت يدها على هذه الأرض، وطرد وكيل الزهراء عليها السلام منها.

ويؤيّده ما ورد في كتب الخاصّة بسند معتبر عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما بويع لأبي بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين

---

(١) مرآة الزمان ٤/ ٢٧٦؛ تجدر الإشارة إلى أنّ سبط ابن الجوزي نقل هذه الرواية عن ابن اسحاق صاحب السيرة النبوية.

(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ١٣٥.

والأنصار، **بعث إلى فدك فأخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله ﷺ منها،** فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر منعتني عن ميراثي من رسول الله، وأخرجت وكيلي من فدك، وقد جعلها لي رسول الله ﷺ بأمر الله! فقال لها: هاتي على ذلك شهوداً. فجاءت بأم أيمن، فقالت: لا أشهد حتّى احتجّ يا أبا بكر عليك بما قال رسول الله ﷺ، فقالت: أنشدك الله، ألست تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ أمّ أيمن من أهل الجنة؟ قال بلى، قالت: فأشهد أنّ الله أوحى إلى رسول الله ﷺ ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فجعل فدك لفاطمة بأمر الله، وجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك[(١)].

الإشكال الثاني: أن الآية مكية

قال ابن كثير الدمشقي في تفسيره: وقال الحافظ أبو بكر البزار، حدثنا عباد بن يعقوب، حدّثنا أبو يحيى التيمي، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية البزار؛ حدثنا عباد بن يعقوب، حدثنا أبو يحيى التيمي، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية عن أبي سعيد، قال: لما نزلت: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك.

ثم قال: لا نعلم حدَّثَ به عن فضيل بن مرزوق إلّا أبو يحيى التيمي وحميد بن حماد بن الخوار، وهذا الحديث مشكل لو صحّ إسناده؛ لأن الآية مكية، وفدك إنما فُتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة، فكيف يلتئم هذا مع هذا؟ فهو إذاً حديث منكر، الأشبه أنه من وضع الرافضة، والله أعلم[(٢)].

---

(١) تفسير القمي ٢/ ١٥٥، الإحتجاج ١/ ١٢١.

(٢) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٩؛ قد تبيّن ممّا تقدّم بطلان كلام ابن كثير، إذ أنّ هذا الخبر لم ينفرد

والجواب:

أولاً: ما ذكره ابن كثير من أن الآية مكية دعوى مجرّدة عن الدليل، فإنه لم يذكر لنا مستنده للحكم على الآية بأنها مكيّة وليست مدنيّة، فلا قيمة لكلامه ما لم يدعّمه بالحجّة والبرهان، ومن تتبَّع كلامه يجد أنّه أجاد تقليد شيخه ابن تيمية بإلقاء الدعاوى الباطلة وإرسالها إرسال المسلمات.

ثانياً: لو قيل: إنّ الآية قد ذُكرت ضمن سورة الإسراء، وهي سورة مكيّة، فهذا أيضاً لا ينفع دليلاً؛ لأنّ من سبر أقوال المفسّرين علم أنّهم يصرّحون بتداخل الآيات المكيّة والمدنية في السورة الواحدة، فكثير من السور المكيّة تضمّنت آيات مدنية، وكثير من السور المدنيّة تضمّنت آيات مكيّة.

قال ابن حجر العسقلاني: قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكيّة، قال: وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة بمكة تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادراً[(١)].

وهذه الآية التي نحن بصدد البحث فيها مدنيّة ضمن سورة مكيّة، ولا إشكال في ذلك.

ثالثاً: قد نصّ جملة من علماء أهل السنّة والجماعة على أنّ هذه الآية مدنية كالسيوطي في تفسير الجلالين[(٢)]، والفخر الرازي في مفاتيح

به فضيل بن مرزوق بل رواه غيره كما ذكرنا في أول الباب، وابن كثير إمّا جاهل ببقيّة الطرق وغير مطلّع عليها أو تجاهلها عمدا لضرب الحديث.

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٤٧.

(٢) تفسير الجلالين: ٣٦٤.

الغيب[١]، وكذلك القاضي أبو السعود[٢]، والغرناطي[٣] في تفاسيرهم.

فلا يبقى مجال حينئذ للقول بأنّ الآية مكيّة، فإن وجود الروايات الصحيحة وتصريح هؤلاء الأعلام ينسف هذا القول من أساسه.

الإشكال الثالث: العدل بين البنات

ادّعى بعض المعاصرين أنّ نسبة هذا العمل للنبي ﷺ فيه إساءة له، إذ أنّ الواجب عن مثله العدل بين بناته كما حثّ الشارع المقدّس على ذلك.

قال: فتح خيبر في أوّل السنة السابعة، وزينب بنت النبي ﷺ توفّيت في الثامنة من الهجرة، وأم كلثوم بنت النبي ﷺ توفّيت في التاسعة من الهجرة، فكيف يعطي فاطمة ويدع أم كلثوم وزينب صلوات الله وسلامه عليه؟ فهذا اتّهام للنبي ﷺ أنّه كان يفرّق بين أولاده؛ ثمّ إنّ النعمان بن بشير لمّا جاء النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي قد وهبت ابني حديقة، وأريد أن أشهدك. فقال النبي ﷺ: أكلّ أولادك أعطيت؟ قال: لا. فقال النبي ﷺ: اذهب، فإنّي لا أشهد على جور..فسمّاه جوراً وذلك أن يفضّل بعض الأولاد على بعض، فهذا النبي الكريم الذي لا يشهد على الجور، هل يفعل ذلك؟[٤].

والجواب:

أولاً: ما ذكره هذا المعاصر من أنّ فتح خيبر كان في السنة السابعة من

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ١٤٥

(٢) تفسير أبي السعود ٥/ ١٥٤.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٤٤٠.

(٤) حقبة من التاريخ: ٣١٠.

الهجرة صحيح، لكن دعواه أنّ الهبة حصلت في نفس السنة أمر غير معلوم، فمن الممكن أن يكون النبي صلى الله عليه وآله صالح أهل فدك في السنة السابعة، وتملّك الأرض، ثم تأخّرت هبتها للزهراء عليها السلام بعد وفاة أخواتها.

ثانياً: ولو سلّمنا بأنّ النِّحلة حصلت في حياة بقية البنات فهذا ليس بمحرّم، بل اختُلف حتّى في كراهته؛ لأنّ المنهي عنه في النّصوص هو التفضيل غير المبرّر بين الأبناء، أمّا المبرّر كأن يهب الإنسان ابنه شيئاً لتفوّقه في الدراسة مثلاً، أو لبرّه بوالده فلا إشكال فيه البتّة.

أمّا رواية النعمان بن بشير التي احتجّ بها صاحب الإشكال فقد ردّ عليها فقهاء أهل السنّة والجماعة، وأثبتوا أنّها لا تدلّ على حرمة الهبة لبعض الأبناء دون بعض.

قال الشوكاني[١]: قال أبو يوسف: تجب التسوية إن قصد بالتفضيل الإضرار. وذهب الجمهور إلى أنّ التسوية مستحبة، فإن فضّل بعضاً صحَّ وكره، وحملوا الأمر على الندب، وكذلك حملوا النهي الثابت في رواية لمسلم بلفظ: «أيسرّك أن يكونوا لك في البِرِّ سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذن» على التنزيه.

وأجابوا عن حديث النعمان بأجوبة عشرة ذكرها ابن حجر في فتح الباري، واختصرها الشوكاني، ووضع عليها زيادات مفيدة[٢].

---

(١) بدر الدين محمد بن علي بن محمد الشوكاني ولد سنة ١١٧٣ هـ وتوفي سنة ١٢٥٠هـ من كبار فقهاء أهل السنة والجماعة باليمن له مجموعة من المصنّفات منها: (نيل الأوطار، فتح القدير، تحفة الذاكرين..)

(٢) راجع نيل الأوطار ٦/ ١١٠.

ثالثاً: تقرّر عند جميع المذاهب الإسلامية أنّ فعل النبي ﷺ حجّة، وقد ثبت كما تقدّم بالأسانيد الصحيحة أنّه وهب فدك للزهراء عليها السلام، فيحمل فعله على أنّ هناك مصلحة من هذا الفعل، خصوصاً وأنّ الهبة كانت بأمر إلهي تمثّل في نزول آية كاملة في موضوع الأرض كما ذكرنا سابقاً، فكما حملوا نهيه لعلي عليه السلام عن الزواج ببنت أبي جهل على أنّه من مختصّاته، فما المانع من حمل هذا الأمر عليه كذلك؟

رابعاً: قد ثبت بالأسانيد الصحيحة والشهرة التاريخية ادّعاء الزهراء عليها السلام ملكية فدك بما لا يدع مجالاً للشكّ، فما هو العذر الذي سيلتمسه صاحب الإشكال للزهراء عليها السلام في هذه المرّة؟

الإشكال الرابع: هل تحقّقت الهبة؟

مفاد هذا الإشكال هو أنّ الزهراء عليها السلام وإن صدقت في دعواها النحلة إلّا أنّ ملكيّة الأرض لم تتحقق؛ لأنّه قد تقرّر في الفقه أنّ الهبة لا تتحقّق إلّا بالقبض، فالهبة التي لم تقبض في حياة الواهب تبقى ملكه، وتلحق بتركته.

قال المستشكل: فإن كانت هبة، فإمّا أن تكون قبضتها أو لم تقبضها، فإن كانت قبضتها فكيف جاءت تطالب بها؟ وإن لم تكن قبضتها فإنّ الهبة إن لم تقبض فكأنّها لم تعط[1].

والجواب: أنّ الهبة قد استوفت شروطها بحصول القبض في حياة النبي ﷺ، وقد دلّت على ذلك عدّة نصوص:

---

(١) حقبة من التاريخ: ٣١١.

منها: ما روي بسند معتبر عن حماد بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما بويع لأبي بكر، واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار، **بعث إلى فدك فأخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منها**، فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر، فقالت: يا أبا بكر منعتني عن ميراثي من رسول الله، وأخرجت وكيلي من فدك، وقد جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله؟! فقال لها: هاتي على ذلك شهوداً، فجاءت بأم أيمن، فقالت: لا أشهد حتّى احتجّ يا أبا بكر عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: أنشدك الله، ألستَ تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ أمّ أيمن من أهل الجنة؟ قال بلى. قالت: فأشهد أنّ الله أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فجعل فدك لفاطمة بأمر الله. وجاء علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك[١].

وروى سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه في كتابه رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام عدّد فيها ما غيّره الخلفاء الذين تقدّموا عليه، قال: وقبضه وصاحبه فدك **وهي في يد فاطمة** عليها السلام **مقبوضة**، قد أكلت غلّتها على عهد النبي صلى الله عليه وآله، فسألها البيّنة على ما في يدها، ولم يصدّقها ولا صدّق أمّ أيمن، وهو يعلم يقيناً كما نعلم أنّها في يدها، ولم يكن يحل له أن يسألها البينة على ما في يدها ولا أن يتّهمها[٢].

وروى ثقة الإسلام الكليني رضي الله عنه بسنده: عن الإمام الكاظم عليه السلام: أنّ الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيّه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فلم يدر

---

(١) تفسير القمي ٢/ ١٥٥، الإحتجاج ١/ ١٢١.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ٢٢٦.

رسول الله صلى الله عليه وآله من هم، فراجع في ذلك جبرئيل، وراجع جبرئيل عليه السلام ربّه، فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها: يا فاطمة إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك. فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك. **فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله** صلى الله عليه وآله، فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها[(١)].

وورد في نهج البلاغة عن الأمير عليه السلام قوله: **بلى كانت في أيدينا فدك** من كل ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكَم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانّها في غدٍ جَدَث، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها[(٢)].

وقد نصّ فقهاء الفريقين أنّ حقيقة القبض هي (التخلية)، بمعنى أنّ يمكّن الموهوب أو المشتري من الشيء بحيث يستطيع أن يتصرّف فيه، قال الكاشاني: وأمّا تفسير التسليم والقبض فالتسليم والقبض عندنا هو التخلية والتخلي وهو أن يخلّي البائع بين المبيع وبين المشترى برفع الحائل بينهما على وجه يتمكّن المشترى من التصرّف فيه فيجعل البائع مسلما للمبيع والمشترى قابضا له وكذا تسليم الثمن من المشترى إلى البائع وقال الشافعي رحمه الله القبض في الدار والعقار والشجر بالتخلية[(٣)].

---

(١) بدائع الصنائع ٥/ ٢٤٤.

(٢) نهج البلاغة ٣/ ٧١. لقد اشتبه الأمر على بعض الفضلاء فظنّ أنّ قول الإمام علي عليه السلام: «كانت في أيدينا فدك» لا يدلّ على ملكيّة فدك؛ لأنه لم يقل: كانت فدك لنا. والجواب هو ما تقدّم، إذ أنّ اليد أمارة الملكية، فإذا كانت في أيديهم فهي ملك لهم. والإمام عليه السلام أثبت بذلك حصول القبض في حياة النبي صلى الله عليه وآله؛ لدفع أمثال هذه الإشكالات.

(٣) نهج البلاغة ٣/ ٧١. لقد اشتبه الأمر على بعض الفضلاء فظنّ أنّ قول الإمام علي عليه السلام:

فوجود عمال للزهراء عليها السلام في فدك نصّ صريح على حصول القبض في حياة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله، وهذا كافٍ في دفع هذا الإشكال.

فإن قيل: لماذا لم يستفض نقل هذا الأمر، وانفردت بنقله كتب الشيعة دون بقيّة المصادر التاريخية والروائية؟

أجبنا بالتالي:

أولاً: أنّ فدكاً - كما تقدّم - تبعد عن المدينة مسيرة ثلاثة أيام أو يومين، وهذه المسافة بعيدة جدًّا في ذلك الزمن، بحيث لا يمكن لعامّة النّاس الاطلاع على ما يدور في هذه الأرض، وإذا كانوا لا يعلمون بها فكيف يعرفون مالكها؟!

ثانياً: أنّ ادّعاء الزهراء عليها السلام أنّ فدك كانت نحلة، وموافقة أمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن يدلّ على أنّ القبض تحقّق في حياة النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّه لا يحتمل أن يجهل كلّ هؤلاء بهذا الحكم الشرعي، ويعرفه صاحب هذا الإشكال؟ فهل يعقل أن يجهل أمير المؤمنين عليه السلام وباب مدينة العلم وأقضى المسلمين بمثل هذا الحكم الذي يعرفه عوام النّاس؟

ثالثاً: عدم وجود نقل في كتب العامّة لا يعني عدم حدوث الواقعة، خصوصاً أنّ مسألة فدك قد اعتُبرت مسألة سياسية تمسّ مستقبل السلطة القائمة في ذلك الوقت!

وأفضل ما يدلّ على هذا هو ما رواه الطبراني في معجمه الأوسط

«كانت في أيدينا فدك» لا يدلّ على ملكيّة فدك؛ لأنه لم يقل: كانت فدك لنا. والجواب هو ما تقدّم، إذ أنّ اليد أمارة الملكية، فإذا كانت في أيديهم فهي ملك لهم. والإمام عليه السلام أثبت بذلك حصول القبض في حياة النبي صلى الله عليه وآله؛ لدفع أمثال هذه الإشكالات.

بسنده عن عمر، قال: لما قُبض رسول الله ﷺ جئت أنا وأبو بكر إلى علي، فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله ﷺ؟ قال: نحن أحقّ الناس برسول الله وبما ترك. قال: فقلت: والذي بخيبر؟ قال: والذي بخيبر. قلت: والذي بفدك؟ فقال: والذي بفدك. قلت: أما والله **حتى تحزّوا رقابنا بالمناشير**[١].

فتدبّر أخي القارئ في قوله: «حتّى تحزّوا رقابنا بالمناشير» لتعلم حقيقة الحال في ذلك الوقت، وأهميّة فدك بالنسبة للسلطة القائمة حينئذ.

الإشكال الخامس: أين الشهود؟

وهو أهمّ ما احتجَّ به القوم على دعواهم، ومحصّله: أنّه لم تكتمل عدّة الشهادة الشرعية، حيث قالوا: إنّه لا تكفي شهادة رجل وامرأة، بل حتّى شهادة الرجل وهو أمير المؤمنين عليه السلام في المقام مردودة؛ لكونها من باب شهادة الزوج لزوجته.

والجواب:

أوّلاً: أنّه لا يجوز لأبي بكر أن يطلب شهوداً من الزهراء عليها السلام لإثبات ملكيّتها لهذه الأرض؛ لأنّها كانت بيدها عليها السلام، ومن المعروف بين المسلمين بل بين العقلاء كافّة أنّ اليد أمارة الملكية، فمن رأى في يد المسلم متاعاً فإنّه يجوز له أن يشتريه أو يستأجره، بل يشهد أنه ملكه من دون الحاجة للبحث عن دليل يدل على الملكية؛ لكفاية اليد على ذلك.

قال ابن قدامة: فإن كان في يد رجل دار أو عقار يتصرف فيها تصرف الملاك بالسكنى والإعارة والإجارة والعمارة والهدم والبناء من غير

---

(١) المعجم الأوسط ٥/ ٢٨٨.

منازع، فقال أبو عبد الله بن حامد: يجوز أن يشهد له بملكها وهو قول أبي حنيفة والاصطخري من أصحاب الشافعي، قال القاضي: ويحتمل أن لا يشهدإلّا بما شاهده من الملك واليد والتصرف لأنّ اليد ليس منحصرة في الملك قد تكون بإجارة وإعارة وغصب وهذا قول بعض أصحاب الشافعي، ووجه الأوّل أنّ اليد دليل الملك واستمرارها من غير منازع يقويها فجرت مجرى الاستفاضة، فجاز أن يشهد بها كما لو شاهد سبب اليد من بيع أو إرث أو هبة واحتمال كونها عن غصب أو جارة يعارضه استمرار اليد من غير منازع فلا يبقى مانعا كما لو شاهد سبب اليد فإن احتمال كون البائع غير مالك الوارث والواهب لا يمنع الشهادة كذا ههنا[(١)].

وقد أجاب أمير المؤمنين عليه السلام على دعوى أبي بكر بهذا الجواب عندما طلب الشهود:...لماّ كان بعد هذا جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار، فقال: يا أبا بكر، لم منعت فاطمة ميراثها من رسول الله؟ وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال أبو بكر: هذا فيء المسلمين، فإن أقامت شهودا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جعله لها، وإلّا فلا حقّ لها فيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟ قال: لا، قال: فإن كان في يد المسلمين شي يملكونه ادعيت أنا فيه من تسأل البينة؟ قال: إيّاك كنت أسأل البينة على ما تدّعيه على المسلمين، قال: فإذا كان في يدي شيء وادّعى فيه المسلمون فتسألني البينة على ما في يدي وقد ملكته في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده؟ ولم تسأل

---

(١) المغني ١٢/ ٢٥.

المسلمين البينة على ما ادّعوا عليّ شهودا كما سألتني على ما ادعيت عليهم! فسكت أبو بكر ثم قال عمر: يا علي دعنا من كلامك فإنّا لا نقوى على حججك، فإن أتيت بشهود عدول وإلّا فهو فيء المسلمين لا حقّ لك ولا لفاطمة فيه[١].

ثانياً: أنّه في مثل هذه الدعاوى يُكتفى بالشاهد واليمين؛ لعدم وجود معارض لها، فالحاكم الشرعي في حال عدم اكتمال البيِّنة الشرعية يرجع لصاحب الدعوى، ويطلب منه اليمين، قال النووي: قوله (عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قضى بيمين وشاهد)، فيه جواز القضاء بشاهد ويمين واختلف العلماء في ذلك فقال أبو حنيفة والكوفيون والشعبي والحكم والأوزاعي والليث والأندلسيون من أصحاب مالك لا يحكم بشاهد ويمين في شيء من الأحكام، وقال جمهور علماء الإسلام من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار يقضي بشاهد ويمين المدعى في الأموال وما يقصد به الأموال وبه قال أبو بكر الصديق وعلي وعمر بن عبد العزيز ومالك والشافعي وأحمد وفقهاء المدينة وسائر علماء الحجاز ومعظم علماء الأمصار رضي الله عنهم وحجّتهم أنّه جاءت أحاديث كثيرة في هذه المسألة من رواية علي وابن عباس وزيد بن ثابت وجابر وأبي هريرة وسعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم، قال الحفاظ: أصحّ أحاديث الباب حديث ابن عباس، قال ابن عبد البر: لا مطعن لأحد في اسناده، قال: ولا خلاف بين أهل المعرفة في صحّته، قال: وحديث أبي هريرة وجابر وغيرهما حسان

(١) تفسير القمي ٢/ ١٥٦.

والله أعلم بالصواب[١].

والعجيب أنّ النووي قد نصّ أنّ هذا الرأي قد روي عن أبي بكر، في حين أنّه أبا بكر لم يطبّقه في المورد وأصرّ على الشاهدين، ممّا يؤكّد أنّه ليس بصدد الحكم بما يرضي الله، بل بما تقتضيه مصلحة الدولة القائمة في ذلك الوقت.

ثالثاً: من يقرأ سيرة أبي بكر يجد أنّه اكتفى في كثير من الأمور المالية بشاهد واحد، بل بالدعوى المجرّدة عن أي بيّنة، وإليك بعضاً من هذه الحوادث:

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لمّا مات النبي صلى الله عليه وسلم جاء أبا بكر مال من قبل العلاء بن الحضرمي، فقال أبو بكر: من كان له على النبي صلى الله عليه وسلم دين أو كانت له قبله عدة فليأتنا. قال جابر: فقلت: وعدني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيني هكذا وهكذا وهكذا. فبسط يديه ثلاث مرات، قال جابر: فعدّ في يدي خمسمائة، ثم خمسمائة، ثم خمسمائة[٢].

فهل يصدَّق جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه لمجرّد دعواه، ولا تصدَّق فاطمة عليها السلام بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله رغم شهادة أمير المؤمنين عليه السلام لها؟

وروى ابن سعد في طبقاته بسنده: عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت منادي أبي بكر ينادي بالمدينة حين قدم عليه مال البحرين: من

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٢/ ٤.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٦٣.

كانت له عدة عند رسول الله ﷺ فليأت. فيأتيه رجال فيعطيهم! فجاء أبو بشير المازني، فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: يا أبا بشير إذا جاءنا شيء فأتنا. فأعطاه أبو بكر حفنتين أو ثلاثاً، فوجدها ألفاً وأربعمائة درهم[1].

فلماذا يُصدّق كلّ المسلمين ولا تطلب منهم البيّنة بل ولا اليمين في حين يُطلب ذلك من أهل بيت النبوّة عليهم السلام ولا يُصدّقون في دعواهم؟!

وقد احتجّت عليهم الزهراء عليها السلام بهذا الأمر كما نقل ذلك العلامة المجلسي قدس سره: فقال عمر: هاتي بيّنة يا بنت محمد على ما تدعين؟! فقالت فاطمة عليها السلام: قد صدّقتم جابر بن عبد الله وجرير بن عبد الله ولم تسألوهما البيّنة! وبيّنتي في كتاب الله ، فقال عمر: إنّ جابرا وجريرا ذكرا أمرا هيّنا، وأنت تدّعين أمرا عظيما يقع به الردّة من المهاجرين والأنصار! فقالت عليها السلام: إنّ المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه، والأنصار بالإيمان بالله ورسوله وبذي القربى أحسنوا، فلا هجرة إلّا إلينا، ولا نصرة إلّا لنا، ولا اتّباع بإحسان إلّا بنا، ومن ارتدّ عنّا فإلى الجاهليّة[2].

رابعاً: أنّ ما ذكرته الزهراء عليها السلام قد أيّده الإمام علي عليه السلام وأم أيمن رضي الله عنها التي أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّها من أهل الجنة، وفي بعض الأخبار شارك في الشهادة الحسن والحسين عليهما السلام وغيرهم، وفي المقابل لا توجد دعوى معارضة لهذه، أي لا يوجد من نفى أنّ فدك نحلة، أو شهد على خلاف ذلك.

أمّا شهادة علي عليه السلام وأمّ أيمن فقد روى القضية ابن شبّة النميري،

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٣١٩.

(٢) بحار الأنوار ٢٩/ ١٩٧.

قال: حدّثنا محمد بن عبد الله بن الزبير، قال: حدثنا فضيل ابن مرزوق، قال: حدّثني النميري بن حسان قال: قلت لزيد بن علي رحمة الله عليه – وأنا أريد أن أهجّن أمر أبي بكر–: إنّ أبا بكر انتزع من فاطمة رضي الله عنها فدك، فقال: إنّ أبا بكر كان رجلاً رحيماً، وكان يكره أن يغيّر شيئاً تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتته فاطمة رضي الله عنها، فقالت: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني فدك، فقال لها: هل لك على هذا بيِّنة؟ فجاءت بعلي رضي الله عنه، فشهد لها، ثم جاءت بأم أيمن، فقالت: أليس تشهد أنّي من أهل الجنة؟ قال: بلى، قال أبو أحمد: يعني أنّها قالت ذاك لأبي بكر وعمر، قالت: فأشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها فدك[١].

وقد شهد لها أيضا رباح مولى رسول الله صلى الله عليه وآله كما روى ذلك البلاذري في خبر مسند، قال: وحدثني روح الكرابيسي قال: حدثنا زيد بن الحباب قال: أخبرنا خالد ابن طهمان، عن رجل حسبه روح جعفر بن محمد أن فاطمة عليها السلام قالت لأبي بكر الصديق: أعطني فدك ، فقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وآله لي، فسألها البينة، فجاءت بأمّ أيمن ورباح مولى النبي صلى الله عليه وآله فشهدايلها بذلك، فقال: إنّ هذا الأمر لا تجوز فيه إلّا شهادة رجل وامرأتين[٢].

بل نقل أيضا شهادة أسماء بنت عميس والحسنان عليهما السلام كما روى ذلك المجلسي مفصّلا:...فبعثت إلى علي والحسن والحسين وأم أيمن وأسماء بنت عميس – وكانت تحت أبي بكر بن أبي قحافة – فأقبلوا إلى أبي بكر وشهدوا لها بجميع ما قالت وادعته، فقال: أمّا علي فزوجها، وأمّا الحسن

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ١/ ١٢٤، وقد حسّن المحقّق الرواية في الحاشية.

(٢) فتوح البلدان ١/ ٣٥.

والحسين ابناها، وأمّا أم أيمن فمولاتها، وأمّا أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة، وكلّ هؤلاء يجرون إلى أنفسهم؛ فقال علي عليه السلام: أمّا فاطمة فبضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن آذاها فقد آذى رسول الله، ومن كذّبها فقد كذّب رسول الله، وأمّا الحسن والحسين فابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسيدا شباب أهل الجنة، من كذّبهما فقد كذّب رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان أهل الجنة صادقين، وأمّا أنا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت منّي وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والرادّ عليك هو الراد علي، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني ، وأمّا أم أيمن فقد شهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريّتها، قال عمر: أنتم كما وصفتم أنفسكم، ولكن شهادة الجار إلى نفسه لا تقبل[1].

فبمقتضى أحكام القضاء الإسلامية لا بدّ من قبول دعوى الزهراء عليها السلام، والحكم بملكيتها فدك؛ لأنّ مثل هؤلاء الشهود يحصل بقولهم العلم والقطع، ولا يُحتاج أساساً مع هذا القطع للبيِّنة الشرعيّة التي هي مجرّد أمارة مفيدة للظن فقط.

الإشكال السادس: فدك ميراث أو نحلة؟

مفاد هذا الإشكال أنّ الزهراء عليها السلام قد تردّدت في مطالبتها بفدك من أبي بكر، فتارة طالبت بها على أنّها نِحْلة، وتارة طالبت بها على أنّها ميراث، وهذا يجعلنا نشكّ في أصل وقوع الحادثة.

قال الشهرستاني: الخلاف السادس: في أمر فدك والتوارث عن النبي

---

(١) بحار الأنوار ٢٩/ ١٩٨.

عليه الصلاة والسلام، ودعوى فاطمة عليها السلام وراثة تارة وتمليكاً أخرى، حتى دُفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي عليه الصلاة والسلام: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»(١).

والجواب:

أولاً: قد أثبتنا بما لا يترك مجالاً للشك أنّ الزهراء عليها السلام طالبت بفدك على أنّها نحلة بعدّة أدلّة، فلا مجال للتردّد في ذلك.

ثانياً: لا توجد أي رواية في كتب أهل السنة والجماعة تثبت أنّ فاطمة عليها السلام طالبت بفدك على أنّها ميراث، فلا ندري من أين جاءت هذه الدعوى التي بُني عليها هذا الإشكال؟

ثالثاً: يظهر من بعض روايات الخاصّة أنّ المطالبة بفدك كانت على مرحلتين، الأولى: هي التي ذكرت فيها فاطمة عليها السلام أنّ فدكاً كانت نحلة من النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، وفيها طالب الخليفة الأول بالشهود، وطعن فيهم، والثانية: تنزّلت الزهراء عليها السلام بعد أن رُدَّت دعواها الأولى، فطالبت بها على أنّها ميراث؛ لإقامة الحجة على الخليفة الأول، فدفع دعواها بحديث: «نحن معاشر الأنبياء» الذي سنناقشه لاحقاً.

ولهذا قال أبو الفتح الكراجكي(٢): ومن العجب أن تأتي فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر تطالبه بفدك، وتذكر أنّ أباها نحلها إياها، فيكذّب قولها،

---

(١) الملل والنحل ١/ ٢٥.

(٢) الشيخ العلامة أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي توفي سنة ٤٤٩هـ فقيه من كبار فقهاء الشيعة، متكلّم، نحوي، متضلّع في الطبّ، شهد له بالفضل الأعداء قبل الأولياء.

ويقول لها: «هذه دعوى لا بيّنة لها»، هذا مع إجماع الأمة على طهارتها وعدالتها، فتقول له: «**إن لم يثبت عندك أنها نحلة فأنا أستحقّها ميراثاً**»، فيدّعي أنّه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، وما تركناه صدقة»[١].

الإشكال السابع: مقام فاطمة عليها السلام

حاول البعض دغدغة عواطف الشيعة بطرحه إشكالاً على القضية، ظاهره الدفاع عن فاطمة الزهراء عليها السلام، مفاده: كيف يعقل أن تغضب فاطمة عليها السلام وتهجر أبا بكر لأجل حطام الدنيا (قطعة أرض فقط)؟ إنّ هذا الفعل مخالف لما عُرف من زهد الزهراء عليها السلام وتقواها وورعها.

والجواب:

أولاً: أنّ الزهراء عليها السلام ترى أنّها صاحبة حقّ، وأنّ الخليفة الأول قد غصبها شيئاً هو ملك لها، وسيرة العقلاء قائمة على معاتبة الظالم لظلمه وسلبه لحقوق غيره، ولم نعرف عاقلاً عاتب مظلوماً لمطالبته بحقّه.

فصاحب الإشكال أراد أن يرميَ بالكرة في ملعب الشيعة، فوقع في هذا المحذور، وإلّا فمن يسكت عن المطالبة بحقّه، ويفسح المجال للظالم؛ ليتمادى في ظلمه وغيّه، هو الذي يُذمّ عند الناس.

ربما نقول بنحو آخر: أنّ المطالبة بالحق لا يتنافى مع الزهد والتقوى والورع، وإنما يتنافى مع الزهد والورع والتقوى المطالبةُ بما لا حقّ له فيه، والسيدة الزهراء عليها السلام طالبت بحقّها، وكل عاقل له هذا الحقّ، ومن طالب

---

(١) التعجب ١٢٨.

بحقّه لا يعاب به، ولا يلام عليه، بل ربما يلام إذا ترك حقّه ولم يطالب به، فإن هذا من التفريط في حقّ النفس الذي يتنافى مع التقوى والورع.

ثانياً: أنّ فدكا ليست حقّا للزهراء عليها السلام لوحدها، بل هو حقّ أيضا لأبنائها، والإنسان له أن يتنازل عن حقوقه الشخصية إذا كان زاهدا في الدنيا، أمّا حقوق غيره فلا يسوغ له ذلك، بل مقتضى التديّن هو الدفاع عن حقوق الغير والسعي لإرجاعها بأي صورة.

وقد ذكر المجلسي هذا الجواب في بحاره، قال: أنّ ذلك لم يكن حقا مخصوصا لها، بل كان أولادها البررة الكرام مشاركين لها فيه، فلم يكن يجوز لها المداهنة والمساهلة والمحاباة وعدم المبالاة في ذلك، ليصير سببا لتضييع حقوق جماعة من الأئمة الأعلام والأشراف الكرام، نعم لو كان مختصّا بها كان لها تركه والزهد فيه وعدم التأثّر من فوته[1].

ثالثاً: أنّ الهجر والغضب على أبي بكر وعمر ليس على حطام الدنيا، وإنّما هو على الحكم بغير ما أنزل الله تعالى، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ويحقّ لكلّ مؤمن أن يهجر من لم يحكم بما أنزل الله تعالى.

رابعاً: أنّ قضية فدك كما بيّنّا ليست مجرّد أرض اغتصبها القوم، بل لها عدّة أبعاد سياسية خطيرة في نظر أصحاب السقيفة، حتى قال قائلهم: لمّا

---

(١) بحار الأنوار ٢٩/ ٣٢٥.

قُبض رسول الله ﷺ جئت أنا وأبو بكر إلى علي، فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله ﷺ؟ قال: نحن أحقّ الناس برسول الله وبما ترك، قال: فقلت والذي بخيبر؟ قال: والذي بخيبر، قلت: والذي بفدك؟ فقال: والذي بفدك، قلت: أما والله **حتى تحزّوا رقابنا بالمناشير**(١).

وقد نقل العلامة المجلسي قدّس سرّه رواية تبيّن أنّ القوم أرادوا من منعها فدكا وغيرها ضرب حصار إقتصادي على أهل بيت النبوة عليهم السلام: عن المفضل بن عمر قال: قال مولاي جعفر الصادق عليه السلام: لما ولي أبو بكر بن أبي قحافة، قال له عمر: إنّ الناس عبيد هذه الدنيا لا يريدون غيرها، فامنع عن علي وأهل بيته الخمس، والفيء، وفدكا، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا عليا وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا وإيثارا ومحاباة عليها، ففعل أبو بكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك(٢).

كما نجد هذا المعنى حاضرا عند بعض متقدّمي الأصحاب، فقد نقل ابن أبي الحديد في شرحه: وقلت لمتكلم من متكلمي الإمامية يعرف بعلي بن تقى من بلدة النيل: وهل كانت فدك إلّا نخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير! فقال لي: ليس الأمر كذلك بل كانت جليلة جدّا، وكان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، وما قصد أبو بكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلّا ألّا يتقوى علي بحاصلها وغلّتها على المنازعة في الخلافة ولهذا أتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطّلب حقّهم في الخمس، فإنّ الفقير الذي لا مال له تضعف همّته ويتصاغر عند نفسه

---

(١) المعجم الأوسط ٥/ ٢٨٨.

(٢) بحار الأنوار ٢٩/ ١٩٤.

ويكون مشغولا بالإحتراف والإكتساب عن طلب الملك والرياسة، فانظر إلى ما قد وقر في صدور هؤلاء وهو داء لا دواء له وما أكثر ما تزول الأخلاق والشيم فأمّا العقائد الراسخة فلا سبيل إلى زوالها[١].

ومن هنا يتبيّن أن الزهراء عليها السلام تعاملت مع قضية فدك من هذا المنطلق، وبنفس النظرة التي تعامل بها القوم؛ وذلك لأنّ غصب فدك كان مقدّمة للتلاعب بالدين وتحريف شريعة سيّد المرسلين.

بل حقيقة مطالبة الزهراء عليها السلام بفدك هي مطالبة بالإمامة الشرعية التي جعلها الله لأمير المؤمنين عليه السلام، والذي يدلّ على هذا حديث الإمام الكاظم عليه السلام مع المهدي العباسي أو الرشيد:

فقد روى ثقة الإسلام الكليني رضي الله عنه بسنده: عن علي بن أسباط قال: لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي رآه يرد المظالم، فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لا تُرَدّ؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيّه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها، لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله من هم، فراجع في ذلك جبرئيل، وراجع جبرئيل عليه السلام ربّه، فأوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام، فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال لها: يا فاطمة إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك. فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها، فأتته فسألته أن يردّها عليها، فقال لها: ائتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك. فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأم

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٣٧.

أيمن، فشهدا لها، فكتب لها بترك التعرّض، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمد؟ قالت كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرينيه. فأبت، فانتزعه من يدها، ونظر فيه، ثم تفل فيه ومحاه وخرقه، فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب؟ فضعي الحبال في رقابنا. فقال له المهدي: يا أبا الحسن حدّها لي، **فقال: حدّ منها جبل أحد، وحدّ منها عريش مصر، وحدّ منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل.** فقال له: كلّ هذا؟! قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كله، إنّ هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله ﷺ بخيل ولا ركاب، فقال: كثير، وأنظر فيه[١].

ونقل ابن شهرآشوب في المناقب: أنّ هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: خُذَّ فدكاً حتى أردّها إليك، فيأبى حتى ألَحَّ عليه، فقال عليه السلام: لا آخذها إلّا بحدودها، قال: وما حدودها؟ قال: إن حدّدتها لم تردّها؟ قال: بحقّ جدِّك إلّا فعلت، **قال: أمّا الحدّ الأول فعدن، فتغيّر وجه الرشيد، وقال: أيها، قال: والحد الثاني سمرقند، فأربدّ وجهه، والحدّ الثالث إفريقية، فاسودّ وجهه، وقال: هيه، قال: والرابع سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينية،** قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحوّل إلى مجلسي، قال موسى: قد أعلمتك أنّني إن حدّدتها لم تردها. فعند ذلك عزم على قتله[٢].

فهذه الروايات بيّنت حقيقة فدك التي طالبت بها فاطمة الزهراء عليها السلام، وهي الإمامة العامّة لبعلها أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الكافي ١/ ٥٣٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣/ ٤٣٥.

٤- زبدة المقال في قضية فدك:

بعد كلّ ما تقدّم من بيان في موضوع فدك نستخلص عدّة أمور مهمّة، نخرج من خلالها بالحكم النهائي:

أولاً: أرض فدك هي أرض فُتحت بلا إيجاف خيل ولا ركاب، وهي خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وليست لعامّة المسلمين.

ثانياً: نزلت في حقّ فدك آية قرآنية، فنحلها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام في حياته امتثالاً للأمر الإلهي.

ثالثاً: قبضت الزهراء عليها السلام هذه الأرض في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتصرّفت فيها تصرّف المالك في ملكه.

رابعاً: طالبت الزهراء عليها السلام بفدك كملك لها، وليست كميراث من جملة تركة رسول الله صلى الله عليه وآله.

خامساً: شهد للزهراء عليها السلام بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نحلها أرض فدك أمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن، وفي رواية: رباح مولى رسول الله صلى الله عليه وآله.

من هنا يُعلم أنّ فدك أرض مملوكة لأهل البيت عليهم السلام، غصبتها السلطات القائمة في ذلك الوقت؛ ليتمّ لهم الأمر كما سنوضّح هذا لاحقاً، وما أحسن ما ذكره الكراجكي في كتاب التعجّب، حيث قال: فمن عجيب الأمور وطريفها : أن تخرج فاطمة الزهراء البتول سيّدة نساء العالمين، ابنة خاتم النبيِّين، تندب أباها، وتستغيث بأمّته، ومن هداهم إلى شريعته، في منع أبي بكر من ظلمها، فلا يساعدها أحد، ولا يتكلّم معها بشر، مع قرب العهد برسول الله صلى الله عليه وآله، ومع ما يدخل القلوب من الرقة في مثل هذا الفعل إذا ورد من مثلها حتى تحمل الناس أنفسهم على الظلم فضلاً عن غيره، ثم

تخرج عائشة بنت أبي بكر إلى البصرة تحرّض الناس على قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقتال من معه من خيار الناس، ساعية في سفك دمه ودماء أولاده، وأهله وشيعته، فتجيبها عشرة آلاف من الناس، ويقاتلون أمامها، إلى أن هلك أكثرهم بين يديها، إنّ هذا لمن الأمر العجيب[١].

---

(١) التعجب: ١٢٨.

حديث: «نحن معاشر الأنبياء»

النقطة الأخيرة في نزاع الزهراء عليها السلام مع الشيخين هي الخلاف حول ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث مُنعت فاطمة عليها السلام من ميراثها بناء على ما رووه من أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: إن الأنبياء عليهم السلام لا يُورَثون.

وقد احتدم النقاش بين المسلمين سنّة وشيعة في هذه النقطة، وأدرجوا تحتها كلّ النقاط التي ذكرناها سابقاً، كالخمس والفيء وفدك وصدقات النبي صلى الله عليه وآله التي بالمدينة.

ولنا عدّة ملاحظات حول الاستدلال بهذا الحديث على منع فاطمة عليها السلام من الميراث:

١ - انفراد الحزب الحاكم برواية هذا الخبر:

من تتبّع رواة طرق هذا الخبر وأسانيده يجد أنهم ينحصرون في مجموعة من الرواة الذين علم انتماؤهم إلى الحزب الحاكم الذي استحوذ على السلطة في تلك الفترة:

فقد رواه أبو بكر كما اشتهر ذلك عنه، وهي رواية البخاري في صحيحه بسنده: عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أم المؤمنين أخبرته أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر:

إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث ما تركنا صدقة[(١)].

ورواه أيضاً عمر بن الخطاب كما في صحيح البخاري، قال: قال عمر: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا نورث، ما تركنا صدقة يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، قال الرهط: قد قال ذلك[(٢)].

وروته عائشة بنت أبي بكر، كما في صحيح البخاري: عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا نورث، ما تركنا صدقة[(٣)].

كما رواه أبو هريرة، كما في صحيح البخاري: عن الأعرج عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركتُ بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة[(٤)].

الملاحظ أنّ كلّ هؤلاء الرواة هم من فئة واحدة، فأبو بكر الرّاوي الأصلي للحديث هو الخصم وهو الحكم، وابنته عائشة هي راوية الحديث عن أبيها، وهي من نقلت الحادثة كاملة كما تقدّم، وأمّا عمر فهو شريك لأبي بكر في كلّ ما حصل، بل هو الذي قدّمه للبيعة، وأمّا أبو هريرة فهو تابع لهؤلاء.

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٤٢.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٤٣.

(٣) صحيح البخاري ٨/ ٥.

(٤) صحيح البخاري ٨/ ١٩٧.

ولا يبعد أن تكون عائشة وعمر وأبو هريرة قد تلقّوا الحديث من أبي بكر، ونسبوه للنبي ﷺ مباشرة؛ إمّا لثقتهم في أبي بكر، أو لأمر آخر.

ومن هنا ذكر ابن أبي الحديد بعد أن ساق هذه الروايات التي ظاهرها رواية حديث ميراث الأنبياء من غير أبي بكر، قال: وهذا أيضاً مشكل؛ لأنّ أكثر الروايات أنّه لم يرو هذا الخبر إلّا أبو بكر وحده، ذكر ذلك أعظم المحدّثين، حتى أنّ الفقهاء في أصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد؛ وقال شيخنا أبو علي: «لا تُقبل في الرواية إلا رواية اثنين كالشهادة»، فخالفه المتكلّمون والفقهاء كلهم، واحتجّوا عليه بقبول الصحابة رواية أبي بكر وحده: «نحن معاشر الأنبياء لا نُوْرَث»، حتى إنّ بعض أصحاب أبي علي تكلّف لذلك جواباً، فقال: قد روي أن أبا بكر يوم حاجّ فاطمة عليها السلام قال: أنشد الله امرأ سمع من رسول الله ﷺ في هذا شيئاً! فروى مالك بن أوس بن الحدثان، أنه سمعه من رسول الله ﷺ ، وهذا الحديث ينطق بأنّه استشهد عمر وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعداً، فقالوا: سمعناه من رسول الله ﷺ.. فأين كانت هذه الروايات أيّام أبي بكر! ما نُقل أنّ أحداً من هؤلاء يوم خصومة فاطمة عليها السلام وأبي بكر روى من هذا شيئاً[(١)].

وكلامه متين جدّا، حيث أنّ جملة من علماء الأصول قد نصّوا على انفراد أبي بكر برواية هذا الخبر نذكر منهم:

قال الآمدي في مقام الاستدلال على حجية الخبر الواحد: ومن ذلك عمل جميع الصحابة بما رواه أبو بكر الصديق من قوله: الأئمّة من قريش،

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٢٨.

ومن قوله الأنبياء يدفنون حيث يموتون، ومن قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة[١].

وذكر ذلك الرازي عند بيانه جواز تخصيص الكتاب بالخبر الواحد، قال: وأمّا جمهور الأصحاب فقالوا أجمعت الصحابة على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وبيّنوه بخمس صور إحداها أنّهم خصّصوا قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم بما رواه الصديق أنّه عليه الصلاة والسلام قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث[٢].

كما ذكر ذلك الغزالي في نفس المورد:... والمختار أنّه يخصّص لعلمنا أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقبلون حديثا نصّا ينقله إليهم الصدّيق في تخصيص عموم القرآن، كيف وكانوا يقبلون نقل التفسير من الآحاد وهو أعظم من التخصيص، ولمّا أن همّوا بقسمة تركة رسول صلى الله عليه وآله نقل أبو بكر عنه أنّه قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، فتركوه وإن كان آية الوراثة تشمله بعمومها[٣].

بل نجد أنّ عائشة قد كفتنا مؤونة هذه النقول صرّحت بهذه الحقيقة، وهي أنّ أبا بكر قد انفرد برواية الحديث دون غيره من الصحابة، قالت: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم اشرأب النفاق، وارتدّت العرب، وانحازت الأبصار، فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهامها، فما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بعنانها وفضلها، فقالوا: أين يُدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فما وجدنا عند أحد من

---

(١) الأحكام ٢/ ٦٦.

(٢) المحصول ٣/ ٨٦.

(٣) المنخول ٢٥٣.

ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يُقبض إلّا دُفن تحت مضجعه الذي مات فيه»، قال: واختلفوا في ميراثه، **فما وجدوا عند أحد من ذلك علماً**، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّا معشر الأنبياء لا نُوْرَث، ما تركنا صدقة(١).

والسؤال: لماذا لم يَرْوِ هذا الحديث أحد من بقيّة الصحابة الذين عُرفوا بقربهم من أهل البيت عليهم السلام، أو من عامّة الصحابة الذين لا علاقة لهم بالأشخاص الذين ذكرناهم سابقاً؟

٢- عدم علم ورثة النبي صلى الله عليه وآله بالحديث:

الأمر الغريب والجدير بالوقوف عنده طويلاً هو عدم علم كلّ ورثة النبي صلى الله عليه وآله بهذا الحديث، والحال أنّه هم المقصودون بهذا الحكم، وهم الذين ابتُلوا به بعد النبي المصطفى صلى الله عليه وآله!

فالزهراء صلى الله عليها طالبت بميراثها من أبيها كما دلّت الأحاديث التي لا مجال للتشكيك فيها:

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده: عن عروة بن الزبير أنّ عائشة أم المؤمنين أخبرته أنّ فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إنّ رسول الله ﷺ قال: لا نُوْرَث، ما تركنا صدقة(٢).

---

(١) تاريخ دمشق ٣٠/ ٣١١.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٤٢.

وأزواج النبي صلى الله عليه وآله أيضاً طالبن بميراثهنّ من أبي بكر ممّا يثبت عدم علمهم بهذا الحكم:

فقد روى البخاري في صحيحه بسنده: عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنّ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أردن أن يبعثن عثمان إلى أبي بكر يسألنه ميراثهن، فقالت عائشة: أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا نورث، ما تركنا صدقة[1].

واستظهر ابن كثير من هذا الحديث أن نساء النبي صلى الله عليه وآله كنَّ قد سمعن حديث: «نحن معاشر الأنبياء» من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: فهذه إحدى النساء الوارثات - إن لو قُدِّر ميراث - قد اعترفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ما تركه صدقة لا ميراثاً، والظاهر أن بقية أمهات المؤمنين وافقنها على ما روت، وتذكرن ما قالت لهن من ذلك، فإن عبارتها تؤذن بأن هذا أمر مقرّر عندهن[2].

إلّا أنّه في نفس الصفحة تراجع عن هذا، وأثبت عدم علمهن بذلك الحكم، قال: وأما تغضب فاطمة رضي الله عنها وأرضاها على أبي بكر وأرضاه فما أدري ما وجهه، فإن كان لمنعه إياها ما سألته من الميراث فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله، وهو ما رواه عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، وهي ممّن تنقاد لنصّ الشارع الذي خفي عليها قبل سؤالها الميراث، **كما خفي على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخبرتهن**

(١) صحيح البخاري ٨/ ٥.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ٣٠٦.

عائشة بذلك، ووافقنها عليه[١].

ثمّ إنّ العبّاس بن عبد المطلب ﵁ عمّ النبي ﷺ هو أيضاً ممّن طالب بميراثه من أبي بكر، وهو بحسب الفقه السنّي من العَصَبَة التي ترث؛ لأنّ النبي ﷺ مات ولم يكن له ولد.

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب، قال: فلما توفي رسول الله ﷺ، قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ، فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ: ما نُوْرَث، ما تركنا صدقة[٢].

أضف إلى هذا أنّ عليًّا ﵇ الذي لازم الرسول الأعظم ﷺ منذ كان طفلاً صغيراً إلى حين وفاته ﷺ لم يكن يعلم بهذا الحديث كم دلّت الرواية السّابقة، حيث قال فيها عمر: «ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها».

فكيف يجهل هؤلاء الأقربون هذا الحكم الشرعي المهم الذي يخصّهم دون غيرهم، ويعلمه مثل أبي هريرة الذي لم يقم بالمدينة إلا ثلاث سنوات؟

علماً أنّهم نصّوا على توريث الأنبياء للعلم كما في رواية سنن الترمذي، قال: إنّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم[٣]، ولا ندري لماذا لم يرث أهل البيت ﵈ بحسب هذا الحديث جزءاً من

---

(١) البداية والنهاية ٥/ ٣٠٧.

(٢) صحيح البخاري ٥/ ١٥٢.

(٣) سنن الترمذي ٤/ ١٥٣.

العلم الذي هم محتاجون إليه؛ ليعلموا بأنّ النبي صلى الله عليه وآله لا يُوْرَث؟!

٣- عدم تصديق الورثة لهذا الحديث:

الملاحظ أيضاً أنّ هؤلاء الورثة الذين ذكرناهم فيما تقدّم لم يصدّقوا مضمون هذا الحديث، بل نجد أنّها صدرت منهم أمور تدلّ على تكذيبهم لهذا الحديث، وعدم تصديقهم لمضمونه!

فالزهراء عليها السلام لم تصدّق ما رواه أبو بكر، ولذلك غضبت، وهجرت أبا بكر، وماتت غاضبة ساخطة عليه كما دلّ على ذلك حديث عائشة الذي ذكرناه مراراً وتكراراً في طيّات هذا الكتاب.

ولهذا نجد أنّ شرّاح الحديث قد حاولوا حلّ هذه المعضلة بشتّى الطرق، لكنهم عجزوا عن ذلك، وقد اعترف ابن كثير بذلك في كلمته التي نقلنا بعضاً منها قبل قليل حيث قال: وأمّا تغضب فاطمة رضي الله عنها وأرضاها على أبي بكر **فما أدري ما وجهه**، فإن كان لمنعه إياها ما سألته من الميراث فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله، وهو ما رواه عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، وهي ممّن تنقاد لنصّ الشارع الذي خفي عليها قبل سؤالها الميراث، كما خفي على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أخبرتهن عائشة بذلك، ووافقنها عليه، وليس يُظنّ بفاطمة رضي الله عنها أنها اتّهمت الصديق فيما أخبرها به، حاشاها وحاشاه من ذلك[1].

قلت: من الواضح جدًّا أن فاطمة عليها السلام كما قلنا كانت قاطعة بأن هذا الحديث مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وآله، خصوصاً مع علمها بأنه معارِض

(١) البداية والنهاية ٥/ ٣٠٧.

للكتاب والسُّنّة القطعية المتلقّاة عن رسول الله ﷺ، وهذا كافٍ في ردّ هذا الحديث وعدم قبوله، كما أنه سبب كافٍ لغضبها من أبي بكر، وهجرانها له حتى وفاتها سلام الله عليها.

وقد وصل ببعضهم الأمر إلى الطعن الصريح والمباشر في سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام؛ لتبرير فعلة أبي بكر التي تقدّم ذكرها.

فقد قال الشيخ محمد صالح العثيمين(١) في تعليقته على حديث هجران الزهراء عليها السلام للخليفة الأول: اللهم اعفُ عنها [أي الزهراء عليها السلام]، وإلّا فإنّ أبا بكر ما استند إلى رأي، وإنّما استند إلى نصّ، وكان عليها أن تقبل قول النبي عليه الصلاة والسلام: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، ولكن عند المخاصمة **لا يبقى للإنسان عقل يدرك به ما يقول أو ما يفعل أو ما يتصرّف به!!** فنسأل الله أن يعفو عنها عن هجرتها خليفة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم(٢).

قلت: إن السبب في عدم قبول النصّ الذي احتجّ به أبو بكر هو أن أبا بكر استند إلى نصّ مكذوب على رسول الله ﷺ؛ لأنه مخالف لآيتين في كتاب الله، تنصان بوضوح على أن الأنبياء يُورَثون، والسيدة فاطمة عليها السلام بينت ذلك لأبي بكر، ولكنه أصرّ على التمسّك بهذا الحديث الذي إن صدر عن رسول الله ﷺ فربما يكون أبو بكر قد نقله بمعنى فهمه من كلام النبي

---

(١) محمد بن صالح بن عثيمين التميمي ولد سنة ١٣٤٧هـ وتوفي سنة ١٤٢١هـ من علماء مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المبرّزين في المملكة العربية السعودية له مؤلفات كثيرة تدرّس بعضها في جامعات المملكة.

(٢) التعليق على صحيح مسلم ٩/ ٧٨.

صلى الله عليه وآله، وهو غير مراد، وسيأتي مزيد بيان في ذلك.

ثم إنّ هذا الطعن في السيدة فاطمة عليها السلام يستلزم الطعن في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والعبّاس عم رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً، لأنهما أيضاً رفضا هذا الحديث ولم يقبلا به، كما بيَّنا ذلك فيما سبق، حيث ذكرنا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، الذي ورد فيه قول عمر بن الخطاب: فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نورث، ما تركنا صدقة»، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم إنّه لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر وأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي أبي بكر، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم إنّي لصادق بار راشد تابع للحق[١].

وهذا الحديث من الأحاديث المهمّة التي يجب الوقوف عندها؛ لأنّها تكشف عن هذا الأمر بوضوح:

أولاً: أنّ طلب العبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه لميراثه من عمر بن الخطاب يكشف عن أنّه لم يُصدّق ما رواه أبو بكر سابقاً من أنّ الأنبياء لا يُورَثون، وأنّ ما تركوه صدقة.

ثانياً: أنّ عمر بن الخطاب قد صرّح بما لا يترك مجالاً للشكّ بأنّ العبّاس وعليًّا عليه السلام يعتقدان بأنّ أبا بكر: (كاذب، آثم، غادر، خائن)، وفي رواية صحيح ابن حبّان[٢] أضاف: (ظالم، فاجر)، وهذا دليل واضح على عدم تصديقهم لهذا الحديث الذي نحن بصدد بحثه، بل نصّ صريح في

---

(١) صحيح مسلم ٥/ ١٥٢

(٢) صحيح ابن حبان ١٤/ ٥٧٧.

تكذيبهما لأبي بكر، وتخوينهما له، وحكمهما عليه بأنه آثم.

ثالثاً: أنّ هذا الحديث يدلّ على أنّ الميراث دُفع لعلي بن أبي طالب عليه السلام، روى ابن حبّان في صحيحه في ذيل هذه الرواية: فغلب علي عليها، فكانت في يد علي، ثم بيد حسن بن علي، ثم بيد حسين بن علي، ثم بيد علي بن حسين، ثم بيد حسن بن حسن، ثم بيد زيد بن حسن. قال معمر: ثم كانت بيد عبد الله بن الحسن(١).

فإن كان حكم أبي بكر في فدك صحيحاً فلماذا خالفه عمر، وجعل فدك لعلي عليه السلام بعد أن مُنعت فاطمة عليها السلام منها؟

فإن قيل: في هذا الحديث تصريح من علي عليه السلام والعبّاس رضي الله عنه بصدق الحديث بعد مناشدة عمر بن الخطاب لهما، وإقرارهما بصحّة الحديث أمام الرهط الذين شهدوا الحادثة.

نجيب بأنّنا لا نسلّم بصحّة هذه الفقرة؛ لأنّ الحديث قد حاولت الأيدي غير الأمينة التلاعب به لإخفاء الحقائق.

فقد أرادوا التخلّص من اعتراف عمر بن الخطاب برأي أمير المؤمنين عليه السلام فيه وفي صاحبه بقوله: «كاذب، آثم، غادر، خائن، ظالم، فاجر» بحذف هذه الفقرة في صحيح البخاري، حيث روى الحديث بهذه الصورة: ثم توفَّى الله نبيّه صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: أنا وليُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقبضها أبو بكر يعمل فيها بما عمل به فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنتما حينئذ - وأقبل على علي وعباس - تزعمان أنّ أبا بكر **كذا وكذا**، والله يعلم أنه فيها صادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فقلت: أنا وليُّ رسول الله

---

(١) صحيح ابن حبان ١٤/ ٥٧٧.

صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر، فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر، ثم جئتماني وكلمتكما واحدة...[(١)]

فنجد أنّ البخاري تلاعب بالحديث، وحذف قوله: «كاذب، آثم، غادر، خائن»، واستبدلها بقوله: «كذا وكذا» كما هو دأبه، وقد أيّده بعض شرّاح الحديث مثل المازري الذي نقل عنه العسقلاني: **واستصوب المازري صنيع مَنْ حَذَفَ هذه الألفاظ من هذا الحديث**، وقال: لعلّ بعض الرواة وهم فيها وإن كانت محفوظة[(٢)].

كما أنّ ما ورد في صدر الحديث من أنّ العباس سبّ أمير المؤمنين عليه السلام، وانتقص منه، غير ثابت كما نصّ على ذلك ابن حجر، قال: زاد شعيب ويونس: «فاستبّ علي وعباس»، وفي رواية عقيل عن ابن شهاب في الفرائض: «اقض بيني وبين هذا الظالم، استبا»، وفي رواية جويرية: «وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن»، ولم أر في شيء من الطرق أنّه صدر من علي في حق العباس شيء بخلاف ما يفهم قوله في رواية عقيل: «استبا»[(٣)].

فكلّ هذه الأمور تؤكّد أنّ القوم حاولوا التّلاعب بهذه الرواية؛ ليخفوا الحقائق التي تضمّنتها من تصريح عمر بن الخطاب بحقيقة ما حصل، ولا سيما تكذيب العباس رضي الله عنه وأمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر.

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ١٩١.

(٢) فتح الباري ٦/ ١٤٣.

(٣) فتح الباري ٦/ ١٤٣.

٤- تناقض رواة هذا الحديث:

من الأمور التي ترد على هذا الحديث أيضاً، أنّ أبا بكر قد صرّح في مورد آخر بأنّ النبي ﷺ يورث، وهذا خلاف ما ادّعاه عند نزاعه مع الزهراء عليها السلام بأنّه لا يورث.

فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده: عن أبي الطفيل، قال: لمّا قُبض رسول الله ﷺ أرسلت فاطمة إلى أبي بكر: أنت ورثت رسول الله ﷺ أم أهله؟ قال: فقال: **لا بل أهله**، قالت: فأين سهم رسول الله ﷺ؟ قال: فقال أبو بكر: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله عزّ وجل إذا أطعم نبيًّا طعمة ثم قبضه جعله للذي يقوم من بعده، فرأيت أن أردّه على المسلمين[1].

والحديث يتضمّن اعترافاً صريحاً من أبي بكر في أنّ النبي ﷺ يورث كما يورث عامّة الناس، وهذا سبّب ربكة عند علماء أهل السنة والجماعة:

قال ابن حجر العسقلاني تعليقاً على الحديث: لا يعارض ما في الصحيح من صريح الهجران، ولا يدل على الرضا بذلك، **ثم مع ذلك ففيه لفظة منكرة، وهي قول أبي بكر: «بل أهله»**، فإنه معارض للحديث الصحيح أنّ النبي لا يورث[2].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١/ ٤، وقد صحّح هذا الحديث محقّقو الكتاب، مثل أحمد محمد شاكر، قال: إسناده صحيح. وكذلك شعيب الأرنؤوط، قال: إسناده حسن. كما حسّنه الألباني في إرواء الغليل ٥/ ٧٦، وكذا محقق كتاب مسند أبي يعلى الموصلي١٢/ ١١٩، قال: رجاله رجال الصحيح، ومحقق كتاب الأحاديث المختارة للمقدسي ١/ ١٢٩ قال: إسناده صحيح.

(٢) فتح الباري ٦/ ١٣٩.

وقال المنّاوي في فيض القدير: قال ابن حجر رحمه الله: فيه لفظة منكرة، وهي قوله: «بل أهله»، فإنه معارض للحديث الصحيح أنه قال: «لا نورث» انتهى، وقال في تخريج المختصر: رجاله ثقات، أخرج لهم مسلم، **لكنّه شاذّ المتن؛ لأنّ ظاهره إثبات كون النبي صلى الله عليه وسلم يورث،** وهو مخالف للأحاديث الصحيحة المتواترة. انتهى، وفيه محمد بن فضيل، أورده الذهبي في ذيل الضعفاء، وقال: ثقة شيعي. قال ابن سعد: بعضهم لا يُحتجّ به. وقال أبو حاتم: كثير الخطأ. والوليد بن جميع قال ابن حبان: فحش تفرده، فبطل الاحتجاج به[1].

وقال ابن كثير: وهكذا رواه أبو داود: عن عثمان بن أبي شيبة، عن محمد بن فضيل به، ففي لفظ هذا الحديث غرابة ونكارة، ولعله روي بمعنى ما فهمه بعض الرواة، وفيهم من فيه تشيع فليعلم ذلك[2].

فكما يرى القارئ الكريم أنّ شرّاح الحديث قد اعترفوا بأنّ هذا الحديث الصحيح يخالف الحديث الذي اشتهر عن أبي بكر: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة».

ومن هنا قال ابن أبي الحديد المعتزلي: قلت : في هذا الحديث عجب؛ لأنّها قالت له : أنت ورثت رسول الله صلى الله عليه وآله أم أهله ؟ قال: بل أهله، **وهذا تصريح بأنه صلى الله عليه وآله موروث يرثه أهله، وهو خلاف قوله: «لا نورث»**، وأيضاً فإنّه يدلّ على أن أبا بكر استنبط من قول رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّ الله أطعم نبيًّا طعمة» أن يُجرَى رسول الله صلى الله عليه وآله عند وفاته مجرى ذلك النبي صلى الله عليه وآله، أو يكون

---

(١) فيض القدير ٢/ ٢٦٠.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ٣١٠.

قد فهم أنه عنى بذلك النبي المنكَّر لفظاً نفسه، كما فهم من قوله في خطبته: إنّ عبداً خيّره الله بين الدنيا وما عند ربّه، فاختار ما عند ربّه، فقال أبو بكر: بل نفديك بأنفسنا(١).

فهل اعترف أبو بكر بأنّ أهل البيت عليهم السلام يرثون المصطفى، ثمّ تراجع عن ذلك؟!

٥- عملهم بخلاف الحديث:

من يستقرئ سيرة الصحابة يجد أنّهم لم يعملوا بمضمون هذا الحديث، بل نجد أنّهم خالفوه، ولم يُطبَّق إلّا على الزهراء عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام؛ وذلك لأنّ أموراً كثيرة معلوم أنها من جملة تركة النبي صلى الله عليه وآله لم يُتصدّق بها، بل تملّكها عامّة الناس!

منها: بيوت المصطفى صلى الله عليه وآله التي أسكن فيها نساءه التسعة، والتي كانت تسمّى بحجرات النبي صلى الله عليه وآله، فقد تملّكها نساؤه، ولم تصبح صدقة بين المسلمين مثل ما ادُّعي في حقّ ميراث الزهراء عليها السلام.

ومنها: سيف رسول الله صلى الله عليه وآله الذي نصّوا على أنّه بقي عند أهل البيت عليهم السلام، ولم يصبح صدقة أيضاً، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن شهاب أنّ علي بن حسين حدَّثه أنّهم حين قدموا المدينة من عند يزيد بن معاوية مقتل حسين بن علي رحمة الله عليه، لقية المسور بن مخرمة، فقال له: هل لك إلي من حاجة تأمرني بها؟ فقلت له: لا. فقال: فهل أنت مُعطيَّ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإني أخاف أن يغلبك القوم عليه، وأيم الله لئن

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢١٩.

أعطيتنيه لا يخلص إليهم أبداً حتى تبلغ نفسي[١].

ومنها: إزار رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان عند عائشة، فقد روى البخاري في صحيحه: عن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة كساء ملبّداً، وقالت: في هذا نزع روح النبي صلى الله عليه وسلم. وزاد سليمان عن حميد عن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة إزاراً غليظاً مما يُصنع باليمن، وكساء من هذه التي يدعونها الملبّدة[٢].

ومنها: نعال النبي صلى الله عليه وآله التي كانت عند أنس بن مالك، وكان يعرضها على الصحابة، فقد روى البخاري في صحيحه عن عيسى بن طهمان قال: أخرج إلينا أنس نعلين جرداوين لهما قبالان، فحدّثني ثابت البناني بعد عن أنس: أنهما نعلا النبي صلى الله عليه وسلم[٣].

ومنها: خاتم النبي صلى الله عليه وآله الذي تملّكه أبو بكر، وكان يستخدمه في كتبه إلى عمّاله على الولايات، فقد روى البخاري في صحيحه: عن ثمامة عن أنس، أنّ أبا بكر لما استُخلف بعثه إلى البحرين، وكتب له هذا الكتاب وختمه بخاتم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان نقش الخاتم ثلاثة أسطر: «محمد» سطر، و«رسول» سطر، و«الله» سطر[٤].

وخاتم النبي صلى الله عليه وآله هو الخاتم الذي كان يختم به كتبه، وعندما يتّخذ الرجل له خاتماً فإنه يكون من مختصاته التي لا تفارقه إلا بالموت؛ كيلا

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٤٧.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٤٧.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٤٧.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٤٧.

تُكتب الكتب فتُنسب إليه.

ومنها: قدح رسول الله ﷺ، فقد أخرج البخاري بسنده عن أنس بن مالك: أنّ قدح النبي ﷺ انكسر، فاتّخذ مكان الشعب سلسلة من فضة، قال عاصم: رأيت القدح، وشربت فيه[1].

فكلّ هذه الأمور بقيت في أيدي الصّحابة، ولم تصادر منهم كما صودرت أملاك النبي ﷺ من الزهراء عليها السلام.

فلماذا طُبّق هذا الحديث على الزهراء عليها السلام ولم يطبّق على غيرها؟

٦- تشابه متن الحديث:

من الأمور الجديرة بالتأمل في هذا الحديث هو ما أثاره الشيخ المفيد رضي الله عنه حول متن هذا الخبر، وهو إنكاره دلالة الحديث على المنع من وراثة النبي المصطفى ﷺ وراثة ماليّة!

وبيانه أنّ العرب دائماً يسكّنون آخر حرف في كلامهم، فلا يقفون على متحرك، وكلمة: «صدقة» في الحديث المزبور وردت في آخر الكلام، فلو سلّمنا أنّ النبي ﷺ قال هذا الحديث فلن يحرّك «صدقة»، لا رفعاً ولا نصباً ولا جرًّا، وعليه فالرواية تحتمل وجهين: الرفع والنصب.

الأول: أن تكون كلمة: «صدقة» منصوبة، ويقرأ الحديث متّصلاً، فيكون الحديث: «نحنُ معاشرَ الأنبياءِ لا نُوَرِّث ما تركنا صدقةً»، يعني الذي تركناه بعنوان الصدقة لا يدخل في الميراث.

الثاني: أن تكون كلمة: «صدقة» مرفوعة على الخبرية، ويفصل بين

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٤٧.

قسمي الحديث، فيكون قوله: «نحنُ معاشرَ الأنبياءِ لا نورث، ما تركنا صدقةٌ» يعني: لا نورث؛ لأنّ كلّ ما تركناه هو صدقة.

وقد ألّف الشيخ المفيد رضي الله عنه رسالة بعنوان: (حديث نحن معاشر الأنبياء) رجّح فيها القراءة بالنصب على القراءة بالرفع، واستدلّ على مختاره بعدّة أمور، كما دفع إشكالات القوم على هذه القراءة.

وكان هذا الإشكال من الشيخ المفيد رضي الله عنه قاصمة الظهر للمخالفين الذين عجزوا عن دفعه، وقد نقل السيوطي في شرحه على الموطأ نموذجاً للذين بُهتوا أمام ردّ المفيد، فقال: وقد أخبرني القاضي أبو جعفر السماني أنّ أبا علي بن شاذان وكان من أهل العلم بهذا الشأن، إلا أنّه لم يكن قرأ العربية، فناظر يوماً في هذه المسألة أبا عبد الله بن المعلم [وهو الشيخ المفيد]، وكان إمام الإمامية، وكان مع ذلك من أهل العلم بالعربية، فاستدلّ ابن شاذان على أنّ الأنبياء لا يورثون بحديث: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة»، فقال له ابن المعلم: أمّا ما ذكرت من هذا الحديث فإنّما هو «صدقةً» نصب على الحال، فيقتضي ذلك أنّ ما تركه النبي صلى الله عليه وآله على وجه الصدقة لا يُورَث عنه، ونحن لا نمنع هذا، وإنما نمنع ذلك فيما تركه على غير هذا الوجه. واعتمد هذه النكتة العربية لما علم أن ابن شاذان لا يعرف هذا الشأن، ولا يفرق بين الحال وغيره[١].

وقد حاولوا الإجابة على هذا الجواب المفحم من الشيخ المفيد السديد رضي الله عنه بجوابين:

الأول: جواب محاور الشيخ المفيد رضي الله عنه الذي نُقل في نفس المصدر،

---

(١) تنوير الحوالك: ٧١٥.

قال: فلمّا عاد الكلام إلى ابن شاذان قال له: ما ادّعيت من قوله ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة» إنّما هو «صدقةً» منصوب على الحال، وأنت لا تمنع هذا الحكم فيما تركه الأنبياء على هذا الوجه، فإنّا لا نعلم فرقاً ما بين قوله: «ما تركنا صدقةً» النصب، وبين قوله: «ما تركنا صدقةٌ» بالرفع، ولا احتياج في هذه المسألة إلى معرفة ذلك، فإنّه لا شكّ عندي وعندك أنّ فاطمة عليها السلام من أفصح العرب وأعلمهم بالفرق بين قوله: «ما تركنا صدقةٌ» و«ما تركنا صدقةً»، وكذلك العباس بن عبد المطلب، وهو ممن يستحق الميراث لو كان موروثاً، وكان علي بن أبي طالب من أفصح قريش وأعلمهم بذلك، وقد طلبت فاطمة ميراث أبيها فأجابها أبو بكر الصديق بهذا اللفظ على وجه فهمت منه أنّها لا شيء لها، فانصرفت عن الطلب، وفهم ذلك العباس، وكذلك علي وسائر الصحابة، ولم يتعرّض واحد منهم لهذا الاعتراض، وكذلك أبو بكر الصديق المحتج به والمتعلق به لا خلاف أنه من فصحاء العرب العالمين بذلك، لم يورد من هذا اللفظ إلا ما يقتضي المنع، ولو كان اللفظ لا يقتضي المنع ما أورده ولا تعلق به، فإن كان النصب يقتضي ما تقوله فادعاؤك فيما قلت باطل، وأنّ الرفع الذي يقتضيه فهو المروي، وادعاء النصب فيه باطل[1].

وما ذكره لا يعدو كونه فراراً من الإشكال لجهله باللغة العربية كما اعترف هو بنفسه بقوله: «فإنّا لا نعلم فرقاً ما بين قوله: «ما تركنا صدقةً» النصب، وبين قوله: «ما تركنا صدقةٌ» بالرفع»، وكذلك جلال الدين السيوطي، وإلّا فما ذكره لا يصلح أن يكون ردًّا على ما ذكره الشيخ المفيد

(١) تنوير الحوالك ٧١٥.

رضي الله عنه.

ومع ذلك يمكن أن نجيب على هذا الإشكال بأن نقول: إنّه بحسب روايات أهل السنة والجماعة لا يمتنع أن يكون الخلاف بين فاطمة عليها السلام وأبي بكر ليس في أصل الميراث بل في مصاديقه، فتكون فاطمة عليها السلام تدّعي أنّ تركة النبي صلى الله عليه وآله ميراث وفي المقابل يدّعي الخليفة الأوّل أنّ ما تركه النبي صلى الله عليه وآله هو صدقة، فهو لا ينكر أصل التوريث بل يدّعي أنّ ما في يد فاطمة عليها السلام ممّا لا يورث لكونه صدقة، وبالتالي فيصبح الخليفة الأول هو المطالَب بالبيّنة وليست فاطمة عليها السلام، وبهذا يندفع الإشكال.

والأهمّ من هذا هو أنّا لو سلّمنا بأنّ الزهراء عليها السلام فهمت المنع من الميراث كما ذكر المشكل، فيبقى الإشكال وارداً، وهو هل أنّ ما فهمه أبو بكر من النبي صلى الله عليه وآله صحيح أو لا؟ فدعوى الشيخ المفيد قدس سره أنّ ما ذكره الخليفة الأول هو تحريف لحديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وحمله على غير وجهه.

الثاني: ما أجاب به ابن كثير الدمشقي[1]، وتبعه بعض المعاصرين[2] الذي حاول بكل ما يملك من جهد أن يدافع عن خليفته الأوّل، قال: وحرّف البعض هذا الحديث، فقال: «ما تركنا صدقةً»، فيجعلون «ما» نافية، أي لم نترك صدقةً! وأهل السنّة يقولون: «ما» هنا موصولة[3]...

والجواب: أنّ هذا المصنّف أجهل من سابقه باللغة العربية، ولم يفهم

---

(١) البداية والنهاية ٥/ ٣١٢.

(٢) عثمان الخميس.

(٣) حقبة من التاريخ ٣٠٢.

حقيقة إشكال الشيخ المفيد رضي الله عنه، فهو قدس سره لم يدّعِ أنّ «ما» نافية لكي يجاب بأنّها موصولة، بل الكلام إنّما هو في نصب كلمة: «صدقة» أو في رفعها.

وبيانه أنّ الشيخ المفيد رضي الله عنه يسلّم أنّ «ما» موصولة في الرواية بمعنى «الذي» وهذا يستقيم مع كون كلمة «صدقة» منصوبة، فتصبح الرواية بهذه الصورة: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما «الذي» تركنا صدقةً، أي كلّ شيء تركناه صدقةً ليس داخلاً في التركة، وأما باقي التركة فتُورَث.

الثالث: هو لو سلّمنا بأنّ مفردة «صدقة» منصوبة، فإنّ هذا الشيء يشترك فيه كلّ الناس؛ لأنّ المال إذا تلبّس بعنوان الصدقة فإنّه يخرج عن ملكية صاحبه، فلا يكون تركة له، وهذا ليس خاصًّا بالنبي صلى الله عليه وآله.

وقد أجاب الشيخ المفيد رضي الله عنه على هذا الإشكال بجواب محكم كعادته بحيث لم يترك مجالاً لمزيد من البيان، فقال قدس سره: ليس الأمر كما ذكرتم، وذلك أنّ الشيء قد يعمّ بتخصيص البعض، للتحقيق به أنهم أولى الناس بالعمل بمعناه وألزم الخلق له، وإن كان ديناً لمن سواهم من المكلفين، قال الله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾، وإن كان منذراً لجميع العقلاء، وقال: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وإن كان قد يعمرها الكفار ومن هو بخلاف هذه الصفة، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ وإن كان في الكفار من إذا ذكر الله وجل قلبه وخاف، وفي المؤمنين من يسمع ذكر الله وهو مسرور بنعم الله، أو مشغول بضرب من المباح، فلا يلحقه في الحال وجل ولا يعتريه خوف، وهذا محسوس معروف بالعادات، وهو كقول القائل: «نحن معاشر المسلمين لا نقرّ على منكر»، وإن كان أهل الملل من غيرهم لا

يقرّون على ما يرونه من المنكرات، وفي المسلمين من يقرّ على منكر يعتقد صوابه بالشبهات، وكقول فقيه من الفقهاء: «نحن معاشر الفقهاء لا نرى قبول شهادة الفاسقين»، وقد ترى ذلك جماعة ممن ليس من الفقهاء، وكقول القائل: «نحن معاشر القرّاء لا نستجيز خيانة الظالمين»، وقد يدخل معهم من يحرم ذلك من غير القُرّاء من العدول والفاسقين، وأمثال هذا في القول المعتاد كثير؛ وإنّما المعنى في التخصيص به التحقيق بمعناه، والتقدم فيه، وأنهم قدوة لمن سواهم، وأئمتهم في العمل نحو ما ذكرناه(١).

وبتعبير آخر نقول: إن قوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث ما تركناه صدقةً» وإن كان فيه دلالة على الاختصاص بقوله: « معاشر الأنبياء» إلا أنه لا يراد به الاختصاص الحقيقي، وإنما يراد به أنهم عليهم السلام قدوة لمن سواهم في ذلك، وأنهم الملتزمون بالعمل به.

ومن هنا نعلم أنّ إشكال الشيخ المفيد رضي الله عنه إشكال محكم، أعجز القوم وترك ألبابهم حائرة.

٧- مخالفته للقرآن الكريم:

أهمّ شيء يُسقط حجية هذا الحديث ويثبت بطلانه هو مخالفته للقرآن الكريم، حيث أجمع المسلمون كافّة على أنّ الحديث المخالف للكتاب يُضرب به عرض الجدار؛ لأنّ المخالفة تكشف عن عدم صحّة صدوره من الأساس.

علماً أنّ أكثر دليل تمسّك به أمير المؤمنين عليه السلام والزهراء عليها السلام هي

(١) رسالة في حديث: «نحن معاشر الأنبياء»: ٢١.

معارضة هذا الحديث للآيات القرآنية:

فقد روى ابن سعد في طبقاته تصريح الإمام علي عليه السلام بمعارضة هذا الحديث لنصّ القرآن الكريم، قال: عن جعفر قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العباس بن عبد المطلب يطلب ميراثه، وجاء معهما علي، فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا نُورَث، ما تركنا صدقة»، وما كان النبي يَعُول فعلي، فقال علي: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، وقال زكريا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، قال أبو بكر: هو هكذا، وأنت والله تعلم مثلما أعلم. فقال علي: هذا كتاب الله ينطق. فسكتوا وانصرفوا[١].

وقد ثبت عن الزهراء عليها السلام احتجاجها بمعارضة الحديث للقرآن الكريم، حيث قالت في خطبتها: وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟! أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية: أنّي ابنته؛ أيّها المسلمون أُغْلَبُ على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريًّا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، وقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾، وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٣١٥.

أبي، ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إنّ أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أو لستُ أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟[(١)].

وحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» مخالف لطائفتين من الآيات القرآنية:

الطائفة الأولى: هي الآيات العامّة التي نصّت على أنّ البنت ترث أباها، كقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾، [النساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[البقرة: ١٨٠].

وتقريب الاستدلال بهذه الآيات هو أنّ الأصل في الأحكام الشرعية الاشتراك بين النبي صلى الله عليه وآله وبين عامّة النّاس، ومن يدّعي أن هذا الحكم مثلاً مختصّ بالنبي صلى الله عليه وآله فعليه أن يأتي بدليل يصلح أن يكون مخصّصاً لعمومات كتاب الله.

الطائفة الثانية: هي الآيات التي نصّت على أن بعض الأنبياء عليهم السلام وَرَّثوا أبناءهم، وهما الآيتان اللتان استدلّت بهما الزهراء عليها السلام، وهما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ ﴾[مريم: ٦].

وتقريب الاستدلال بهاتين الآيتين المباركتين هو ظهورهما في أنّ الأنبياء عليهم السلام يورِّثون كما يورِّث غيرهم من عامّة الناس، وهو خلاف ما

---

(١) دلائل الإمامة ١١٠.

نصَّ عليه الحديث الذي ورد فيه أن الأنبياء لا يورِّثون، فيكون التعارض مستقرًّا بين الآية وبين هذا الحديث المزعوم.

ولا شك في أن هذا الحديث قد أوقع أهل السنّة والجماعة في مأزق حقيقي، لوضوح معارضته مع هذه الآيات، ولهذا حاول بعضهم التفصي عن الإشكال بطرح عدّة إشكالات حول الاعتراض على الحديث بهاتين الآيتين:

أما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾.

فقالوا: إنّ الوراثة في الآية المباركة هي وراثة نبوّة وعلم، لا وراثة مال وتركة، فلا دلالة في الآية على المدّعَى.

والجواب: أنّ معنى الوراثة في اللغة هو الانتقال، فعندما يقال: «ورث زيد أباه» يعني أنّ تركة الأب انتقلت ملكيتها للابن، ومن هنا يُعلم أنّ إرادة العلم والنبوّة من الآية استعمال غير حقيقيّ للفعل، بل هو مجاز، فالعلم والنبوّة لا ينتقلان؛ لأنّهما ليسا من جنس المحسوس[١].

ولهذا فقد صرّح بعض مفسّري أهل السنّة والجماعة بأنّ الوراثة في الآية هي مجاز أو استعارة:

---

(١) وقد ناقش السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره هذه الدعوى في حاشية كتاب (فدك في التاريخ) نقاشاً فلسفيًّا نسف من خلاله هذا الرأي من أساسه بناء على النظريات المختلفة في حقيقة العلم، وهل هو كيف نفساني أو جوهر؟ فمن أراد التوسّع فليرجع إلى هذا الكتاب، أو إلى كلمات الحكماء في بحث الوجود الذهني، وبحث نظرية اتحاد العقل والعاقل والمعقول.

قال ابن عطية[١] في تفسيره: الأظهر الأليق بزكريا عليه السلام أن يريد وراثة العلم والدين، **فتكون الوراثة مستعارة**، ألا ترى أنّه إنما طلب (وليًّا)، ولم يخصِّص ولداً، فبلغه الله أمله على أكمل الوجوه[٢].

وقال الثعالبي[٣]: والأظهر الأليق بزكريا عليه السلام أن يريد وراثة العلم والدين، **فتكون الوراثة مستعارة**، وقد بلغه الله أمله[٤].

فمن يريد صرف اللفظ عن معناه الحقيقي واستعماله في المعنى المجازي عليه أن يقيم قرينة على ذلك كما هو مقرّر في علوم المعاني والبيان.

علماً أنّ الدليل قام على خلاف ما ذهبوا إليه، فقد صرّح جملة من المفسّرين بوراثة زكريا عليه السلام للمال في هذه الآية:

فقد ذهب لهذا القول ابن جرير الطبري[٥] في تفسيره، حيث قال:

---

(١) أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر بن عطية المحاربي الأندلسي ولد سنة ٤٨١هـ وتوفي سنة ٥٤١هـ من كبار علماء غرناطة المتضلعين بالأدب والشعر والتفسير، من مؤلّفاته (المحرّر وجيز في تفسير الكتاب العزيز).

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥.

(٣) عبد الملك بن محمد بن اسماعيل المعروف بأبي منصور الثعالبي، لقب بذلك لأنّ والده كان فرّاء يخيط جلود الثعاب، ولد المترجَم سنة ٣٥٠هـ وتوفي سنة ٤٢٩هـ عرف بجاحظ زمانه لتضلعه في الأدب وكثرة تصانيفه التي زادت عن ٨٠ مصنّفا، فصارت له حظوة عند علماء عصره. (للمزيد الأعلام ٤/ ١٦٤)

(٤) الجواهر الحسان ٤/ ٧.

(٥) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠هـ إمام من أئمة أهل السنة والجماعة في التفسير والتاريخ والفقه والحديث وكان صاحب مذهب مستقلّ بقي لسنين واندثر فيما بعد، من أهم كتبه (تاريخ الملوك والأمم المعروف بتفسير الطبري، جامع البيان المعروف بتفسير الطبري). (للمزيد سير أعلام النبلاء

وقوله ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ يقول: **يرثني من بعد وفاتي مالي**، ويرث من آل يعقوب النبوة ، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب، **وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل**(١) .

ثم نقل بعد ذلك عدّة روايات عن جملة من التابعين تصرّح بإرادة زكريا عليه السلام لوراثة المال لا النبوة والعلم.

وقال القرطبي(٢) في تفسيره: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: **خاف أن يرثوا ماله** وأن ترثه الكلالة، فأشفق أن يرثه غير الولد(٣) .

وصرّح مقاتل(٤) في تفسيره بأنّ الوراثة هي وراثة مال، قال: يقول: خفتُ الكلالة - وهو العصبة - من بعد موتي **أن يرثوا مالي**، ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يعني من عندك ولداً ﴿ يَرِثُنِي﴾ يرث مالي(٥) .

كما نسب الآلوسي هذا التفسير إلى جملة من كبار الصحابة والتابعين

١٤/ ٢٦٧)

(١) تفسير الطبري ٧/ ٧٠٦.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالقرطبي، ولد بالأندلس وانتقل إلى مصر وعاش فيه أكثر عمره حتى توفي سنة ٦٧١هـ، من أهل مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة). (للمزيد الأعلام للزركلي ٥/ ٣٢٢)

(٣) تفسير القرطبي ١١/ ٧٨.

(٤) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي توفي سنة ١٥٠ هـ ضعّفه أهل الحديث إلّا أنّهم سلّموا بعلمه في التفسير حتى قال فيه الذهبي (كبير المفسرين). (للمزيد سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠١)

(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٦٢٠.

الذين عُرفوا بتضلّعهم في علم التفسير، قال: وقد ذكر الجلال السيوطي في (الدرّ المنثور) عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبي صالح أنهم قالوا في الآية: **يرثني مالي**[١].

ولذلك لم يجد الفخر الرازي مناصاً من الاعتراف بأنّ الوراثة في الآية المباركة تشمل المال، قال: والأولى أن يُحمل ذلك على كل ما فيه نفع وصلاح في الدين، وذلك يتناول النبوّة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع في الدين **والمال الصالح**، فإنّ كل هذه الأمور مما يجوز توفّر الدواعي على بقائها؛ ليكون ذلك النفع دائماً مستمراً[٢].

فكلّ هؤلاء ذهبوا إلى ما ذهب إليه الشيعة من أنّ الوراثة المرادة في هذه الآية هي وراثة المال كما يدلّ عليه الوضع العربي للفظ.

فإن قالوا: إنّ القرينة على المجاز موجودة، وهي الحديث الذي رواه أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وآله، فإنّه يمكن الاستناد عليه لرفع اليد عن ظهور الآية، ولصرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي.

قلنا: إنّ الحديث هو موضع خلافنا ومحلّ نزاعنا، والدعوى أنّ هذا المضمون مخالف لكتاب الله عزّ وجل، فكيف يكون ما اختلفنا في أصل حجّيته دليلاً؟!

وبتعبير آخر نقول: إن جعل الحديث قرينة على أنّ المراد من الآية القرآنية غير الوراثة المادية فيه مصادرة على المطلوب، بل فيه دور صريح يرفضه كلّ عالم علم بديهيات الاستدلال الصحيح.

---

(١) روح المعاني ١٦/ ٦٤.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢١/ ١٨٤.

ثم إنهم قالوا أيضاً: إنّ زكريا عليه السلام كان نجّاراً فقيراً، ولم يكن عنده مال يُخاف عليه، فكيف يطلب وريثاً؟

قال ابن كثير مقرّراً هذا الإشكال: لم يُذكر أنّه كان ذا مال، بل كان نجّاراً يأكل من كسب يديه، ومثل هذا لا يجمع مالاً، ولا سيما الأنبياء، فإنهم كانوا أزهد شيء في الدنيا(١).

والجواب: أنّ ما ذكروه رجم بالغيب، فلم نعثر على حديث صحيح ولا خبر صريح يدلّ على أنّ زكريا عليه السلام كان معدماً لا يملك شيئاً، بل غاية ما قيل أنّه كان نجّاراً، ولا دلالة في هذا على فقره.

علماً أنّه لا ملازمة بين الزهد وبين الفقر، فليس كل من كان فقيراً زاهداً، وليس كل ثري غير زاهد، فالقرآن والنصوص الشرعيّة قد ذكرت الأعاجيب عن ملك سليمان وداود عليهما السلام، فهل يمكن أن يتّهمها أحد بعدم الزهد؟

وزكريا عليه السلام كما هو معروف كان هو القائم بالمسجد الأقصى بفلسطين، فلعلّه كان بيده الأموال والنذورات والقرابين التي كانت تُدفع لذلك المكان المبارك، فخوفه ليس لحرصه على المال من حيث هو مال، بل لعلّ خوفه من وقوع هذه الأموال في يد من لا يتورّع من التلاعب بها وصرفها في غير موارادها.

ومما قالوه أيضاً: أنّ نبي الله زكريا عليه السلام أعلى مقاماً من أن يكون حريصاً على الأموال الدنيوية، فيدعو الله ويتضرّع إليه لمثل هذا الموضوع.

قال ابن كثير: وعلى القراءة الأولى وجه خوفه أنّه خشي أن يتصرّفوا

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١١٨.

من بعده في الناس تصرّفاً سيّئاً، فسأل الله ولداً يكون نبيًّا من بعده؛ ليسوسهم بنبوّته ما يوحى إليه، فأجيب في ذلك، لا أنه خشي من وراثتهم له ماله، فإن النبي أعظم منزلة وأجل قدراً من أن يشفق على ماله إلى ما هذا وحده، وأن يأنف من وراثة عصباته له، ويسأل أن يكون له ولد؛ ليحوز ميراثه دونهم. هذا وجه(١).

والجواب: إضافة إلى ما قد تبيّن لك من السابق هو أنّنا لو تنّزلنا وقبلنا هذا الإشكال لبقي معنى الآية مبهماً؛ لأنّ النبوّة والولاية والعلم أمور لا يُخاف عليها؛ لأنّها بيد الله عزّ وجل، ولا يمكن أن تقع بيد الموالي أو غيرهم، إلّا إذا تبنّى مفسّرو أهل السنّة والجماعة ما ذُكر في الكتاب المقدّس من أنّ النبوّة قد تنتقل بالقوّة أو الخدعة! (٢) فهذا شيء آخر لا ينبغي الحديث فيه.

مع أن بعض المفسّرين نصّوا على امتناع وراثة النبوّة، كما نقل ذلك القرطبي في تفسيره، حيث قال: أمّا قولهم: «وراثة نبوة» فمحال؛ لأنّ النبوة لا تُورَث، ولو كانت تورث لقال قائل: الناس ينتسبون إلى نوح عليه السلام، وهو نبي مرسل(٣).

وأمّا بالنسبة لقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ فالكلام فيه هو الكلام في ما تقدّم حول الآية الأولى، حيث أنّ التعبير بالوراثة ظاهر في الوراثة

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١١٨.

(٢) كما في انتقال النبوّة من إسحاق عليه السلام إلى يعقوب عليه السلام المذكورة في العهد القديم/ سفر التكوين/ إصحاح٢٧، وملخّص القصّة أنّ نبي الله إسحاق عليه السلام كان سيعطي النبوّة لابنه عيسو، إلّا أنّ يعقوب عليه السلام خدع أباه – عياذا بالله – وأخذ النبوّة من أخيه.

(٣) تفسير القرطبي ١١/ ٨١.

المادّية، وصرفها عن هذا الظهور يحتاج إلى قرينة صارفة، ولا وجودها لمثلها في البين.

وقد حاول بعضهم أيضاً إثارة الشبهات حول الاعتراض بهذه الآية المباركة، فقال: فكذلك لم يرث منه المال، وإنّما ورث النبوّة والحكمة والعلم؛ لأمرين: الأوّل: أنّ داود قد اشتهر أنّ له مائة زوجة، وله ثلاثمائة سريّة أي أمة، وله الكثير من الأولاد، فكيف لا يرثه إلّا سليمان؟ بل أخوة سليمان أيضاً يرثون، فتخصيص سليمان بالذكر ليس بسديد إن كان معه ورثة آخرون؛ ثانياً: لو كان الأمر إرثاً عاديًّا لما كان لذكره فائدة في كتاب الله، ولكان تحصيل حاصل؛ لأنّ إرث المال أمر عادي، والذي لا شكّ فيه أنّ الله أراد شيئاً آخر خصّه بالذكر، وهو إرث النبوّة[1].

والجواب:

أولاً: أنّ صاحب هذا الإشكال قد خالف منهجه الذي طالما تغنّى به منذ بداية الكتاب، وهو الالتزام بقبول الأخبار الصحيحة دون غيرها، بل شنّع على المؤرِّخين والمفسِّرين وغيرهم اعتمادهم على الأخبار الضعيفة.

قال في مقدّمة كتابه: لا بدّ أن نقرأ التاريخ كما نقرأ أحاديث رسول الله ﷺ، ونحن إذا أردنا أن نقرأ أحاديث الرسول ﷺ لا بدّ لنا أن نتثبّت من الخبر، أثابت هو عن رسول الله ﷺ أم لا؟ ولن نستطيع أن نعرف صحّة الخبر عن رسول الله ﷺ من بطلانه إلّا بالنظر إلى الإسناد مع المتن؛ لأنّ أهل العلم اعتنوا بالحديث ورجاله، وتتبعوا أحاديثه، ومحّصوها،

---

(١) حقبة من التاريخ: ٣٠٤.

وحكموا عليها، وبيّنوا الصحيح من الضعيف...[١].

وقد شنّ هذا الكاتب حملة على بعض الذين كتبوا في التاريخ ولم يهتمّوا بتنقيح رواياته، قال: فهؤلاء عندما يتكلّمون عن التاريخ يهتمّون بالسياق وجمال القصّة وحسن السبك، بغضّ النظر عمّا إذا كانت هذه القصة صحيحة أم لا، وبعضهم يقصد التشويه لحاجة في نفسه، المهمّ أن يقصّ عليك قصّة جميلة مثيرة[٢].

ونحن نلزم صاحب الإشكال بمنهجه فنقول: ماهو الدليل على أنّه كان لنبي الله داود عليه السلام الكثير من الأبناء؟ فلم يذكر أي رواية تدلّ على دعواه فضلاً عن كونه خبراً صحيح السند كما التزم بذلك.

علماً أنّ المصنّف قد أنكر في طيات كتابه ما تسالم الناس على قبوله واعتُبر من المشهورات التاريخية التي لا شكّ ولا ريب فيها، بل طعن حتى في ما تواتر من الأحاديث واستفاض من الآثار!

ثانياً: أنّ دعوى لغوية ذكر سليمان عليه السلام في غاية الغرابة؛ لأنّه حتّى مع التسليم بوجود أبناء لنبي الله داود عليه السلام فإنّ هناك خصوصية فيه، فإنّ سليمان عليه السلام ورث ملك وحكم أبيه عليه السلام دون بقيّة إخوته على تقدير وجودهم، والملك وهو أمر مادّي ويتمّ بذلك المراد.

وحتّى لو قلنا بعدم وجود خصوصية معلومة لنا، فهذا لا يعني عدم وجود الخصوصية أساساً، وإلّا لزم من ذلك لغوية الكثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(١) حقبة من التاريخ: ٢٠.

(٢) حقبة من التاريخ: ٢٢.

[النحل: ٨]، فهل هناك آدمي يجهل أنّ هذه الدواب جُعلت للركوب؟

ثالثاً: نصّ بعض المفسّرين على وقوع الوراثة الماليّة لسليمان عليه السلام من أبيه داود عليه السلام!

فقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴾ [ص: ٣١] أنّها جياد ورثها من أبيه داود عليه السلام:

قال أبو حيان[(١)] في تفسيره: قال الجمهور: عُرضت عليه آلاف من الخيل **تركها أبوه له**، وقيل: ألف واحد، فأجريت بين يديه عشيًّا، فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها عن ذكر له[(٢)].

وقال مقاتل: **ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس**[(٣)].

وقال القشيري[(٤)] في تفسيره: وجاء في التفاسير أن سليمان كان قد غَزَا أهلَ دمشق، وأصابَها منهم ، وقيل: **ورثها عن أبيه داود**، وكان قد

(١) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي الأندلسي، ولد سنة ٦٥٤هـ وتوفي سنة ٧٤٥هـ، قال فيه الصفدي: ثبت فيما ينقله، عارف باللغة، ضابط لألفاظها، وأما في النحو والتصريف فهو إمام الدنيا في عصره فيهما وله اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناي وطبقاتهم وتواريخهم وحوادثهم وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وما اندثرت وقرئت ودرست ونسخت وما نسخت... (الوافي بالوفيات ٢/ ١٨٧)

(٢) البحر المحيط ٧/ ٣٧٩.

(٣) تفسير مقاتل ٣/ ٦٤٤.

(٤) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ولد سنة ٣٤٦هـ وتوفي سنة ٤٦٥هـ من كبار علماء الصوفية المتضلعين في الفقه والتفسير والحديث والأدب، له مجموعة من المؤلفات من أشهرها (الرسالة القشيرية). (للمزيد الأعلام للزركلي ٤/ ٥٧)

أصابها من العمالقة، وقيل: كانت خيلاً لها أجنحة خرجت من البحر[١].

وقال ابن جُزَّي[٢]: واختلف الناس في قصص هذه الآية، فقال الجمهور: إنّ سليمان عليه السلام عُرِضت عليه خيل **كان ورثها عن أبيه**، وقيل: أخرجتها له الشياطين من البحر[٣].

فثبوت كون الخيل موروثة من داود عليه السلام تبطل كلّ ما ادّعاه القوم من أنّ معاشر الأنبياء لا يُورَثون.

علماً أنّ المفسّر المعروف محمد الطاهر بن عاشور[٤] قد اضطر للاعتراف بهذه الحقيقة، وهي أنّ الآيات القرآنية ظاهرة في أنّ الأنبياء يُورَثون.

قال: فقوله: ﴿يَرِثُنِي﴾ يعني به وراثة ماله، ويؤيّده ما أخرجه عبد الرزاق عن قتادة عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يرحم الله زكريا، ما كان عليه من وراثة ماله. والظواهر تؤذن بأنّ الأنبياء كانوا يُورَثون، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[٥].

---

(١) تفسير القشيري ٦/ ٤٨٢.

(٢) هو أبو القاسم بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، ولد سنة ٦٩٣هـ وتوفي سنة ٧٤١ هـ، مفسّر فقيه أصولي مالكي المذهب له مجموعة من المؤلفات من أشهرها تفسيره: التسهيل لعلوم التنزيل. (للمزيد الأعلام للزركلي ٥/ ٣٢٥)

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٢/ ٤٤٧.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور من علماء تونس ولد سنة ١٨٧٩م وتوفي سنة ١٩٧٣م كان صاحب أعلى مرتبة علمية بتونس بحيث نصّب شيخا للزيتونة لمدّة طويلة كتب في الفقه والأصول والتفسير والبلاغة والحديث. (للمزيد الأعلام للزركلي ٦/ ١٧٣)

(٥) التحرير والتنوير ١٦/ ٦٦.

ومن هنا اضطرّ إلى تخصيص الحديث المزبور بالنبي المصطفى ﷺ، فقال: وأما قول النبي ﷺ: «نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركْنَا صدقةٌ» فإنّما يريد به رسول الله نفسَه، كما حمله عليه عُمر في حديثه مع العبّاس وعليّ في صحيح البخاري إذ قال عمر: «يريد رسول الله بذلك نفسه»، **فيكون ذلك من خصوصيات محمد** ﷺ، فإن كان ذلك حكماً سابقاً كان مراد زكرياء إرث آثار النبوة خاصة من الكتب المقدّسة وتقاييده عليها[1].

وبعد هذه الإشكالات السبعة لا يبقى عند القارئ العزيز شكّ في بطلان الاستدلال بهذا الحديث على أنّ الأنبياء عليهم السلام لا يُورَثون كما ادّعى خصم فاطمة الزهراء عليها السلام وإن كان الحديث الذي استدلّوا به بمقاييسهم صحيحاً، إلا أنه لا ينفع في شيء ما دام معارضاً للقرآن الكريم.

---

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ٦٦.

الخطبة الفدكية

من أشهر الوثائق التاريخية التي تدين القوم، وتثبت بطلان ما صنعوه الخطبة التي ألقتها الزهراء عليها السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، والتي فضحت فيها ما اقترفته الأيادي الأثيمة في حقّها.

ولأهميّة هذه الخطبة ارتأيت أن أخصّص لها هذا الباب؛ لدفع الشبهات التي أثارها بعض أهل التشكيك حول هذه الخطبة الشريفة:

١- نصّ الخطبة مع الشرح:

لمّا أجمع[(١)] أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكاً وبلغها ذلك، لاثَت خمارها على رأسها[(٢)]، واشتملت بجلبابها[(٣)]، وأقبلت في لُمّة من حفدتها ونساء قومها[(٤)] تطأ ذيولها[(١)]، ما تخرم مشيتُها مشيةَ رسول الله

---

(١) أجمع: عزم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾

(٢) لاثت خمارها على رأسها: أي عصبته وجمعته، يقال لاثت العمامة على رأسه يلوثها لو أي شدّها وربطها. (المجلسي في البحار ٢٩/ ٢٤٧)

(٣) اشتملت بجلبابها: الاشتمال هو جعل الشيء شاملا أي محيطا بآخر؛ والجلباب - بالكسر- يطلق على الملحفة والرداء والإزار والثوب الواسع للمرأة دون الملحفة. (المجلسي في البحار ٢٩/ ٢٤٧)

(٤) لمّة من حفدتها: اللمّة - بضمّ اللام وتخفيف الميم- أي في جماعة من نسائها قيل هي ما بين الثلاثة إلى العشرة (ابن الأثير في النهاية ٤/ ٥٥٧)، وفي رواية الأربلي: في لميمة - تصغير لمّة- من حفدتها ونساء قومها. (كشف الغمة ٢/ ١٠٩)

صلى الله عليه وآله[٢]، حتّى دخلت على أبي بكر وهو في حشد[٣] من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها مُلَاءَة[٤]، فجلست، ثم أنَّتْ أنةً[٥] أجهش القوم لها بالبكاء[٦]، فارتجّ المجلس[٧]، ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج

---

(١) تطأ ذيولها: أي كانت أثوابها طويلة تستر قدميها، وتضع عليها قدمها عند المشي، وجمع الذيل باعتبار الأجزاء أو تعدّد الثياب (البحار ٢٩/ ٢٤٨)، وفي رواية الأربلي: تجرّ أدراعها وتطأ ذيولها. (كشف الغمة ٢/ ١٠٩)

(٢) ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله: الخرم : الترك، والنقص والعدول، والمشية - بالكسر - الإسم من مشى يمشي مشيا، أي لم تنقص مشيها من مشيه صلى الله عليه وآله شيئا كأنّه هو بعينه (البحار ٢٩/ ٢٤٨).

(٣) في حشد: الحشد الجماعة إذا دعوا فأتوا لما دعوا له، كان أبو بكر قد علم بمجيء فاطمة عليها السلام إليه فجمع الناس لئلّا يعتابوا عليه رأيا إذا لم يكونوا بحضرته. (شرح الأخبار ٣/ ٤١)

(٤) نيطت دونها ملاءة: نيطت: عُلِّقَت، يقال منه: ناط الشيء ينوطه إذا علّقه، يقال منه: نطت القربة إذا علّقتها؛ والملاءة: الربطة ، وهي مثل الرداء في العرض والطول (شرح الأخبار ٣/ ٤١)؛ أقول: ومنه الشجرة الواردة في بعض الأحاديث "ذات أنواط" التي كان المشركون يعلّقون عليها أسلحتهم، والمعنى هنا أنّهم علّقوا قطعة من القماش لتستر الزهراء عليها السلام عن الرجال الذين اجتمعوا في المسجد.

(٥) أنّت أنّة: الأنين صوت يصدره الإنسان ليعبّر عن توجّعه وألمه.

(٦) أجهش القوم لها بالبكاء: والجهش: أن يفزع الانسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمّه وقد تهيّأ للبكاء، يقال : جهش إليه كمنع وأجهش. (البحار ٢٩/ ٢٤٩)

(٧) ارتجّ المجلس: اضطرب من شدّة بكائهم ونشيجهم تأثّرا بهذا المنظر العظيم الذي لم يسبق لهم أن شاهدوه، إذ أنّهم لم يعتادوا أن تخرج الزهراء عليها السلام من بيتها إلّا في أحلك الظروف.

القوم[١]، وهدأت فورتهم[٢]، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم[٣]، فلمّا أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام: الحمد لله[٤] على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدَّم[٥]، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء أسداها[٦]، وتمام منن أولاها، جمَّ عن الإحصاء عددها[٧]، ونأى عن الجزاء أمدها[١]،

---

(١) نشيج القوم: ينشج إذا غصها البكاء في حلقه ولما ينتحب، ومن ذلك نشيج الحمار، لأنّه صوت في حلقه، ويقال منه : نشجت القدر: إذا غلت ، والطعنة إذا سمع خروج الدم منها، صوت في داخلها. (شرح الأخبار ٣/ ٤١)

(٢) هدأت فورتهم: فورة الشيء شدته ، وفار القدر أي جاشت (البحار ٢٩/ ٢٥٠)؛ والمراد هنا أنّ القوم قد سكن نشيجهم وبكاؤهم لكي ينصتوا لما ستقوله الزهراء عليها السلام.

(٣) لعلّ سبب بكاؤهم هو أنّ ذكرها لأبيها المصطفى صلى الله عليه وآله ذكّرهم برزيته، إذ أنّه لم تمض إلّا بضع أيام على وفاته ودفنه، والمصيبة الأعظم أنّهم لم يراعوا حرمته فصنعوا ما صنعوا في أهل بيته ممّا جعل ابنته الوحيدة عليها السلام تخرج بنفسها بتطالب بحقّها!

(٤) بدأت كلامها بالحمد والثناء على ربّ العزّة والجلالة ولم تبدأه بالاسترجاع أو الحوقلة أو أي شيء يفهم منه التفجّع والتشكّي وهو ما يكشف عن عظم مقامها عليها السلام وتسليمها بقضاء الله وقدره، وهي التي ورد في زيارتها: يا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة.

(٥) بما قدّم: أي بنعم أعطاها العباد قبل أن يستحقّوها، ويحتمل أن يكون المراد بالتقديم الايجاد والفعل من غير ملاحظة معنى الإبتداء، فيكون تأسيسا. (البحار ٢٩/ ٢٥٠)

(٦) سبوغ آلاء أسداها: السبوغ بمعنى التمام والكمال ، والآلاء هي النعم، وأسداها أي أعطاها وقدّمها والمعنى المراد هو أنّ الله عزّ وجل قد أعطى العبد نعما تامّة كاملة، وفي كلامها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ أي أنّكم لا تعرفون مقدار نعمة الله عليكم، وهو الوحيد الذي يعرف حقيقة هذه النعم إذ يقول عزّ من قائل:

وتفاوت عن الإدراك أبدها[٢]، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها[٣]، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها[٤]، وثنى بالندب إلى أمثالها[٥]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها[٦]،

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

(١) ونأى عن الجزاء أمدها: الأمد -بالتحريك-: الغاية المنتهى، أي بعد عن الجزاء بالشكر غايتها، فالمراد بالأمد إمّا الأمد المفروض، إذ لا أمد لها على الحقيقة، أو الأمد الحقيقي لكل حد من حدودها المفروضة، ويحتمل أن يكون المراد بأمدها ابتداؤها ، وقد مر في كثير من الخطب بهذا المعنى. (البحار ٢٩/ ٢٥٠)

(٢) وتفاوت عن الإدراك أمدها: التفاوت: البعد، والأبد: الدهر والدائم والقديم الأزلي، وبعده عن الإدراك لعدم الانتهاء (البحار ٢٩/ ٢٥١)

(٣) ضمّنت عليها السلام قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إذ أنّه بالشكر يزيد الله النعم على العبد، فلذلك حثّنا على شكره وحمده لتزيد النعم ولا تنقطع.

(٤)واستحمد إلى الخلائق بإجزالها: أي طلب منهم الحمد بسبب اجزال النعم واكمالها عليهم، يقال: أجزلت له من العطاء أي أكثرت، وأجزاك النعم كأنه طلب الحمد أو طلب منهم الحمد حقيقة لاجزال النعم. (البحار ٢٩/ ٢٥١)

(٥)وثنى بالندب إلى أمثالها: أي بعد أن أكمل لهم النعم الدنيوية ندبهم إلى تحصيل أمثالها من النعم الأخروية أو الأعم منها ومن مزيد النعم الدنيوية، ويحتمل أن يكون المراد بالندب إلى أمثالها أمر العباد بالاحسان والمعروف، وهو انعام على المحسن إليه وعلى المحسن أيضا، لأنه به يصير مستوجبا للأعواض والمثوبات الدنيوية والأخروية. (البحار ٢٩/ ٢٥١)

(٦) كلمة جعل الإخلاص تأويلها: يقال خلص اللبن أي صفي من كلّ ما سواه ويقال ذهب خالص أي غير مخلوط بشيء، وعلى هذا فالإخلاص هو خلوص النية لله بمعنى أنّ الباعث للقيام بالطاعة هو خصوص القرب من الباري والإمتثال لأمره لا غير؛ والتأويل هو حقيقة الشيء فالمراد هنا أنّ كلمة التوحيد لا تتحقّق إلّا بخلوص نيّة الإنسان في مقام العمل لله عزّ وجل.

وضمن القلوب موصولها[١]، وأنار في التّفكر معقولها[٢]، الممتنع من الابصار رؤيته[٣]، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيّته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها[٤]، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها[٥]، كوَّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلّا تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته[٦]، وإظهاراً لقدرته، تعبّداً

---

(١) وضمن القلوب موصولها: ذكر الشرّاح عدّة محتملات لهذه العبارة، والذي يخطر بالبال أنّ مرادها عليها السلام هو أنّ كلمة التوحيد قد أودعها الله في قلوب خلقه وجبلهم عليها، وهو مضمون الحديث المعروف: يولد الإنسان على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه.

(٢) وأنار في التفكّر معقولها: أي أنّ الله عزّ وجلّ قد جعل في عقل الإنسان القدرة على الوصول إلى التوحيد وإدراك حقيقته، إذ أنّ أدلّة وجود الصانع متيسّرة لكلّ إنسان عاقل بما هو عاقل وذلك لأنّ مبادىء القياس والاستدلال هي من المعارف القبلية الأوليّة التي يجدها الإنسان بمجرّد التوجّه إليها.

(٣) يمكن أن تقرأ (الأبصار) جمع بصر، ويمكن أن تقرأ (الابصار) مصدر من البصر وكلا المعنيين صحيح.

(٤) الفرق بين الخلق والابداع أنّ الأخير يكون غير مسبوق بمثله لذلك نقول في استعمالاتنا العرفية فلان مبدع أي لا يوجد له نظير ونقول هذه بدعة أي أمر جديد محدث، أمّا الخلق فلا يشترط فيه ذلك، فالله عزّ وجل ابتدع هذا الوجود من الذرّة إلى المجرّة دون سابق مثال أو نظير وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾.

(٥) بلا احتذاء أمثلة امتثلها: احتذى مثاله اقتدى به، وامتثلها أي تبعها. (البحار ٢٩/ ٢٥٣)

(٦)وتنبيها على طاعته: لأنّ ذوي العقول يتنبّهون بمشاهدة مصنوعاته بأن شكر خالقها والمنعم بها واجب، أو أنّ خالقها مستحقّ للعبادة، أو بأنّ من قدر عليها يقدر على الإعادة والإنتقام. (البحار ٢٩/ ٢٥٤)

لبريّته[١]، وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نقمته، وحياشة[٢] لهم إلى جنّته[٣]، وأشهد أنّ أبي[٤] محمداً عبده ورسوله، اختاره قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه[٥]، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل[٦] مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآيل

---

(١) تعبّدا لبريّته: أي خلقهم ليتعبّدهم بمعرفته وتوحيده كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: إلّا ليعرفون.

(٢) حياشة: حاش الإبل أي جمعها وساقها؛ قال المجلسي: وحشت الصيد الصيد أحوشه إذا جئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة، ولعل التعبير بذلك لنفور الناس بطباعهم عمّا يوجب دخول الجنة. (البحار ٢٩/ ٢٥٤)

(٣) احتوت الفقرات السابقة أمّهات المطالب الكلامية، ولولا الخوف من الخروج عن غرض الكتاب لبسطنا الكلام فيها وكشفنا النقاب عن مكنونها بما يحيّر الأذهان ويذهب الألباب.

(٤) إنّ تقديم صفة الأبوّة على الرسالة والنبوّة هو منبّه عاطفي جعلته الزهراء عليها السلام ضمن كلامها ليعلم القوم عظم الجناية التي ارتكبت في حقّها وسيتكرّر ذكر الأبوة أكثر من مرّة في خطابها.

(٥) اجتباه: بمعنى اصطفاه واختاره؛ وقد رويت بلفظ آخر وهو "اجتبله" أي أنّه سمّاه نبيّا قبل أن يخلقه ويجبله يقال جبلهم الله أي خلقهم ولعلّ اللفظ الثاني هو الأنسب من جهة المعنى ومن جهة الأسلوب البلاغي (البديع)؛ وقد ذكر المجلسي قدس سره أنّه ورد في بعض النسخ لفظ آخر وهو "احتبله" .

(٦) الأهاويل: جمع أهوال من هاله الأمر أي أخافه، ويقال مكان مهيل أي مخيف مرعب، وهنا كناية عن ظلمات العدم، إذ أنّ الله قد اختارا محمدا صلى الله عليه وآله نبيا وسمّاه رسولا فيعلمه قبل خلق الخلائق.

الأمور[١]، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع الأمور، ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأمم فِرَقاً في أديانها، عُكَّفاً على نيرانها[٢]، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها[٣]، فأنار الله بأبي محمد ﷺ ظلمها[٤]، وكشف عن القلوب بهمها[٥]، وجلّى عن الأبصار غممها[٦]، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية[٧]، وبصَّرهم من العماية[٨]، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم

---

(١) مآيل الأمور: أي ما يؤل له الأمر، يقال مآل الشيء عاقبته.

(٢) عكّفا على نيراها: عكف على الشئ - كضرب ونصر - أي أقبل عليه مواظبا ولازمه فهو عاكف، ويجمع على عكف - بضم العين وفتح الكاف المشددة - كما هو الغالب في فاعل الصفة نحو شهد وغيب، والنيران: جمع نار، وهو قياس مطّرد في جمع الأجوف، نحو: تيجان وجيران. (البحار ٢٩/ ٢٥٥)

(٣) منكرة لله مع عرفانها: رغم وضوح أدلة وجود الله عزّ وجل وآياته وشواهده إلّا أنّهم جحدوا بها وعكفوا على عبادة الأصنام والأوثان والنيران.

(٤) ظلمها: جمع ظلمة وهي كناية عن الجهل والضمير "الهاء" يرجع على الأمم الغارقة في الكفر والشرك، فكانت بعثة محمّد ﷺ هي السبيل للخروج بهم من مستنقع الجهل.

(٥) بهمها: من بهم يقال أمر مبهم أي غامض، ومبهمات الأمور مشكلاتها وغوامضها، والمعنى أنّ النبي ﷺ قد حلّ مشكلات الأمور وأبان عن معضلاتها.

(٦) جلّى عن الأبصار غممها: جلوت الأمر أوضحته وكشفته -يقال أمر جلي أي واضح- والغمم جمع غمة يقال أمر غمة أي مبهم ملتبس، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾، قال أبو عبيدة: مجازها ظلمة وضيق، وتقول: غممت الشيء: إذا غطّيته وسترته. (البحار ٢٩/ ٢٥٦)

(٧) الغواية: من غوى يغوي غيّا وغواية ضلّ وانحرف عن طريقه، والمراد من الغواية هنا ما يقابل الهداية أي الضلال المبين، كما في قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

(٨) العماية: من العمى، وليس المراد عمى الأبصار بل عمى البصائر كما ورد في كتاب الله عزّ

إلى الطريق المستقيم، ثم قبضه الله إليه قبض رأفة واختيار[١]، ورغبة وإيثار، فمحمد صلى الله عليه وآله[٢] من تعب هذه الدار في راحة، قد حُفَّ بالملائكة الأبرار، ورضوان الربّ الغفّار، ومجاورة الملك الجبّار، صلّى الله على أبي نبيّه وأمينه، وخيرته من الخلق وصفيّه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت إلى أهل المجلس، وقالت: أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغائه إلى الأمم[٣]، زعيم حقّ له فيكم[٤]، وعهد قدّمه إليكم، وبقيّة استخلفها عليكم[٥]: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنّور السّاطع، والضّياء اللامع، بيّنة

وجل ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ وعلاج هذا الداء هو التمسّك بهدي المصطفى صلى الله عليه وآله.

(١) لعلّها تشير هنا إلى ما روته العامّة والخاصّة من أنّ الله عزّ وجل قد خيّر نبيّه صلى الله عليه وآله عند الموت بين البقاء والفناء، فاختار رسول الله صلى الله عليه وآله اللقاء وأعرض عن البقاء.

(٢) رويت هذه العبارة بعدّة صور منها (بمحمد صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار) و بدون الباء (محمد صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار) وروي بصورة أخرى (رغبة بمحمد صلى الله عليه وآله عن تعب هذه الدار) وأخرى (بأبي صلى الله عليه وآله عزت هذه الدار) والأقرب ما أثبتناه.

(٣) بلغاؤه إلى الأمم: أي توصلون للناس أحكام الدين لأنّكم تشرّفتم برؤية النبي صلى الله عليه وآله وسمعتم منه .

(٤) زعيم: زعيم القوم سيدهم وقائدهم، والمعنى أنّ هذا القائد له حقوق عليكم؛ وقد وردت في بعض الروايات (زعمتم حقا له فيكم) من زعم التي تستعمل في الشيء الذي يرتاب ويُشكّ فيه ويكون أقرب للكذب، فالمعنى هو أنّ هذه الدعوى أي –أنّه له حقّ فيكم– هي كذب؛ ووردت برواية أخرى وهي (زعمتم أن لا حقّ لي فيكم).

(٥) وردت بصورة أخرى وهي (وبقية استخلقنا عليكم) وكلامها عليها السلام هو إعادة صياغة لحديث الثقلين: إني مخلّف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي...

بصائره[١]، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره[٢]، مغتبطة به أشياعه[٣]، قائداً إلى الرضوان أتباعه، مؤدٍّ إلى النجاة استماعه[٤]، به تُنال حجج الله المنوّرة، وعزائمه[٥] المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية[٦]، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة، فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشّرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس[٧] ونماء في الرزق[٨]، والصيام تثبيتاً للإخلاص[٩]، والحجّ

---

(١) بيّنة بصائره: والبصائر -جمع بصيرة- وهي الحجة ، والمراد بانكشاف السرائر وضوحها عند حملة القرآن وأهله. (البحار ٢٩/ ٢٥٨)

(٢) منجلية ظواهره: واضحة بيّنة لمن يطلبها، والظاهر أنّ الزهراء عليها السلام في مقام تحضير المستمع لاستدلالها بالقرآن الكريم للردّ على من سلب حقّها محتجّا بحديث.

(٣) مغتبط به أشياعه: الغبطة ان يتمنى ان يتمنى المرء مثل حال المغبوط من غير أن يريد زوالها منه، تقول: غبطته فاغتبط، والباء للسببية أي أشياعه مغبوطون بسبب اتباعه (البحار ٢٩/ ٢٥٨)

(٤) وردت في بعض النسخ (أسماعه) وما أثبتناه أظهر.

(٥) عزائمه: فرائضه.

(٦) وردت في بعض النسخ (وجمله الكافية)

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾.

(٨) الزكاة مشتقّة من الأصل(ز ك و) الذي وضع لزيادة والنماء، فالمعنى اللغوي للزكاة هي الزيادة وإنّما سميت الفريضة بهذا الإسم لأنّ من لوازم التصدّق بالمال البركة والزيادة فيه.

(٩) وردت في بعض النسخ (تبيينا للإخلاص) بدلا عن (تثبيتا للإخلاص) أي أنّ الصوم هو مظهر من مظاهر الإخلاص لأنّه أمر بين العبد وربّه، لذلك ورد في الحديث القدسي: الصوم لي وأنا أجزي به.

تشييداً للدّين[١]، والعدل تنسيقاً للقلوب[٢]، وطاعتنا نظاماً للملّة[٣]، وإمامتنا أماناً للفرقة، والجهاد عزًّا للإسلام[٤]، والصبر معونة على استيجاب الأجر[٥]، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط[٦]، وصلة الأرحام منساة في العمر[٧] ومنماة للعدد،

---

(١) وردت في رواية أخرى (تسلية للدين) وقد احتمل المجلسي قدس سره التصحيف وأنّها كانت (تسنية للدين) أي رفعة وعلوّا له وهي تناسب ما أثبتناه في المتن (تشييدا للدين) إذ أنّ الحج هو من شعائر الله التي يعرف بها دين الله ويظهر على غيره.

(٢) اختلفت الروايات في هذه الفقرة، ففي بعضها (العدل مسكا للقلوب) أي ما يمسكها ويثبّتها، وفي أخرى (العدل تنسكا للقلوب) أي عبادة لها، أمّا ما في المتن (تنسيقا) فالمراد منه: التنظيم.

(٣) طاعتنا نظاما للملّة: أي أنّ أمور المسلمين لا تتمّ إلّا بطاعة أهل البيت عليهم السلام والدخول في ولايتهم والواقع خير دليل على صحّة ما ذكرته مولاتنا الزهراء عليها السلام.

(٤) ورد في الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام: ما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنّته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء. (نهج البلاغة ١/ ٦٧)

(٥) إذ أنّ بالصبر يقوم الإنسان بطاعاته وبه يجتنب معاصيه قال عزّ من قائل: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.

(٦) وقاية من السخط: السخط بالتحريك هو الغضب الشديد والمراد هنا سخط الله عزّ وجل إذ أنّ في رضاهما رضا لله وفي سخطهما سخط لله عزّ وجل

(٧) منساة في العمر: من النسيء أي التغيير أو التأخير، إذ أنّ من آثار صلة الأرحام الواردة في الروايات زيادة العمر؛ ورد عن الصادق عليه السلام: ما نعلم شيئا يزيد في العمر إلا صلة الرحم ، حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولا للرحم فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثا وثلاثين سنة، ويكون أجله ثلاثا وثلاثين سنة ، فيكون قاطعا للرحم فينقصه الله ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين. (الكافي ٢/ ١٥٣)

والقصاص حقناً للدّماء[١]، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين تغييراً للبخس[٢]، والنّهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس[٣]، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة[٤]، وترك السرقة إيجاباً بالعفّة،[٥] وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فـ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

ثم قالت: أيّها الناس اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله[٦]، أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً[٧]، ولا أفعل ما أفعل شططاً[٨]،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(٥) ورد في دلائل الإمامة ١١٣ عند هذا المورد: والتنزه عن أكل مال اليتيم والاستئثار به إجارة من الظلم، والنهي عن الزنا تحصنا من المقت ، والعدل في الأحكام إيناسا للرعية، وترك الجور في الحكم إثباتا للوعيد.

(٦) التنبيه على مقامها عليها السلام لكي تشدّ انتباه السامع لما سيأتي بعد هذا، إذ أنّه ليس المراد من هذا الإخبار حصول الفائدة بل المراد لازمها.

(٧) الغلط: الخطأ في القول.

(٨) الشطط: الانحراف عن الحق ومجاوزة الحدّ.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فإن تعزوه[١] وتعرّفوه تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله، فبلّغ الرسالة، صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين[٢]، ضارباً ثبجهم[٣]، آخذاً بأكظامهم[٤]، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة[٥]، يجف الأصنام[٦]، وينكث الهام[٧]، حتّى انهزم الجمع وولّوا الدّبر، حتى تفرى الليل عن صبحه[٨]، وأسفر الحقّ عن محضه[١]، ونطق زعيم الدين[٢]،

---

(١) تعزوه: تنسبوه.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ والمدرجة هي الطريق والمسلك.

(٣) ثبجهم: الثبج وسط الشيء ومعظمه.

(٤) أكظامهم: الكظم -بالتحريك- مخرج النفس من الحلق، أي كان صلى الله عليه وآله لا يبالي بكثرة المشركين واجتماعهم ولا يداريهم في الدعوة. (البحار ٢٩/ ٢٦٣)

(٥) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

(٦) وردت هذه العبارة في كتاب كشف الغمة: يجذ الأصنام، أي يكسرها وهي أبلغ في المقال إذ فيها تشبيها بما فعله نبي الله ابراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾

(٧) وينكث الهام: النكث: إلقاء الرجل على رأسه، يقال: طعنه فنكثه، والهام جمع الهامة بالتخفيف فيهما وهي الرأس، والمراد قتل رؤساء المشركين وقمعهم وإذلالهم، أو المشركين مطلقا، وقيل: أريد به القاء الأصنام على رؤوسها ، ولا يخفى بعده لا سيما بالنظر إلى ما بعده، وفي بعض النسخ: ينكس الهام. (البحار ٢٩/ ٢٦٣)

(٨) تفرّى الليل عن صبحه: انشقّ الليل عن ضوء النهار.

وخرست شقاشق الشياطين[٣]، وطاح وشيظ النفاق[٤]، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص[٥] في نفر من البيض الخماص[٦]،﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، مذقة الشارب[١]، ونُهزة

---

(١) أسفر: ظهر

(٢) أي أصبح صوت الدين هو العالي

(٣) وخرست شقاشق الشياطين: خرس - بالكسر الراء- والشقاشق جمع شقشقة - بالكسر- وهي شئ كالرية يخرجها البعير من فيه إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب ذو شقشقة، فإنما يشبه بالفحل، واسناد الخرس إلى الشقاشق مجازي. (البحار ٢٩/ ٢٦٤)

(٤) وطاح وشيظ النفاق: يقال : طاح فلان يطوح إذا هلك أو أشرف على الهلاك وتاه في الأرض وسقط، والوشيظ -بالمعجمتين-: الرذل والسفلة من الناس، ومنه قولهم: إياكم والوشائظ. (البحار ٢٩/ ٢٦٥)

(٥) فهتم: فاه وتفوّه أي تلفّظ، والمعنى هنا أنّكم تلفظتم بكلمة التوحيد بعد أن عجزتم عن مواجهة النبي المصطفى ﷺ، وفي هذا الكلام تعريض بإيمانهم وهو أنّه لم يتجاوز تراقيهم.

(٦) في نفر من البيض الخماص: البيض جمع أبيض وهو من الناس خلاف الأسود، والخماص - بالكسر - جمع خميص، والخماصة تطلق على دقّة البطن خلقة وعلى خلوه من الطعام، يقال: فلان خميص البطن من أموال الناس أي عفيف عنها، وفي الحديث: كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا، والمراد بالبيض الخماص: إمّا أهل البيت عليهم السلام ويؤيده ما في كشف الغمة : في نفر من البيض الخماص، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا- ووصفهم بالبيض لبياض وجوههم، أو هو من قبيل وصف الرجل بالأغرّ، وبالخماص لكونهم ضامري البطون بالصوم وقلة الأكل، أو لعفّتهم عن أكل أموال الناس بالباطل ، أو المراد بهم من آمن من العجم كسلمان رضي الله عنه وغيره، ويقال لأهل فارس: بيض، لغلبة البياض على ألوانهم وأمواهم، إذ الغالب في أمواهم الفضة، كما يقال لأهل الشام: حمر، لحمرة ألوانهم وغلبة الذهب في أموالهم، والأول أظهر.(البحار ٢٩/ ٢٦٥)

الطامع[٢]، وقبسة العجلان[٣]، وموطئ الأقدام[٤]، تشربون الطرق[٥]، وتقتاتون القدّ[٦]، أذلّة خاسئين[٧]، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم[٨]، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيّا والتي، وبعد أن مُنِيَ[٩] ببهم الرجال[١]، وذؤبان العرب[٢]، ومردة أهل الكتاب[٣]،

---

(١) مذقة الشاب: شربته.

(٢) نهزة الطامع: يقال انتهز فلان الفرصة أي استغلّها ولم يفوّتها، والمعنى هنا أنّ الطامع فيكم لا يفوّتكم لضعفكم وذلّكم.

(٣) قبسة العجلان: القبس : شعلة النار ، قال الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾، يقال للآخذ من ذلك قبس واقتبس إذا أخذ من لهب النار في طعم يعلق به، ومن ذلك يقال: قبست العلم فاقتبسته، واقتبست الرجل نارا، وأقبسته علما إذا أعطيته ذلك. (شرح الأخبار ٣/ ٤٤)

(٤) وموطىء الأقدام: الموضع الذي تطأه، ضربت ذلك صلوات الله عليها مثلا لما كانوا فيه من الذلة حتى أعزهم الله عز وجل برسوله صلى الله عليه وآله، وأنّ الناس كانوا يتخطفونهم من حولهم كما أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه ويطعمون فيهم وينتهزونهم ويطأونهم بالذل والصغار. (شرح الأخبار ٣/ ٤٤)

(٥) تشربون الطرق: يقال هذا الماء طرقته الإبل أي بالت فيه ومال لونه إلى الصفرة.

(٦) تقتاتون القدّ: من القوت ، والقدّ: ما يقدّ من الجلد الني ومنه اشتق القديد الذي يقدّ من اللحم وكانوا يأكلون ذلك عند المسغبة. (شرح الأخبار ٣/ ٤٥)

(٧)خاسئين: مبعدين مطرودين.

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

(٩) مُني: ابتلي.

﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾، أو نجم قرن الشيطان[٤]، أو فغرت فاغرة من المشركين[٥]، قذف أخاه في لهواتها[٦]، فلا ينكفئ[٧] حتى يطأ جناحها[٨] بأخمصه[٩]، ويخمد لهبها[١٠] بسيفه، مكدوداً في ذات الله[١١]، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في أولياء الله، مشمّراً[١٢]

---

(١) بهم الرجال: يقال ليل بهيم أي لا نور فيه، وفرس بهيم أي على لون واحد، والمراد هنا وصف شجاعة من واجههم النبي ﷺ بقرينة السياق إذ كانوا لا يعرفون الجبن.

(٢) ذؤبان العرب: لصوصهم وصعاليكهم الذين لا مال لهم ولا اعتماد عليهم. (البحار ٢٩/ ٢٦٨)

(٣) مردة أهل الكتاب: والمردة: العتاة المتكبرون المجاوزون للحد. (البحار ٢٩/ ٢٦٨)؛ تشير إلى اليهود الذين خانوا العهود والمواثيق وحاربوا النبي ﷺ.

(٤) نجم قرن للشيطان: نج نجوما أي ظهر، وإنّما سمّي النجم نجما لظهوره، وقرن الشيطان كناية عن أتباعه الذين لهم قوة وسطوة.

(٥) فغرت: فغر أي فتح يقال فغر فمه: فتحه مفتوحتين.

(٦) اللهوات: اللحمة الموجودة في أقصى سقف الفم، وهنا شبّهت الزهراء عليها السلام حركة المشركين بالأسد أو السبع الذي يفتح فمه استعدادا للانقضاض على فريسته وتصدّي النبي ﷺ لمثل هؤلاء بأن يجعل عليّا عليه السلام في حلوقهم كناية عن عجزهم.

(٧) ينكفىء: يرجع.

(٨) صماخها: الصماخ ثقب الأذن.

(٩) أخمصه: ما لا يلامس الأرض من باطن الرجل، وهذه الجملة كناية لبيان ما صنعه علي عليه السلام بأعداء الدين حيث أذلّهم وقهرهم وكسر شوكتهم.

(١٠) لهبها: النار التي أوقدها المشركون للحرب.

(١١) مكدودا في ذات الله: المكدود : من بلغه التعب والأذى، وذات الله: أمره ودينه، وكلما يتعلق به سبحانه. (البحار ٢٩/ ٢٦٩)

(١٢) مشمّرا: كناية عن الجدّ والاجتهاد.

ناصحاً، مجدًّا كادحاً[١]، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون[٢] فاكهون[٣] آمنون، تتربّصون بنا الدوائر[٤]، وتتوكّفون الأخبار[٥]، وتنكصون عند النزال[٦]، وتفرّون من القتال[٧]، فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق[٨]، وسمل

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾

(٢) وادعون: الدعة : الخفض، تقول: منه ودع الرجل فهو وديع أي ساكن ووداع أيضا، يقال: نال فلان المكارم وادعا من غير كلفة (البحار ٢٩/ ٢٧٠) وبتعبير آخر: مرتاحون.

(٣) فاكهون: منعّمون، قال الله عزّ وجل: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾﴾ وقال عزّ من قائل: ﴿فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾

(٤) تتربّصون بنا الدوائر: أي تنتظرون نزول البلاء علينا وتحوّل النعمة إلى نقمة لكي تنقضّوا علينا، وفي كلامها عليها السلام تعريضا بإيمانهم وأنّهم من الأعراب، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

(٥) تتوكفون الأخبار: التوكّف بمعنى الانتظار والتطلّع، أي أنّكم تترقّبون سماع الأخبار السيئة حولنا.

(٦) تنكصون عند النّزال: النكوص: الرجوع عن الشيء، والنزال -بالكسر- هو المبارزة في ميدان الجهاد.

(٧) ذكر التاريخ كثيرا من الموارد التي فرّ فيها المسلمون من القتال وولوا الدبر وقد أثبت القرآن الكريم أكثر من موقف.

(٨) حسكة النفاق: قال الجوهري: الحسك: حسك السعدان، الواحدة حسكة، وقولهم في صدره على حسيكة وحساكة أي ضغن وعداوة، وفي بعض الروايات: حسكة النفاق فهو على الاستعارة. (البحار ٢٩/ ٢٧١)

جلباب الدين[١]، ونطق كاظم الغاوين[٢]، ونبغ خامل الأقلين[٣]، وهدر فنيق المبطلين[٤]، فخطر في عرصاتكم[٥]، واطلع الشيطان رأسه من مغرزة هاتفاً بكم[٦]، فألفاكم لدعوته مستجيبين[٧]، وللعزّة[٨] فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً[٩]، وأحشمكم فألفاكم غضاباً[١٠]، فوسمتم

---

(١) سمل جلباب الدين: أي أصبح قديما باليا خلقا.

(٢) كاظم الغاوين: الكظم السكوت كما ورد في قوله تعالى ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ والغاوي هو الضال الغارق في الجهال، والمراد أنّه أجهل النّاس وأضلّهم قد نطق بعد وفاة المصطفى ﷺ.

(٣) نبغ خامل الأقلين: ونبغ الشيء - كمنع ونصر - أي ظهر ونبغ الرجل: إذا لم يكن في إرث الشعر، ثم قال وأجاد؛ والخامل: من خفي ذكره وصوته وكان ساقطا لا نباهة له والمراد بـ: الأقلين: الأذلون، وفي بعض الروايات: الأولين (البحار ٢٩/ ٢٧٢)

(٤) هدر فنيق المبطلين: والهدر: ترديد البعير صوته في حنجرته، والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان لكرامته على أهله. (البحار ٢٩/ ٢٧٢)

(٥) خطر في عرصاتكم: خطر البعير بذنبه يخطر -بالكسر- خطرا وخطرانا إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه، ومنه قول الحجاج -لما نصب المنجنيق على الكعبة- خطارة كالجمل الفنيق، شبه رميها بخطران الفنيق (البحار ٢٩/ ٢٧٢)

(٦) واطلع الشيطان رأسه من مغرزه: ومغرز الرأس -بالكسر-: ما يختفي فيه، وقيل: لعلّ في الكلام تشبيها للشيطان بالقنفذ، فإنّه إنّما يطلع رأسه عند زوال الخوف، أو بالرجل الحريص المقدم على أمر فإنه يمد عنقه إليه. (البحار ٢٩/ ٢٧٣)

(٧) فألفاكم لدعوته مستجيبين: أي فوجدكم الشيطان لدعوته قابلين وراضين.

(٨) ورد في بعض النسخ (الغرّة) أي الاغترار به بما جاء به ولعلّ هذا اللفظ أبلغ من غيره.

(٩) استنهضكم فوجدكم خفافا:كناية عن سرعة الإستجابة إليه.

(١٠) وأحمشكم فألفاكم غضابا: احمشت الرجل: أغضبته، واحمشت النار ألهبتها، أي حملكم الشيطان على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه أو من عند أنفسكم. (البحار ٢٩/ ٢٧٣)

غير إبلكم(١)، ووردتم غير مشربكم(٢)، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب(٣)، والجرح لمّا يندمل(٤)، والرّسول لما يُقبَر(٥)، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة(٦)، ألا في الفتنة سقطوا، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة(٧)، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلاً، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾، ثمّ لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها(٨)، ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيّجون جمرتها(٩)، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدين الجليّ، وإهمال

---

(١) وسمتم غير إبلكم: السمة العلامة، والوسم عند العرب أثر الكي على الإبل.

(٢) وردتم غير مشربكم: حضرتم عن ماء غيركم للشرب منه، وهذا التعبير كناية عن أخذ ما ليس لهم.

(٣) والكلم رحيب: الكلم الجرح الذي يترك أثرا، رحيب: واسع، وتقصد الزهراء عليها السلام مصابها برسول الله صلى الله عليه وآله.

(٤) والجرح لما يندمل: لم يصلح بعد.

(٥) يقبر: يوضع في قبره.

(٦) إشارة إلى بيعة السقيفة التي ادّعى أصحابها أنّها كانت درءا للفتنة وهي الفتنة بذاتها.

(٧) زاهرة: مشرقة، وسمي الزهرة بذلك لشدّة نوره بين انلجوم.

(٨) ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها: أي لم تبقوا إلّا مدّة بسيطة كمقدار تباعد الدابة عندما تجزع ثم تسكن.

(٩) تورون وقدتها وتهيّجون جمرتها: المراد هنا الفتن، أي أنّكم أوقدتم نار الفتن وبثثموها بسرعة بين المسلمين.

سنن النبي الصفيّ، تشربون حسواً في ارتغاء[١]، وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضرّاء[٢]، ويصير[٣] منكم على مثل حزّ المدى[٤]، ووخز السنان[٥] في الحشاء، وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟![٦] أفلا تعلمون؟ بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية: أنّي ابنته؛ أيّها المسلمون أُغلَبُ على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريًّا![٧] أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟[١] إذ يقول:

---

(١) تشربون حسوا في ارتغاء: والحسو -بفتح الحاء وسكون السين المهملتين- : شرب المرق وغيره شيئا بعد شيء؛ والارتغاء: شرب الرغوة، وهو زبد اللبن، قال الجوهري: الرغوة - مثلثة - زبد اللبن وارتغيت شربت الرغوة ، وفي المثل - يسر حسوا في ارتغاء- يضرب لمن يظهر أمرا ويريد غيره. (البحار ٢٩/ ٢٧٨)

(٢) في الخمر والضرّاء: والخمر -بالتحريك-: ما واراك من شجر وغيره ، يقال توارى الصيد عني في خمر الوادي، ومنه قولهم دخل فلان في خمار الناس -بالضم- أي ما يواريه ويستره منهم والضراء -بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المخففة-: الشجر الملتف في الوادي، ويقال لمن ختل صاحبه وخادعه: يدبّ له الضرّاء ويمشي له الخمر. (البحار ٢٩/ ٢٧٨)

(٣) الظاهر أنّها (ويصبر) بالباء لمناسبتها للمعنى.

(٤) حزّ المدى: الحز بمعنى القطع، والمدى جمع مدية وهي السكين الحادة، والصبر على حزّ المدى تشبيه لما يلاقيه أهل البيت عليهم السلام من هؤلاء حيث أنّ ظلمهم أشبه بتقطيع السكاكين.

(٥) وخز السنان: طعن الرماح.

(٦) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

(٧) اقتباس من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ أي شيئا عظيما منكرا.

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾، وقال: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾، وقال: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾، وقال: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾، وزعمتم أن لا حُظوة لي[٢] ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إنّ أهل ملّتين لا يتوارثان؟ أو لستُ أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟[٣] أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟[٤] فدونكها مخطومة مرحولة[٥] تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون[٦]، ولا ينفعكم إذ تندمون، و ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[٧].

---

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

(٢) لا حظوة لي: الحظوة المكانة والمنزلة.

(٣) لأنّ الابن الكافر لا يرث من أبيه المسلم.

(٤) ردّا على من خصّص الآيات القرآنية بحديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

(٥) مخطومة مرحولة: والخطام -بالكسر- كل ما يوضع في أنف البعير ليقاد به والرحل - بالفتح- للناقة كالسرج للفرس ، ورحل البعير - كمنع - شدّ على ظهره الرحل شبهتها (المقصود هنا فدك) عليها السلام في كونها مسلّمة لا يعارضه في أخذها أحد بالناقة المنقادة المهيأة للركوب. (البحار ٢٩/ ٢٨١)

(٦) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾.

(٧) فيه تعريض شديد بنفاقهم.

ثم رمت بطرفها[١] نحو الأنصار، فقالت: يا معشر النقيبة[٢]، وأعضاد الملّة[٣]، وحضنة الإسلام[٤]، ما هذه الغميزة في حقّي[٥]؟ والسِّنَة عن ظلامتي[٦]؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: المرء يُحفظ في ولده؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة[٧]، ولكم طاقة بما أحاول، وقوّة على ما أطلب وأزاول، أتقولون: مات محمد صلى الله عليه وآله؟[٨] فخطب جليل[٩]، استوسع وهنه[١٠]، واستنهر فتقه[١١]، وانفتق رتقه[١٢]، واظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت

(١) رمت بطرفها: حوّلت بصرها ناحية الأنصار.

(٢) وردت في بعض الروايات (يا معشر الفتية) وفي أخرى (يا معشر البقيّة).

(٣) أعضاد الملّة: العضيد هو النصير، كما ورد في كتاب الله عزّ وجل: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

(٤) حضنة الإسلام: إشارة إلى دورهم في استقبال المسلمين المهاجرين إليهم.

(٥) الغميزة في حقّي: ضعفة في العمل وجهلة في العقل (العين ٤/ ٣٨٦)

(٦) السنة على ظلامتي: السنة هو النعاس الذي يكون أوّل النوم ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ والمراد هنا الإشارة إلى تغافلهم عن ظلامتها عليها السلام وعدم نصرتهم لها.

(٧) سرعان وعجلان: بمعنى سرع وعجل، أمّا قولها عليها السلام ذا إهالة: فهو مثل يضربه العرب لمن يخبر بالشي قبل وقوعه وله قصّة في كتب الأدب؛ وهنا تبيّن الزهراء عليها السلام سرعة انقلاب الأنصار على أهل بيت النبوة عليهم السلام وتركهم نصرتهم.

(٨) لعلّها عليها السلام تشير إلى قول القائل: من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وآله فإنّ محمّدا قد مات!

(٩) خطب جليل: أمر عظيم.

(١٠) ورد في بعض النسخ (وهيه) من وهى أي الضعف، والمراد هنا أنّ ما حصل زاد مصابهم برسول الله صلى الله عليه وآله

(١١) استنهر فتقه: اتسّع الفتق أي زادت المصيبة.

(١٢) وردت هنا عبارة أخرى (واكتأبت خيرة الله لمصيبته).

الآمال[١]، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النّازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله جلَّ ثناؤه في أفنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافاً وصراخاً، وتلاوة وألحاناً، ولقبله ماحلّ بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

إيها بني قَيلة[٢]: أأُهضم[٣] تراث أبي؟ وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومنتدى ومجمع، تلبسكم الدعوة[٤]، وتشملكم الخبرة[٥]، وأنتم ذوو العدد والعدّة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة[٦]، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تُغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب، وتحمّلتم الكدّ والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، لا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتّى إذا دارت بنا

---

(١) أكدت الآمال: أكدى بمعنى انقطع، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ﴾.

(٢) بني قيلة: الأنصار بشقيهم الأوس والخزرج، إذ أنّهم يرجعون لأمّ واحدة وهي قيلة بنت كاهل كما ذكرت كتب العرب.

(٣) أأهضم تراث أبي: الهضم بمعنى الانتقاص.

(٤) تلبسكم الدعوة: تحيطون بدعوة المظلوم واستصراخه.

(٥) تشملكم الخبرة: وصلكم خبر ما جرى.

(٦) الجنة: ما خفي من السلاح، والمراد من هذا المقطع هو بيان قدرة الأنصار على نصرتها ومواجهة ظالميها فلا عذر لهم.

رحى الإسلام[١]، ودرّ حلب الأيّام[٢]، وخضعت ثغرة الشرك[٣]، وسكنت فورة الإفك[٤]، وخمدت نيران الكفر[٥]، وهدأت دعوة الهرج[٦]، واستوسق[٧] نظام الدين، فأنّى حزتم[٨] بعد البيان؟ وأسررتم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الإقدام؟ وأشركتم بعد الإيمان؟ بؤساً لقوم ﴿نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾، ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾! ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض[٩]، وأبعدتم من هو أحقّ بالبسط والقبض[١٠]، وخلوتم بالدّعة[١١]، ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم[١]،

---

(١) كناية عن انتظام الأمر.

(٢) درّ حلب الأيام: يقال ناقة درورة أي كثيرة اللبن، والحلب هو ما يستخرج من الضرع من حليب وغيره والمراد هنا أنّ النعم قد كثرت عليكم بعد أن كنتم كما تقدّم.

(٣) خضعت ثغرة الشرك: الثغرة نقرة النحر بين الترقوتين وهذا من باب المجاز المرسل أي خضع المشركون لأمر المصطفى ﷺ؛ ووردة في بعض النسخ (نعرة الشرك) يقال نعر العرق أي فار.

(٤) الإفك: الكذب الكبير.

(٥) خمدت نيران الكفر: سكن لهبها وبقي جمرها وفي هذا إشارة إلى نفاق القوم.

(٦) الهرج: الفتن.

(٧) استوسق: انتظم.

(٨) ورد في بعض الروايات (حرتم) بالحاء من الحور أي الرجوع أو من الحيرة، ووردت بالجيم (جرتم) من الجورو ولعلّ الأول أظهر.

(٩) أخلدتم إلى الخفض: ملتم إلى سعة العيش بترككم مواجهة الظالمين وارجاع الأمور إلى نصابها.

(١٠) المقصود هنا أمير المؤمنين عليه السلام.

(١١) خلوتم بالدعة: الراحة والسكون، اخترتموها لأنفسكم وتركتم أهل البيت عليهم السلام في

ودسعتم الذي تسوّغتم(٢)، فـ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾؛ ألا وقد قلتُ ما قلتُ هذا على معرفة مني بالجذلة التي خامرتكم(٣)، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس(٤)، ونفثة الغيظ(٥)، وخور القناة(٦)، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة(٧)، فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر(٨)، نقبة الخف(٩)، باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد(١٠)، موصولة بنار الله الموقدة، التي تطّلع على الأفئدة(١١)، فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾،

ضيق.

(١) مجحتم ما وعيتم: مجّ الشراب من فمه أي رماه، والمراد هنا أنّ ما تعلّمتموه من النبي صلى الله عليه وآله قد تخلّيتم عنه كما يرمي الإنسان الماء من فمه بسهولة.

(٢) دسعتم ما تسوّغتم: دسع ما في جوفه أي قاءه، والتسوّغ هو ادخال الشراب إلى الحلق بسهولة.

(٣) الأصح (بالخذلة) من الخذلان أي ترك النصر.

(٤) فيضة النفس: فاض صدره بالسرّ أي باح به وفيضة النفس هي البوح بما فيها.

(٥) نفثة الغيظ: النفث شيء بين النفخ والتفل.

(٦) خور القناة: الخور هو الضعف والقناة الرمح والمراد هنا ضعف النفس عن كتمان ما فيها من همّ وغمّ.

(٧) تقدمة الحجّة: اقامة الحجة عليهم لكي لا يعتذر معتذر بعد هذا المقام.

(٨) احتقبوها دبرة الظهر: من الحقب وهو حبل يشدّ به الرحل، ويقال احتقب فلان الإثم أي تحمّله ودبرة الظهر جرح يكون في ظهر البعير أي أنّ هذا الإثم ستحملون عاره طيلة حياتكم كما يبقى أثر الجرح في ظهر البعير.

(٩) نقبة الخف: الثقب الذي يكون في خفّ البعير.

(١٠) الشنار: العيب العظيم.

(١١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾.

وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد[١]، فاعملوا إنا عاملون[٢]، و﴿ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾.

فأجابها أبو بكر، وقال: يا بنت رسول الله لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، وعلى الكافرين عذاباً أليماً، وعقاباً عظيماً، إن عزوناه وجدناه أباك دون النساء، وأخا إلفك دون الأخلّاء[٣]، آثره على كل حميم، وساعده في كل أمر جسيم، لا يحبّكم إلّا سعيد، ولا يبغضكم إلّا شقيّ بعيد، فأنتم عترة رسول الله الطيّبون، الخيرة المنتجبون، على الخير أدلّتنا، وإلى الجنة مسالكنا، وأنتِ يا خيرة النساء، وابنة خير الأنبياء، صادقة في قولك، سابقة في وفور عقلك، غير مردودة عن حقّك، ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله، ولا عملت إلّا بإذنه، والرائد لا يَكذِب أهله[٤]، وإنّي أشهد الله وكفى به شهيداً، أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً، وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة، وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه»، وقد جعلنا ما حاولته في الكراع والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفار، ويجالدون المردة الفجّار، وذلك بإجماع من المسلمين، لم انفرد به وحدي، ولم أستبدّ بما كان الرأي

---

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ﴾.

(٣) يعني أخا لأمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) مثل معروف عند العرب ضرب لتبرئة نفسه ومفاده أي أنّ الزعيم لا يكذب على أهله لأنّه مؤتمن عليهم!!

عندي، وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك، لا تزوى عنك، ولا ندّخر دونك، وأنّك وأنتِ سيّدة أمّة أبيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا ندفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك وأصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي، فهل ترين أن أخالف في ذلك أباك صلى الله عليه وآله؟

فقالت عليها السلام: سبحان الله، ما كان أبي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفاً[1]، ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتبع أثره، ويقفو سوره، أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور[2]، وهذا بعد وفاته شبيه بما بُغي له من الغوائل في حياته[3]، هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً يقول: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾، ويقول: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ﴾، وبيّن عزَّ وجلّ فيما وزع من الأقساط، وشرّع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذكران والإناث، ما أزاح به علّة المبطلين، وأزال التظنّي والشبهات في الغابرين، كلّا ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾.

فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين، وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك، هؤلاء المسلمون بيني وبينك، قلّدوني ما تقلّدت، وباتفاق منهم أخذت ما أخذت، غير مكابر ولا مستبد ولا

---

(١) صادفا: معرضا.

(٢) الاعتلال عليه بالزور: الاعتذار بالكذب عن غدرتكم.

(٣) بغي له من الغوائل في حياته: ما دبّر له من مهالك في حياته، إشرة إلى المكائد التي دبّرها المنافقون لقتله والتخلّص منه.

مستأثر، وهم بذلك شهود.

فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى الناس، وقالت: معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟[١] كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم[٢]، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه اغتصبتم، لتجدنَّ والله محمله ثقيلاً[٣]، وغبّه وبيلاً[٤]، إذا كُشف لكم الغطاء، وبان بإورائه الضراء[٥]، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون[٦]، وخسر هنالك المبطلون[٧].

٢- طرق الخطبة:

رويت هذه الخطبة الشريفة بطرق كثيرة جدًّا، سواء في كتب الخاصّة أو حتّى في بعض كتب العامّة، وقد تعدّد رواتها في كل طبقة من الطبقات:

١- رواية أمير المؤمنين عليه السلام:

نقلها عنه الخوارزمي في مقتله، قال: وأخبرني الإمام شهاب الإسلام أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني فيما كتب إلى همدان، أخبرني الحافظ

---

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾.

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

(٣) اشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾.

(٤) غبّه وبيلا: الغب عاقبة الشيء، والوبال: صفة للعذاب يقال عذاب وبيل.

(٥) رويت (وبان ما وراءه الضرّاء) وكذلك (وبان ما واراه الضراء) والمعاني متقاربة.

(٦) اقتباس من قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾.

(٧) الإحتجاج ١/ ١٣١.

سليمان بن ابراهيم فيما كتب إليّ من أصبهان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه فيما أذن لي، قال: حدثني جعفر بن محمد بن مروان، أخبرنا أبي، أخبرنا سعيد بن محمد الجرمي، أخبرنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن حبّة عن علي عليه السلام:...[1].

٢- رواية الإمام الحسن عليه السلام:

نقلها عنه ابن طيفور في بلاغات النساء، قال: وقد حدَّث به الحسن بن علوان عن عطية العوفي أنه سمع عبد الله بن الحسن يذكره عن أبيه...[2]

٣- رواية السيّدة زينب بنت علي عليها السلام:

نُقلت عنها بعدّة طرق في عدّة مصادر، منها ما نقله الطبري الصغير في دلائل الإمامة، قال: وأخبرني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، قال: حدثني محمد بن المفضل بن إبراهيم بن المفضل بن قيس الأشعري، قال: حدثنا علي بن حسان، عن عمّه عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه علي بن الحسين، عن عمّته زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، قالت:...[3].

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق رضي الله عنه، قال: وأخبرني علي بن حاتم أيضاً، قال: حدثني محمد بن أبي عمير، قال: حدّثني محمد بن عمارة، قال:

---

(١) مقتل الحسين ١/ ٧٧.

(٢) بلاغات النساء: ١٢.

(٣) دلائل الإمامة: ١٠٩.

حدّثني محمد بن إبراهيم المصري، قال: حدّثني هارون بن يحيى الناشب، قال: حدّثنا عبيد الله بن موسى العبسي، عن عبيد الله بن موسى العمري، عن حفص الأحمر، عن زيد بن علي، عن عمته زينب بنت علي، عن فاطمة عليها السلام:...[١].

ورواها عن محمد بن موسى بن المتوكل رضي الله عنه، قال: حدّثنا علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن عبد الله البرقي، عن إسماعيل بن مهران، عن أحمد بن محمد بن جابر، عن زينب بنت علي، قالت: قالت فاطمة عليها السلام في خطبتها:..[٢].

٤- رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

نقلها عنه الطبري الصغير في دلائل الإمامة، قال: حدّثني أبو المفضل محمد بن عبد الله، قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عثمان بن سعيد الزيات، قال: حدّثنا محمد بن الحسين القصباني، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي السكوني، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن أبان بن تغلب الربعي، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال:...[٣].

٥- رواية عائشة:

نقلها عنها السيّد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الشافي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، قال: حدّثني محمد بن أحمد الكاتب، حدّثنا

(١) علل الشرائع ١/ ٢٤٨.

(٢) علل الشرائع ١/ ٢٤٨.

(٣) دلائل الإمامة: ١٠٩.

أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، قال: حدّثنا الزيادي، قال: حدّثنا الشرقي بن القطامي، عن محمد بن إسحاق، قال: حدّثنا صالح بن كيسان، عن عروة، عن عائشة:...[١]

٦- رواية الإمام الباقر عليه السلام:

نقلها عنه الطبري الصغير في كتاب دلائل الإمامة. قال الصفواني: وحدّثني أبي، عن عثمان، قال: حدّثنا نائل بن نجيح، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر:..[٢].

٧- رواية زيد الشهيد عليه السلام:

نقلها عنه الطبري الصغير في دلائل الإمامة، قال: حدّثنا العباس بن بكار، قال: حدّثنا حرب بن ميمون، عن زيد بن علي، عن آبائه:...[٣].

إذن هذه الخطبة رواها خمسة من الصحابة، وشارك في روايتها خمسة من الأئمة المعصومين عليهم السلام، بالإضافة إلى ثلّة من كبار بني هاشم كزيد بن علي الشهيد وعبد الله بن الحسن رحمهما الله تعالى.

وما أحسن ما نقله ابن طيفور البغدادي مصوّراً شهرة هذه الخطبة بين بني هاشم، حيث قال: رأيت مشايخ آل أبي طالب يروونه عن آبائهم، ويعلّمونه أبناءهم، وقد حدَّثنيه أبي عن جدّي يبلغ به فاطمة على هذه الحكاية، ورواه مشايخ الشيعة، وتدارسوه بينهم قبل أن يولد جدّ أبي

---

(١) الشافي في الإمامة ٤/ ٧٠.

(٢) دلائل الإمامة: ١١٠.

(٣) دلائل الإمامة: ١١١.

العيناء[١].

٣- هل ذُكرت الخطبة في كتب أهل السنة؟

يحاول البعض إيهام عامّة الناس بأنّ هذه الخطبة ممّا اختصّ بروايتها الشيعة دون غيرهم، وهذا ما يقوّي كونها من مخترعاتهم، والحال أنّ كتب أهل السنّة والجماعة طافحة بذكر هذه الخطبة تارة، وبالإشارة لها تارة أخرى، وممن روى هذه الخطبة الأعلام التالية أسماؤهم:

١- **الخليل بن أحمد الفراهيدي**[٢] **(توفي ١٧٠هـ)**: أشار إلى هذه الخطبة في كتابه المعروف "العين"، قال: وفي الحديث: جاءت فاطمة إلى أبي بكر في لميمة من حفدها ونساء قومها[٣].

٢- **ابن قتيبة الدينوري (توفي ٢٧٦هـ)** [٤]: أشار إلى هذه الخطبة في كتابه غريب الحديث، قال: لُـمَّة الرجل من النساء: مثله في السن، ومنه قيل في الحديث الموضوع على فاطمة رحمها الله: إنّها خرجت في لمة من نسائها تتوطأ ذيولها، حتى دخلت على أبي بكر فكلمته بذلك الكلام. وقد كنت كتبته وأنا أرى أن له أصلاً، ثم سألت عنه رجال الحديث، فقال لي بعض نقلة الأخبار: أنا أسنّ من هذا الحديث، وأعرف من عمله[٥].

---

(١) بلاغات النساء: ١٢.

(٢) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي ولد سنة ١٠٠هـ وتوفي سنة ١٧٠هـ من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض. (للمزيد ٢/ ٣١٤)

(٣) العين ٨/ ٣٢٣.

(٤) سيأتي الحديث عن ابن قتيبة مفصّلا في الملحق الأول الخاص بكتاب (الإمامة والسياسة).

(٥) غريب الحديث ١/ ٥٩٠، ذكره لهذه الخطبة وتصريحه بأنه كان يعتقد أن للخطبة أصلاً

٣- أبو الفضل ابن طيفور البغدادي (توفي ٢٨٠هـ) [(١)]: نقل الخطبة كاملة مسندة في كتابه بلاغات النساء[(٢)] بنفس الألفاظ الواردة في كتب الشيعة.

٤- أبو منصور الأزهري (توفي ٣٧٠هـ): أشار إلى هذه الخطبة في كتابه تهذيب اللغة، قال: وروي عن فاطمة البتول أنها خرجت في لمة من نسائها تتوطأ ذيلها، حتى دخلت على أبي بكر الصديق، أي في جماعة من نسائها[(٣)].

٥- محمود بن عمر الزمخشري (توفي ٥٣٨هـ) [(٤)]: أشار إلى الخطبة في كتابه الفائق في غريب الحديث، قال: وفي حديث فاطمة رضي الله تعالى عنها: إنّها خرجت في لُمَة من نسائها تتوطَّأُ ذَيْلها، حتى دخلَتْ على أبي

دليل على أنها كانت معروفة ومتداولة عندهم، شأنها شأن كثير من الأحاديث والحوادث، وأمّا ما ذكره من أنّ الخطبة موضوعة؛ لأن بعض نقلة الأخبار قال له ذلك، فمضافاً إلى أنه لم يذكر لنا من هو هذا الشخص الذي وصفه بأنّه من نقلة الأخبار، الذي ادّعى أنه يعرف واضع الخطبة، حتى نرى هل كلامه له وزن علمي أم لا، فإنه مع ذلك لم يبين لنا حكم من وصفهم بأنهم رجال الحديث على الخطبة، ولعلهم قالوا غير ذلك، لكنه لم يذكره بسبب نصبه الذي اشتهر به.

(١) أبو الفضل أحمد بن طيفور أبي طاهر الخراساني ولد سنة ٢٠٤هـ وتوفي سنة ٢٨٠هـ كاتب ومؤرخ وأديب ولد وتوفي ببغداد. (للمزيد الأعلام للزركلي ١/١٤١)

(٢) بلاغات النساء: ٦.

(٣) تهذيب اللغة ٥/ ١٩٣.

(٤) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري من أئمة المعتزلة ولد سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٣٨هـ عرف بتضلعه في اللغة والأدب والتفسر. (للمزيد الأعلام للزركلي ٧/ ١٧٨)

بكر[1].

٦- **محمد بن حمدون (توفي ٥٦٢هـ)** [2]: ذكر الخطبة كاملة في كتابه التذكرة الحمدونية[3].

٧- **عبد الرحمن بن الجوزي(توفي ٥٩٧هـ)** [4]: أشار إلى هذه الخطبة في كتابه غريب الحديث، قال: وفي الحديث: أنّ فاطمة خرجت في لُمَة من نسائها إلى أبي بكر، فعاتبته، أي في جماعة[5].

٨- **ابن الأثير الجزري (توفي ٦٠٦هـ)** [6]: أشار إلى الخطبة في كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر، قال: في حديث فاطمة: «أنها خرجت في لمة من نسائها تتوطأ ذيلها إلى أبي بكر، فعاتبته»، أي في جماعة من نسائها، قيل: هي ما بين الثلاثة إلى العشرة[7].

---

(١) الفائق ٣/ ٣٣١.

(٢) بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون البغدادي ولد سنة ٤٩٥هـ وتوفي سنة ٥٦٢هـ من أهل بغداد، كان عالما بالأدب والأخبار ومقرّبا من خلفاء بني العباس. (للمزيد الأعلام للزركلي ٦/ ٨٥)

(٣) التذكرة الحمدونية ٦/ ٢٥٥.

(٤) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ولد سنة ٥٠٨هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ فقيه حنبلي ومتكلّم أشعري وواعظ صوفي بلغت مصنّفاته ٣٠٠ كتابا في شتى علوم الإسلام. (للمزيد سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٥)

(٥) غريب الحديث ٢/ ٣٣٣.

(٦) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ بالموصل. (للمزيد الأعلام للزركلي ٥/ ٢٧٢)

(٧) النهاية في غريب الحديث ٤/ ٥٥٧.

٩- أبو المظفر بن قزأوغلي سبط ابن الجوزي (توفي ٦٥٤هـ) [١]: نقل فقرات من الخطبة في كتابه مرآة الزمان، قال: وقال هشام بن محمد، لمّا مُنعت فاطمة ميراثها دخلت على أبي بكر وقد لاثت خمارها على رأسها، ثم حمدت الله وأثنت عليه، ووصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأوصاف، فكان مما قالت: كان كلما فغرت فاغرة من المشركين أو نجم قرن من الشيطان وطأ روقه بأخمصه، وأخمد لهبه بسيفه، وكسر قرنه بعزيمته... [٢]

١٠- ابن أبي الحديد المعتزلي (توفي ٦٥٦هـ): ذكر الخطبة كاملة في شرحه لنهج البلاغة[٣]، وعدّد طرقها، وشرح غريب ألفاظها.

١١- ابن منظور الإفريقي (توفي ٧١١هـ) [٤]: أشار إلى هذه الخطبة في كتابه لسان العرب، قال: وفي حديث فاطمة رضوان الله عليها أنها خرجت في لمة من نسائها تتوطأ ذيلها إلى أبي بكر،فعاتبته، أي في جماعة من نسائها[٥].

(١) أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي المتقدّم ذكره، ولد سنة ٥٨١ هـ وتوفي سنة ٦٥٤هـ من الكتاب الوعاظ. (للمزيد الأعلام للزركلي ٨/ ٢٤٦هـ)

(٢) مرآة الزمان ٤/ ٢٧٥؛ نقل سبط ابن الجوزي الخطبة عن (هشام بن محمد) هو الكلبي المؤرخ والنسابة المعروف المتوفى ٢٠٤ هـ، وقد كانت كتبه مشتهرة ومتداولة في ذلك العصر لكنّها فقدت ولم يبق منها إلّا النزر اليسير.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢٥٠.

(٤) جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الافريقي ولد سنة ٦٣٠ هـ وتوفي سنة ٧١١هـ عاش أغلب حياته بمصر واهتمّ باختصار وتهذيب كتب الأدب. (للمزيد الأعلام للزركلي ٧/ ١٠٨)

(٥) لسان العرب ١٢/ ٥٤٧.

١٢- مجد الدين الفتني[1] **(توفي ٩٨٦هـ)**: أشار إلى هذه الخطبة في كتابه مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار بقوله: في حديث فاطمة إنّها خرجت في لمّة من نسائها هي ما بين الثلاثة إلى العشرة، أو المثل في السن والترب[2].

١٣- مرتضى الزبيدي (توفي ١٢٠٥هـ): أشار إلى هذه الخطبة في كتابه تاج العروس، قال: وفي الحديث: «لا تسافروا حتى تصيبوا لمة» أي رفقة، وفي حديث فاطمة رضي الله تعالى عنها أنها خرجت في لمة من نسائها، أي في جماعة[3].

فهذه الخطبة مشهورة معروفة في كتب المسلمين، سواء في كتب التاريخ أم الحديث أم الأدب، ولم نر منهم نكيراً سوى ما ذكره ابن قتيبة، وقد علّقنا عليه في موضعه.

٤- دعوى وضع الخطبة الفدكية

ادّعى بعضهم أنّ هذه الخطبة المباركة موضوعة مصنوعة قد نحلت لفاطمة عليها السلام ليثبت الشيعة صحة مذهبهم، وصواب ما يعتقدونه في الشيخين.

وحيث أنّ هذه الدعوى تحتاج إلى دليل، إذ أنّ طرق معرفة الموضوع

---

(١) محمد طاهر الصديقي الفتني نسبة إلى فتن من بلاد كجرات الهند، ولد سنة ٩١٠هـ وتوفي سنة ٩٨٦هـ كان يلقّب بملك المحدّثين مات مقتولاً بالقرب من أجّين. (للمزيد الأعلام للزركلي ٦/ ١٧٢)

(٢) مجمع بحار الأنوار ٤/ ٥١٠.

(٣) تاج العروس: ٧٨٩٦.

مقرّرة ومحرّرة في كتب الدراية علم المصطلح، فلم يجدوا ما يمكن الاستناد عليه والتمسّك به سوى ما ذكره ابن طيفور قبل رواية الخطبة حيث قال: قال أبو الفضل: ذكرت لأبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام كلام فاطمة عليها السلام عند منع أبي بكر إياها فدك، وقلت له: إنّ هؤلاء يزعمون أنّه مصنوع وأنّه من كلام أبي العيناء[١].

فقالوا أنّ الطعن في صحّة الخطبة هو أمر قديم وليس بالجديد والمتّهم بها هو (أبو العيناء)، بل الأعظم من هذا أنّ الرجل اعترف بوضع الخبر كما نقل ذلك الحاكم النيسابوري: سمعت عبد العزيز بن عبد الملك الأموي قال سمعت إسماعيل بن محمد النحوي يقول: سمعت المحاملي يقول: سمعت أبا العيناء يقول: أنا والحافظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه إلّا ابن شيبة العلوي فإنّه قال: لا يشبه آخر هذا أوله، فأبى أن يقبله قال إسماعيل: وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعد ما تاب[٢].

والجواب على هذه الدعوى:

أوّلا: إنّ سند هذه القصّة مخدوش، إذ لا يوجد توثيق صريح يمكن الركون إليه للراوي "عبد العزيز بن عبد الملك"، إذ أنّه أهمل في كتب التراجم والطبقات، ومن ترجم له لم يذكر في حقّه جرحا أو تعديلا، فالرجل إذن مجهول الحال[٣].

---

(١) بلاغات النساء ١٢.

(٢) المدخل إلى الإكليل ١٠٣.

(٣) لم أجد له ترجمة سوى في كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٦/ ٣١٢، وتاريخ علماء

ثانيا: لو سلّمنا بصحّة هذه القصّة، فإنّه لا يوجد دليل على أنّ مراد أبي العيناء من "حديث فدك" هو الخطبة الفدكية المعروفة، إذ أنّ كلامه مجمل وحمله على الخطبة المشهورة يحتاج إلى دليل.

علما أنّ ابن حجر العسقلاني قد نصّ في ميزانه على عدم معرفته بمقصودهم من "حديث فدك"، قال: وقال إسماعيل بن محمد الصفار سمعت أبا العيناء يقول: أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه إلّا ابن شيبة العلوي، فإنّه أباه وقال هذا كذب سمعها الحاكم من عبد العزيز بن عبد الملك الأعور؛ قلت: ما علمت ما أراد بحديث فدك[1].

ثالثا: إنّ العادة جرت على أنّ الوضّاع إذا أراد أن ينحل حديثا أو كلاما لأحد فإنّه يكون لدافع عنده، إمّا نصرة لمذهبه أو طاعة للسلطان أو كيدا بالدين وأهله، فلو سلّمنا بهذه القصّة فإنّ السؤال المهمّ الذي يطرح هو: ما الدافع الذي يجعل أبا العيناء يضع هذه الخطبة وينسبها لفاطمة عليها السلام، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الرجل لم يكن من الشيعة ولم يعرف عنه تعاطف معهم.

والأهمّ من هذا أنّ شريكه في الجريمة كان "الجاحظ"[2] وهو الذي

الأندلس لابن الفرضي١/ ١٠٤، وأفضل ما قيل فيه هو مانسب للحاكم النيسابوري: "لم يدنس نفسه بشيء قط مما يشين العلم" وهذا ليس بتوثيق كما لا يخفى.

(١) لسان الميزان ٤/ ٣٥٦.

(٢) عمرو بن بحر بن محبوب الليثي المعروف بالجاحظ ولد سنة ١٦٣هـ وتوفي سنة ٢٥٥هـ من أئمة الأدب واللغة وكانت له مقالات في علم الكلام حتى نسبوا له فرقة الجاحظية. (للمزيد الأعلام ٥/ ٧٤)

عرف بأنّه كان ناصبيّا منحرفا عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ألّف كتابه الموسوم بـ "الرسالة العثمانية" طعن طعن في ضمنه في مناقب وفضائل أمير المؤمنين عليه السلام ونقض فيه أدلّة الشيعة على تفضيله، فكيف يشارك مثل هذا في وضع خطبة في هذه الدرجة من الفصاحة والبلاغة وينسبها لفاطمة عليها السلام لتكون حجّة للشيعة على مخالفيهم؟!

فلا يوجد دافع عند الجاحظ ولا عند أبي العيناء لوضع هذه الخطبة وبثّها في صفوف المحدّثين في بغداد، بل يوجد في مانع من ذلك كما تقدّم.

رابعا: ذكرت الرواية أنّ كلّ محدّثي بغداد قد قبلوا هذه الرواية عندما حدّث بها أبو العيناء، والسؤال هنا: كيف قبلوا منه هذه الخطبة مع علمهم بحاله؟! إذ أنّ كلّ من ترجم له من السنة والشيعة لم يورد في حقّه توثيقا وكذلك رفيقه الجاحظ، فهل من المعقول أن يجمع الكلّ على قبول روايته دون تثبّت؟

إنّ اثبات هذا المعنى يدلّ على خفّة عقل المحدّثين وعدم تحرّزهم عند الرواية ممّا يجعلنا نشكّ في كلّ ما نقل عنهم، فإن كان قد خدعهم أبو العيناء مع وضوح أمره فكيف بغيره من الزنادقة الذين تلبّسوا برداء الدين واندسّوا بين صفوف المحدّثين.

خامسا: ذكرت الرواية أنّ رجلا واحدا لم يقبل هذا الخبر وهو "ابن شيبة العلوي"، حيث رفض الحديث لعدم مطابقة أوّله آخره، والظاهر من سياق الخبر أنّه من رؤوس العلم في بغداد حيث أنّهم عرضوا عليه الحديث، والسؤال هنا: من هو هذا الرجل؟

بحثت في كتب التراجم فلم أجد أحدا بهذا الإسم سوى من ترجم

الخطيب البغدادي في تاريخه بقوله: محمد بن الحسين بن على بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب أبو الحسين المعروف بابن الشبيه العلوي[١] حدث عن عبد العزيز بن إسحاق بن البقال المتكلم على مذاهب الزيدية من الشيعة[٢].

وذكر هذا الذي زعموا أنّه قد رفض حديث فدك، يدلّ على كذب القصة: إذ أنّ "ابن الشبيه العلوي" قد حدّث عنه القاضي التنوخي كما نصّ الخطيب في ترجمته[٣]، وهذا الأخير قد ولد سنة ٣٢٧هـ أي بعد وفاة ابي العيناء بأكثر من ثلاثين سنة، إذ أنّه توفي سنة ٢٨٣هـ، وابن الشبيه العلوي بحسب هذه الرواية معاصر لأبي العيناء، ومن هنا نعلم أنّه ليس من الممكن أن يكون أبو العيناء قد عاصر "ابن الشبيه العلوي" وعرض عليه الحديث.

سادسا: لو سلّمنا بكلّ ما تقدّم، فإنّ كلام ابن الشبيه العلوي لا واقع له، إذ أنّه استدلّ على كذب الحديث بأنّ آخره يختلف عن أوّله، وقد مرّت على القارىء الكريم الخطبة الفدكية مع إشارة مختصرة إلى بعض معانيها، فهل رأيتم فيها تفاوتا؟ أو قرأتم فيها اختلافا بين ألفاظها؟

الحقيقة أنّ هذه النفس الأدبي في هذه الخطبة مطابق لخطب نهج

---

(١) الظاهر أنّ ما ورد عند الحاكم في الإكليل تصحيف إذ أنّه لا وجود لشخصية بهذا اللقب سوى من ذكرناه، وقد نصّ على هذا التصحيف المحقق التستري في القاموس ١١/ ٦١٧، وقد لقّبوا بهذا اللقب لأنّ جدّهم زيد بن علي بن الحسين بن زيد كان شبيها برسول الله صلى الله عليه وآله فعرف أبناؤه من بعده بأبناء الشبيه.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٦.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٦.

البلاغة وأدعية أمير المؤمنين عليه السلام في حسن السبك وعلوّ المضمون ودقّة المعاني فهي كالقطعة الواحدة التي لا يميّز أوّلها عن آخرها.

سابعا: يكفينا في نقض هذه الدعوى أن نأتي بمصدر واحد قبل أبي العيناء ذكرت الخطبة الفدكية وهو: كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّى سنة ١٧٠هـ، إذ أنّه أشار للخطبة في معجمه المعروف ممّا يدلّ على شهرتها في ذلك الزمن وشياع أمرها.

وعليه فهذه الإجابات تثبت بطلان دعوى وضع الخطبة الفدكية نت قبل أبي العيناء والجاحظ وتخرس كلّ من تسوّل له نفسه تكرار هذه الدعوى.

خلاصة البحث

بعد هذه الرحلة المطوّلة التي رافقنا فيها القارئ الكريم لا بدّ من تلخيص ما مرّ وترتيبه في نقاط موجزة حتّى يسهل استحضاره؛ ويتيسر الدخول إلى الفصل الثاني من الكتاب:

أوّلاً: قد أثبتنا بالأدلة الصحيحة الصريحة أنّ الزهراء عليها السلام هي الامتداد الحقيقي للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله، بحيث تثبت لها نفس الخصوصيات الثابتة له صلوات الله عليه من حرمة أذيَّته مطلقاً، وحرمة إغضابه، ووجوب توقيره وتعزيزه...

ثانياً: أنّ الزهراء عليها السلام قد طالبت بعد وفاة أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله بعدّة أمور، وليس بأمر واحد، وهي: (الخمس، الفيء، الصدقات، فدك، الميراث).

ثالثاً: كلّ ما ذكرناه في النقطة الثانية قد استحوذت عليه حكومة الخلفاء، وانتُزع من الزهراء عليها السلام انتزاعاً، ولم تُصدّق في دعواها، ولم تُقبل شهادة الشهود، بل كُذّبت وخُطّئتْ...

رابعاً: غضبت الزهراء عليها السلام على أبي بكر وعمر، وخطبت خطبة عصماء في مسجد النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، فضحت فيها المؤامرة التي حاكها الظالمون لها، وبيّنت حقيقة الحصار المالي الذي فُرض عليها وعلى أهل بيتها عليهم السلام ...

خامساً: استمرّ غضب الزهراء عليها السلام إلى حين وفاتها، رغم المحاولات الكثيرة لاسترضائها، وبقيت هاجرة لهما، وماتت وهي غاضبة واجدة ساخطة على من ظلمها، وسلبها حقّها...

من خلال هذه النقاط الخمسة يصل القارئ المنصف العاقل إلى نتيجة واحدة منطقية، وهي أنّه بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله انقسمت الأمة إلى فرقتين متباينتين:

الأولى: تمثّلت في الزهراء عليها السلام ومن شايعها، وصدّق دعواها، ووقف في صفّها، وعرف ظلم ظالميها.

الثانية: تمثّلت في الحكومة التي بيدها مقادير الأمور في ذلك الزمن، والتي باشرت عملية الحصار الاقتصادي على أهل بيت النبوّة عليهم السلام، وقامت بغصب الزهراء عليها السلام الأمور التي ذكرناها آنفاً، وأتباعها الذين رضوا بهذا الفعل، وصوّبوه، ودافعوا عنه.

وحيث إننا قد قدّمنا أنّ الزهراء عليها السلام هي الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله، فهي بضعته وروحه وقلبه ومضغة منه، فإن الواجب الشرعي يقتضي منا الوقوف إلى جانبها، وتصويبها في فعلها، وتخطئة كل من خالفها، فإنها أبر وأتقى لله من أن تدّعي من أمور الدنيا ما ليس لها وهي سيّدة نساء العالمين، وبضعة رسول رب العالمين

قال الله جلّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾.

هل توقّف الخلاف عند هذا الحدّ؟

أغلب من تعرّض إلى النزاع بين الزهراء عليها السلام وبين الحكومة القائمة في ذلك الزمن توقّف عند هذا الخلاف، وهو قضية فدك والميراث، بحيث جعلوا القضية أشبه ما يكون بالخلاف الاقتصادي!

وقد بيّنّا سابقاً أنّ هذا التصوّر باطل عاطل، فإنّ ما ذُكر ليس هو جوهر الخلاف بين فاطمة عليها السلام وأعدائها، بل هو مجرّد حلقة من حلقات الصراع الطويل الذي سنستعرضه لاحقاً، وإلّا لبّ هذا النزاع وجوهره هو قضيّة الإمامة.

ويدل عليه تصريح الزهراء عليها السلام في الخطبة الفدكية في أكثر من مورد بقضية الإمامة، كما في قولها الصريح: «وطاعتنا نظاماً للملة، وإمامتنا أماناً من الفُرقة»[1].

ولكون النزاع في الإمامة هو النزاع الأهم والأبرز وقعت حوادث جسام، حيث اعتُدي على هذا البيت العلوي الطاهر، وانتُهكت حرمته، وذاق أهله الأهوال من السلطات القائمة، وسيأتي تفصيل هذا في الفصول الآتية من الكتاب، حيث سنستعرض قضية الهجوم على دار الإمام علي عليه السلام، وضرب السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام بالتفصيل؛ لنقطع دابر كلّ مشكّك في هذه وقوع القضية التي كثر الأخذ والردّ فيها.

وسيكون بحثنا في هذه المسألة في عدّة نقاط، هي:

---

(١) دلائل الإمامة: ١١٣.

١- حصار بيت الزهراء عليها السلام والتهديد بحرقه مع من فيه.

٢- الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام واقتحامه.

٣- الاعتداء على الزهراء عليها السلام بالضرب.

٤- إسقاط جنين الزهراء: المحسن بن علي عليه السلام.

٥- دفع الإشكالات التي ساقها البعض حول هذه القضايا.

حصار بيت الزهراء عليها السلام والتهديد بحرقه

قبل الخوض في ذكر مصادر وتفاصيل هذه الحادثة، لا بدّ من ذكر بعض المقدّمات المهمّة التي تجعل القارئ العزيز يعيش في أجواء تلك الفترة الزمنية العصيبة.

١ - مقدمات الموضوع:

هناك مجموعة من الأحداث التاريخية المهمّة التي تعتبر مقدّمات مهمّة لهذه الحادثة يتوقّف عليها فهم ما جرى فيما بعد:

قمع المعارضة (سعد بن عبادة أنموذجاً):

أوّل إجراء اتّخذه الخليفة الأوّل بعد مبايعته هو إجبار المعارضين لبيعته الذين يُحتمل فيهم أنّهم سيسبّبون مشكلة للحكومة القائمة في ذلك الوقت على البيعة، ولذلك نقل لنا التاريخ عدّة نماذج من تعاملهم الشديد مع من كل معارض.

فمثلاً ما حصل في سقيفة بني ساعدة عند بيعة الخليفة الأول، حيث أنّ القوم تعاملوا مع سعد بن عبادة زعيم الخزرج بطريقة شديدة، وقد نقل لنا البخاري بعض هذه الحادثة، حيث قال على لسان الخليفة الثاني: ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. **فقلت: قتل الله**

سعد بن عبادة[١].

وفي رواية مسند أحمد: قال: نزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعداً. فقلت: **قتل الله سعداً**[٢].

فهذا تهديد صريح وأمر مباشر من عمر بن الخطاب بقتل سعد بن عبادة الذي اعتبروه معارضاً لهم وحجر عثرة أمام مشروعهم، ومن هنا اعتبر شرّاح الحديث أن هذا الخبر من مشكلات الأخبار التي تحتاج إلى تأويل، فتفنّنوا في صرفه عن ظاهره والتلاعب بمتنه:

فقد قال ابن الجوزي في المشكل من حديث الصحيحين: وقوله: «قتل الله سعداً» إنّما قال هذا لأنّ سعداً أراد الولاية، وما كان يصلح أن يتقدّم أبا بكر. وقال الخطابي: معنى قوله: «قتل الله سعداً»: أي احسبوه في عداد من مات وهلك، أي لا تعتدّوا بحضوره؛ لأنه أراد أن يكون أميراً، فخالف[٣].

وذكر العيني في شرحه على البخاري: لا وجه قط للرد المذكور؛ لأنه ليس المراد من قول عمر: «اقتلوه» حقيقة القتل، بل المراد منه أيضاً الإعراض عنه وخذلانه، كما في الأول. ومعنى قول عمر: «قتله الله»: دعاء عليه؛ لعدم نصرته للحق ومخالفته للجماعة؛ لأنه تخلّف عن البيعة، وخرج من المدينة، ولم ينصرف إليها، إلى أن مات بالشام كما ذكرناه عن قريب[٤].

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ٢٢.

(٢) مسند أحمد ١/ ١٥٦.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين ١/ ٧١.

(٤) عمدة القاري ١٦/ ١٨٦.

وذكر غيره وجوهاً كثيرة لتأويل هذه الفقرة من الحديث طوينا عنها كشحاً، علماً أنّ ما أورده البخاري في صحيحه هو القصّة المهذّبة للحادثة وإلّا فإنّ الطبري في تاريخه قد نقل تفاصيل دقيقة تبيّن لنا عظم ما حصل في السقيفة!

فقد نقل بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن أنه قال: فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: **اتّقوا سعداً، لا تطؤوه. فقال عمر: اقتلوه، قتله الله.** ثم قام على رأسه، فقال: **لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك.** فأخذ سعد بلحية عمر، فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة[١].

بل نقل أعظم من هذا، حيث نصّ على حصول اشتباك مسلّح في السقيفة، حيث ذكر قول الراوي: وقال قائل حين أوطئ سعد: قتلتم سعداً، فقال عمر: **قتله الله، إنه منافق.** واعترض عمر بالسيف صخرة فقطعه[٢].

ومن غرائب الحوادث أنّ سعداً وُجد مقتولاً في أوائل خلافة عمر بن الخطّاب، ولم يُعرف من قتله، فاتّهموا به الجنّ، فمنهم من ذكر أنّه قُتل بسهم من سهامهم!

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب: ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله وقد اخضرَّ جسده، ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول ولا يرون

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٩.

أحداً:

قَتَلْنَا سَيِّدَ الخَزْرَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةْ   وَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمٍ فَلَمْ يُخْطِ فُؤَادَهْ

ويقال: إن الجن قتلته[1].

ومنهم من ذكر أنّ السبب في قتله عين أصابته من الجنّ، قال العيني: قال الخطابي: عيون الجن أنفذ من الأسنّة، ولما مات سعد سُمع قائل من الجنّ يقول:

قَتَلْنَا سَيِّدَ الخَزْرَجِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةْ   وَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمٍ فَلَمْ يُخْطِ فُؤَادَهْ

قال: فتأوّله بعضهم، أي: أصبناه بعين[2]!!

والحاصل: أن منهج أصحاب السقيفة كان قمع كلّ من عارضهم ولم يقبل بمشروعهم، وقد أعلن الخليفة الثاني ذلك صريحاً بقوله: لا والله، لا يخالفنا أحد **إلّا قتلناه**[3].

رفض أمير المؤمنين عليه السلام البيعة:

من الذين رفضوا البيعة وامتنعوا عن التسليم بخلافة أبي بكر بن أبي قحافة أمير المؤمنين عليه السلام وسائر بني هاشم، وقد تسالم على ذلك أصحاب الحديث والتواريخ والسير وأثبتوه في مصنّفاتهم:

فقد ذكر البخاري بسنده عن عائشة أنها قالت: فوجدت فاطمة على

---

(١) الإستيعاب ٢/ ٥٩٩.

(٢) العيني ٢١/ ٢٦٦.

(٣) فتح الباري ٧/ ٢٤.

أبي بكر في ذلك، فهجرته، فلم تكلّمه حتى توفّيت، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، فلما توفّيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها، وكان لعلي من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلمّا توفّيت استنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، **ولم يكن يبايع تلك الأشهر**[(١)].

ونقل البيهقي نفس الحديث بإضافة زيادة مهمّة جدًّا، وهي قوله: قال معمر: قلت للزهري: كم مكثت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: ستّة أشهر. فقال رجل للزهري: **فلم يبايعه علي عليه السلام حتّى ماتت فاطمة** عليها السلام؟ **قال: ولا أحد من بني هاشم**[(٢)].

وقد جزم ابن الأثير بصحّة تخلّف بني هاشم عن بيعة أبي بكر، فقال: **وتخلّف عن بيعته: علي**، وبنو هاشم، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد بن العاص، وسعد بن عبادة الأنصاري. ثم إنّ الجميع بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سعد بن عبادة، فإنه لم يبايع أحداً إلى أن مات، **وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر على القول الصحيح**[(٣)].

وكذلك أبو الفداء[(٤)] في تاريخه، حيث قال: فبايع عمر أبا بكر، وانثال الناس عليه يبايعونه في العشر الأوسط من ربيع الأول سنة إحدى

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٨٣.

(٢) السنن الكبرى ٦/ ٣٠٠.

(٣) أسد الغابة ٣/ ٢٢٣.

(٤) أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود الأيوبي ولد سنة ٦٧٢هـ وتوفي سنة ٧٣٢هـ من ملوك الدولة الأيوبية في الشام ألّف مجموعة من الكتب. (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ٣١٩)

عشرة، **خلا جماعة من بني هاشم**، والزبير، وعتبة بن أبي لهب، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبيّ بن كعب، **ومالوا مع علي بن أبي طالب**[(١)].

وقد حاول البعض إنكار هذه الحقيقة وتحريفها بعدّة طرق:

المحاولة الأولى: إنكار أساس القصّة، بزعمهم أنّ الأمير عليه السلام بايع منذ أوّل يوم من خلافة أبي بكر، استناداً إلى حديث رواه البيهقي بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منّا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان، أحدهما منكم، والآخر منّا. قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين، وإنّ الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقام أبو بكر فقال: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار، وثبّت قائلكم. ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم. ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر، فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا. فلمّا قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليًّا عليه السلام، فسأل عنه، فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه، أردت أن تشقّ عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله. فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه، أردت أن تشقّ عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول

---

(١) تاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٦.

الله. فبايعاه[١].

وقد طار بعض علماء أهل السنة بهذا الحديث فرحاً، واعتبروه غنيمة الغنائم:

حيث نقل البيهقي بسنده عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه قال: جاءني مسلم بن الحجاج، فسألني عن هذا الحديث، فكتبته له في رقعة، وقرأت عليه. فقال: هذا حديث يسوى بدنة. فقلت: يسوى بدنة؟ بل هو يسوى بدرة![٢].

وقال الحافظ ابن كثير تعليقاً على هذا الحديث: وهذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة، عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري، وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة علي بن أبي طالب، إمّا في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه كما سنذكره، وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردّة كما سنبيّنه قريباً[٣].

والجواب على هذا الحديث من وجوه:

أوّلاً: إنّا هذا الحديث لا يمكن الاعتماد عليه والركون إليه؛ لاشتمال سنده على مجموعة من العلل القادحة بحسب الصناعة الحديثية عند أهل السنة والجماعة:

---

(١) السنن الكبرى ٨/ ١٤٣.

(٢) السنن الكبرى ٨/ ١٤٣.

(٣) البداية والنهاية ٥/ ٢٧٠.

١- **أبو نضرة المنذر بن مالك بن قطعة**: رغم توثيق جملة من علماء الجرح والتعديل له إلّا أنه قد ذكره العقيلي في الضعفاء[١]، ونصّ بعضهم على أنّه يخطئ[٢]، وأنّه تغيّر في آخر عمره أي اختلط[٣]، وقد ترك البخاري الاحتجاج به[٤].

٢- **داود بن أبي هند**: اعتبروه من أجلّاء العلماء والعبّاد في عصره، إلّا أنّهم ذكروا عدّة مطاعن فيه، منها: أنّه كان يهم إذا حدّث من حفظه[٥]، ومنها: أنّه كان كثير الاضطراب والخلاف كما نُقل عن الإمام أحمد بن حنبل[٦].

٣- **وهيب بن خالد**: نصّوا على وثاقته، إلّا أنّ أبا داود السجستاني ذكر أنّه تغيّر في آخر حياته، أي اختلط وقلّ ضبطه، ولم يعارضه أحد في ذلك من الحفّاظ[٧].

٤- **عفان بن مسلم الباهلي**: نصّوا أنّه من أكبر رواة الحديث وأعظمهم بعد شعبة، إلّا أنّ هذا لم يمنع من وجود من طعن فيه وفي حفظه، وذلك بوصفه بقلّة الفهم وبطء الحفظ[٨].

---

(١) الضعفاء ٤/ ٢٠٠.

(٢) الكاشف في من له رواية في الكتب الستة ٢/ ٢٩٥.

(٣) مشاهير علماء الأمصار: ١٥٦.

(٤) ميزان الاعتدال ٤/ ١٨١.

(٥) الثقات لابن حبان ٦/ ٢٧٨، علماً أنّ ابن حبّان قد حاول الدفاع عنه بتخفيف وطأة هذه الكلمة.

(٦) تهذيب التهذيب ٣/ ١٧٧.

(٧) تهذيب التهذيب ١١/ ١١٥٠، سؤالات الآجري ٢/ ١٥٩.

(٨) الكامل في الضعفاء ٥/ ٣٨٥: قال: سليمان بن حرب يقول: نرى عفان بن مسلم كان

قد يحاول البعض الإجابة على العلل التي أوردناها أعلاه بالدفاع عن هؤلاء الرواة، وهذا لا ينفع بشيء؛ إذ أنّ المشكلة الحقيقية هي اجتماع هذه العلل مع بعض في سند واحد، مع وجود قرائن أخرى ستأتي لاحقاً، كاضطراب المتن، ومعارضة هذه الرواية لأخرى أصحّ منها، ممّا يؤكدّ صحّة ما قلناه.

ثانياً: أنّ متن هذا الحديث مضطرب، بل شديد الاضطراب بحيث يجعل الباحث يشكّ في مضمونه.

فقد رويت هذه الرواية في بعض المصادر الأخرى باختلاف في الألفاظ، يثبت أنّه قد كان هناك اختلاف كبير بين البيت العلوي وبين خطّ السقيفة، فقد روى البلاذري بسنده: عن حماد بن سلمة، أنبأ الجريري، عن أبي نضرة قال: لما بايع الناس أبا بكر، اعتزل علي والزبير، فبعث إليهما عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، فأتيا منزل عليّ، فقرعا الباب، فنظر الزبير من قترة، ثم رجع إلى عليّ، فقال: هذان رجلان من أهل الجنة، **وليس لنا أن نقاتلهما**. قال: افتح لهما. ثم خرجا معهما حتى أتيا أبا بكر، فقال أبو بكر: يا علي أنت ابن عم رسول الله وصهره، فتقول: إنّي أحق بهذا الأمر، لاها الله، لأنا أحق به منك. قال: لا تثريب، يا خليفة رسول الله، ابسط يدك أبايعك. فبسط يده فبايعه، ثم قال للزبير: تقول: أنا ابن عمّة رسول الله وحواريه وفارسه، وأنا أحقّ بالأمر، لاها الله، لأنا أحق به منك. فقال: لا تثريب يا

يضبط عن شعبة، والله لو جهد جهده أن يضبط عن شعبة حديثاً واحداً ما قدر عليه، كان بطيئاً رديء الحفظ، بطيء الفهم؛ قال سليمان: وحدثني حجاج الفساطيطي أنه كان يملي عليهم أحاديث شعبة، قال لي سليمان: والله لقد دخل عفان قبره وهو نادم على رواياته عن شعبة.

خليفة رسول الله، ابسط يدك، فبسط يده فبايعه[١].

وهذا الحديث يثبت ما أثبته حديث عائشة في البخاري من أنّ عليًّا عليه السلام والزبير قد اعتزلا البيعة، ولم يشاركا فيها، بل تثبت أمراً آخر مهمًّا، وهو أنّ عمر بن الخطاب ذهب لبيت علي عليه السلام لإحضاره للبيعة، والأهم من كلّ هذا هو كلام الزبير بن العوام حيث قال: «ليس لنا أن نقاتلهما»، ممّا يكشف حقيقة الموقف المتوتّر في تلك اللحظات، وأنّ الذين كانوا قد تحصّنوا في بيت فاطمة عليها السلام قد استعدّوا للأسوأ، وهو هجوم السلطات على البيت.

بل روي هذا الحديث في مصادر أخرى دون هذه الفقرة التي تمسّك بها القوم لإثبات بيعة أمير المؤمنين عليه السلام للخليفة الأوّل، وهذا يبطل أساس الإشكال.

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده نفس هذه الرواية بنفس السند المتقدّم، لكن بهذه الصورة: عن أبي سعيد الخدري قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطباء الأنصار، فجعل منهم من يقول: يا معشر المهاجرين إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منّا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان، أحدهما منكم، والآخر منّا. قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، قال: فقام زيد بن ثابت فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين، وإنّما الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنّا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقام أبو بكر فقال: جزاكم الله خيراً من حيّ يا معشر الأنصار، وثبّت قائلكم. ثم قال: والله لو فعلتم غير ذلك لما

(١) أنساب الأشراف ١/ ٥٨٥.

صالحناكم[١].

ورواها كذلك ابن سعد في الطبقات[٢] بنفس السند خالية عن الفقرة التي تثبت حدوث البيعة المزعومة.

ومن هنا فإنّنا نشكّ في أصل ثبوت هذه الفقرة أساساً، ونحتمل احتمالاً قويًّا أنّها من صنع رواة الحديث الذين كان يتلاعبون بمتون الأحاديث والروايات نصرة لأهوائهم.

ثالثاً: العجيب من ابن خزيمة ومسلم بن الحجّاج اللذين ذكرنا سابقاً أنّهما اعتبرا هذا الحديث يساوي بدنة أي بعير، أو بدرة أي كيس فيه عشرة آلاف درهم[٣]، ورغم هذا لم نجد للحديث ذكراً لا في صحيح مسلم ولا في صحيح ابن خزيمة، ممّا يجعلنا نشكّ في أصل صحّة نسبة قصّة الحديث لهما، علماً أنّ كليهما قد أوردا حديث عائشة في كتابيهما، ونصّا على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع القوم!!

رابعاً: أنّ هذا الحديث معارض بما ورد في الحديث الصحيح الوارد في الصحيحين اللذين أجمع القوم على صحتهما، وهو الحديث الذي نُصّ فيه على أنّ عليًّا عليه السلام لم يبايع الخليفة الأوّل لمدّة ستة أشهر، حيث قالت عائشة نصًّا: «ولم يكن يبايع تلك الأشهر»[٤]، ومحاولة الجمع الذي ذهب إليها البعض من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بايع مرتين مردودة بنصّ هذه

---

(١) مسند أحمد ٥/ ١٨٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٣/ ٢١٢.

(٣) مقاييس اللغة ١/ ٢٠٨

(٤) صحيح البخاري ٥/ ٨٣.

العبارة.

والنتيجة أنّ هذا الحديث مطعون فيه من جهة السند، مضطرب المتن، معارَض بأحاديث صحيحة بل مجمع على صحّتها، وكل هذه الأمور تجعلنا نحكم على هذا الحديث بأنه موضوع أريد به تحريف حادثة تاريخية ثابتة.

المحاولة الثانية: هي تحريف سبب اعراض أمير المؤمنين عليه السلام عن البيعة، فإنّ كلّ من قرأ التاريخ علم أنّ سبب امتناع الأمير عليه السلام عن البيعة هو عدم رضاه بما حصل في سقيفة بني ساعدة وما جرى بعدها من أحداث سيأتي الكلام عنها لاحقاً.

لكن بعضهم بلغ به الأمر أن يدّعي أنّ سبب الامتناع هو حزن علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وتأثّره بموته!

قال السعد التفتازاني[1]: توقَّف علي رضي الله عنه في بيعة أبي بكر، فيُحمل على أنه لما أصابه من الكآبة والحزن بفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتفرّغ للنظر والاجتهاد، فلمّا نظر وظهر له الحق دخل فيما دخل فيه الجماعة[2].

والجواب على هذه المحاولة:

أولاً: أنّ ما ذكره السعد التفتازاني لا يعدو كونه مجرّد احتمال، لم يبلغ الظنّ فضلاً عن كونه حقيقة وواقعاً دلّت عليه الأدلّة والشواهد التاريخية

---

(١) سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني نسبة إلى تفتازان في خراسان، ولد سنة ٧١٢هـ وتوفي سنة ٧٩٣هـ من أئمة العربية والبيان والمنطق والكلام، له مصنّفات مفيدة في شتى العلوم. (للمزيد ٧/ ٢١٩)

(٢) شرح المقاصد ٢/ ٣١٠.

الصريحة.

ثانياً: لو كان ما ذكره التفتازاني صحيحاً لما رأينا عليًّا عليه السلام قد تكفّل بتغسيل النبي صلى الله عليه وآله وتجهيزه ودفنه، وقد أجمع أهل السير على قيامه بهذا الدور الكبير، بخلاف أهل السقيفة أنفسهم الذين ظهرت منهم مواقف تدلّ على أنّهم أولى بهذه النسبة من أمير المؤمنين عليه السلام:

فمثلاً نجد أنّ عمر بن الخطاب قد زعم أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يمت، بل تهدد كلّ من يقول هذا الكلام بالقتل، فقد روى البخاري في صحيحه بسنده: عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح، قال إسماعيل يعنى بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنّه الله فليُقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم[1].

ورغم هذا نجد أنّ الدور الأساس في السقيفة في تنصيب أبي بكر قام به عمر بن الخطاب، وقد نقل البخاري من رواية عمر جزءاً من دوره في السقيفة، حيث قال: فكثر اللّغط، وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده، فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعتْه الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعد بن عبادة[2].

ثالثاً: أنّ رواية عائشة في البخاري تقطع دابر كلّ مشكّك في هذه الحادثة، حيث أنّها أثبتت أنّ الامتناع عن البيعة كان بسبب الخلاف الواقع

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٩٤.

(٢) صحيح البخاري ٨/ ٢٧.

بين البيت العلوي وبين أهل السقيفة من حيث استبداد أبي بكر وعمر بالأمر، قالت عائشة: وكان لعلي من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلمّا توفّيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا، ولا يأتنا أحد معك. كراهية لمحضر عمر، فقال: عمر لا والله، لا تدخل عليهم وحدك. فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي؟! والله لآتينهم. فدخل عليه أبو بكر، فتشهّد علي، فقال: إنّا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك، **ولكنّك استبددت علينا بالأمر**، وكنّا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصيباً[(١)].

فالحديث ذكر أنّ عليًّا عليه السلام لم يبايع طيلة ستة أشهر، وأنّ عدم البيعة كان سبباً في نفرة الناس منه، وأنّ عليًّا لم يكن يحب محضر عمر بن الخطاب، بل الحديث ينصّ صريحاً على أنّ عليًّا عليه السلام كان يرى أنه أولى بالخلافة من غيره، وأن أبا بكر استبدَّ بالأمر!

فهل هناك أوضح من هذه التصريحات للدلالة على السبب الدافع لأمير المؤمنين عليه السلام لإعلان رفضه لخلافة أبي بكر؟

ومن هنا نعلم أنّ رفض بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام لأبي بكر حقيقة تاريخية غير قابلة للتشكيك.

أمّا الروايات التي يُستدلّ بها أنّه بايع فيما بعد أو حتّى في الأيام الأولى فعلى تقدير ثبوتها محمولة على الإكراه كما دلّت على ذلك النصوص:

منها: ما رواه العياشي رحمه الله عن أحدهما، وهو حديث طويل جاء فيه:

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٨٣.

فأمر بحطب، فجُعل حوالي بيته، ثم انطلق عمر بنار، فأراد أن يحرق على علي بيته وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فلما رأى عليٌّ ذلك خرج، **فبايع كارهاً غير طائع**(١).

وروى السيّد المرتضى علم الهدى رضي الله عنه في الشافي بسنده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: والله ما بايع علي عليه السلام حتى رأى **الدخان قد دخل عليه بيته**(٢).

وقد نقل لنا سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه رواية طويلة تبيّن قصة البيعة الإكراهية بالتفصيل، وتكشف عن أنّها كانت مجرّد خدعة إعلامية أريد بها تثبيت ملك أهل السقيفة، ومما ورد في تلك الرواية قوله: فقام عمر، فقال لأبي بكر - وهو جالس فوق المنبر -: ما يُجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب لا يقوم فيبايعك؟ أو تأمر به فنضرب عنقه - والحسن والحسين قائمان -، فلمّا سمعا مقالة عمر بكيا، فضمهما عليه السلام إلى صدره، فقال: لا تبكيا، فوالله ما يقدران على قتل أبيكما. وأقبلت أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أبديتم حسدكم ونفاقكم. فأمر بها عمر، فأُخرجت من المسجد، وقال: ما لنا وللنساء. وقام بريدة الأسلمي وقال: أتثب على أخي رسول الله وأبي ولده وأنت الذي نعرفك في قريش بما نعرفك؟ ألستما قال لكما رسول الله صلى الله عليه وآله: انطلقا إلى علي وسلّما عليه بإمرة المؤمنين؟ فقلتما: أعن أمر الله وأمر رسوله؟ قال: نعم. فقال أبو بكر: قد كان ذلك، ولكن رسول الله قال بعد ذلك: لا يجتمع لأهل بيتي النبوة

---

(١) تفسير العياشي ٢/ ٣٠٨.

(٢) الشافي في الإمامة ٣/ ٢٤١.

والخلافة. فقال: والله ما قال هذا رسول الله، والله لا سكنت في بلدة أنت فيها أمير. فأمر به عمر، فضُرب وطُرد، ثم قال: قم يا ابن أبي طالب فبايع، فقال: فإن لم أفعل؟ قال: إذا والله نضرب عنقك. فاحتجّ عليهم ثلاث مرات، ثم مدَّ يده من غير أن يفتح كفَّه، فضرب عليها أبو بكر، ورضي بذلك منه، فنادى علي عليه السلام قبل أن يبايع - والحبل في عنقه -: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾[1].

وكيف ما كان فبضمّ المقدّمتين إلى بعض يكون القارئ قد استشرف الأحداث التي ستحدث لاحقاً، فالسلطة عزمت على قمع كلّ من يعارضها وإن كان من كبار الصحابة مثل سعد بن عبادة، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فإنهما لما امتنعا عن البيعة اعتُبرا من رؤوس المعارضة، فالنتيجة الطبيعية هو أنّهما كانا مستهدفين من قبل حكومة الخلافة.

٢- روايات تثبت الحصار والتهديد بالإحراق:

نأتي الآن إلى إثبات وقوع هذه الحادثة المريرة، وهي حصار بيت الزهراء عليها السلام والتهديد بإحراقه، حيث طفحت بذكر هذه الحادثة كتب التاريخ والسير والتراجم، بل حتّى كتب الشعر والأدب، مما يجعلنا نكاد نجزم بتواتر هذه الحادثة:

أمّا في كتب الشيعة، فالروايات كثيرة جدًّا، والطرق متعدّدة بحيث لا تجد فيهم من يشكّ لحظة في حصول هذا الأمر، وفي هذا يقول الشريف المرتضى قدس سره[2] في كتابه الشافي: **هذا الخبر قد روته الشيعة من طرق كثيرة،**

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٥٨.

(٢) علم الهدى علي بن الحسين بن موسى الموسوي الملقب بالشريف المرتضى ذي المجدين

وإنّما الطريف أن نرويه برواية لشيوخ محدّثي العامة، ولكنّهم كانوا يروون ما سمعوا بالسلامة، وربما تنبّهوا على ما في بعض ما يروونه عليهم، فكفّوا عنه[(١)].

أمّا في كتب أهل السنّة والجماعة فالرواية أيضاً كذلك كما ذكر السيد المرتضى علم الهدى قدس سره، إلّا أنّنا ابتُلينا في هذا الزمن ببعض الذين تفنّنوا في إنكار الواضحات والتشكيك في البديهيات التاريخية.

ومن هنا سنسوق النصوص الموجودة في كتب أهل السنة والجماعة مع التعليق على أسانيدها، وذكر أهمّ شبهات القوم حولها:

الرواية الأولى:

ما رواه ابن أبي شيبة في مصنّفه، قال: حدثنا محمد بن بشر، نا عبيد الله بن عمر، حدثنا زيد بن أسلم، عن أبيه أسلم: أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليّ والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيشاورونها، ويرتجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم! والله ما من أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، أن أمرتهم أن يحرّق عليهم البيت. قال: فلمّا خرج عمر جاؤوها، فقالت: تعلمون أنّ عمر قد جاءني،

ولد سنة ٣٥٥هـ وتوفي سنة ٤٣٦هـ من تلاميذ الشيخ المفيد قدس سره من كبار علماء الإمامية في القرن الرابع، انتهت له الزعامة بعد وفاة استاذه المفيد قدس سره، كتب في شتى العلوم والفنون (الفقه، الأصول، الكلام، الأدب...).

(١) الشافي في الإمامة ٣/ ٢٤١.

وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقنّ عليكم البيت، وأيم الله ليمضينّ لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فروا رأيكم، ولا ترجعوا إلي. فانصرفوا عنها، فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر(١).

وهذا سند صحيح بحسب الصناعة الحديثية عند أهل السنة والجماعة، وكلّ رواته من الثقات، بل من رجال الصحيحين الذين احتجّ بهم البخاري ومسلم، وكما يقولون: جازوا القنطرة!!

وقد علّق الحاكم النيسابوري على هذا السند في مستدركه على الصحيحين بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرّجاه(٢).

وصحّح الخطيب التبريزي(٣) هذا الحديث بقوله: وله شاهد صحيح من حديث زيد بن أسلم عند ابن أبي شيبة وابن جرير والطبري، يأتي في ترجمة زيد بن أسلم إن شاء الله تعالى(٤).

وصحّح هذا الحديث الشاه ولي الله الدهلوي(٥) بقوله: عن أسلم

---

(١) المصنف ٨/ ٥٧٢.

(٢) المستدرك ٣/ ١٥٥.

(٣) ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، توفي سنة ٧٤١هـ من علماء الحديث، من أشهر تصانيفه كتاب "مشكاة المصابيح" الذي أكمل به كتاب مصابيح السنة للبغوي. (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ٢٣٤)

(٤) الإكمال ٤.

(٥) أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي ولد سنة ١١١٠هـ وتوفي سنة ١١٧٦هـ فقيه حنفي عرف باشتغاله بعلوم الحديث حتى لقّب بمحي السنة في الهند. (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ١٤٩)

بسند صحيح على شرط الشيخين أنّه حين بويع...[1]

وقد علّق محقّق كتاب فضائل الصحابة[2] على هذا الحديث بقوله: رجال الإسناد ثقات، غير محمد بن إبراهيم، فقد سكت عنه أبو نعيم والخطيب[3].

والطريف ما استفاده ابن أبي عاصم[4] من هذا الخبر حيث قال: وفي حديث عمر بن الخطاب ما يدلّ على أنّ الإمام إذا بلغه أنّ قوماً يجتمعون على أمر يُخاف أن يحدث عن اجتماعهم ما يكون فيه فساد: أن يتقدّم إليهم ويوعدهم في ذلك وعيداً يرهبون به...[5].

وقد حاول بعضهم إسقاط هذه الرواية بإعلالها بعدّة أمور:

الإشكال الأول: طعن بعضهم في رواية محمد بن بشر عن عبيد الله العمري، حيث نصّوا على أنّه في سماع الكوفيين منه شيء، قال ابن رجب: ومنهم عبيد الله بن عمر العمري، ذكر يعقوب بن شيبة أنّ في سماع أهل

(١) إزالة الخفاء ٤/ ١١٨.

(٢) وصي الله محمد عباس أستاذ مشارك في جامعة أمّ القرى بمكة المكرمة قسم الكتاب والسنة.

(٣) فضائل الصحابة ١/ ٣٣٤، علماً أنّ الراوي الذي استثناه ليس مذكوراً في سند رواية ابن أبي شيبة التي احتججنا بها.

(٤) أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ولد سنة ٢٠٦هـ وتوفي سنة ٢٨٧هـ، عالم بالحديث زاهد رحالة من أهل البصرة. (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ١٨٩)

(٥) المذكّر والتذكير والذكر: ٩٧، علماً أنّ محقّق الكتاب قد صحّح الرواية في هامش صفحة٩١.

الكوفة منه شيئاً[١].

والجواب على هذا الإشكال:

أوّلاً: لم يذكر الحافظ ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥هـ سنده ليعقوب بن شيبة السدوسي الذي توفي سنة ٢٦٢هـ، وبينهما أكثر من خمسة قرون!

فثبوت هذه الحادثة متوقّف على صحّة نسبة هذه المقولة ليعقوب بن شيبة، والحال أنّ هذه العلّة من العلل التي انفرد بها ابن رجب، ولم يذكر لها سنداً، وليس له سلف فيها.

ولذلك اشترط المحقّقون صحّة الإسناد للرجالي كي يكون قوله حجّة، قال المعلمي: وثبوت ذاك القول عن ذاك الصحابي يتوقّف على ثقة رجال السند إليه، والعلم بثقتهم يتوقف على توثيق بعض أئمة الجرح والتعديل لكل منهم، والاعتداد بتوثيق الموثق يتوقف على العلم بثقته في نفسه وأهليته، **ثم على صحة سند التوثيق إليه،** وثقته في نفسه تتوقف على أن يوثّقه ثقة عارف، وصحة سند التوثيق تتوقف على توثيق بعض أهل المعرفة والثقة لرجاله، وهلم جرًّا[٢].

وقال في مورد آخر: إذا وجد في الترجمة كلمة جرح أو تعديل منسوبة إلى بعض الأئمة **فلينظر أثابتة هي عن ذاك الإمام أم لا؟**[٣].

ثانياً: أنّ لازم نقل ابن رجب هو التشكيك في حفظ عبيد الله

---

(١) شرح علل الترمذي: ٤١٩.

(٢) التنكيل ١/ ٤.

(٣) التنكيل ١/ ٦٢.

العمري ورواياته في غير موطنه، وهذا الشيء معارض بتسالم أئمّة الجرح والتعديل على عدالته وشدّة ضبطه؛ لأنّه أورد هذا المطعن فيه تحت باب: (من ضُعّف حديثه في بعض الأماكن دون بعض)، ثم شرح هذه العبارة بقوله: من حدّث في مكان لم يكن معه فيه كتبه فخلط، وحدّث في مكان آخر من كتبه فضبط، أو من سمع في مكان من شيخ، فلم يضبط عنه، وسمع منه في موضع آخر فضبط[1].

ومن هنا رفض محقّق الكتاب هذه العبارة، فقال: وما نقله الحافظ ابن رجب من قول يعقوب بن شيبة يخالف إطباق أئمة الفن على توثيقه بإطلاق مما ذخرت به المراجع[2].

ثالثاً: من يراجع صحيح مسلم بن الحجّاج النيسابوري يجد أنّه احتجّ بروايات الكوفيين عن عبيد الله بن عمر، بل بخصوص روايات محمد بن بشر عنه!

فقد قال في صحيحه: أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا محمد بن بشر وعبد الله بن نمير، قالا: حدّثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما[3].

وفي مورد آخر من الصحيح، قال: أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا محمد بن بشر العبدي، حدّثنا عبيد الله بن عمر، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن عمّه واسع بن حبان، عن ابن عمر، قال: رقيت على بيت أختي حفصة،

---

(١) شرح علل الترمذي: ٤١٦.

(٢) شرح علل الترمذي: ٦٠٨.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٥٦.

فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعداً لحاجته، مستقبل الشام مستدبر القبلة[١].

وفي مورد آخر: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير، قالا: حدّثنا محمد بن بشر، حدّثنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يركز[٢].

وفي مورد آخر: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا محمد بن بشر، حدّثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ربما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، فيمرّ بالسجدة فيسجد بنا...[٣].

وغيرها من الموارد الأخرى التي احتجّ فيها مسلم برواية محمد بن بشر أو غيره من الكوفيين عن عبيد الله بن عمر العمري.

الإشكال الثاني: شكّك البعض في اتّصال الرواية، وذلك لأنّ أسلم العدوي قد جاء المدينة بعد هذه الواقعة، ولم يصرّح في الرواية بسماعه الخبر من عمر بن الخطاب، ولعلّ أوّل من أثار هذه الشبهة حول مرويات (أسلم عن عمر بن الخطّاب) هو الدارقطني في التتبّع، حيث اعتبرها من المراسيل[٤].

والجواب:

أولاً: أنّ مستند قولهم: «إنّ أسلم لم يكن في المدينة في تلك الفترة» هو ما ذكروه في ترجمته من رواية ابن إسحاق، قال: «بعث أبو بكر عمر سنة

---

(١) صحيح مسلم ١/ ١٥٥.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٥٥.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٨٨.

(٤) الإلزام والتتبع: ٣٧١.

إحدى عشر، فأقام للناس الحج، وابتاع فيها أسلم مولاه»[١]، والحال أنّ هذه الرواية أيضاً مرسلة؛ لأنّ ابن إسحاق لم يدرك الحادثة، ولا نعلم من أنبأه بها من الرواة، فلا يمكن أن تكون مطعناً في الرواية الصحيحة المتقدّمة.

ولو سلّمنا بصحّة ما قاله ابن إسحاق فلا دلالة في كلامه على أن عمر اشترى أسلم من مكة، أو أن أسلم لم يدرك رسول الله صلى الله عليه وآله، بل أقصى ما تدل هو أن عمر اشترى أسلم في السنة الحادية عشرة، ولعله اشتراه من المدينة وكان حينئذ مسلماً.

ولهذا عدَّ بعضهم أسلم من الصحابة، فقد قال أبو نعيم في كتابه معرفة الصحابة: من حديث عبد المنعم بن بشير، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن جدّه : أنه سافر مع النبي صلى الله عليه وسلم سفرتين[٢].

ونقل الحافظ ابن حجر العسقلاني نفس النص عن ابن مندة[٣].

ولعلّ ما يرجّح كونه صحابيًّا، ما نقله السيد ابن طاووس رضي الله عنه في كتاب الطرائف عنه، قال: كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع علي وأصحابه عن البيعة أن يبايعوا، فقال عمر لفاطمة: أخرجي من في البيت وإلا أحرقته ومن فيه، قال: وفي البيت علي والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي، فقالت فاطمة: أفتحرق علي ولدي؟

---

(١) تهذيب التهذيب ١/ ٢٣٣.

(٢) إكمال تهذيب الكمال ٢/ ١٣٤.

(٣) الإصابة ١/ ٢١٦.

فقال: إي والله أو ليخرجن وليبايعن[١].

ثانياً: أنّ أسلم العدوي هو من الثقات عندهم باتفاق أئمة الفنّ، وقد عُرف بملازمته لعمر بن الخطاب، ومعرفة أحواله وأقواله، فمثل هذه الرواية تُحمل على السماع كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في مورد آخر في مقام الدفاع عن رواية في صحيح البخاري ابتُليت بنفس العلّة المزعومة المتقدّمة: قال الدارقطني: أخرج البخاري عن القعنبي وعبد الله بن يوسف وغيرهما عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير وعمر معه، الحديث في نزول سورة الفتح مرسلاً، وقد وصله قراد وغيره عن مالك. (قلت:) بل ظاهر رواية البخاري الوصل، فإنّ أوله وإن كان صورته صورة المرسل، فإن بعده ما يصرّح بأنّ الحديث لأسلم عن عمر، ففيه بعد قوله: فسأله عمر عن شيء فلم يجبه، فقال عمر: نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري، ثم تقدّمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن. وساق الحديث على هذه الصورة حاكياً لمعظم القصة عن عمر، فكيف يكون مرسلاً؟ هذا من العجب، والله أعلم[٢].

والكلام هو الكلام في روايتنا المتقدّمة، فإنّ ظاهرها الوصل، حيث أنّه يُطمأنّ بأنّ أسلم حدّث بهذه الرواية بعد أن سمعها من سيّده عمر لو سلّمنا جدلاً بأنّه لم يكن موجوداً في المدينة.

فإن أبوا هذا فيلزم تضعيف رواية صحيح البخاري التي فيها

---

(١) الطرائف: ٢٣٩.

(٢) مقدمة فتح الباري: ٣٧٢.

الإشكال أكثر إيغالاً؛ لأنّ فيها حادثة حصلت في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وظاهر كلام أسلم أنّه كان موجودا مع عمر، في حين أنّ روايتنا لا يشترط فيها حضوره بل يكفي سماعه التفاصيل من عمر.

والعجيب من الكذب الصريح الذي سلكه بعض متمشيخة العصر، حيث جزم بانقطاع السند بقوله: كذلك الانقطاع بين زيد بن أسلم وعمر رضي الله عنه، فهذه رواية منقطعة؛ لأن زيد بن أسلم كان يرسل، وأحاديثه عن عمر منقطعة كما صرَّح به الحافظ ابن حجر (تقريب التهذيب رقم٢١١٧)، كذلك الشيخ الألباني (إزالة الدهش٣٧، ومعجم أسامي الرواة الذين ترجم لهم الألباني ٢/ ٧٣)[1].

ومن الواضح أنّ الراوي عن الخليفة الثاني الذي نتكلّم فيه هو أسلم العدوي، لا ابنه زيد بن أسلم.

الإشكال الثالث: تعرّض الألباني[2] لهذه الرواية في سلسلته الضعيفة، وأعّلها من عدّة وجوه.

قال: (فائدة) وأمّا ما روى الحاكم (٣/ ١٥٥)، قال: حدّثنا مكرم بن أحمد القاضي، حدّثنا أحمد بن يوسف الهمداني، حدّثنا عبد المؤمن بن علي الزعفراني، حدّثنا عبد السلام بن حرب، عن عبيد الله بن عمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، أنه دخل على فاطمة بنت رسول الله عليها السلام، فقال: يا فاطمة، والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، والله ما كان

---

(١) أحاديث يحتج بها الشيعة: ٨٦١.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني ولد سنة ١٩١٤م وتوفي سنة ١٩٩٩م اعتبره قومه من المجدّدين في علم الحديث والرجال، وعرف بتحقيقاته على الكتب الحديثية.

أحد من الناس بعد أبيك ﷺ أحبّ إليّ منك. وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين، و قال الذهبي: قلت: غريب عجيب. فأقول: أما أنه على شرط الشيخين فوهم لا شكّ فيه؛ لأنّ مَنْ دون عبد السلام بن حرب لم يخرجا لهم، وعبد السلام بن حرب ليس من شيوخهما، وأمّا أنه صحيح، ففيه نظر، والعلة عندي تتردّد بين عبد السلام وعبد المؤمن، فالأول وإن كان من رجال الشيخين فقد اختلفوا فيه، ووثّقه الأكثرون، وقال الحافظ : «ثقة حافظ، له مناكير»، وأمّا عبد المؤمن فلم أر من وثّقه توثيقاً صريحاً، وغاية ما ذكر فيه ابن أبي حاتم (٣/ ١/ ٦٦) أنّ الإمام مسلماً قال: «سألت أبا كريب عن عبد المؤمن بن علي الرازي، فأثنى عليه، وقال: لولا عبد المؤمن من أين كان يسمع أبو غسّان النهدي من عبد السلام بن حرب؟»، والله أعلم[1].

والجواب واضح جدًّا، إذ أنّ العلّتين اللتين ذكرهما الألباني في كلامه لا وجود لهما في حديثنا المذكور، فلا عبد السلام بن حرب موجود، ولا عبد المؤمن الزعفراني مذكور في سند رواية ابن أبي شيبة، بل مفهوم كلام الألباني أنّه لا يوجد علّة غير هاتين، وعليه فيكون كلامنا تامًّا، وهو صحّة سند هذا الحديث وخلوّه من كلّ علّة.

علماً أنّ هذه الرواية قد أزعجت علماء أهل السنّة والجماعة؛ لأنّها تكشف الحقيقة التي طالما حاولوا إنكارها، فعمدوا إلى التلاعب بهذه الرواية سعياً منهم لطمس هذه الحادثة وتغييبها، وقد سلكوا في ذلك عدّة مسالك:

---

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣/ ١٢٣.

فإن منهم من نقل الرواية، وحرّف موضع الشاهد تحريفاً شنيعاً، بحيث لا يفهم القارئ بعد هذا التحريف مالذي حصل:

منهم: ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب، حيث نجد أنّه نقل الرواية بنفس السند، فقال: عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أنّ عليًّا والزبير كانا حين بويع لأبي بكر يدخلان على فاطمة، فيشاورانها ويتراجعان في أمرهم، فبلغ ذلك عمر، فدخل عليها عمر، فقال: يا بنت رسول الله، ما كان من الخلق أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما أحد أحبّ إلينا بعده منك، ولقد بلغني أنّ هؤلاء النفر يدخلون عليك، ولئن بلغني **لأفعلنّ ولأفعلنّ**. ثم خرج وجاؤوها، فقالت لهم: إن عمر قد جاءني، وحلف لئن عدتم **ليفعلنّ**، وأيم الله ليفينّ بها، فانظروا في أمركم، ولا ترجعوا إليّ. فانصرفوا، فلم يرجعوا حتى بايعوا لأبي بكر[1].

فالرجل حذف عبارات تهديد عمر الصريح بحرق بيت الزهراء عليها السلام، واستبدلها بقوله: «لأفعلنّ ولأفعلنّ»!

وقد تبعه في صنيعه المشؤوم كلّ من الصفدي في كتابه "الوافي بالوفيات"[2] والنويري في كتابه "نهاية الأرب"[3].

ومنهم: أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة، حيث نقلها كالتالي: عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم، كان علي والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر،

---

(١) الاستيعاب ٣/ ٩٨٥.

(٢) الوافي بالوفيات ١٧/ ١٦٧.

(٣) نهاية الأرب ١٩/ ٤٠.

فدخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله، ما أحد من الخلق أحبّ إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحبّ إلينا منك. **وكلّمها**، فدخل علي والزبير على فاطمة، فقالت: انصرفا راشدين. فما رجعا إليها حتى بايعا[١].

وهنا حذفت الأيادي غير الأمينة موضع الشاهد في الرواية، وهو التهديد بالحرق، وجعلوا مكانها كلمة: «وكلّمها» دون ذكر تفاصيل هذا الكلام.

ومنهم من نقل الرواية كما هي، وبتر كلّ الفقرة التي اشتملت على التهديد، بحيث تغيّر معنى الحديث تماماً، فبعد أن كان تهديداً ووعيداً بحرق الدّار، أصبح إعلاناً من الخليفة الثاني بحبّه للنبي صلى الله عليه وآله وابنته فاطمة عليها السلام.

منهم: الحاكم النيسابوري في مستدركه، قال: عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر أنّه دخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا فاطمة والله ما رأيت أحداً أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك صلى الله عليه وسلم أحبّ إليّ منك[٢]...

ومنهم: الخطيب البغدادي في تاريخه، قال: عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب لفاطمة: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما كان أحد من الناس أحبّ إلينا من أبيك، وما أحد بعد أبيك أحبّ إلينا

---

(١) فضائل الصحابة ١/ ٣٦٤.

(٢) المستدرك ٣/ ١٥٥.

منك[١]...

ومنهم: الكاتب (علي محمد الصلابي) الذي ارتكب هذا الجرم، ثمّ اتّهم به الشيعة، فكان صنيعه مضحكاً مبكياً في نفس الوقت:

فقد ذكر الحديث في كتابه (سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) عليه السلام بعد اعترافه بصحّة سنده[٢]، لكنه ذكره بالصورة التي تقدّمت، أي ببتر آخر الحديث، والذي فيه التهديد بالإحراق، ثم شنّ حملة على الرافضة على حدّ تعبيره بقوله: عن أسلم العدوي قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان علي والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر، فدخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله، ما أحد من الخلق أحبّ إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحبّ إلينا منك، وكلّمها، فدخل علي الزبير على فاطمة، فقالت: انصرفا راشدين. فما رجعا إليها حتى بايعا، **وهذا هو الثابت الصحيح**، والذي مع صحّة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له، وقد زاد الروافض في هذه الرواية واختلقوا إفكاً وبهتاناً وزوراً، **وقالوا: إن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر [أوشك] أن أحرق عليهم هذا البيت**؛ لأنهم أرادوا شقّ عصا المسلمين بتأخرهم عن البيعة. ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أنّ عمر جاءني وحلف بالله لئن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنّه عليكم، وأيم الله إنه ليصدقنّ فيما حلف عليه، فانصرفوا عني، فلا ترجعوا إليَّ. ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا. وهذه القصة لم تثبت عن

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٦٨.

(٢) نصّ في حاشية الكتاب ١٤٨ على صحّة سنده، حيث قال: إسناده صحيح.

عمر رضي الله عنه، ودعوى أن عمر همَّ بإحراق بيت فاطمة **من أكاذيب الرافضة أعداء صحابة رسول الله**[(١)].

إذن هذا الرجل يعتبر أنّ هذه الزيادة غير ثابتة، وهي من أكاذيب الرافضة! والحال أن هذا الحديث خرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه كما مر، وهو مشتمل على هذه الفقرة التي يزعم هذا الكاتب أنها من أكاذيب الرافضة وبهتانهم وإفكهم! وعذر أمثال هؤلاء الكتاب هو تسرّعهم في اتّهام الشيعة بدون حقّ بسبب جهلهم بما هو مدوّن في كتبهم المعتبرة المشهورة.

وأنا أترك الحكم للقارئ العزيز الذي اطّلع ممّا تقدّم على المحاولات المختلفة لتحريف الحديث وطمسه، إنكاراً لهذا الخطب الجلل، وهو حصار بيت الزهراء عليها السلام.

الرواية الثانية:

ما رواه محمد بن جرير الطبري في تاريخه، قال: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا جرير عن مغيرة، عن زياد بن كليب، قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علي، وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرّقن عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف، فعثر، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه[(٢)].

وهذه الرواية صريحة الدلالة في أنّ القوم حاصروا بيت الزهراء عليها السلام وهدّدوا باحراقه إذا لم يخرج أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه للبيعة، وخروج

(١) موسوعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ١٤٨.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٤٤٣.

الزبير بالسيف دليل على أنّ الأمر قد تجاوز مجرّد التهديد إلى المواجهة المباشرة مع المهاجمين.

الرواية الثالثة:

رواية البلاذري في أنسابه، قال: المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التيمي، وعن ابن عون: أنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب، أتراك محرّقاً عليَّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك[1].

وهذه الرواية نقلت تفاصيل مهمّة، فإضافة إلى ما تقدّم من حصار البيت والتهديد بالإحراق، نستفيد منها جدّية عمر بن الخطاب في تهديده، حيث نصّت الرواية أنّه كان حاملاً فتيلة (وهي شعلة نار)، والأهمّ من هذا أنّ الزهراء عليها السلام تلقّته عند الباب، لكنه كان عازماً على إحراق الدار بمن فيها.

الرواية الرابعة:

ما نقله ابن قتيبة الدينوري في كتابه الإمامة والسياسة، حيث قال: عن ابن أبي مريم، قال: حدّثنا العرياني، عن أبي عون بن عمرو بن تيم الأنصاري، وحدّثنا سعيد بن كثير، عن عفير بن عبد الرحمن، قال: حدّثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وشأن السقيفة، وما جرى فيها من القول، والتنازع بين المهاجرين والأنصار، وبعضهم يزيد على بعض في الكلام، فجمعت ذلك وألّفته على معنى حديثهم:... وإنّ أبا بكر تفقّد

---

(١) أنساب الأشراف ١/ ٥٨٦.

قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، **فدعا بالحطب، وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجنَّ أو لأحرقنّها على من فيها**. فقيل له: يا أبا حفص، إن فيها فاطمة؟ فقال: وإن. فخرجوا فبايعوا إلّا عليًّا، فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن. فوقفت فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقًّا!! فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب، فادع لي عليًّا. قال: فذهب إلى علي، فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنفذ: عُدْ إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع. فجاءه قنفذ، فأدى ما أُمر به، فرفع علي صوته، فقال: سبحان الله! لقد ادَّعى ما ليس له. فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً[1] ...

وهذه الرواية من أطول الروايات وأكثرها تفصيلاً، وقد نقلت لنا الصورة كاملة بما لا يحتاج مزيداً من البيان والتفصيل.

بالإضافة إلى الروايات المذكورة سابقاً، فإنّ هناك جملة من المؤرّخين قد ذكروها في تواريخهم، مما يدل على ميلهم لوقوع أمثال هذه الحوادث،

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٠.

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر النصّ أبا الفداء الذي قال في تاريخه: ثم إن أبا بكر بعث عمر بن الخطاب إلى علي ومن معه ليخرجهم من بيت فاطمة رضي الله عنها، **وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم. فأقبل عمر بشيء من نار على أن يضرم الدار**، فلقيته فاطمة رضي الله عنها، وقالت: إلى أين يا ابن الخطاب؟ أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة. فخرج علي حتى أتى أبا بكر فبايعه. كذا نقله القاضي جمال الدين بن واصل، وأسنده إلى ابن عبد ربّه المغربي[1].

وأهميّة هذا النص تكمن في الأمر الصريح الصادر من الخليفة الأول ليس فقط بحرق الدار، بل بمقاتلتهم في حال رفضهم البيعة، وهذا ما يجعلنا نتوقّع حصول أي شيء من هؤلاء الصحابة.

الخلاصة:

أن عندنا روايات صحيحة من جهة السند، وروايات أخرى بمثابة الشواهد لها، وعندنا بعض المؤرّخين أثبتوا وقوع هذا الأمر، إضافة إلى ما قدّمناه من بيان الوضع العام الذي كان بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، فإن كل ذلك يجعلنا نتيقّن بحصول هذا المقدار، وهو التهديد بحرق بيت فاطمة عليها السلام والمباشرة في الإحراق.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ١/ ١٥٦.

الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام

انتهينا في الفصل السابق من إثبات وقوع التهديد بحرق بيت فاطمة الزهراء عليها السلام بل والمباشرة في إحراق البيت على من فيه في حال عدم خروج من تحصّن بهذا البيت للبيعة.

بقي الكلام في أن القوم هل نفَّذوا وعيدهم واقتحموا الدار، أم أنّ الأمر كان مجرّد تهديد لا أكثر؟ هذا ما ستتكفّل ببيانه في هذا الفصل.

١- هل خرج الإمام علي عليه السلام للبيعة:

قد يلاحظ القارئ العزيز أنّ بعض الروايات التي ذكرناها في مقام بيان التهديد بحرق بيت الزهراء عليها السلام قد ذكرت أنّ الإمام عليًّا عليه السلام رضخ لتهديد القوم، وخرج طوعاً لبيعة أبي بكر.

وهذا غير صحيح، ولا يمكن قبوله البتّة؛ لأنّ الروايات المعتبرة التي ذكرت هذه الحادثة ليست صريحة في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فمثلاً رواية ابن أبي شيبة ورد فيها: «فانصرفوا عنها، فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر»[1]، ولعلّ الروايات الأخرى التي ذكرت بيعة الإمام علي عليه السلام هي توهم من الرواة العموم، والحال أنّ مقتضى الجمع بين هذه الروايات والأخرى الصحيحة التي نصّت أنّه عليه السلام لم يبايع هو عدم دخوله عليه السلام في الجمع المزبور.

---

(١) المصنف ٨/ ٥٧٢.

وقد تقدّم البحث في إثبات أنّ الإمام علي عليه السلام لم يبايع إلا مكرهاً، حيث إنه تعرّض لقمع السلطات كما تقدّم لإجباره على البيعة.

٢- مصادر اقتحام بيت الزهراء عليها السلام:

وردت عدّة روايات صحيحة أثبتت هذه الحقيقة، وهي هتك القوم لحرمة بيت فاطمة عليها السلام، ودخولهم فيه بلا استئذان، بغرض إجبار المتحصِّنين بالبيت على بيعة أبي بكر:

الرواية الأولى:

ما رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق بن محمد المخزومي المسيبي، نا محمد بن فليح بن سليمان، عن موسى بن عقبة، عن ابن شهاب قال: وغضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر، منهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، **فدخلا بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهما السلاح**، فجاءهما عمر في عصابة من المسلمين، فيهم أسيد وسلمة بن سلامة بن وقش، وهما من بني عبد الأشهل، ويقال: فيهم ثابت بن قيس بن الشماس أخو بني الحارث بن الخزرج، فأخذ أحدهم سيف الزبير، فضرب به الحجر حتى كسره، قال موسى بن عقبة: قال سعد بن إبراهيم: حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن كان مع عمر يومئذ، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير، والله أعلم[1].

---

(١) السنة: ٣٩٧، الرواية منقولة عن كتاب المغازي لموسى بن عقبة الذي شهد بصحّته يحيى بن معين ومالك كما ذكر الذهبي في السير في ترجمة موسى بن عقبة وأقرّهما ٦/ ١١٧.

وهذا الخبر صحيح السند، وكلّ رجاله من الثقات الذين لا خلاف فيهم عند القوم، ومن هنا فقد حسّن الخبر محقّقو كتاب السنّة لعبد الله بن أحمد: الدكتور محمد سعيد سالم القحطاني(١)، والأستاذ نبيل صلاح سليم(٢)، ومن القدماء جوّد الصالحي الشامي صاحب السيرة الخبر بقوله: وروى ابن عقبة بإسناد جيد(٣).

وهذا الأثر يدلّ صريحاً على أنّ القوم لم يكتفوا بمجرّد محاصرة بيت الزهراء عليها السلام وتهديدها بحرقه، بل تطوّر الأمر إلى اقتحام البيت، بل ثبّت الحديث بعض أسماء المهاجمين، والأهم من هذا هو إثبات وقوع اشتباك عند هذا الاقتحام.

ومن عجيب ما قيل في هذا الخبر في محاولة صرفه عن ظاهره تخفيفاً لوطأة الحدث، أنّ التعبير بكسر سيف الزبير ليس على حقيقته!

قال المحب الطبري: هذا محمول على تقدير صحّته على تسكين نار الفتنة وإغماد سيفها، لا على قصد إهانة الزبير(٤).

وسواء كان غرضهم تسكين نار الفتنة أو إهانة الزبير فإنّ الأمر الذي لا بدّ من التركيز عليه هو اقتحام القوم لبيت فاطمة عليها السلام بأسلحتهم، وحصول اشتباك داخل البيت، علماً أنّ الزبير كان ينتظر وقوع هذا الشيء من البداية، بقرينة قول الراوي: «فدخلا بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) السنة ٢/ ٥٥٤.

(٢) السنة: ٣٩٧.

(٣) سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٣١٧.

(٤) الرياض النضرة ٢٤١.

ومعهما السلاح»، وهذا يثبت ما قدّمناه من أنّ نيّة القوم كان مبيّتة من البداية لقمع كلّ معارضة موجودة.

الرواية الثانية:

ما رواه الطبراني في معجمه الكبير، قال: حدّثنا أبو الزنباع روح بن الفرج المصري، ثنا سعيد بن عفير، حدثني علوان بن داود البجلي[1]، عن حميد بن عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفّي فيه، فسلّمت عليه، وسألته كيف أصبحت؟ فاستوى جالساً، فقلت: أصبحتَ بحمد الله بارئاً. فقال: أما إنّي على ما ترى وجع، وجعلتم لي شغلاً مع وجعي، جعلت لكم عهداً من بعدي، واخترت لكم خيركم في نفسي، فكلكم ورم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له، ورأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل، وهي جائية، وستنجدون بيوتكم بسور الحرير ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأذري، كأن أحدكم على حسك السعدان، ووالله لأن يقدّم أحدكم فيُضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن يسيح في غمرة الدنيا. ثم قال: أما إنّي لا آسي على شيء إلّا على ثلاث فعلتهن، وددت أنّي لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن، وددت أنّي فعلتهن، وثلاث وددت أنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن، **فأمّا الثلاث اللاتي وددت أنّي لم أفعلهن فوددت أنّي لم أكن**

(١) حاول بعضهم إسقاط الرواية بتضعيف علوان بن داود البجلي، والحال أنّه لم يثبت في حقّه أي جرح، فكلّ ما قيل فيه من جرح لم يثبت عن أئمة الجرح وغير صريح في الجرح، علماً أنّ ابن حبّان قد ذكره في كتابه الثقات: ٥٢٦. وكلّ من طعن فيه بأنّه منكر الحديث إنّما طعن فيه بسبب هذا الحديث فقط.

كشفتُ بيت فاطمة وتركته، وأن أغلق علي الحرب، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة أو عمر، فكان أمير المؤمنين، وكنت وزيراً...[(١)].

وقد حسّن هذا الخبر ضياء الدين المقدسي في كتابه الأحاديث المختارة، بقوله: وهذا حديث حسن عن أبي بكر، إلّا أنّه ليس فيه شيء من قول النبي صلى الله عليه وسلم[(٢)].

علماً أنّ مصنّف هذا الكتاب قد التزم الصحّة في الروايات التي خرّجها في كتابه، ووافقه بعض علماء أهل السنة على ذلك:

قال السيوطي في التدريب: ومنهم الحافظ ضياء الدين محمد بن الواحد المقدسي، جمع كتاباً سماه المختارة، التزم فيه الصحة، وذكر فيه أحاديث لم يُسبق إلى تصحيحها[(٣)].

وقال ابن كثير: من ذلك كتاب الأحكام، ولم يتمّه، وكتاب المختارة، وفيه علوم حسنة حديثية، وهي أجود من مستدرك الحاكم لو كمل، وله فضائل الأعمال وغير ذلك من الكتب الحسنة الدالّة على حفظه واطلاعه وتضلّعه من علوم الحديث متناً وإسناداً[(٤)].

كما صحّحه الخطيب التبريزي في كتابه الإكمال في أسماء الرجال،

---

(١) المعجم الكبير ١/ ٦٣.

(٢) الأحاديث المختارة ١/ ٩٠.

(٣) تدريب الراوي ١/ ١٤٤.

(٤) البداية والنهاية ١٣/ ١٩٨.

قال: والخبر صحيح[١].

ونقل المتقي الهندي تحسين خيثمة الأطرابلسي للحديث، قال بعد إيراده للحديث: «أبو عبيد في كتاب الأموال عق، وخيثمة بن سليمان الأطرابلسي في فضائل الصحابة طب كر ص)، وقال: إنّه حديث حسن، إلا أنه ليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أخرج (خ) كتابه غير شيء من كلام الصحابة[٢].

وهذا الحديث يحتوي اعترافاً من الخليفة الأول بكشفه لبيت فاطمة عليها السلام، واقتحامه له، وبيان ندمه على ذلك، ومن هنا فإنّ علماء أهل السنة والجماعة أحسّوا بخطر هذا الاعتراف، فتلاعبوا بألفاظ الحديث:

منهم: القاسم بن سلام (المتوفّى ٢٢٤هـ) في كتابه الأموال، وهو من أقدم المصادر التي نقلت هذا الحديث، فإنه عمد فيه إلى حذف الفقرة التي تضمّنت اعتراف الخليفة الأول بكشف بيت فاطمة عليها السلام، واعتراف ابن سلام بإخفائها، قال: عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه عبد الرحمن، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفّي فيه، فسلّمت عليه، وقلت: ما أرى بك بأساً، والحمد لله، ولا تأس على الدنيا، فوالله إن علمناك إلا كنت صالحاً مصلحاً. فقال: أما إنّي لا آسى على شيء إلا على ثلاث فعلتهم، وددت أنّي لم أفعلهم، وثلاث لم أفعلهم، ووددت أنّي فعلتهم، وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، فأمّا التي فعلتها ووددت أنّي لم أفعلها: **فوددت أني لم أكن فعلت كذا وكذا لخلّة ذكرها –**

---

(١) الإكمال: ٢١.

(٢) كنز العمال ٥/ ٦٣٣.

قال أبو عبيد : لا أريد ذكرها - ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر أو أبي عبيدة، فكان أميراً وكنت وزيراً، ووددت أنّي حيث كنت وجّهت خالداً إلى أهل الردّة أقمت بذي القصة، فإن ظفر المسلمون ظفروا، وإلّا كنت بصدد لقاء أو مدد[١]...

وكذلك ابن زنجويه في كتابه الأموال الذي غيَّر الاعتراف الصريح الوارد في الرواية بعبارة: «كذا وكذا».

قال: عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أنّ أباه عبد الرحمن بن عوف، دخل على أبي بكر الصدّيق في مرضه الذي قُبض فيه، فرآه مفيقاً، فقال: أما إنّي لا آسى من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتهن، وددت أنّي تركتهن، وثلاث تركتهن، وددت لو أنّي كنت فعلتهن، أما اللّاتي وددت أنّي تركتهن، **فوددت أنّي لم أكن فعلت كذا وكذا لشيء ذكره**، ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمي، ليتني قتلته سريحاً، أو خلّيته نجيحاً ولم أحرقه بالنار، ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر بن الخطاب أو أبي عبيدة بن الجراح، فكان أحدهما أميراً، وكنت أنا وزيراً...[٢].

أمّا الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن فقد حذف الأشياء التي ذكرها الخليفة الأول تماماً، واكتفى بهذا المقدار: في حديث عبد الرحمن بن عوف، قال: دخلت على أبي بكر الصديق في علّته التي مات فيها، فقلت: أراك بارئاً يا خليفة رسول الله، فقال: أما إنّي على ذلك لشديد الوجع، ولمّا لقيت

---

(١) الأموال: ١٤٤.

(٢) الأموال: ٣٤٧.

منكم يا معشر المهاجرين أشدّ عليَّ من وجعي، إنّي ولّيت أموركم خيركم في نفسي، فكلّكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، والله لتتخذنّ نضائد الديباج وستور الحرير، ولتألمنّ النوم على الصوف الأذربي، كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان، والذي نفسي بيده لأن يقدّم أحدكم فتُضرب رقبته في غير حد، خير له من أن يخوض غمرات الدنيا، يا هادي الطريق جرت، إنما هو والله الفجر أو البجر. قال: فقلت: خفض عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنّ هذا يهيضك إلى ما بك، فوالله ما زلت صالحاً مصلحاً، لا تأسى على شيء فاتك من أمر الدنيا، ولقد تخلّيت بالأمر وحدك، فما رأيت إلا خيراً[(١)].

وتبعه على ذلك ابن حمدون في تذكرته[(٢)]، حيث حذف تمام الفقرة المزبورة.

الرواية الثالثة:

ما نقله ابن أبي الحديد المعتزلي، عن أبي بكر الجوهري في كتابه السقيفة وفدك، قال: وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: أخبرنا أبو بكر الباهلي، قال: حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن الشعبي، قال: سأل أبو بكر، فقال أين الزبير؟ فقيل: عند علي وقد تقلّد سيفه، فقال: فقم يا عمر، قم يا خالد بن الوليد، انطلقا حتى تأتياني بهما. فانطلقا، **فدخل عمر، وقام خالد**

---

(١) إعجاز القرآن: ١٣٩.

(٢) التذكرة الحمدونية ١/ ١٢٩؛ ذكروا في ترجمة ابن حمدون أنّه عوقب في آخر عمره من قبل الخليفة العباسي بسبب حكايات أوردها في كتابه (التذكرة) فلعلّ هذا ما حدى به أو بابنه لاخفاء مثل هذه الأمور.

على باب البيت من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ فقال: نبايع عليًّا. فاخترطه عمر، فضرب به حجراً فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه، ثم دفعه، وقال: يا خالد دونكه فأمسكه. ثم قال لعلي: قم فبايع لأبي بكر. فتلكّأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قم. فأبى أن يقوم، فحمله، ودفعه كما دفع الزبير، فأخرجه، **ورأت فاطمة ما صُنع بهما، فقامت على باب الحجرة،** وقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلّم عمر حتى ألقى الله. قال: فمشى إليها أبو بكر بعد ذلك، وشفع لعمر، وطلب إليها، فرضيت عنه[1].

وهذه الرواية مطابقة تماماً للروايات السابقة التي ذكرناها، ولم تضف من التفاصيل سوى ذكر بعض الأسماء الجديدة التي شاركت في الهجوم على دار الزهراء عليها السلام، وتفاصيل ما دار بين السيّدة فاطمة عليها السلام وبين المهاجمين.

ولثبوت هذه الروايات سلّم علماء أهل السنة والجماعة بهذه الحقيقة، ولم ينكرها أحد منهم، نظراً لتظافر الروايات حولها، ولهذا نجد حتى أعدى أعداء الشيعة لم يستطع التملّص من هذا الأمر، فاعترف بوقوع الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام واقتحامه، ونقصد بهذا الكلام الشيخ ابن تيمية الذي قال في منهاجه: ونحن نعلم يقيناً أنّ أبا بكر لم يقدم على علي والزبير بشيء من الأذى، بل ولا على سعد بن عبادة المتخلّف عن بيعته أولاً وآخراً، وغاية ما يقال: **إنّه كبس البيت لينظر هل فيه شيء من مال الله** الذي يقسمه وأن يعطيه لمستحقه، ثم رأى أنّه لو تركه لهم لجاز، فإنّه يجوز أن يعطيهم من

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٥٧.

مال الفيء، وأمّا إقدامه عليهم أنفسهم بأذى فهذا ما وقع فيه قطّ باتفاق أهل العلم والدين[١].

ففي هذا النص ثبّت ابن تيمية قضية اقتحام الدار، إلّا أنّه حاول التبرير بعذر أقبح من الذنب، يضحك الثكلى، وهو أنّ الكبس لم يكن لموضوع الخلافة والإمامة، بل كان للبحث عن أموال المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

الخلاصة:

قد تبيَّن للقارئ العزيز أنّ اقتحام بيت فاطمة عليها السلام من الأمور الثابتة تاريخيًّا بالروايات الصريحة والأسانيد الصحيحة التي لا يمكن التشكيك فيها، وعليه نكون قد تقدّمنا خطوة أخرى إلى الأمام، وهو أنّه بعد حصار البيت أقتحم البيت، وحصل فيه اشتباك بين أنصار الإمام علي عليه السلام وبين أتباع أبي بكر.

---

(١) منهاج السنة النبوية ٨/ ٢٩١.

الاعتداء على السيدة الزهراء عليها السلام

وصل بنا الكلام إلى النقطة الحسّاسة في الموضوع، وهي قضية الاعتداء على السيّدة الزهراء عليها السلام، حيث أنّ هذه الجزئية من ظلامتها عليها السلام قد كثر فيه الكلام والأخذ والردّ، واشتدّ النزاع فيها بين مثبت وناف ومشكّك في السنوات الأخيرة بالتحديد.

١- نقطة الإنطلاق:

النقطة الأولى التي نبدأ منها هي الوضع العام في ذلك الوقت، فأغلب الذين استبعدوا وقوع مثل هذا الأمر، كانوا غير مطّلعين على هذه الجزئيات التي ذكرناها سابقاً.

أولاً: أنّ الإمام عليًّا عليه السلام امتنع عن بيعة أبي بكر، وهذا الأخير قد عزم على إجبار كلّ من عارضه في سلطانه أو يحتمل فيه المعارضة لاحقاً على البيعة العلنية كي يتّقي من شرّه، وكما بيّنّا سابقاً فقد قُمع زعيم الأنصار سعد بن عبادة لكونه معارضاً لهم، وعليه فقمع البيت العلوي أمر وارد جدًّا، وغير مستبعد أصلاً.

ثانياً: قيام القوم فعلاً بمحاولة إرغام الإمام علي عليه السلام على البيعة، بتهديده بحرق البيت بمن فيه، ولم يكن الأمر مجرّد تهديد، بل قام عمر ومن معه بجمع الحطب لإحراق البيت فعلاً، ثم إخراج من كان متحصّناً في البيت، ومحاولة الزبير الاشتباك معهم، لكنه عثر، فأخذوا سيفه وكسروه، مضافاً إلى أمر أبي بكر الصريح بمقاتلة المخالفين.

ثالثاً: لم يرضخ الإمام عليه السلام لتهديدات السلطات، فلم يخرج من الدار إلا بعد الهجوم على بيته واقتحامه، أو قل: «كشفه» كما عبّر أبو بكر، أو «كبسه» كما عبّر ابن تيمية، والأهمّ من هذا هو حصول مناوشات واشتباكات داخل بيت الزهراء عليها السلام.

من خلال هذه الأمور الثلاثة ترتفع عندنا نسبة احتمالية تعرّض الزهراء عليها السلام للعنف من الطرف المهاجم للبيت، خصوصاً وأنّنا قد ذكرنا سابقاً أنّها كانت تكلّمهم من وراء الباب، وتحاول ردّهم بالتي هي أحسن، وعليه فحتّى مع عدم وجود الرواية المثبتة لهذا الشيء فإنّ وقوعه أمر متوقّع في ظلّ الظروف التي ذكرناها آنفاً.

٢- روايات الاعتداء على الزهراء عليها السلام:

وردت روايات كثيرة جدًّا تثبت هذه الحقيقة التاريخية، وهي جرأة القوم على سيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، والاعتداء عليها بالضرب، نذكرها تباعاً:

١- ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

نقلت مصادر الشيعة جملة من الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله يخبر فيها بوقوع هذه المصيبة العظيمة بعد ارتحاله إلى الرفيق الأعلى:

١- ما ورد في كتاب سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله الأخيرة التي نقلها عن عبد الله بن العباس بحضور جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: ... ثم أقبل على علي عليه السلام، فقال: يا أخي، إنّ قريشاً ستظاهر عليكم، وتجتمع كلمتهم على ظلمك وقهرك، فإن وجدت أعواناً

فجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكفّ يدك، واحقن دمك، أما إنّ الشهادة من وراءك، لعن الله قاتلك. ثم أقبل على ابنته، فقال: إنّك أول من يلحقني من أهل بيتي، وأنت سيّدة نساء أهل الجنة، **وسترين بعدي ظلماً وغيظاً، حتى تُضربي ويُكسر ضلع من أضلاعك، لعن الله قاتلك**، ولعن الآمر والراضي والمعين والمظاهر عليك وظالم بعلك وابنيك[1].

٢- ما ورد في كتاب الأمالي للشيخ الصدوق رضي الله عنه، قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسى الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد أبن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلي، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل قال: وأمّا ابنتي فاطمة، فإنها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: «يا ملائكتي، انظروا إلى أمتي فاطمة سيّدة إمائي، قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار»، وإنّي لما رأيتها ذكرت ما يُصنع بها بعدي، كأني بها وقد دخل الذل بيتها ، وانتُهكت حرمتها، وغُصبت حقّها، ومُنعت إرثها، **وكُسر جنبها، وأُسقطت جنينها**، وهي تنادي: «يا محمداه»، فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية، تتذكّر انقطاع

---

(١) كتاب سليم ٤٢٧: وهذه رواية معتبرة تبعاً لاعتبار الكتاب كما سيأتي.

الوحي عن بيتها مرّة ، وتتذكّر فراقي أخرى، وتستوحش إذا جنّها الليل؛ لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة[١].

وقد نقل هذه الرواية بتمامها إبراهيم بن محمد الحمويني الشافعي في كتابه فرائد السمطين[٢]، والمذكور من مشايخ شمس الدين الذهبي الذي يعتبر من كبار أئمة الجرح والتعديل، حيث قال في أستاذه: وسمعت من **الإمام المحدِّث الأوحد الأكمل فخر الإسلام صدر الدين** إبراهيم بن محمد بن المؤيّد بن حمويه الخراساني الجويني، شيخ الصوفية، قدم علينا طالب حديث، وروى لنا عن رجلين من أصحاب المؤيّد الطوسي، وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الأجزاء، حسن القراءة، مليح الشكل، مهيباً ديِّناً صالحاً، وعلى يده أسلم غازان الملك، مات سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة، وله ثمان وسبعون سنة، رحمه الله تعالى[٣].

٣- ما نقله فرات الكوفي رحمه الله في تفسيره: عن جعفر بن محمد الفزاري معنعناً، عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حديث: يا فاطمة بنت محمد، أما تحبّين أن تأمرين غداً بأمر فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض، فيسقي منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه؟

---

(١) الأمالي ١٧٥، وقد علّق السيد عبد الله شبر على هذه الرواية في كتابه جلاء العيون ١٤٨ بقوله: وروى الصدوق في الأمالي بسند معتبر عن ابن عباس...

(٢) فرائد السمطين ٢/ ٣٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٥٠٦.

أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار: يأمر النار فتطيعه، يُخرج منها من يشاء، ويترك من يشاء، أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء، ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله، فما ترين الله صانع بقاتل ولدك **وقاتليك** وقاتل بعلك إذا أفلجت حجّته على الخلائق، وأمرت النار أن تطيعه؟[1].

قلت: قوله صلى الله عليه وآله: «فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك» يدل باللازم على الاعتداء عليها؛ لأنهم ما قتلوها إلا بعد أن اعتدوا عليها.

٤- ما نقله المجلسي في البحار عن خط الشيخ محمد بن علي الجبعي، نقلاً عن خط الشهيد رفع الله درجته، نقلاً من مصباح الشيخ أبي منصور طاب ثراه، قال: روي أنه دخل النبي صلى الله عليه وآله يوماً إلى فاطمة عليها السلام، فهيّأت له طعاماً من تمر وقرص وسمن، فاجتمعوا على الأكل هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فلما أكلوا سجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأطال سجوده، ثم بكى، ثم ضحك، ثم جلس، وكان أجرأهم في الكلام علي عليه السلام، فقال: يا رسول الله، رأينا منك اليوم ما لم نره قبل ذلك! فقال صلى الله عليه وآله: إني لما أكلت معكم فرحت، وسُررت بسلامتكم واجتماعكم، فسجدت لله تعالى شكراً، فهبط جبرئيل عليه السلام يقول: سجدت شكراً لفرحك بأهلك؟ فقلت: نعم. فقال: ألا أخبرك بما يجري عليهم بعدك؟ فقلت: بلى يا أخي يا جبرئيل. فقال: أما ابنتك فهي أول أهلك لحاقاً بك بعد أن تُظلم، ويُؤخذ حقّها، **وتمنع إرثها، ويُظلم بعلها، ويُكسر ضلعها**، وأما ابن عمّك فيُظلم، ويُمنع حقّه، ويُقتل، وأما الحسن فإنه يُظلم، ويُمنع حقّه، ويُقتل بالسُّمّ، وأمّا

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ١٧٢.

الحسين فإنّه يُظلم، ويُمنع حقّه، وتُقتل عترته، وتطؤه الخيول، ويُنهب رحله، وتُسبى نساؤه وذراريه، ويُدفن مرمَّلا بدمه، ويدفنه الغرباء[١].

٢- ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام:

رويت أكثر من رواية في كتب الشيعة عن أمير المؤمنين عليه السلام يذكر فيها ما جرى من المصائب على بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، منها:

٥- ما رواه سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه في كتابه، قال: انتهيت إلى حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ليس فيها إلّا هاشمي غير سلمان وأبي ذر والمقداد ومحمد بن أبي بكر وعمر بن أبي سلمة وقيس بن سعد بن عبادة، فقال العباس لعلي عليه السلام: ما ترى عمر منعه من أن يغرم قنفذاً كما أغرم جميع عماله؟ فنظر علي عليه السلام إلى من حوله، ثم اغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال: **شكر له ضربة ضربها فاطمة عليها السلام بالسوط، فماتت وفي عضدها أثره كأنه الدملج**[٢].

قلت: سؤال العباس عن السبب الذي لأجله لم يحاسب عمر بن الخطاب قنفذاً، في حين أنه كان يحاسب سائر عمّاله أشدّ المحاسبة، فلماذا استثنى قنفذاً من المحاسبة، وجعل له معاملة خاصّة؟! فأجاب أمير المؤمنين عليه السلام بأنه صنع ذلك مكافأة له لضربه فاطمة عليها السلام بالسوط.

٦- ما ذكره الشيخ الصدوق رضي الله عنه في كتاب الأمالي، قال: حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه، قال: حدثنا أحمد بن إدريس ومحمد بن

---

(١) بحار الأنوار ٩٨/ ٤٤.

(٢) كتاب سليم: ٢٢٤، والرواية معتبرة لاعتبار الكتاب.

يحيى العطار جميعا، عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، قال: حدّثنا أبو عبد الله الرازي ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن سيف بن عميرة، عن محمد بن عتبة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: بين أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذا التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي مما يُصنع بكم بعدي، فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أبكي من ضربتك على القرن، **ولطم فاطمة خدّها**، وطعنة الحسن في الفخذ، والسُّمّ الذي يُسقى، وقتل الحسين. قال: فبكى أهل البيت جميعاً، فقلت: يا رسول الله، ما خلقنا ربّنا إلا للبلاء! قال: ابشر يا علي، فإنّ الله عزّ وجلّ قد عهد إليّ أنه لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق[1].

٧- ما وراه الكفعمي قدس سره في مصباحه من الدعاء المعروف بدعاء صنمي قريش الذي كان يقنت به أمير المؤمنين عليه السلام في صلاته، وفيه: وكُفْر نصبوه، وإرث غصبوه، وفيء اقتطعوه، وسُحت أكلوه، وخمس استحلّوه، وباطل أسّسوه، وجور بسطوه، ونفاق أسرّوه، وغدر أضمروه، وظلم نشروه، ووعد أخلفوه، وأمان خانوه، وعهد نقضوه، وحلال حرّموه، وحرام أحلّوه، **وبطن فتقوه، وجنين أسقطوه، وضلع دقّوه**، وصكّ مزّقوه[2].

---

(١) الأمالي ١٩٧، وقد علّق السيد عبد الله شبر على هذه الرواية في كتابه جلاء العيون: ١٥٠ بقوله: وروى أيضاً في الأمالي بإسناد معتبر عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) المصباح ٥٥٢، وقد ذكر المصنّف في أوّ الكتاب أنّ الروايات التي ينقلها فيه مستخرجة من الكتب المعتبرة والصحيحة، قال: وقد جمعته من كتب معتمد على صحتها مأمور

٨- ما رواه ابن العرندس في كتابه كشف اللئالي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في كلام طويل يخاطب أهل الشقاق والنفاق: أيتها الغدرة الفجرة، والنطفة القذرة المذرة، والبهيمة السائمة، نهضتم على أقدامكم، وشمّرتم للضلال عن ساعدكم، تبغون بذلك النفاق، وتحبون مراقبة الجهل والشقاق...

إلى أن قال: والموعد قريب، والرب نعم الحاكم، فاستعدّوا للمسألة جواباً، ولظلمكم لنا أهل البيت احتساباً، أو تُضرب الزهراء نهراً[1]، ويؤخذ منا حقّنا قهراً وجبراً، فلا نصير ولا مجير، ولا مسعد ولا منجد، فليت ابن أبي طالب مات قبل يومه، فلا يرى الكفرة الفجرة قد ازدحموا على ظلم الطاهرة البرّة، فتبًّا تبًّا وسحقاً سحقاً، ذلك أمر إلى الله مرجعه، وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله مدفعه، **فقد عزّ على ابن أبي طالب أن يسودّ متن فاطمة ضرباً**، وقد عرف مقامه، وشوهدت أيّامه، فلا يثور إلى عقيلته، ولا يصر دونه حليلته، فالصبر أيمن وأجمل، والرضا بما رضي الله به أفضل[2].

ما روي عن فاطمة الزهراء عليها السلام:

٩- ما رواه الديلمي قدس سره في إرشاد القلوب عن السيّدة فاطمة عليها السلام في وصيّتها لأمير المؤمنين عليه السلام عند وفاتها، وفيها تصرّح بما جرى عليها بالتفصيل، ومما جاء في وصيّتها قولها عليها السلام: **لا تُصَلِّ عليَّ أمّة نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين علي عليه السلام، وظلموني حقّي،**

بالتمسك بوثقى عروتها لا يغيرها كرّ العصرين ولا مرّ الملوين.

(١) نهره نهراً: أي زجره، وأغلظ له في القول، والمراد أن الزهراء عليها السلام ضُربت ضرب زجر.

(٢) مصباح البلاغة ١/ ٢٨٦.

وأخذوا إرثي، وخرقوا صحيفتي التي كتبها لي أبي بملك فدك، وكذّبوا شهودي وهم -والله- جبرئيل وميكائيل وأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن، وطفت عليهم في بيوتهم، وأمير المؤمنين عليه السلام يحملني ومعي الحسن والحسين ليلاً ونهاراً إلى منازلهم، أذكّرهم بالله وبرسوله، ألّا تظلمونا، ولا تغصبونا حقّنا الذي جعله الله لنا، فيجيبونا ليلاً، ويقعدون عن نصرتنا نهاراً، ثم يُنْفِذون إلى دارنا قنفذاً، ومعه عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد؛ ليخرجوا ابن عمّي عليًّا إلى سقيفة بني ساعدة لبيعتهم الخاسرة، فلا يخرج إليهم متشاغلاً بما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وآله، وبأزواجه، وبتأليف القرآن، وقضاء ثمانين ألف درهم، وصّاه بقضائها عنه عدات وديناً، فجمعوا الحطب الجزل على بابنا، وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفت بعضادة الباب، وناشدتهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنا وينصرونا، **فأخذ عمر السوط من يد قنفذ – مولى أبي بكر – فضرب به عضدي، فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج**، وركل الباب برجله، فردّه عليَّ وأنا حامل، فسقطتُ لوجهي، والنار تسعر وتسفع وجهي، **فضربني بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض، فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم**، فهذه أمّة تصلي علي وقد تبرَّأ الله ورسوله منهم، وتبرّأتُ منهم؟![1].

ما روي عن الإمام الحسن عليه السلام:

١٠- روى الشيخ الطبرسي قدس سره صاحب كتاب الاحتجاج رواية ذكر فيها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ما اقترفته يد المغيرة بن شعبة بتعدّيه على سيّدة نساء العالمين، قال: وأمّا أنت يا مغيرة بن شعبة! فإنك لله عدو،

(١) بحار الأنوار ٣٠/ ٣٤٩.

ولكتابه نابذ، ولنبيِّه مكذِّب، وأنت الزاني وقد وجب عليك الرجم، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأُخِّر رجمك، ودُفع الحق بالأباطيل، والصدق بالأغاليط، وذلك لما أعدّ الله لك من العذاب الأليم، والخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى، **وأنت الذي ضربت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أدميتَها، وألقتْ ما في بطنها**، استذلالاً منك لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته[1].

ما روي عن الإمام السجاد عليه السلام:

١١- روى الطبري الصغير خبراً في دلائل الإمامة، أشار فيه الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الاعتداء عليها الذي تسبَّب عنه سقوط جنينها، قال: حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري القاضي، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسين علي بن عمر بن الحسن بن علي بن مالك السياري، قال: أخبرنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، قال: حدثني أبي، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام، عن محمد بن عمار بن ياسر، قال: سمعت أبي عمار بن ياسر يقول: ... وحملت بالحسن، فلما رزقته حملت بعد أربعين يوماً بالحسين، ورُزقت زينب وأم كلثوم، وحملت بمحسن، فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وجرى ما جرى في يوم دخول القوم عليها دارها،

(١) الاحتجاج: ٤١٤، ذكر الطبرسي قدس سره في أوّل كتابه أنّ الروايات التي يذكرها هي معروفة مشهورة، قام عليها الإجماع، قال: ولا نأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناده، إما لوجود الإجماع عليه، أو موافقته لما دلّت العقول إليه، أو لاشتهاره في السِّيَر والكتب بين المخالف والمؤالف.

وإخراج ابن عمها أمير المؤمنين عليه السلام، **وما لحقها من الرجل، أسقطت به ولداً تماماً**، وكان ذلك أصل مرضها ووفاتها صلوات الله عليها[١].

ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام:

١٢- روى العياشي في تفسيره رواية طويلة تضمّنت تفاصيل ما جرى على الزهراء عليها السلام عند هجوم القوم على بيتها، وقد نسبها إلى (أحدهما) أي الإمام الباقر أو الصادق عليهما السلام، ومن هنا وضعنا الرواية في هذا الباب: عن بعض أصحابنا عن أحدهما: ... فلما قُبض نبي الله صلى الله عليه وآله كان الذي كان لما قد قضى من الاختلاف، وعمد عمر فبايع أبا بكر ولم يدفن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد، فلما رأى ذلك علي عليه السلام، ورأى الناس قد بايعوا أبا بكر خشي أن يُفتتن الناس، ففرغ إلى كتاب الله، وأخذ يجمعه في مصحف، فأرسل أبو بكر إليه أن تعال فبايع، فقال علي: لا أخرج حتى أجمع القرآن. فأرسل إليه مرة أخرى، فقال: لا أخرج حتى أفرغ. فأرسل إليه الثالثة ابن عمّ له يقال قنفذ، **فقامت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عليها تحول بينه وبين علي** عليه السلام، **فضربها**، فانطلق قنفذ وليس معه علي عليه السلام، فخشي أن يجمع عليٌّ الناس، فأمر بحطب، فجعل حوالي بيته، ثم انطلق عمر بنار، فأراد أن يحرق على علي بيته وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فلما رأى على ذلك خرج فبايع كارهاً غير طائع[٢].

---

(١) دلائل الإمامة: ١٠٤.

(٢) تفسير العياشي ٢/ ٣٠٨؛ لقد كانت روايات تفسير العياشي مسندة لكنّ أحد نسّاخ الكتاب قد اختصر الكتاب وحذف أسانيده.

ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

١٣- ما رواه ابن قولويه في كتابه كامل الزيارات بسنده عن : حدّثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله إلى السماء قيل له: إنّ الله تبارك وتعالى يختبرك في ثلاث لينظر كيف صبرك، قال: أُسلِّمُ لأمرك يا رب، ولا قوة لي على الصبر إلّا بك، فما هن؟ قيل له: ... وأمّا الثالثة فما يلقي أهل بيتك من بعدك من القتل، أمّا أخوك علي فيلقى من أمّتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجحد والظلم وآخر ذلك القتل، فقال: يا رب قبلت ورضيت، ومنك التوفيق والصبر، وأما ابنتك فتُظلم، وتُحرم، ويُؤخذ حقّها غصباً الذي تجعله لها، **وتُضرب وهي حامل**، ويُدخَل عليها وعلى حريمها ومنزلها بغير إذن، ثم يمسّها هوان وذلّ، ثم لا تجد مانعاً، وتطرح ما في بطنها من الضرب، وتموت من ذلك الضرب[1].

١٤- وبنفس السند ذكر رواية أخرى فيها: قلت له: جُعلت فداك فإذا طويت الجبل فما تسمع؟ قال: أسمعُ أصواتهما يناديان: عرّج علينا نكلّمك فإنّا نتوب، وأَسمعُ من الجبل صارخاً يصرخ بي: أجبهما، وقل لهما: اخسؤوا فيها ولا تكلمون. قال: قلت له: جعلت فداك ومن معهم؟ قال: كل فرعون عتى على الله، وحكى الله عنه فعاله، وكل من علَّم العباد

---

(١) كامل الزيارات: ٥٤٨، علّق السيد عبد الله شبّر قدس سره على الرواية بقوله: وروى الصدوق في الأمالي بإسناد معتبر عن حمّاد بن عثمان...

الكفر. فقلت: من هم؟ قال: نحو بولس الذي علَّم اليهود أنّ يد الله مغلولة، ونحو نسطور الذي علَّم النصارى أنّ المسيح ابن الله، وقال لهم: «هم ثلاثة»، ونحو فرعون موسى الذي قال: «أنا ربكم الأعلى»، ونحو نمرود الذي قال: «قهرتُ أهل الأرض، وقتلتُ من في السماء»، وقاتل أمير المؤمنين عليه السلام، **وقاتل فاطمة ومحسن**، وقاتل الحسن والحسين عليهما السلام، فأما معاوية وعمرو فما يطمعان في الخلاص، ومعهم كل من نصب لنا العداوة، وأعان علينا بلسانه ويده وماله[١].

وقد روى نفس هذه الرواية الشيخ المفيد رضي الله عنه في كتاب الاختصاص بسند آخر، قال: وعنه، عن أبيه، (أي أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن عيسى) والعباس بن معروف، عن عبد الله بن المغيرة قال: حدّثني عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن عبد الله بن بكر الأرجاني، قال: ...[٢].

١٥- وروى الكراجكي في كتابه كنز الفوائد: حدثنا به الشيخ الفقيه أبو الحسن بن شاذان رحمه الله، قال حدثني أبي رضي الله عنه، قال حدثنا ابن الوليد محمد بن الحسن، قال حدثنا الصفار محمد بن الحسين، قال حدثنا محمد بن زياد عن مفضل بن عمر عن يونس بن يعقوب رضي الله عنه، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله: ملعون ملعون من يظلم بعدي فاطمة ابنتي، ويغصبها حقّها، **ويقتلها**. ثم قال: يا فاطمة البشرى، فلك عند الله مقام محمود، تشفعين فيه لمحبِّيك وشيعتك، فتشفعين يا

(١) كامل الزيارات: ٥٤١؛ حكمها حكم الرواية السابقة

(٢) الاختصاص: ٣٤٣.

فاطمة[١].

١٦- وروى الحسن بن سليمان الحلي في مختصر البصائر، قال: الحسين بن حمدان عن محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيين عن أبي شعيب محمد بن نصر عن عمر بن الفرات عن محمد بن المفضل عن المفضل بن عمر، قال: سألت سيّدي الصادق عليه السلام: هل المأمول المنتظر المهدي عليه السلام من وقت موقت يعلمه الناس؟ فقال: حاش لله أن يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا...

إلى أن قال: وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لإحراقهم بها، **وضرب يد الصديقة الكبرى فاطمة بالسوط، ورفس بطنها، وإسقاطها محسناً**[٢].

وفي هذه الرواية أيضاً تتمّة أخرى ذكرها المجلسي في البحار، وهي قوله عليه السلام: إدخال قنفذ يده لعنه الله يروم فتح الباب، **وضرب عمر لها بالسوط على عضدها، حتى صار كالدملج الأسود، وركل الباب برجله، حتى أصاب بطنها وهي حاملة بالمحسن لستة أشهر وإسقاطها إياه،**

---

(١) كنز الفوائد: ٦٤، الرواية معتبرة الإسناد، بل في أعلى درجات الصحة، ومحمد بن زياد المذكور في السند هو ابن أبي عمير الثقة الجليل، ومحمد بن الحسين هو ابن أبي الخطاب، من أجلاء الأصحاب، أما قوله: «حدّثنا الصفار محمد بن الحسين» فالعبارة فيها سقط «عن»؛ لأنّه لا يقدم اللقب على العلم، ولا توجد شخصية بهذا الاسم، وثالثاً والأهم هو تكرر هذا السند في الكتب المعتبرة: (ابن الوليد، عن الصفار، عن محمد بن الحسين، عن ابن ابي عمير..)، وقد صحّحها السيد صادق الروحاني دام ظله في كتابه: التقليد والعقائد: ٣٢٣.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٨٧.

وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد، **وصفقه خدّها حتى بدا قرطاها تحت خمارها**، وهي تجهر بالبكاء، وتقول: واأبتاه، وارسول الله، **ابنتك فاطمة تُكذَّب وتُضرب، ويُقتل جنين في بطنها**(١).

١٧- ما رواه محمد بن جرير الطبري الشيعي قدس سره **في دلائل الإمامة**، قال: حدّثني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبو علي محمد بن همام بن سهيل عليه السلام، قال: روى أحمد ابن محمد بن البرقي، عن أحمد بن محمد الأشعري القمي، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عبد الله بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قال: وُلدت فاطمة عليها السلام في جمادى الآخرة، يوم العشرين منه، سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله، وأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوماً، وقُبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة، **وكان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً**، ولم تَدَعْ أحداً ممن آذاها يدخل عليها(٢).

ما روي عن الإمام الكاظم عليه السلام:

١٨- نقل العلامة المجلسي قدس سره في بحار الأنوار رواية عن كتاب

---

(١) بحار الأنوار ٥٣/ ١٩.

(٢) دلائل الإمامة: ١٣٤، الرواية معتبرة من ناحية السند، نصَّ على ذلك المحدِّث الشيخ عباس القمي قدس سره في بيت الأحزان: ١٨٩، وكذا فقيه عصره الميرزا جواد التبريزي قدس سره في صراط النجاة ٣/ ٤٤١.

الوصية للشيخ عيسى بن المستفاد الضرير، عن الإمام الكاظم عليه السلام، ذكر فيها وصية رسول الله صلى الله عليه وآله للأنصار، قال: ألا إنّ فاطمة بابها بابي، وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله. قال عيسى: فبكى أبو الحسن عليه السلام طويلاً، وقطع بقية كلامه، وقال: هُتِكَ والله حجاب الله، هُتِكَ والله حجاب الله، هُتِكَ والله حجاب الله، يا أُمَّهْ صلوات الله عليها(١).

ولكن ربما يُقال: إنّ هذه الرواية ليس فيها تصريح بوقوع الضرب من المهاجمين.

والجواب: أنّ التعبير بالهتك، والبكاء الشديد من الإمام عليه السلام، وقوله: «يا أُمَّهْ صلوات الله عليها» يفيد الاطمئنان بأنّه عليه السلام يشير إلى ما وقع من الاعتداء على السيّدة فاطمة عليها السلام بما بيَّنته الأحاديث الأخرى الذي من ضمنه الضرب.

ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام:

١٩- روى السيّد ابن طاووس قدس سره في كتابه مهج الدعوات بسنده : رويناه بإسنادنا إلى سعد بن عبد الله في كتاب فضل الدعاء وقال أبو جعفر عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن الرضا، وبكير بن صالح عن سليمان بن جعفر عن الرضا عليه السلام، قالا: دخلنا عليه وهو ساجد في سجدة الشكر، فأطال في سجوده، ثم رفع رأسه، فقلنا له: أطلتَ السجود! فقال: من دعا في سجدة الشكر بهذا الدعاء كان كالرامي مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر.

---

(١) بحار الأنوار ٢٢/ ٤٧٧؛ كتاب الوصية هو من الأصول الأربعمائة المعتبرة التي ألفت في زمن الأئمة وقد استطاع العلامة المجلسي قدس سره الحصول على بعضها وفرّغها في موسوعته القيمة (بحار الأنوار)

قالا: قلنا: فنكتبه؟ قال: اكتبا، إذا أنتما سجدتما سجدة الشكر فتقولا: اللهم العن اللذين بدّلا دينك، وغيّرا نعمتك، واتّهما رسولك صلى الله عليه وآله، وخالفا ملّتك، وصدّا عن سبيلك، وكفرا آلاءك، وردّا عليك كلامك، واستهزأا برسولك، **وقتلا ابن نبيّك**، وحرّفا كتابك، وجحدا آياتك، وسخرا بآياتك، واستكبرا عن عبادتك، وقتلا أولياءك، وجلسا في مجلس لم يكن لهما بحق[1].

وقد يسأل القارئ: كيف علمنا أنّ المراد من قوله عليه السلام: «ابن نبيّك» هو المحسن السقط؟ لماذا لا يكون الإمام الحسن عليه السلام؟ أو الإمام الحسين عليه السلام؟

والجواب: أنّ تتمّة الدعاء تبيّن أنّ المراد هو المحسن عليه السلام، وهي قوله عليه السلام: اللهم العن قتلة أمير المؤمنين، وقتلة الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم زدهما عذاباً فوق عذاب، وهواناً فوق هوان، وذُلًّا فوق ذلّ، وخزياً فوق خزي)[2].

فالرواية تدلّ بالدلالة الالتزامية على كون العصابة قد اعتديا على السيدة الزهراء عليها السلام عند اقتحامهم لبيتها.

---

(١) مهج الدعوات: ٢٥٧، وسند الرواية في غاية الصحة والإعتبار، فالسيد ابن طاووس رضي الله عنه له طرق صحيحة إلى جدّه الشيخ الطوسي رضي الله عنه، وهذا الأخير له طرق صحيحة إلى كتب سعد بن عبد الله الأشعري رضي الله عنه، وبقية الرواة المذكورين من الثقات الأجلاء الذين لا طريق إلى الطعن في واحد منهم بشيء.

(٢) مهج الدعوات: ٢٥٧.

ما روي عن الإمام الجواد عليه السلام:

٢٠- روى ابن جرير الطبري الشيعي قدس سره في دلائل الإمامة عن: أخبرني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى، قال: حدثنا أبي رضي الله عنه، قال: أخبرني أبو جعفر محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي[١]، قال: حدثني زكريا بن آدم، قال: إنّي لعند الرضا عليه السلام إذ جيء بأبي جعفر عليه السلام، وسنّه أقل من أربع سنين، فضرب بيده إلى الأرض، ورفع رأسه إلى السماء، فأطال الفكر، فقال له الرضا عليه السلام: بنفسي أنت، لم طال فكرك؟ فقال عليه السلام: فيما صُنع بأمي فاطمة عليها السلام، أما والله[٢]...

موضع الشاهد في هذه الرواية هو قول الإمام عليه السلام: «فيما صُنع بأمي فاطمة عليها السلام»، وذلك لقرائن ثلاث:

الأولى: أنّ التهديد لا يقال لأجله: «صُنع بأمي فاطمة عليها السلام»؛ لأنّ أصل التهديد كان للمتحصّنين ببيتها، وليس لها.

الثانية: أن اقتحام البيت كان لإخراج المتحصِّنين، ولذلك ورد أنهم أخرجوا أمير المؤمنين عليه السلام، وكسروا سيف الزبير كما تقدّم، فهذه الأمور أيضاً لا يصدق عليها أنّها صنع بفاطمة عليها السلام.

---

(١) الظاهر أنّ الإسم مصحّف هنا، إذ أنّ البرقي الذي يروي عنه ابن الوليد رحمه الله هو (أحمد بن محمد بن خالد) المعروف ب(أحمد بن أبي عبد الله البرقي)

(٢) دلائل الإمامة: ٤٠١؛ والرواية معتبرة الإسناد كلّ رواتها من الثقات الذين نصّ على وثاقتهم سوى (محمد بن هارون بن موسى) الذي لم يرد نصّ صريح في توثيقه إلّا أنّ ذلك استفيد من كونه من مشايخ النجاشي رحمه الله.

ثالثاً: العقوبة التي ذكرها الإمام الجواد عليه السلام في آخر الرواية تناسب كونه يقصد هذا الجرم العظيم.

ما روي عن الإمام العسكري عليه السلام:

٢١- صرّح الإمام العسكري عليه السلام بما جرى على أمّه الزهراء عليها السلام في رواية ابن اسحاق القمي المشهورة، حيث نقل فيها عن حذيفة بن اليمان ما جرى، ومن ضمن ما قال: ثمّ قام رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أُمّ سلمة، فدخل ورجعت عنه، وأنا غير شاكّ في أمر الشّيخ، حتّى ترأّس بعد وفاة النّبي صلى الله عليه وآله وأعاد الكفر، وارتدّ عن الدّين، وشمّر للملك، وحرّف القرآن، وأحرق بيت الوحي، وأبدع السنن، وغيّر الملّة، وبدّل السُّنّة، وردّ شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، وكذّب فاطمة عليها السلام، واغتصب فدكاً، وأرضى المجوس واليهود والنصارى، وأسخط قرّة عين المصطفى، ولم يرضهم، وغيّر السُّنن كلّها، ودبّر على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، وأظهر الجور، وحرّم ما أحلّ الله، وأحلّ ما حرّم الله، وألقى إلى النّاس أن يتّخذوا من جلود الإبل دنانير، **ولطم حر وجه الزكيّة**، وصعد منبر الرسول صلى الله عليه وآله غصباً وظلماً، وافترى على أمير المؤمنين عليه السلام، وعانده، وسفّه رأيه[1].

علماً أنّ المجلسي ذكر عبارة تدلّ على أنّ هذه الرواية كانت مسندة في

---

(١) المحتضر: ٩٨، وقد عبّر السيد ابن طاووس رضي الله عنه عن هذه الرواية في إقبال الأعمال: ١١٣ بقوله: عظيمة الشأن. وعبّر عنها العلامة المجلسي قدس سره في زاد المعاد: ٢٥٣ بالمعتبرة، وتبعه على ذلك الشيخ خضر بن شلال العفكاوي قدس سره في كتابه أبواب الجنان: ٧٦٥، ونقل المحدّث النوري اعتبار الشيخ المفيد للرواية في المستدرك ٢/ ٥٢٢.

أصل الكتاب، حيث قال: قال الشيخ حسن: نقلته من خط الشيخ الفقيه علي بن مظاهر الواسطي، بإسناد متّصل، عن محمد بن العلاء الهمداني الواسطي ويحيى بن محمد بن جريح البغدادي[١].

ثم نقل عن السيّد ابن طاووس رضي الله عنه قوله: نقلته من خط محمد بن علي بن محمد بن طي رحمه الله، ووجدنا فيما تصفّحنا من الكتب عدّة روايات موافقة لها، فاعتمدنا عليها[٢].

ما روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه:

٢٢- دوّنت الكتب التاريخية ما ذكره سلمان المحمدي رضي الله عنه حول هذه الحادثة، وتكمن أهمية روايته في كونه شاهد عيان قد عايش هذه الحادثة، فقد نقل سليم بن قيس رضي الله عنه روايته بالتفصيل، إلى أن وصل إلى هذا الموضع:

فقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع، فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة...

فقال أبو بكر: من نرسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً، وهو رجل فظّ غليظ جافٍ من الطلقاء، أحد بني عدي بن كعب.

فأرسله إليه، وأرسل معه أعواناً، وانطلق، فاستأذن على علي عليه السلام، فأبى أن يأذن لهم، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر - وهما جالسان في المسجد والناس حولهما- فقالوا: لم يؤذن لنا. فقال عمر: اذهبوا، فإن أذن

---

(١) بحار الأنوار ٣١/ ١٢٠.

(٢) بحار الأنوار ٣١/ ١٢٩.

لكم وإلّا فادخلوا عليه بغير إذن. فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليها السلام: «أحرّج عليكم أن تدخلوا عليَّ بيتي بغير إذن». فرجعوا وثبت قنفذ الملعون، فقالوا: إنّ فاطمة قالت كذا وكذا، فتحرّجنا أن ندخل بيتها بغير إذن، فغضب عمر، وقال: ما لنا وللنساء؟ ثم أمر أناساً حوله أن يحملوا الحطب، فحملوا الحطب، وحمل معهم عمر، فجعلوه حول منزل علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام، ثم نادى عمر حتى أسمع عليًّا وفاطمة عليهما السلام: «والله لتخرجنّ يا علي، ولتبايعنّ خليفة رسول الله، وإلّا أضرمتُ عليك بيتك النار»، فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولك؟ فقال: افتحي الباب، وإلّا أحرقنا عليكم بيتكم. فقالت: «يا عمر، أما تتّقي الله تدخل عليَّ بيتي؟»، فأبى أن ينصرف؛ ودعا عمر بالنار، فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل، فاستقبلته فاطمة عليها السلام، وصاحت: «يا أبتاه يا رسول الله»، **فرفع عمر السيف وهو في غمده، فوجأ به جنبها**، فصرخت: «يا أبتاه»، **فرفع السوط، فضرب به ذراعها**، فنادت: «يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر»، فوثب علي عليه السلام، فأخذ بتلابيبه، ثم نتره، فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته، وهمَّ بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاه به، فقال: «والذي كرّم محمداً بالنبوة - يا ابن صهاك - لولا كتاب من الله سبق، وعهد عهده إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعلمت إنك لا تدخل بيتي»، فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوّف أن يخرج علي عليه السلام إليه بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدته، فقال أبو بكر لقنفذ: «إرجع، فإن خرج وإلّا فاقتحم عليه بيته، فإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم النار»، فانطلق قنفذ الملعون، فاقتحم

هو وأصحابه بغير إذن، وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فسبقوه إليه وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعضهم سيوفهم، فكاثروه وضبطوه، فألقوا في عنقه حبلاً، وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت، **فضربها قنفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدملج من ضربته**، لعنه الله ولعن من بعث به[1].

وفي الرواية أيضاً قوله: وقد **كان قنفذ لعنه الله ضرب فاطمة** عليها السلام **بالسوط** - حين حالت بينه وبين زوجها - وأرسل إليه عمر: «إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها» - **فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضادة باب بيتها، ودفعها، فكسر ضلعها من جنبها، فألقت جنيناً من بطنها**، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة[2].

ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

٢٣- من الذين حضروا الحادثة أيضاً وكان شاهد عيان فيها، الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وقد وثّق سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه شهادته في كتابه المعروف، حيث قال ابن عباس في كلام طويل له: فانطلق قنفذ، فأخبر أبا بكر، فوثب عمر غضبان، فنادى خالد بن الوليد وقنفذاً، فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً، ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي عليه السلام، وفاطمة عليها السلام قاعدة خلف الباب، قد عصبت رأسها، ونحل جسمها في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبل عمر حتى ضرب الباب، ثم نادى: يا ابن أبي طالب، افتح الباب. فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولك؟ لا تَدَعُنا وما

---

(١) كتاب سليم: ١٥١: والرواية معتبرة لإعتبار الكتاب.

(٢) كتاب سليم: ١٥٣، والرواية معتبرة لإعتبار الكتاب.

نحن فيه! قال: افتحي الباب وإلّا أحرقناه عليكم. فقالت: يا عمر، أما تتّقي الله عزّ وجل، تدخل عليَّ بيتي، وتهجم عليَّ داري؟ فأبى أن ينصرف، ثم دعا عمر بالنار، فأضرمها في الباب، فأحرق الباب، ثم دفعه عمر، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله. **فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها،** فصرخت، **فرفع السوط فضرب به ذراعها،** فصاحت: يا أبتاه[١].

٢٤- كما نقل ابن شهر آشوب المازندراني نصًّا آخر عن ابن عباس أيضاً، قال: وفي رواية الكلبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس - في خبر طويل له -: إنّه أمر فلان أن يجمع الحطب ، فجمع ثم أمر به فوضع على الباب ليحرقه، فخرجت فاطمة عليها السلام تناشده وتقول : يا خالد، أعلى الحسن والحسين يحرق البيت؟ فقال خالد: إنّي مأمور، **وفتحت، فزخمها**[٢] **قنفذ**[٣].

ما روي عن عمر بن الخطاب:

٢٥- ذكر العلامة المجلسي قدس سره رواية مهمّة احتوت اعترافاً موثّقاً من عمر بن الخطاب بما جرى بالتفصيل في بيت فاطمة عليها السلام.

قال قدس سره: أجاز لي بعض الأفاضل في مكّة - زاد الله شرفها- رواية

---

(١) كتاب سليم: ٣٨٧، والرواية معتبرة لاعتبار الكتاب.

(٢) زخمها: أي دفعها دفعاً شديداً.

(٣) مثالب النواصب: ٢٣٩ (مخطوط)؛ الظاهر أنّ ابن شهرآشوب قد نقل هذه الرواية عن أحد كتب الكلبي التي كانت مشهورة ومتداولة في العصور المتقدمة إلّا أنّها فقدت الآن، وستأتيك ترجمته والإشارة لبعض كتبه في الأبواب الآتية.

هذا الخبر، وأخبرني أنه أخرجه من الجزء الثاني من كتاب دلائل الإمامة، وهذه صورته: حدّثنا أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدّثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدّثنا أبو علي محمد بن همام، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن مالك الفزاري الكوفي، قال: حدّثني عبد الرحمن بن سنان الصيرفي، عن جعفر بن علي الحوار، عن الحسن بن مسكان، عن المفضّل بن عمر الجعفي، عن جابر الجعفي، عن سعيد بن المسيب: وذكر نصّ كتاب أرسله عمر ب الخطاب إلى معاوية، وهو كتاب طويل، حكى فيه عمر أحداث تلك الواقعة، ومما جاء فيه قول عمر لفاطمة عليها السلام: فقلت: دعي عنك الأباطيل وأساطير النساء، وقولي لعلي يخرج. فقالت: لا حبّ ولا كرامة، أبحزب الشيطان تخوّفني يا عمر؟! وكان حزب الشيطان ضعيفاً. فقلت: إن لم يخرج جئتُ بالحطب الجزل، وأضرمتها ناراً على أهل هذا البيت، وأحرق من فيه، أو يقاد علي إلى البيعة، وأخذتُ سوط قنفذ فضربت، وقلت لخالد بن الوليد: أنت ورجالنا هلمّوا في جمع الحطب. فقلت: إنّي مضرمها. فقالت: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو أمير المؤمنين. فضربتْ فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه، فرمته فتصعّب عليَّ، **فضربت كفيها بالسوط فألّمها**، فسمعت لها زفيراً وبكاء، فكدت أن ألين وأنقلب عن الباب، فذكرت أحقاد علي وولوغه في دماء صناديد العرب، وكيد محمد وسحره، **فركلت الباب وقد ألصقتْ أحشاءها بالباب تترّسه،** وسمعتها وقد صرخت صرخة حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها، وقالت: يا أبتاه! يا رسول الله! هكذا كان يُفعل بحبيبتك وابنتك، آه يا فضة! إليك فخذيني فقد والله **قُتل ما في أحشائي من حمل**. وسمعتها

تمخض وهي مستندة إلى الجدار، فدفعت الباب، ودخلت، **فأقبلتْ إلي بوجه أغشى بصري، فصفقت صفقة على خديها من ظاهر الخمار، فانقطع قرطها، وتناثرت إلى الأرض**[(١)].

فهذه (٢٥) رواية عن المعصومين عليهم السلام وعن بعض الصحابة وردت في أكثر من (١٥) مصدراً من مصادر الشيعة، ذكرت صريحاً أنّ القوم هجموا على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام، واعتدوا عليها بعدّة صور:

١- اللطم على الخد: كما في الروايات رقم: ٦، ٩، ١٦، ٢١، ٢٥.

٢- الرفس بالرجل: كما في الرواية رقم: ١٦.

٣- اللكز بالسيف كما في الروايات رقم: ١٧، ٢٢، ٢٥.

٤- الضرب بالسوط كما في الروايات رقم: ٥، ١٦، ٢٢، ٢٣، ٢٥.

٥- العصر بالباب كما في الروايات رقم: ٩، ١٦، ٢٢، ٢٥.

وقد تسبّب عن هذا الإعتداء عدة أمور:

١- كسر الضلع أو الجنب: كما في الروايات رقم: ١، ٢، ٤، ١٧، ٢٣.

٢- اسوداد المتن (فيه مثل الدملج) كما في الروايات رقم: ٥، ٨، ٩، ١٦، ٢٢.

٣- الموت بعد مدّة يسيرة من الاعتداء: ١، ٢، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ٢٢.

وبعد هذا السرد تبيّن للقارئ أنّ قضية ضرب الزهراء عليها السلام قد

---

(١) بحار الأنوار ٣٠/ ٢٩٤، اعتبرها ابن أبي جمهور الأحسائي قدس سره في كتابه مجلي مرآة المنجي من النقل الصحيح.

وردت فيها روايات كثيرة جدّا، منها معتبر وصحيح، وفي مصادر مختلفة.

٣- كاشف الغطاء قدس سره واستبعاده لضرب الزهراء عليها السلام

حاول بعضهم التشكيك في قضية الاعتداء على سيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام استناداً لما ذكره الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء قدس سره في كتابه جنة المأوى.

نصّ كلام الشيخ كاشف الغطاء:

قال قدس سره في كتابه جنّة المأوى: ولكن قضية ضرب الزهراء ولطم خدّها مما لا يكاد يقبله وجداني، ويتقبّله عقلي، ويقتنع به مشاعري، لا لأنّ القوم يتحرّجون ويتورّعون من هذه الجرأة العظيمة، بل لأنّ السجايا العربية والتقاليد الجاهلية التي ركّزتها الشريعة الإسلامية وزادتها تأييداً وتأكيداً، تمنع بشدة أن تُضرب المرأة، أو تُمد إليها يد سوء، حتى إن في بعض كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ما معناه: إنّ الرجل كان في الجاهلية إذا ضرب المرأة يبقى ذلك عاراً في أعقابه ونسله[1].

ما هو تحديداً إشكال كاشف الغطاء قدس سره؟

هذا الكلام لا يفيد المنكرين أو المشكّكين بشيء؛ لأنّه لا يدلّ من

---

(١) جنة المأوى: ١٦٣؛ والنصّ الذي يقصده الشيخ قدس سره هو قول الأمير عليه السلام: ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ، وإنهنّ لمشركات، وإنّ الرجل ليكافئ المرأة ويتناولها بالضرب فيعيّر بها عقبه من بعده... وهو من مرويات سيف بن عمر التميمي في كتابه الفتنة ووقعة الجمل صفحة ١٨٠ وليس من نصوص نهج البلاغة كما حاول البعض ايهام الناس بذلك فتنبّه.

قريب أو من بعيد على أنّ كاشف الغطاء قدس سره ينكر قضية ضرب الزهراء عليها السلام من أساسها، فمن يقرأ بداية كلام الشيخ كاشف الغطاء قدس سره يجد أنّه يثبت فيه حصول مصيبة الزهراء عليها السلام بكلّ تفاصيلها، إذ أنّه يقول في أول كلامه: طفحت واستفاضت كتب الشيعة من صدر الإسلام في القرن الأول: مثل كتاب سليم بن قيس ومن بعده إلى القرن الحادي عشر وما بعده وإلى يومنا، كلّ كتب الشيعة التي عُنيت بأحوال الأئمة وأبيهم الآية الكبرى وأمّهم الصدّيقة الزهراء صلوات الله عليهم أجمعين، وكل من ترجم لهم، وألّف كتاباً فيهم، أطبقت كلمتهم تقريباً أو تحقيقاً في ذكر مصائب تلك البضعة الطاهرة، إنها بعد رحلة أبيها المصطفى ضرب الظالمون وجهها، ولطموا خدّها، حتى احمرّت عينها، وتناثر قرطها، وعُصرت بالباب حتى كُسر ضلعها وأسقطت جنينها، وماتت وفي عضدها كالدملج، ثم أخذ شعراء أهل البيت عليهم السلام هذه القضايا والرزايا، ونظموها في أشعارهم ومراثيهم، وأرسلوها إرسال المسلمات، من الكميت والسيد الحميري ودعبل الخزاعي والنميري والسلامي وديك الجن ومن بعدهم ومن قبلهم إلى هذا العصر، وتوسّع أعاظم شعراء الشيعة في القرن الثالث عشر والرابع عشر الذي نحن فيه كالخطي والكعبي والكوازين وآل السيد مهدي الحلّيّين وغيرهم ممن يعسر تعدادهم ويفوت الحصر جمعهم وآحادهم(١).

ففي هذا الكلام يصرّح الشيخ رحمه الله بتواتر مصيبة الزهراء عليها السلام تواتراً أجياليًّا بحيث يقطع بحصول هذه الواقعة، وقد استخدم تعابير مختلفة

---

(١) جنة المأوى: ١٥٩.

لإيصال هذا المعنى، مثل: «طفحت، واستفاضت كتب الشيعة، أطبقت كلمتهم، يعسر تعدادهم، يفوت الحصر جمعهم وآحادهم».

كما أنّ الشيخ رحمه الله ذكر جزءاً ممّا جرى عليها بقوله: «ضرب الظالمون وجهها، ولطموا خدّها حتى احمرّت عينها، وتناثر قرطها، وعُصرت بالباب حتى كُسر ضلعها، وأسقطت جنينها، وماتت وفي عضدها كالدملج».

إذن الشيخ رحمه الله لا ينكر أصل مظلوميّتها أو الإعتداء عليها، بل يثبته بأقوى الأدلّة، وهو التواتر الذي يفيد العلم واليقين، فلا يأتي قائل فيدّعي أنّ كاشف الغطاء قدس سره أنكر مظلومية الزهراء عليها السلام، غاية ما في الأمر أنّه أنكر جزئية معيّنة، وهي قضية لطم الخد كما في كلامه المتقدّم.

هل أنكر كاشف الغطاء قدس سره (لطم الخد) من أساسه؟

من يدقّق أكثر في كلام الشيخ كاشف الغطاء قدس سره يجد أنّه لا ينكر قضية لطم الخد أيضاً، بل كلامه هو مجرّد استبعاد وجداني لجزئية في هذا التفصيل، وهو أن يمدّ رجل عربي يده لضرب فاطمة عليها السلام على وجهها، لذلك صرّح بما لا يدع مجالاً للشك والريب بوقوع اللطم، حيث قال: وأما قضية قنفذ وأن الرجل لم يصادر أمواله كما صنع مع سائر ولاته وأمرائه، وقول الإمام علي عليه السلام: «إنّه شكر له ضربته»، فلا أمنع من أنّه ضربها بسوطه من وراء الرداء، وإنّما الذي أستبعده أو أمنعه هو لطمه الوجه، وقنفذ ليس ممن يخشى العار لو ضربها من وراء الثياب أو على عضدها[1].

---

(١) جنة المأوى: ١٦٤.

إذن الشيخ كاشف الغطاء قدس سره لا ينكر قضية لطم فاطمة الزهراء عليها السلام من أساسها، بل يثبت أن قنفذاً قد قام بهذا العمل بالفعل، وكافأه الرجل على هذه الفعلة بعدم مصادرة أمواله مثل غيره كما في الرواية التي ذكرناها سابقاً برقم (٤)، واستبعد أن تُضرب فاطمة عليها السلام على وجهها مباشرة لا من فوق الثياب لأمرين:

الأول: أنّ وجه الزهراء عليها السلام هو «وجه الله المصون الذي لا يُهان، ولا يهون، ويغشى نوره العيون»، فلا يمكن أن تلامسه أيادي الأرجاس.

الثاني: أنّ مثل هذا العمل لا يمكن أن يقدم عليه عربي حرّ[1]؛ لما تعارف عليه العرب من اعتبار هذا العمل عاراً لا يقدم على مثله من كان ذا مكانة وجاه بين الناس.

الإشكال الأول: هل يعقل لطم خد الزهراء؟

إنّ غاية ما ذكره كاشف الغطاء قدس سره هو أنه يستبعد مباشرة عمر وأشباهه ضرب وجه الزهراء عليها السلام، بمعنى أن تلامس يده وجه الطهر الطاهرة الحوراء الإنسية عليها السلام ولو بالضرب، لا استبعاد أصل الضرب والإعتداء عليها من كل أحد حتى من مثل قنفذ.

ولذلك التفت محقّق كتاب جنّة المأوى السيد محمد علي القاضي الطباطبائي رحمه الله إلى هذه النقطة، وأشار أنّ مراد أستاذه قدس سره هو نفي الملامسة، لا نفي أصل لطمة الخد.

---

(١) تجدر الإشارة أنّ اثبات الشيخ قدس سره لقيام قنفذ بهذه الجريمة فيه مناقضة لنفسه لأنّ هذا الشخص هو عربيّ قح بل هو ابن عمّ الخليفة الأول كما سيأتي بيانه في آخر الكتاب (من هاجم بيت فاطمة؟)

قال في الهامش: يظهر من هذا الكلام أن مراد شيخنا الإمام رحمه الله من أوّل هذا المقال إلى آخره **هو استبعاد أن تصل يد أثيمة من أجنبي إلى بدن الصدّيقة الطاهرة ووجهها عليها السلام بالضرب واللطم**، وهذا الاستبعاد في محلّه، فإنّه لا يمكن أن يصل أجنبي إلى بدنها قطعاً، وأمّا الضرب من وراء الثياب والرداء فلا استبعاد في ذلك في نظره رحمه الله، كيف وقد طفحت واستفاضت كتب الشيعة من صدر الإسلام إلى اليوم، وأطبقت كلمتهم على أنها ضُربت بعد أبيها حتى كُسر ضلعها، وأسقطت جنينها، وماتت وفي عضدها كالدملج[1].

علماً أنّ الروايات الشريفة قد أشارت إلى أنّ الضرب كان من على الخمار لا على الوجه مباشرة، ويمكن أن يستظهر ذلك من روايتين:

الأولى: رواية المفضّل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام المتقدّمة برقم (١٥)، حيث ورد فيها قوله: «وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد، وصفقه خدّها حتى **بدا قرطاها تحت خمارها**، وهي تجهر بالبكاء»[2].

الثانية: الكتاب الذي أرسله الرجل إلى معاوية بن أبي سفيان المتقدّم برقم (٢٣)، الذي اعترف فيه بكلّ ما جرى، وأشار فيه إلى أنّ اللطم كان على ظاهر الخمار، قال: فأقبلت إليّ بوجه أغشى بصري، **فصفقت صفقة على خديها من ظاهر الخمار**، فانقطع قرطها، وتناثرت إلى الأرض[3].

وبهذا يرتفع إشكال من يتمسّك بكلام الشيخ كاشف الغطاء قدس سره

---

(١) جنة المأوى: ١٦٤ (الحاشية).

(٢) بحار الأنوار ٥٣/ ١٩.

(٣) بحار الأنوار ٣٠/ ٢٩٤.

لنفي أصل وقوع حادثة الضرب.

الإشكال الثاني: هل يُقْدِم العرب على مثل هذا الفعل؟

استند الشيخ قدس سره في استبعاده للأمر المذكور على أنّ العرب لا يُقْدِمون على هذا الفعل عادة؛ لما فيه من العار والشنار على فاعله.

والجواب على هذا الكلام من وجوه:

أولاً: زعم أنّ هذا الأمر كان مستقبحاً عند العرب، وأنّهم ينزّهون أنفسهم عن مثل هذا الفعل، أمر يحتاج إلى دليل، ومجرّد الادّعاء لا ينفع، والشيخ قدس سره يتحدّث عن سيرة قائمة بين العرب تداني التشريعات السماوية، وهذا ما لم نجده في الكتب التي عُنيت بذكر أخبار العرب.

بل ربما يقال: إن الأمر بخلاف ذلك، فإن الذي اشتهر عن العرب إلى يومنا هذا هو امتهانهم للمرأة، وهضمهم حقوقها، والتعامل معها كأنّها سلعة تُباع وتُشترى، ويكفي شاهداً على هذا ما سجّله القرآن من جريمتهم النكراء وهي وأد البنات.

وقد نقلت كتب السيرة النبوية الغرّاء صوراً بشعة لتعامل أهل الجاهلية مع نساء المسلمين، ولعلّ أجلاها سُميّة رضي الله عنها أول شهيدة في الإسلام، أمّ عمار بن ياسر رضي الله عنه التي لاقت صنوف العذاب من كفّار قريش، ثم قتلها أبو جهل.

قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة: سُميّة بنت خُباط بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة، ويقال: بمثناة تحتانية. وعند الفاكهي: سمية بنت خبط بفتح أوله بغير ألف، مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو

بن مخزوم، والدة عمار بن ياسر، كانت سابعة سبعة في الإسلام، **عذّبها أبو جهل، وطعنها في قبلها، فماتت**، فكانت أو شهيدة في الإسلام(١).

وقال ابن إسحاق في المغازي: حدّثني رجال من آل عمار بن ياسر أن سُميّة أم عمار **عذَّبها آل بني المغيرة على الإسلام وهي تأبى غيره، حتى قتلوها**، وكان رسول الله ﷺ يمرّ بعمار وأمّه وأبيه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة، فيقول: صبراً يا آل ياسر، موعدكم الجنة...

وقال مجاهد: **وجاء أبو جهل إلى سُميّة، فطعنها بحربة فقتلها.** أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن مجاهد، وهو مرسل صحيح السند...(٢).

وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن مجاهد، قال: أول شهيد في الإسلام سُميّة والدة عمار بن ياسر، وكانت عجوزاً كبيرة ضعيفة، ولما قُتل أبو جهل يوم بدر قال النبي ﷺ لعمار: قتل الله قاتل أمّك(٣).

ونقل الطبري ما صنعه أبو جهل ليلة هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة، قال: وحدّثت عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبى بكر، فخرجت إليهم ،فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ قلت: لا أدرى والله أين أبي، قالت: **فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا**

(١) الإصابة ٨/ ١٨٩.

(٢) الإصابة ٨/ ١٩٠.

(٣) الإصابة ٨/ ١٩٠.

خبيثا فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي[١].

الثاني: أنّ استقباح العرف لفعل من الأفعال لا يستلزم بالضرورة امتناع كلّ الناس عن القيام به، إذ أنّ الممتنعون هم فقط من يخافون من كلام الناس واستنكار المجتمع لفعلتهم، أمّا الذي يرى نفسه فوق الأعراف والتقاليد أو اللامبالي فلن يجتنب هذا الفعل القبيح إذا كانت عنده دواع مهمة لفعله، وهذا ممّا يُدرَك بالوجدان، إذ أنّ مجتمعاتنا في هذه الأيام تضع قيوداً كثيرة على الفرد، سواء كانت قيوداً دينية أم اجتماعية، ولعلّ عواقب عدم الالتزام بها وخيمة جدًّا، ورغم هذا تجد فئة من الناس تتمرّد على هذه القيود، وتخالف مثل هذه العادات، لا مبالية بكلّ هذه التبعات، والظاهر أن القوم كانوا كذلك، خصوصاً أنّ الحاجة كانت ملحّة لقمع كلّ من في كان البيت العلوي؛ لأنّهم كانوا في نظر السلطات معارضة خطرة ينبغي قمعها.

ثالثاً: من يقرأ سيرة عمر بن الخطاب يجد أنّ له تاريخاً حافلاً في ضرب النساء، سواء كان في الجاهلية أم في الإسلام!

أمّا في الجاهلية:

فإنه كان يعذّب بعض النسوة اللاتي دخلن في الإسلام، فقد قال ابن الأثير في تاريخه: لبينة جارية بني مؤمل بن حبيب بن عدي بن كعب، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب، **وكان عمر يعذّبها** حتى تُفتن، ثم يدعها ويقول: إني لم أدعك إلا سآمة[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ١٠٤.

(٢) الكامل في التاريخ ٢/ ٦٩.

وذكر جارية أخرى كان عمر يباشر تعذيبها، قال: زنيرة وكانت لبني عدي، **وكان عمر يعذّبها**[(١)].

وأمّا في الإسلام:

فإنّه ضرب أم فروة بنت أبي بكر والنساء اللاتي كنَّ معها، كما روى ذلك عبد الرزاق في مصنّفه، بسنده: عن ابن المسيب قال: لمّا مات أبو بكر بكي عليه، فقال عمر: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ الميت يُعذَّب ببكاء الحي. وأبوا إلا أن يبكوا، فقال عمر لهشام بن الوليد: قم فأخرج النساء. فقالت عائشة: إني أخرجك، قال عمر: ادخل، فقد أذنت لك. فقال: فدخل، فقالت عائشة: أَمُخْرِجِي أنت، أَيْ بُنَيّ! فقال: أمّا لك فقد أذنت. قال: **فجعل يُخرجهنّ عليه امرأةً امرأةً وهو يضربهنّ بالدرة**، حتى أخرج أم فروة، فَرَّقَ بينهن[(٢)].

وضرب عمر أيضاً النساء اللاتي كنّ في بيت ميمونة يبكين على خالد بن الوليد عند موته، فقد روى ذلك عبد الرزاق في مصنّفه بسنده عن عمرو بن دينار، قال: لما مات خالد بن الوليد اجتمع في بيت ميمونة نساء يبكين، فجاء عمر ومعه ابن عباس ومعه الدرة، فقال: يا أبا عبد الله! ادخل على أم المؤمنين فأمرها فلتحتجب، وأخرجهنّ عليَّ. قال: **فجعل يُخرجهنّ عليه وهو يضربهن بالدرة**، فسقط خمار امرأة منهن، فقالوا: يا أمير المؤمنين! خمارها، فقال: دعوها ولا حرمة لها، كان معمر يعجب من قوله : لا حرمة

---

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٦٩.

(٢) المصنّف ٣/ ٥٥٧، صحّحه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٥/ ٤٧١ .

لها[١].

وضرب امرأة أخرى كانت نائحة في المدينة، فقد روى عبد الرزاق بسنده عن نصر بن عاصم، أن عمر بن الخطاب سمع نواحة بالمدينة ليلاً، فأتى عليها، فدخل ففرَّق النساء، **فأدرك النائحة، فجعل يضربها بالدرة، فوقع خمارها**، فقالوا: شعرها يا أمير المؤمنين! فقال: أجل، فلا حرمة لها[٢].

وفي مورد آخر: ضرب مجموعة من النساء نُحْنَ على عثمان بن مظعون، نقل ذلك أحمد في مسنده، قال: ... لما ماتت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألحقي بسلفنا الصالح الخير: عثمان بن مظعون. فبكت النساء، **فجعل عمر يضربهنَّ بسوطه**[٣].

وورد أنّه كان يضرب زوجته في الليل، نقل ذلك الحاكم النيسابوري في المستدرك، قال: عن الأشعث بن قيس، قال: تضيّفت عمر بن الخطاب، فقام في بعض الليل، **فتناول امرأته فضربها**، ثم ناداني: يا أشعث. قلت: لبيك. قال احفظ عني ثلاثاً حفظتهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسأل الرجل فيم يضرب امرأته، ولا تسأله عمن يعتمد من إخوانه ولا يعتمدهم، ولا تنم إلّا على وتر[٤].

بل ورد أعظم من هذا، وهو ما رواه ابن سعد في طبقاته: عن علي بن زيد أن عاتكة بنت زيد كانت تحت عبد الله بن أبي بكر، فمات عنها،

---

(١) المصنّف ٣/ ٥٥٧.

(٢) المصنف ٣/ ٥٥٨.

(٣) مسند أحمد ٢/ ٥٣١، وقد صحّحه المحقق أحمد محمد شاكر في تعليقه على المسند.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٤/ ١٧٥، وقد علّق الحاكم على هذا الحديث بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

واشترط عليها أن لا تَزوّج بعده، فتبتّلت، وجعلت لا تزوّج، وجعل الرجال يخطبونها، وجعلت تأبى، فقال عمر لوليّها: اذكرني لها. فذكره لها، فأبت عمر أيضاً، فقال عمر: زوِّجنيها. فزوّجه إياها، فأتاها عمر، فدخل عليها، فعاركها حتى غلبها على نفسها، فنكحها، فلما فرغ قال: أف أف أفف بها[١].

فمن كانت عنده مثل هذه السوابق في ضرب النساء والإعتداء عليهن هل يُستبعد منه الاعتداء على الزهراء عليها السلام لتثبيت البيعة والخلافة؟

وعليه فإنّ ما استند إليه الشيخ كاشف الغطاء رحمه الله لا يمكن أن يُتمسّك به لاستبعاد وقوع هذا الأمر، وهو لا يعدو كونه أكثر من استبعاد ذوقي لا علمي.

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ٢٦٥.

إسقاط المحسن بن علي عليه السلام

من الآثار المترتّبة على قضية ضرب الزهراء عليها السلام والاعتداء عليها هو اجهاضها، وإسقاط جنينها المسمّى بالمحسن عليه السلام عند عصرها بين الباب والجدار كما تقدّم.

والحديث في قضية المحسن عليه السلام سيكون في عدّة نقاط:

١- هل لأمير المؤمنين عليه السلام ولد بهذا الاسم؟

أوّل تساؤل نطرحه حول هذه القضية: هو هل يوجد ولد لأمير المؤمنين عليه السلام بهذا الاسم؟

لم يختلف المؤرخون شيعة كانوا أو سُنّة في إثبات وجود ولد لعلي بن أبي طالب عليه السلام من فاطمة الزهراء عليها السلام سُمّي بالمحسن عليه السلام، وبحسب تتبّعي القاصر فإني لم أجد منهم ولا من الشيعة من أنكر هذه الحقيقة، وسنستعرض بعض كلماتهم:

قال ابن حبان[١] في الثقات: وكان لعلي بن أبي طالب خمسة وعشرون ولداً، من الولد: الحسن والحسين **ومحسن** وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى، وهؤلاء الخمسة من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

(١) محمد بن أحمد بن حبّان البستي، ولد سنة ٢٧٠ هـ وتوفي سنة ٣٥٤هـ من المحدّثين المؤرخين والنقاد عند أهل السنة والجماعة. (للمزيد الأعلام للزركلي ٦/ ٧٨)

(٢) الثقات ٢/ ٣٠٤.

وقال محي الدين النووي في الأسماء واللغات: ولعلي رضي الله عنه من الولد: الحسن، والحسين، **ومحسن**، وأم كلثوم الكبرى، وزينب الكبرى، كلّهم من فاطمة[١].

وقال ابن كثير في السيرة النبوية: وأمّا فاطمة فتزوّجها ابن عمّها علي بن أبي طالب في صفر سنة اثنتين، فولدت له الحسن والحسين، ويقال: **ومحسن**، وولدت له أم كلثوم وزينب[٢].

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: وقوله: «قرابة النبي صلى الله عليه وسلم» يريد بذلك من يُنسب إلى جدّه الأقرب، وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم، أو من رآه من ذكر وأنثى، وهم: علي وأولاده: الحسن والحسين **ومحسن** وأم كلثوم من فاطمة عليها السلام[٣].

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء: وتزوّجها الإمام علي بن أبي طالب في ذي القعدة، أو قُبَيله، من سنة اثنتين بعد وقعة بدر، وقال ابن عبد البر: دخل بها بعد وقعة أحد، فولدت له الحسن، والحسين **ومحسناً**، وأم كلثوم، وزينب[٤].

فهؤلاء خمسة من المؤرّخين انتقيتهم من العشرات الذين سلّموا بهذه الحقيقة، وسطّروها في كتبهم، وسبب اختياري لهؤلاء هو كونهم من المتخصّصين بعلم الرجال والحديث والتاريخ، ولهم اعتبار كبير عند

---

(١) تهذيب الأسماء ١/ ٤٨٢.

(٢) السيرة النبوية ٤/ ٦١١.

(٣) فتح الباري ٧/ ٦٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ١١٩.

قومهم.

٢- ما هو مصير المحسن عليه السلام؟

بعد أن أثبتنا وجود ولد لأمير المؤمنين عليه السلام بهذا الاسم، حقّ لنا الآن أن نسأل: ما هو مصير هذا الابن؟ ولماذا لم نجد له ترجمة في كتب السير والتراجم كأخويه: الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام؟

السبب هو أنّ المحسن مات سقطاً، أو كما قال بعضهم: مات صغيراً، وكلمات المؤرّخين في ذلك مستفيضة:

قال ابن اسحاق[(١)] صاحب السيرة: فولدت فاطمة لعلي: الحسن والحسين **ومحسن، فذهب محسن صغيراً**، وولدت له أم كلثوم وزينب[(٢)].

وقال الطبري في تاريخه: فأوّل زوجة تزوّجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوّج عليها حتى توفّيت عنده، وكان لها منه من الولد: الحسن والحسين، **ويُذكر أنه كان لها منه ابن آخر يسمّى محسناً، توفي صغيراً،** وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى[(٣)].

وقال ابن الأثير[(٤)] في الكامل: أما أزواجه فأوّل زوجة تزوّجها

---

(١) محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي ولد سنة ٨٥هـ وتوفي سنة ١٥١هـ من أعظم رواة السيرة النبوية وإليه المرجع فيها إلّا أنّ أغلب ما كتبه في السيرة ضاع ولم يبق منه إلّا النزر القليل. (للمزيد سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣)

(٢) سيرة ابن إسحاق: ٢٣١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤/ ١١٨.

(٤) عزّ الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الموصلي الجزري ولد سنة ٥٥٥ هـ وتوفي سنة ٦٣٠هـ من أعظم من كتب في تاريخ المسلمين وأدقّهم. (للمزيد الأعلام للزركلي

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يتزوّج عليها حتى توفّيت عنده، وكان له منها: الحسن والحسين، **وقد ذُكر أنه كان له منها ابن آخر يقال له محسن، وأنه توفي صغيراً**، وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى[1].

وقال البلاذري[2] في أنساب الأشراف: وولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، تزوّجها على بن أبي طالب عليهما السلام بالمدينة في سنة اثنتين، فولدت له: الحسن، والحسين، **ومحسّناً، درج صغيراً**[3].

وقال الصفدي[4] في الوافي بالوفيات: فاطمة تزوّجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فولدت له: الحسن والحسين **ومحسناً، مات صغيراً**[5].

فهؤلاء خمسة كذلك من كبار المؤرّخين وعلماء التراجم والأنساب أثبتوا أنّ المحسن عليه السلام قد مات صغيراً، إلّا أنّهم لم يذكروا كم كان سنّه عند موته، ولم يذكروا كذلك ما هو سبب وفاته.

٣- من أثبت من أهل السنة أنّه عليه السلام سقط؟

ذكر مجموعة من علماء ومؤرِّخي أهل السنة والجماعة أنّ المحسن بن

٤/ ٣٣١)

(١) الكامل في التاريخ ٣/ ٣٩٧

(٢) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ولد في بدايات القرن الثالث وتوفي سنة ٢٩٧هـ اهتمّ بعلوم التاريخ والأنساب وصنّف مجموعة من الكتب. (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ٢٦٧)

(٣) أنساب الأشراف ١/ ٤٠٢.

(٤) صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ولد سنة ٦٩٦ وتوفي سنة ٧٦٤هـ من أمراء المماليك اهتم باللغة والأدب والتراجم. (للمزيد الأعلام للزركلي ٢/ ٣١٥)

(٥) الوافي بالوفيات ١/ ٧٩.

علي عليه السلام قد أسقط، وفارق الحياة قبل أن يرى ضوء الحياة الدنيا.

منهم: المِزّي[(١)] في كتاب التراجم المعروف بتهذيب الكمال، قال: وكان له من الولد الذكور أحد وعشرون: الحسن، والحسين، ومحمد الأكبر وهو ابن الحنفية، وعمر الأطرف وهو الأكبر، والعباس الأكبر أبو الفضل، قُتل بالطف، ويقال له: السَّقَّاء أبو قربة، أعقبوا، والذين لم يعقبوا: **محسن درج سقطاً**[(٢)].

ومنهم: المؤرخ شمس الدين الذهبي، نقل عنه ذلك الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات، حيث قال: وللشيخ شمس الدين كتاب سماه فتح المطالب في فضل علي بن أبي طالب، قرأته عليه من أوله إلى آخره، ذكر فيه أن أولاده رضي الله عنه تسعة وثلاثون ولداً، أما الذكور: فالحسن والحسين ومحمد وعمر الأكبر والعباس الأكبر، وهؤلاء الخمسة هم الذين أعقبوا، **والمحسن طرح**[(٣)].

ومنهم: عبدالرحمن الصفّوري الشافعي[(٤)] في كتابه نزهة المجالس، قال: وكان الحسن أول أولاد فاطمة الخمسة: الحسن والحسين **والمحسن**

---

(١) جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي المزّي ولد سنة ٦٥٤هـ وتوفي سنة ٧٤٢هـ من نقّاد الحديث والرجال عند أهل السنة والجماعة من أشهر مؤلفاته (تهذيب الكمال في أسماء الرجال). (للمزيد الأعلام للزركلي ٨/ ٢٣٦)

(٢) تهذيب الكمال ٢٠/ ٤٧٩.

(٣) الوافي بالوفيات ٢١/ ١٨٥.

(٤) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عثمان الصفوري نسبة إلى بلدة صفورية في فلسطين شافعي المذهب توفي سنة ٨٩٤هـ مؤرخ أديب له مجموعة من المؤلفات. (للمزيد الأعلام للزركلي ٣/ ٣١٠)

كان سقطاً وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم، وُلدت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١].

ومنهم: النسابة الشهير جمال الدين ابن المِبْرَد[٢] في كتابه الشجرة النبوية في نسب خير البرية، قال: محسن، قيل: سقط، وقيل: بل درج صغيراً، **والصحيح أنّ فاطمة أسقطت جنيناً**[٣].

فهؤلاء خمسة من كبار مؤرِّخي ونسَّابة أهل السنة والجماعة، ذهبوا إلى أنّ المحسن بن علي عليه السلام قد مات سقطاً.

٤- كيف أسقط المحسن عليه السلام؟

بعد أن أثبتنا وجود ولد لأمير المؤمنين عليه السلام اسمه المحسن عليه السلام، وأنّه مات سقطاً، نصل الآن إلى المرحلة الأخيرة والسؤال الأهم في هذا البحث، وهو ما هو سبب سقوط المحسن بن علي عليه السلام؟

المحسن عليه السلام في روايات الخاصّة:

ورد في بعض الروايات الواردة في كتب الشيعة ذِكْر المحسن بن علي عليه السلام دون ذكر تفاصيل حياته وما يتعلّق به:

منها: ما رواه الشيخ علي بن إبراهيم القمي رضي الله عنه في تفسيره بسنده عن

---

(١) نزهة المجالس: ٢٧١.

(٢) جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد المعروف بـ (ابن المبرد) ولد سنة ٨٤٠ هـ وتوفي سنة ٩٠٩هـ علامة نسابة متفنن من فقهاء الحنابلة له مجموعة من التصانيف. (للمزيد الأعلام للزركلي ٨/ ٢٢٥)

(٣) الشجرة النبوية: ٦٠.

أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة يُدعى **محمد** صلى الله عليه وآله، فيُكسى حُلّة وردية، ثم يقام على يمين العرش... نعم الأب أبوك يا محمد، وهو إبراهيم، ونعم الأخ أخوك، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، ونعم السبطان سبطاك، وهما الحسن والحسين، ونعم **الجنين جنينك، وهو محسن،** ونعم الأئمة الراشدون من ذرّيّتك، وهم فلان وفلان، ونعم الشيعة شيعتك[1].

وروى ثقة الإسلام الكليني رضي الله عنه في الكافي بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حدّثني أبي عن جدّي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمّوا أولادكم قبل أن يولدوا، فإن لم تدروا أذكر أم أنثى فسمّوهم بالأسماء التي تكون للذكر والأنثى، فإن أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسمّوهم، يقول السقط لأبيه: ألا سمّيتني **وقد سمّى رسول الله** صلى الله عليه وآله **محسناً قبل أن يولد**[2].

وكذلك طفحت كلمات مؤرّخي الطائفة أصحاب السير والتراجم والأنساب بذكر المحسن بن علي عليه السلام عند تعدادهم لأولاد أمير المؤمنين عليه السلام، وبما أنّ الأمر محلّ إجماع فلا حاجة إلى حشد كلماتهم.

قتل المحسن عليه السلام في روايات الخاصّة:

وردت جملة من الروايات في أهم المصادر الشيعية المعتبرة، تكفّلت بذكر ما جرى على المحسن عليه السلام، وصرّحت بأنّ موته كان بسبب الاعتداء على أمّه الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام.

(١) تفسير القمي ١/ ١٢٨.

(٢) الكافي ٦/ ١٨.

١- فقد روى الشيخ الصدوق رضي الله عنه في أماليه، بسنده عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حديث طويل: وأمّا ابنتي فاطمة فإنها سيّدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين، وهي بضعة مني، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روحي التي بين جنبيّ، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربها جلّ جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عزّ وجلّ لملائكته: يا ملائكتي، انظروا إلى أمتي فاطمة سيّدة إمائي، قائمة بين يديّ، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار، وإنّي لما رأيتها ذكرت ما يُصنع بها بعدي، كأني بها وقد دخل الذّلّ بيتها ، وانتُهكت حرمتها، وغُصبت حقّها، ومُنعت إرثها، وكُسر جنبها، **وأُسقطت جنينها**، وهي تنادي: «يا محمداه»، فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية، تتذكّر انقطاع الوحي عن بيتها مرّة ، وتتذكّر فراقي أخرى، وتستوحش إذا جنّها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة[1] .

٢- ما وراه الكفعمي قدس سره في مصباحه من الدعاء المعروف بدعاء صنمي قريش الذي كان يقنت به أمير المؤمنين عليه السلام في صلاته، وفيه: وكُفْر نصبوه، وإرث غصبوه، وفيء اقتطعوه، وسُحت أكلوه، وخمس استحلّوه، وباطل أسّسوه، وجور بسطوه، ونفاق أسرّوه، وغدر أضمروه، وظلّ

---

(١) الأمالي ١٧٥، وقد علّق السيد عبد الله شبر على هذه الرواية في كتابه جلاء العيون ١٤٨ بقوله: وروى الصدوق في الأمالي بسند معتبر عن ابن عباس:..

نشروه، ووعد أخلفوه، وأمان خانوه، وعهد نقضوه، وحلال حرّموه، وحرام أحلّوه، **وبطن فتقوه، وجنين أسقطوه، وضلع دقّوه،** وصكّ مزّقوه[١].

٣- ما رواه الديلمي قدس سره في إرشاد القلوب عن السيّدة فاطمة عليها السلام في وصيّتها لأمير المؤمنين عليه السلام عند وفاتها، التي تصرّح فيها بما جرى عليها بالتفصيل، ومما جاء في وصيّتها قولها عليها السلام: لا تُصَلِّ عليَّ أمّة نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين علي عليه السلام، وظلموني حقّي، وأخذوا إرثي، وخرقوا صحيفتي التي كتبها لي أبي بملك فدك، وكذّبوا شهودي وهم -والله- جبرئيل وميكائيل وأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن، وطفت عليهم في بيوتهم، وأمير المؤمنين عليه السلام يحملني ومعي الحسن والحسين ليلاً ونهاراً إلى منازلهم، أذكّرهم بالله وبرسوله، ألّا تظلمونا، ولا تغصبونا حقّنا الذي جعله الله لنا، فيجيبونا ليلاً، ويقعدون عن نصرتنا نهاراً، ثم يُنْفِذون إلى دارنا قنفذاً، ومعه عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد؛ ليخرجوا ابن عمي عليًّا إلى سقيفة بني ساعدة لبيعتهم الخاسرة، فلا يخرج إليهم متشاغلاً بما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وآله، وبأزواجه، وبتأليف القرآن وقضاء ثمانين ألف درهم، وصّاه بقضائها عنه عدات وديناً، فجمعوا الحطب الجزل على بابنا، وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفت بعضادة الباب، وناشدتهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنا وينصرونا، **فأخذ عمر السوط من يد قنفذ – مولى أبي بكر – فضرب به عضدي، فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج**، وركل الباب برجله، فردّه عليَّ وأنا حامل،

---

(١) المصباح ٥٥٢.

فسقطتُ لوجهي، والنار تسعر وتسفع وجهي، **فضربني بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض، فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم**، فهذه أمّة تصلي علي وقد تبرَّأ الله ورسوله منهم، وتبرّأتُ منهم؟!⁽¹⁾.

٤- كما ذكر محمد بن جرير الطبري الإمامي في دلائله، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري القاضي، قال: أخبرنا القاضي أبو الحسين علي بن عمر بن الحسن بن علي بن مالك السياري، قال: أخبرنا محمد بن زكريا الغلابي، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، قال: حدثني أبي، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام، عن محمد بن عمار بن ياسر، قال: سمعت أبي عمار بن ياسر يقول:...وحملت بالحسن، فلما رزقته حملت بعد أربعين يوما بالحسين، ورزقت زينب وأم كلثوم، وحملت بمحسن، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وجرى ما جرى في يوم دخول القوم عليها دارها، وإخراج ابن عمها أمير المؤمنين عليه السلام، **وما لحقها من الرجل أسقطت به ولدا تماما**، وكان ذلك أصل مرضها ووفاتها صلوات الله عليها[2].

٥. وروى أبو جعفر ابن قولويه رضي الله عنه في كتابه كامل الزيارات، قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري، عن أبيه، عن علي بن محمد بن سالم، عن محمد بن خالد، عن عبد الله بن حماد البصري، عن عبد الله بن عبد الرحمان الأصم، عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لما أسري بالنبي صلى الله عليه وآله إلى السماء قيل له: إنّ الله تبارك وتعالى يختبرك في ثلاث

(١) بحار الأنوار ٣٠/ ٣٤٩.

(٢) دلائل الإمامة ١٠٤.

لينظر كيف صبرك، قال : أسلم لأمرك يا رب ولا قوة لي على الصبر إلّا بك، فما هن؟ قيل له:...وأمّا الثالثة فما يلقي أهل بيتك من بعدك من القتل، أمّا أخوك علي فيلقى من أمتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجحد والظلم وآخر ذلك القتل، فقال: يا رب قبلت ورضيت ومنك التوفيق والصبر، وأما ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقها غصبا الذي تجعله لها، **وتضرب وهي حامل**، ويدخل عليها وعلى حريمها ومنزلها بغير اذن، ثم يمسها هوان وذل ثم لا تجد مانعا، **وتطرح ما في بطنها من الضرب** وتموت من ذلك الضرب[1].

٦. وروى الشيخ المفيد رضي الله عنه في الاختصاص، قال: وعنه، عن أبيه، والعباس بن معروف، عن عبد الله بن المغيرة قال: حدثني عبد الله ابن عبد الرحمن الأصم، عن عبد الله بن بكر الأرجاني قال: صحبت أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة من المدينة فنزل منزلا يقال له: (عسفان) ثم مررنا بجبل أسود على يسار الطريق وحش، فقلت: يا ابن رسول الله ما أو حش هذا الجبل ما رأيت في الطريق جبلا أوحش منه، فقال: يا ابن بكر تدري أي جبل هذا؟ قلت: لا، قال: هذا جبل يقال له : الكمد وهو على واد من أودية جهنم، فيه قتلة أبي الحسين بن علي عليه السلام استودعوه، يجري من تحته مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم الآن وما يخرج من جهنم، وما يخرج من الفلق، وما يخرج من آثام، وما يخرج من طينة خبال، وما يخرج من لظى، وما يخرج من الحطمة، وما يخرج من سقر، وما يخرج من

---

(١) كامل الزيارات ٥٤٨، علّق السيد عبد الله شبّر قدس سره على الرواية بقوله: وروى الصدوق في الأمالي باسناد معتبر عن حمّاد بن عثمان...

الجحيم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل قط في مسيري فوقفت إلا رأيتهما يستغيثان بي ويتضرعان إلي وإني لأنظر إلى قتلة أبي فأقول لهما: إن هؤلاء إنما فعلوا بنا ما فعلوا لما أسستما لم ترحمونا لما وليتم وقتلتمونا وحرمتمونا ووثبتم على حقنا واستبددتم بالأمر دوننا فلا رحم الله من يرحمكما صنعتما وما الله بظلام للعبيد، وأشدهما تضرعا واستكانة الثاني فربما وقفت عليهما ليتسلى عني بعض ما يعرض في قلبي، وربما طويت الجبل الذي هما فيه وهو جبل الكمد، قلت: جعلت فداك فإذا طويت الجبل فما تسمع؟ قال: أسمع أصواتهم ينادون عرج إلينا نكلمك فإنا نتوب وأسمع صارخا من الجبل يقول: لا تكلمهم، وقل لهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون، قلت: جعلت فداك ومن معهم؟ قال: كل فرعون عتا على الله وحكى الله عنه فعاله، وكل من علم العباد الكفر، قلت: من هم؟ قال: نحو قورس الذي علم اليهود أن عزيرا (ابن الله)، ونحو نسطور الذي علم النصارى أن المسيح ابن الله وقال لهم: هم ثلاثة، ونحو فرعون موسى الذي قال: أنا ربكم الأعلى ، ونحو نمرود الذي قال: قهرت أهل الأرض وقتلت من في السماء، وقاتل أمير المؤمنين عليه السلام وقاتل فاطمة عليها السلام **وقاتل المحسن** وقاتل الحسن والحسين عليهم السلام فأما معاوية وعمرو بن العاص فما يطعمان في الخلاص ومعهم كل من نصب لنا العداوة وعاون علينا بلسانه ويده[1].

٧. ونقل رواية أخرى أصرح من هذه، قال: أبو محمد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:...فرفسها برجله **وكانت حاملة بابن**

---

(١) الإختصاص ٣٤٤.

اسمه المحسن فأسقطت المحسن من بطنها ثم لطمها فكأني أنظر إلى قرط في أذنها حين نقفت[(١)].

٨. وذكر الحسين بن حمدان في كتابه، رواية طويلة عن محمد ابن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسن ، عن أبي شعيب و محمد بن نصير، عن عمر بن الفرات، عن محمد بن المفضل، عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام:...إدخال قنفذ يده لعنه الله يروم فتح الباب، **وضرب عمر لها بالسوط على عضدها، حتى صار كالدملج الأسود، وركل الباب برجله، حتى أصاب بطنها وهي حاملة** بالمحسن، لستة أشهر وإسقاطها إياه، وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد **وصفقه خدّها حتى بدا قرطاها تحت خمارها**، وهي تجهر بالبكاء، وتقول: وا أبتاه، وا رسول الله، **ابنتك فاطمة تُكذَّب وتُضرب، ويقتل جنين في بطنها**[(٢)].

٩. محمد بن جرير الطبري الشيعي قدس سره في دلائل الإمامة، قال: حدّثني أبو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبو علي محمد بن همام بن سهيل عليه السلام، قال: روى أحمد ابن محمد بن البرقي، عن أحمد بن محمد الأشعري القمي، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عبد الله بن سنان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، قال: ولدت فاطمة عليها السلام في جمادى الآخرة، يوم العشرين منه، سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وأقامت بمكة ثمان سنين، وبالمدينة عشر سنين، وبعد وفاة أبيها خمسة وسبعين يوما،

(١) الإختصاص ١٨٥.

(٢) بحار الأنوار ٥٣/ ١٩.

وقبضت في جمادي الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنة إحدى عشرة من الهجرة، **وكان سبب وفاتها أن قنفذا مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسنا ومرضت من ذلك مرضا شديدا**، ولم تدع أحدا ممن آذاها يدخل عليها[١].

وذكر السيد ابن طاووس الحلي رضي الله عنه في كتابه مهج الدعوات: رويناه بإسنادنا إلى سعد بن عبد الله في كتاب فضل الدعاء وقال أبو جعفر عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن الرضا وبكير بن صالح عن سليمان بن جعفر عن الرضا عليه السلام قالا دخلنا عليه وهو ساجد في سجدة الشكر، فأطال في سجوده ثم رفع رأسه، فقلنا له: أطلت السجود، فقال من دعا في سجدة الشكر بهذا الدعاء كان كالرامي مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، قالا: قلنا فنكتبه؟ قال: اكتبا، إذا أنتما سجدتما سجدة الشكر فتقولا: اللهم العن اللذين بدّلا دينك، وغيّرا نعمتك، واتّهما رسولك صلى الله عليه وآله، وخالفا ملّتك وصدا عن سبيلك وكفرا آلاءك وردا عليك كلامك واستهزءا برسولك **وقتلا ابن نبيك** وحرفا كتابك وجحدا آياتك وسخرا بآياتك واستكبرا عن عبادتك وقتلا أولياءك وجلسا في مجلس لم يكن لهما بحق[٢].

١٠. وروى سليم بن قيس رضي الله عنه في كتابه المشهور: وقد كان قنفذ لعنه

---

(١) دلائل الإمامة ١٣٤: الرواية معتبرة نص على ذلك المحدث الشيخ عباس القمي قدس سره في بيت الأحزان ١٨٩ وفقيه عصره الميرزا جواد التبريزي قدس سره في صراط النجاة ٣/ ٤٤١.

(٢) مهج الدعوات ٢٥٧: وسند الرواية في غاية الصحة والاعتبار فالسيد ابن طاووس رضي الله عنه له طرق صحيحة إلى جدّه الشيخ الطوسي رضي الله عنه وهذا الأخير له طرق صحيحة إلى كتب سعد بن عبد الله الأشعري رضي الله عنه، وبقية الرواة المذكورين من الثقات الأجلاء الذين لا طريق إلى الطعن في واحد منهم بشيء.

الله ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط -حين حالت بينه وبين زوجها- وأرسل إليه عمر: (إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها) -**فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضادة باب بيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنينا من بطنها،** فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة[١].

١١. ونقل المجلسي في البحار رواية عن صاحبها ذكر فيها ما بدر منه، وفيها: فضربت فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه فرمته فتصعب علي فضربت كفيها بالسوط فألّمها، فسمعت لها زفيرا وبكاء، فكدت أن ألين وأنقلب عن الباب فذكرت أحقاد علي وولوعه في دماء صناديد العرب، وكيد محمد وسحره، **فركلت الباب وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترّسه،** وسمعتها وقد صرخت صرخة حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها، وقالت: يا أبتاه! يا رسول الله! هكذا كان يفعل بحبيبتك وابنتك، آه يا فضة! إليك فخذيني فقد والله **قتل ما في أحشائي من حمل،** وسمعتها تمخض وهي مستندة إلى الجدار، فدفعت الباب ودخلت فأقبلت إلي بوجه أغشى بصري، فصفقت صفقة على خديها من ظاهر الخمار فانقطع قرطها وتناثرت إلى الأرض[٢].

فهذه (١١) رواية من كتب الشيعة المعتبرة تذكر بصراحة أنّ سبب موت المحسن عليه السلام هو ضرب أمه فاطمة عليها السلام.

---

(١) كتاب سليم ١٥٣: والرواية معتبرة لاعتبار الكتاب.

(٢) بحار الأنوار ٣٠/ ٢٩٤.

٥- هل أنكر الشيخ المفيد قدس سره وجود المحسن عليه السلام؟:

ذكر بعضهم شبهة حول وجود المحسن بن علي عليه السلام، مفادها أنّه لو كان له وجود، وكانت القضية محلّ تسليم عند الطائفة، لما غاب هذا الأمر عن مثل الشيخ المفيد قدس سره الذي أنكر وجود المحسن عليه السلام، أو في أحسن الأحوال شكّك في أصل وجوده عليه السلام!

ولخطورة هذه الدعوى، سنجيب بالتفصيل حول هذه الشبهة التي طرب لها الكثير، وجعلوها مدخلاً للطعن أو التشكيك في أصل الهجوم على الدار والاعتداء على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام.

نصّ كلام الشيخ المفيد قدس سره:

أصحاب هذه الشبهة استندوا على ما ذكره الشيخ السديد محمد بن النعمان المفيد قدس سره في كتابه (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد)، فإنّه قدس سره قال عند تعداده لأولاد وبنات أمير المؤمنين عليه السلام: وفي الشيعة من يذكر أن فاطمة صلوات الله عليها أسقطت بعد النبي صلى الله عليه وآله ولداً ذكراً، كان سمّاه رسول الله عليه السلام وهو حمل (محسناً)، فعلى قول هذه الطائفة أولاد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرون، والله أعلم[1].

هل صرّح المفيد قدس سره برأيه؟:

من يدقّق في كلام الشيخ المفيد قدس سره يجد أنّه لم يصرّح برأيه الخاصّ في هذه المسألة، بل غاية ما في الأمر أنه ذكر الآراء الموجودة فيها، وبيّن اختلاف المؤرِّخين في تحديد أبناء أمير المؤمنين عليه السلام، أمّا ما يعتقده هو

---

(١) الإرشاد ١/ ٣٥٥.

ويتبنّاه ويرجّحه على غيره من الآراء فلم يصرّح به في هذا الموضع.

كما يمكن أن يقال: إنّ الشيخ المفيد قدس سره كان في صدد بيان أولاد أمير المؤمنين عليه السلام، ولا شكّ في أنّ السقط لا يُعَدّ عادة في جملة الأولاد إلّا إذا كان كاملاً، والشيخ المفيد قدس سره لم يتحقّق من أنّ المحسن عليه السلام أسقط كاملاً فيُعدّ في جملة أولاد أمير المؤمنين عليه السلام، أو أُسقط ناقصاً فلا يُعدّ في جملة أولاده عليه السلام، وعلى قول بعض الشيعة من أنّ المحسن عليه السلام أسقط كاملاً يكون عدد أولاد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرين ولداً[(١)].

وبهذا البيان يتضح أنّ أقصى ما يفيده كلام الشيخ المفيد قدس سره هو أنّه لم يجزم بأنّ المحسن عليه السلام أسقط كاملاً، لا أنّه قدس سره يشكّ في أصل إسقاطه، فإن ذلك مما أجمع عليه الشيعة، والشيخ المفيد قدس سره لا يشكّ في هذه المسألة الإجماعية.

ومن هنا نجد أنّ المجلسي الأول قدس سره[(٢)] لما ذكر كلام الشيخ المفيد قدس سره في مقام ذكره للمحسن عليه السلام، لم يَفهم أنّه كان متوقّفاً أو مشكّكاً في المسألة، قال: وشهادتها صلوات الله عليها كانت من ضرب عمر ... البابَ على بطنها عند إرادة أمير المؤمنين لبيعة أبي بكر... وضرب قنفذ غلام عمر السوط عليها بإذنه، والحكاية مشهورة عند العامّة والخاصّة، ومفصَّلة في كتاب لسليم بن قيس الهلالي، وسقط بالضرب غلام كان اسمه محسن،

(١) استفدت هذا الجواب من العلامة الشيخ علي آل محسن حفظه الله

(٢) محمد تقي بن ملا مقصود المجلسي الأصفهاني والد صاحب البحار العلامة محمد باقر المجلسي الذي تقدّمت ترجمته، من الفقهاء العلماء والعباد الزهاد له مجموعة من المصنفات باللغة العربية والفارسية، توفي سنة ١٠٧٠ هـ.

وهو مذكور في إرشاد المفيد رضي الله عنه[(١)].

وكذلك اعتبر الكنجي الشافعي[(٢)] أنّ الشيخ المفيد قدس سره قد أثبت القضية، فقال في كتابه كفاية الطالب: وزاد على الجمهور، وقال: إنّ فاطمة عليها السلام أسقطت بعد النبي ذكراً، وكان سمّاه رسول الله محسناً، وهذا شيء لم يوجد عند أحد من أهل النقل إلا عند ابن قتيبة[(٣)].

المفيد قدس سره ينقل روايات صريحة في المحسن عليه السلام!

من أراد معرفة رأي الشيخ في المسألة عليه أن يطالع كلّ كتبه، ويقف على الموارد التي تعرّض فيها إلى قضية الزهراء عليها السلام، وملابسات الهجوم على بيتها وانتهاك حرمتها.

فمن يلقي نظرة سريعة على كتب الشيخ المفيد عليه السلام يجد أنّه ذكر نصوصاً صريحة تثبت وجود المحسن بن علي عليه السلام، بل تذكر تفاصيل ما جرى عليه وعلى أمّه الطاهرة عليها السلام، بما يقطع دابر كلّ من يشكّك في الموضوع:

من ذلك ما ذكره قدس سره في كتاب الإختصاص[(٤)]، حيث روى بسنده

---

(١) روضة المتقين ٥/ ٣٤٢.

(٢) فخر الدين محمد بن يوسف بن محمد الكنجي نسبة إلى كنجة بلدة بين أصبهان وخوزستان بحسب ما ذكره أصحاب التراجم، شافعي المذهب، قتل سنة ٦٥٨ هـ في الجامع الأموي بدمشق بسبب اتهامه بالتشيع. (للمزيد الأعلام للزركلي ٧/ ١٥٠)

(٣) كفاية الطالب: ٤٢٣.

(٤) قد يشكل بعضهم بأنّ كتاب الإختصاص قد وقع كلام في صحّة نسبته للمفيد قدس سره، والجواب هو أنّ محلّ النزاع هو هل أنّ الكتاب تصنيف المفيد أو اختصار المفيد لكتاب آخر وليس حول أصل النسبة للمفيد قدس سره فتأمّل.

عن عبد الله بن بكر الأرجاني، قال: صحبت أبا عبد الله عليه السلام في طريق مكة من المدينة، فنزل منزلاً يقال له: (عسفان)، ثم مررنا بجبل أسود على يسار الطريق وحش، فقلت: يا ابن رسول الله ما أو حش هذا الجبل! ما رأيت في الطريق جبلاً أوحش منه! فقال: يا ابن بكر، تدري أي جبل هذا؟ قلت: لا. قال: هذا جبل يقال له : الكمد، وهو على وادٍ من أودية جهنم، فيه قتلة أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام، استودعوه، يجري من تحته مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم الآن، وما يخرج من جهنم، وما يخرج من الفلق، وما يخرج من آثام، وما يخرج من طينة خبال، وما يخرج من لظى، وما يخرج من الحُطَمة، وما يخرج من سقر، وما يخرج من الجحيم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل قط في مسيري فوقفت إلا رأيتهما يستغيثان بي، ويتضرّعان إليّ، وإني لأنظر إلى قتلة أبي، فأقول لهما: إنّ هؤلاء إنّما فعلوا بنا ما فعلوا لما أسّستما، لم ترحمونا لما وليتم، وقتلتمونا، وحرمتمونا، ووثبتم على حقّنا، واستبددتم بالأمر دوننا، فلا رحم الله من يرحمكما، صنعتما وما الله بظلام للعبيد، وأشدهما تضرُّعاً واستكانة الثاني، فربما وقفت عليهما ليتسلّى عني بعض ما يعرض في قلبي، وربما طويت الجبل الذي هما فيه وهو جبل الكمد. قلت: جعلت فداك، فإذا طويت الجبل فما تسمع؟ قال: أسمع أصواتهم ينادون: «عرّج إلينا نكلّمك، فإنا نتوب»، وأسمع صارخاً من الجبل يقول: لا تكلّمهم، وقل لهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون. قلت: جعلت فداك ومن معهم؟ قال: كل فرعون عتا على الله، وحكى الله عنه فعاله، وكل من علَّم العباد الكفر. قلت: من هم؟ قال: نحو قورس الذي علَّم اليهود أن عزيراً (ابن الله)،

ونحو نسطور الذي علَّم النصارى أن المسيح ابن الله، وقال لهم: هم ثلاثة، ونحو فرعون موسى الذي قال: أنا ربكم الأعلى، ونحو نمرود الذي قال: قهرت أهل الأرض، وقتلت من في السماء، وقاتل أمير المؤمنين عليه السلام، وقاتل فاطمة عليها السلام، **وقاتل المحسن**، وقاتل الحسن والحسين عليهما السلام، **فأمّا** معاوية وعمرو بن العاص فما يطمعان في الخلاص، ومعهم كل من نصب لنا العداوة، وعاون علينا بلسانه ويده[(١)].

وروى الشيخ قدس سره أيضاً رواية أخرى طويلة اشتملت على ذكرى نزاع الزهراء عليها السلام مع خصومها منذ استشهاد النبي المصطفى صلى الله عليه وآله إلى حين وفاتها ودفنها وإخفاء قبرها عليها السلام، وورد في هذه الرواية: رواية أخرى أصرح من هذه، قال: أبو محمد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فرفسها برجله **وكانت حاملة بابن اسمه المحسن، فأسقطت المحسن من بطنها**، ثم لطمها، فكأني أنظر إلى قرط في أذنها حين نقفت[(٢)].

تلاميذ المفيد قدس سره يثبتون سقوط المحسن عليه السلام!

من الأمارات التي نستطيع من خلالها معرفة رأي الشيخ المفيد رضي الله عنه البحث في كلمات كبار تلامذته الذين قضوا السنين الطوال تحت منبر درسه، وعرفوا آراءه:

منهم: **علم الهدى السيد المرتضى** قدس سره، فإنه قال في كتابه الشافي: وبعد، فلا فرق بين أن يهدّد بالإحراق للعلّة التي ذكرها، وبين ضرب فاطمة عليها السلام لمثل هذه العلّة، فإن إحراق المنازل أعظم من ضربه بالسوط،

---

(١) الاختصاص ٣٤٤.

(٢) الاختصاص ١٨٥.

وما يحسن الكبير ممن أراد الخلاف على المسلمين أولى بأن يحسن الصغير، فلا وجه لإمتعاض صاحب الكتاب من ضربة السوط، وتكذيب ناقلها، وعنده مثل هذا الإعتذار[١].

فالشريف المرتضى قدس سره يثبت هجوم القوم على بيت فاطمة عليها السلام، وحرقهم بيتها، بل والإعتداء عليها بالضرب بالسياط كما تقدّم، وقد ذكرنا أنّه من آثار هذا الضرب سقوط المحسن عليه السلام.

ومنهم: **شيخ الطائفة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي** قدس سره[٢]، فإنه قال في كتابه تلخيص الشافي: والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة، أنّ عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسُمّي السقط محسناً، والرواية بذلك مشهورة عندهم، وما أرادوا من إحراق البيت عليها حين التجأ إليها القوم، وامتنعوا من بيعته، وليس لأحد أن ينكر الرواية بذلك؛ لأنا قد بيّنّا الرواية الواردة من جهة العامّة من طريق البلاذري وغيره، ورواية الشيعة مستفيضة به، لا يختلفون فيه[٣].

ومن يدقّق في كلامه قدس سره يجد أنّه استخدم كلّ عبارة يستفاد منها إجماع وتسالم الطائفة حول هذا الموضوع (المشهور/ لاخلاف فيه بين الشيعة/ الرواية مشهورة عندهم/ ليس لأحد أن ينكر الرواية/ رواية الشيعة مستفيضة به/ لا يختلفون فيه). بحيث يقطع الطريق على كلّ

---

(١) الشافي ٤/ ١٢٠.

(٢) شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ولد سنة ٣٨٥هـ وتوفي سنة ٤٦٠ آلت إليه زعامة الطائفة بعد وفاة الشريف المرتضى قدس سره فكان مرجع الشيعة ومفزعهم، وهو الذي أسّس الحوزة العلمية بالنجف الأشرف.

(٣) تلخيص الشافي ٣/ ١٥٦.

مشكّك في الأمر، فلو كان أستاذه المفيد قدس سره ممن يناقش في هذه القضية وينفيها كما ادّعي في حقّه، لما حقّ لشيخ الطائفة قدس سره أن يقول مثل هذا الكلام؛ لأنّ مخالفة مثل الشيخ المفيد قدس سره ليست بالأمر الهين بحيث لا يعتدّ بها.

نعم لو كان المخالف شخصاً آخر ليس بذي شأن كالشيخ المفيد قدس سره لقبلنا دعوى الشيخ الطوسي قدس سره الإجماع من باب التسامح، أمّا أن يكون الناقل للإجماع شيخ الطائفة الطوسي قدس سره في عصره، والمخالف له بحسب الفرض أستاذه ومرجع الطائفة في زمانه الشيخ المفيد قدس سره، فلا يمكن قبول دعوى الإجماع بأيّ شكل من الإشكال.

وقال القاضي **أبو الفتح الكراجكي** قدس سره في كتابه التعجّب في بيانه لأغلاط العامّة في مسألة الإمامة: من عجيب كذبهم روايتهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «وُزنت بأمّتي فرجحت، ووُزن بها أبو بكر فرجح، ووُزن بها عمر فرجح، ثم رجح، ثم رجح»[1]، فزعموا أنّ نبي الرحمة الذي هدى الله به الأمّة رجح مرّة واحدة ، وأنّ أبا بكر ساواه، رجح مرّة واحدة مثله، وأنّ عمر بن الخطاب الذي شكّ في نفسه، ولم يتحقّق إيمانه، واتّهم نبيّه، ولم يصوّبه في فعله، ولا صدق في قوله، ومنع أن يؤتى له بالدواة ليكتب بها ما فيه صلاح أمّته، وزعم أنّ خير خلق الله يهجر في كلامه، **ولطم فاطمة ابنته،** وأتى بالحطب؛ ليحرق بيتها على من فيه، رجح بالفضل ثلاث دفعات، وأنّ فضل رسول الله صلى الله عليه وآله قدر ثلث فضله، وهذا في الغاية من الجهل،

---

(١) لم أجد هذا الحديث في مصادر الحديث المعروفة عند العامة، ولعل هذا الحديث كان موجوداً في كتبهم في زمان الكراجكي قدس سره.

وعدم التميز والعقل[١].

ونقل في كتابه كنز الفوائد رواية صريحة في أنّ الزهراء عليها السلام ماتت مقتولة، قال: عن يونس بن يعقوب رضي الله عنه، قال سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ملعون ملعون من يظلم بعدي فاطمة ابنتي ويغصبها حقها **ويقتلها** ثم قال يا فاطمة البشرى فلك عند الله مقام محمود تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك فتشفعين يا فاطمة[٢].

فلو كان شيخه وأستاذه ابن المعلم رضي الله عنه قد أنكر القضية أو حتى توقّف فيها لأشار الكراجكي قدس سره ولو إشارة بسيطة كما هو دأبه في خصوص هذا الكتاب، حيث أنّ قسما كبيرا منه هو نقل لأمور استفادها من أستاذه.

ومن الذين أثبتوا الواقعة **أبو الصلاح الحلبي** قدس سره[٣] في كتابه تقريب المعارف، قال: فمن ذلك (أي مثالب القوم): أمان كل معتزل بيعتهم ضررهم، وتصدهم عليا عليه السلام بالأذى لتخلفه عنهم، والإغلاظ له في الخطاب، والمبالغة في الوعيد، وإحضار الحطب لتحريق منزله، والهجوم عليه بالرجال من غير إذنه، والإتيان به ملببا، واضطرارهم بذلك زوجته وبناته ونساؤه وحامته من بنات هاشم وغيرهم إلى الخروج عن بيوتهم ، وتجريد السيوف من حوله ، وتوعده بالقتل إن امتنع من بيعتهم ، ولم

(١) التعجب: ١٢٩.

(٢) كنز الفوائد: ٦٤.

(٣) الشيخ تقي الدين بن نجم الحلبي ولد سنة ٣٧٤هـ وتوفي سنة ٤٤٧هـ فقيه ومتكلّم من خيرة طلاب المفيد قدس سره.

يفعلوا شيئا من ذلك بسعد بن عبادة، ولا بالخباب بن المنذر وغيرهما ممن تأخر عن بيعتهم، حتى مات أو طويل الزمان[(١)].

فلو كان المفيد قدس سره ينكر الحادثة لما صحّ للتقي الحلبي قدس سره التمسك بها في مقام الاحتجاج على القوم لأنّه سيسهل النقض عليه بإنكار شيخه لها، ولا يقدم على مثل هذا عاقل.

ومنهم الشاعر المعروف **مهيار الديلمي** قدس سره[(٢)] الذي أثبت هذه القضية في شعره على نحو القطع والجزم:

يا ابنة الطاهر كم تقرع بالظلم عصاك
غضب الله لخطب ليلة الطف عراك
يا ابنة الراقي إلى السدرة في لوح فكاك
كيف لم تقطع يد مدّ إليك بن صهاك

فلو كان الشيخ المفيد قدس سره منكرا لقضية المحسن عليه السلام وقضية الدخول على بيت الزهراء عليها السلام لما ذكر هؤلاء القضية بهذه الصورة ولم يعتدّوا بمخالفة أستاذهم.

هل تدل عبارة الشيخ المفيد قدس سره على وجود خلاف في المسألة؟

حاول البعض الاستفادة من كلام الشيخ المفيد قدس سره من جهة أخرى،

(١) تقريب المعارف ٢٣٣.

(٢) مهيار بن مروزيه الديلمي فارسي الأصل بغدادي المسكن، كان مجوسيا في أوّل أمره وأسلم على يد الشريف الرضي، من فطاحل شعراء الشيعة، توفي سنة ٤٢٨هـ.

وهي أنّ مفهوم كلامه يدلّ على وجود من أنكر هذه القضية من الشيعة، وعليه فقضية الزهراء عليها السلام ليست من القضايا المتسالم عليها بين الشيعة ليُشنّع على منكرها، بل هي قضية تاريخية وقع فيها الأخذ والردّ والخلاف فيها من القرن الرابع أو الخامس الهجري.

وهذا الكلام أيضاً غير صحيح، وكلام الشيخ المفيد قدس سره لا يدلّ على هذا المعنى، إذ أنّ المستشكل فسّر كلمة: «الشيعة» بالمعنى الشائع اليوم، وهو خصوص الإمامية منهم دون غيرهم، فمن يقول: «شيعة» في أوساطنا في هذه الأيام ينصرف الذهن مباشرة إلى الإمامية الاثني عشرية؛ لكونهم الفرد الأجلى والمصداق الأتم في هذا الزمن للتشيع، أمّا في ذلك الزمن فإطلاق كلمة «الشيعة» أوسع بكثير منه اليوم، فيشمل كلّ الفرق التي أثبتت الإمامة لعلي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل، فيشمل الزيدية والإسماعيلية والواقفة والكيسانية وغيرهم.

ولهذا فإن الحسن بن موسى النوبختي رحمه الله[1] أطلق على كتابه اسم (فرق الشيعة)، وذكر فيه العشرات من الفرق المحسوبة على التشيع، والتي لا وجود لها الآن إلّا في بطون الكتب، (كالهاشمية، والمنصورية، والحارثية، والمختارية، والعباسية...).

وقبله كتب سعد بن عبد الله الأشعري رضي الله عنه[2] كتابه الموسوم بـ

---

(١) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي من كبار متكلمي وفلاسفة الإمامية الأقدمين، ينحدر من أسرة علمية عريقة(بنونوبخت) له عشرات المؤلفات.

(٢) سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي شيخ الطائفة في عصره وفقيهها ووجهها يقال أنّه التقى بالإمام العسكري عليه السلام.

(المقالات والفرق)، قال فيه: فرقة سُمّيت: «الشيعة»، وهم شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، ومنهم افترقت صنوف الشيعة كلّها[١].

بل الأهم من هذا هو أنّ الشيخ المفيد قدس سره قد صرّح بمراده من كلمة «الشيعة»، وهذا يقطع دابر كلّ محتجّ بكلامه!

فقد قال رحمه الله في كتابه أوائل المقالات: غير أنه ليس كل مشيّع لغيره على حقيقة ما ذكرناه من الإتّباع يستحق السمة بالتشيّع، ولا يقع عليه إطلاق اللفظ بأنّه من الشيعة وإن كان متبوعه محقًّا أو كان مبطلاً، إلا أن يُسقط منه علامة التعريف التي هي الألف واللام، ويضاف بلفظ «من» التبعيض، فيقال: «هؤلاء من شيعة بني أمية»، أو «من شيعة بني العباس»، أو «من شيعة فلان أو فلان»، **فأمّا إذا أدخل فيه علامة التعريف فهو على التخصيص لا محالة لأتباع أمير المؤمنين صلوات الله عليه على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلى الله عليه وآله بلا فصل، ونفي الإمامة عمّن تقدّمه في مقام الخلافة**، وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء[٢].

إلى أن قال قدس سره: وإذا ثبت ما بيّنّاه بالسمة بالتشيع كما وصفناه **وجبت للإمامية والزيدية الجارودية** من بين سائر فرق الأمة؛ لانتظامهم بمعناها، وحصولهم على موجبها، ولم يخرجوا عنها وإن ضمّوا إليها وفاقاً بينهم أو خلافاً في أنحاء من المعتقدات، وخرجت المعتزلة والبكرية والخوارج والحشوية عنها؛ لتعرّيهم عن معناها الذي وصفناه، ولم يدخلهم فيها وفاق

---

(١) المقالات والفرق: ٣.

(٢) أوائل المقالات: ٣٥.

لمن وجبت له فيما سواه كائناً ما كان[١].

فمن هنا نعلم أنّ مراد الشيخ المفيد قدس سره هو التشيّع بالمعنى الأعم، لا الأخص، وهم الإمامية أعلى الله برهانهم، وبهذا يتّضح معنى كلامه؛ لأنّ قسماً من الزيدية ينفي صحّة ما حصل من الهجوم على الدار والاعتداء على الزهراء عليها السلام، وأغلب الإسماعيلية يثبتون الحادثة وهكذا.

أمّا الشيعة الإمامية فلا خلاف بينهم في هذه المسألة، وستأتيك لاحقاً كلمات أعلام الإمامية عبر العصور في إثبات هذه الحادثة.

لماذا لم يصرّح المفيد قدس سره بقضية المحسن عليه السلام؟

بقي الكلام في نقطة أخيرة، وهي السبب الدافع لاستعمال الشيخ المفيد قدس سره لمثل هذا التعبير المبهم، وعدم التصريح المباشر بقضية الهجوم على الدار وإسقاط المحسن عليه السلام؟

والجواب على هذا هو: أنّ العصر الذي عاشه الشيخ قدس سره كان من أصعب العصور التي عاشتها الشيعة، نظراً لشدّة الطائفية المقيتة التي كانت تغذّيها الأجنحة السياسية، والتي سبّبت احتقاناً كبيراً بين السنة والشيعة في بغداد التي كان يقطنها الشيخ المفيد قدس سره، ممّا سبّب فتناً بينهم انتهت إلى مذابح.

وهذه بعض الصور ننقلها للقارئ العزيز؛ ليقف بنفسه على حقيقة الوضع في تلك الفترة:

فقد ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٣٥٣هـ فتنة عظيمة بين السنة

---

(١) أوائل المقالات: ٣٧.

والشيعة.

قال: في هذه السنة عاشر المحرم، أُغلقت الأسواق ببغداذ يوم عاشوراء، وفعل الناس ما تقدّم ذكره، فثارت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنة، جُرح فيها كثير، ونُهبت الأموال[١].

وذكر في حوادث سنة ٣٦١ هـ وقوع فتنة عظيمة أخرى بين السنة والشيعة، تسبّبت في إحرق الكرخ محلّة الشيعة، قال: في هذه السنة وقعت فتنة عظيمة، وأظهروا العصبية الزائدة، وتحزب الناس، وظهر العيارون، وأظهروا الفساد، وأخذوا أموال الناس، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من استنفار العامة للغزاة، فاجتمعوا، وكثروا، فتولد بينهم من أصناف البنوية والفتيان والسنة والشيعة والعيارين، **فنُهبت الأموال، وقُتل الرجال، وأُحرقت الدور، وفي جملة ما احترق محلة الكرخ، وكانت معدن التجار والشيعة**[٢].

وذكر في السنة التي تليها ٣٦٢هـ فتنة أخرى قُتل على أثرها الآلاف من شيعة أهل البيت عليهم السلام، قال: في هذه السنة في شعبان احترق الكرخ حريقاً عظيماً، وسبب ذلك أن صاحب المعونة قتل عاميًّا، فثار به العامة والأتراك، فهرب ودخل دار بعض الأتراك، فأُخرج منها مسحوباً، وقُتل وأُحرق، وفُتحت السجون، فأُخرج من فيها، فركب الوزير أبو الفضل لأخذ الجناة، وأرسل حاجباً له يسمّى صافيا في جمع لقتال العامة بالكرخ، وكان شديد العصبية للسنية، **فألقى النار في عدة أماكن من الكرخ، فاحترق**

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٥٥٨.

(٢) الكامل في التاريخ ٨/ ٦١٩.

حريقاً عظيماً، وكان عدة من احترق فيه سبعة عشر ألف إنسان وثلاثمائة دكان، وكثير من الدور، وثلاثة وثلاثين مسجداً، ومن الأموال ما لا يحصى(١).

وذكر في أحداث سنة ٣٦٣هـ فتنة أخرى أحرقت على أثرها بيوت الشيعة بالكرخ، قال: فلما رأى سبكتكين ذلك ركب في الأتراك، وحصر دار بختيار يومين، ثم أحرقها ودخلها، وأخذ أبا إسحاق وأبا طاهر ابني معز الدولة ووالدتهما ومن كان معهما، فسألوه أن يمكنهم من الانحدار إلى واسط، ففعل وانحدروا، وانحدر معهم المطيع لله في الماء، فانفذ سبكتكين، فأعاده وردّه إلى داره، وذلك تاسع ذي القعدة، واستولى على ما كان لبختيار جميعه ببغداد، ونزل الأتراك في دور الديلم، وتتبّعوا أموالهم وأخذوها، وثارت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين؛ لأنه كان يتسنّن، فخلع عليهم، وجعل لهم العرفاء والقواد، **فثاروا بالشيعة وحاربوهم، وسُفكت بينهم الدماء، وأُحرقت الكرخ حريقاً ثانياً، وظهرت السنة عليهم**(٢).

وذكر في أحداث سنة ٣٩١هـ فتنة أخرى، قال: في هذه السنة ثار الأتراك ببغداد بنائب السلطان، وهو أبو نصر سابور، فهرب منهم، **ووقعت الفتنة بين الأتراك والعامة من أهل الكرخ، وقُتل بينهم قتلى كثيرة،** ثم إن أهل السنة من أهل بغداد ساعدوا الأتراك على أهل الكرخ، فضعفوا

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٢٨.

(٢) الكامل في التاريخ ٨/ ٦٣٧.

على الجميع، فسعى الأشراف في إصلاح الحال، فسكنت الفتنة[١].

وذكر فتنة أخرى عظيمة وقعت في سنة ٤٢٢هـ، قال: فلما كان الغد اجتمع أهل السنة من الجانبين، ومعهم كثير من الأتراك، **وقصدوا الكرخ، فأحرقوا وهدموا الأسواق، وأشرف أهل الكرخ على خطة عظيمة**، وأنكر الخليفة ذلك إنكاراً شديداً، ونسب إليهم تخريق علامته التي مع الغزاة، فركب الوزير، فوقعت في صدره آجرة، فسقطت عمامته، **وقتل من أهل الكرخ جماعة، وأحرق وخرب في هذه الفتنة سوق العروس وسوق الصفارين وسوق الأنماط وسوق الدقاقين وغيرها**، واشتد الأمر، فقتل العامة الكلالكي، وكان ينظر في المعونة، وأحرقوه[٢].

ولم يكن الشيخ المفيد قدس سره بعيداً عن مسرح تلك الأحداث، بل كان حاضراً فيها بقوة؛ وذلك لأنّه كان مرجعاً للشيعة وزعيمهم وكبيرهم في ذلك الزمن، ومن هنا كان ضحية في كلّ ما يحدث.

فقد ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة ٣٩٢هـ ما جرى في بغداد من فتنة، وكيف كانت نتيجتها نفي الشيخ المفيد قدس سره عن بغداد، قال: وزاد أمر العيارين والفساد ببغداد، وكان فيهم من هو عباسي وعلوي، فواصلوا العملات، وأخذوا الأموال، وقتلوا، وأشرف الناس معهم على خطة صعبة، فبعث بهاء الدولة عميد الجيوش أبا علي بن أستاذ هرمز إلى العراق ليدبر أمورها، فدخلها يوم الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة، فزُيّنت له بغداد خوفاً منه، فكان يقرن بين العباسي والعلويّ ويغرقهما نهاراً، وغرق جماعة

---

(١) الكامل في التاريخ ٩/ ١٦٨.

(٢) الكامل في التاريخ ٩/ ٤١٩.

من حواشي الأتراك، ومنع السنة والشيعة من إظهار مذهب، **ونفى بعد ذلك ابن المعلم فقيه الشيعة عن البلد، فقامت هيبته في النفوس**(١).

ونُفي الشيخ المفيد مرّة أخرى عن بغداد سنة ٣٩٨هـ إثر فتنة حصلت بين السنة والشيعة في الكرخ، قال ابن الجوزي: فتكلّم أهل الكرخ في هذا المقتول؛ لأنه من الشيعة، ووقع القتال بينهم وبين أهل باب البصرة وباب الشعير والقلائين، وقصد أحداث الكرخ باب دار أبي حامد، فانتقل عنها، وقصد دار القطن، وصاحوا: «حاكم يا منصور»، فبلغ ذلك الخليفة فأحفظه، وأنفذ الخول الذين على بابه لمعاونة أهل السنة، وساعدهم الغلمان، وضعف أهل الكرخ، وأحرق ما يلي بنهر الدجاج، ثم اجتمع الأشراف والتجار إلى دار الخليفة، فسألوه العفو عما فعل السفهاء، فعفا عنهم، فبلغ الخبر إلى عميد الجيوش، فسار ودخل بغداد، **فراسل أبا عبد الله ابن المعلم فقيه الشيعة بأن يخرج عن البلد ولا يساكنه**، ووكل به، فخرج في ليلة الأحد لسبع بقين من رمضان(٢).

ونقل سبطه في أحداث سنة ٤٠٩هـ موقفاً آخر نُفي فيه الشيخ المفيد قدس سره، قال: ووقع بين السنة والشيعة وقعات، فني من الفريقين خلق كثير، وكذا بواسط، فاحتاج سلطان الدولة إلى من ينفذه ليوطئ الأمور لمورده، فاستدعى مؤيَّد الملك إلى الأهواز...، ودخل بغداد في ربيع الأول، وهرّب العيارين والشطار، وأنزل الديلم في أطراف البلد وبين الكرخ وباب البصرة، وقبض على ابن القصار القاص، **ونفى أبا عبد الله بن النعمان فقيه**

---

(١) المنتظم ١٥/ ٣٣.

(٢) المنتظم ١٥/ ٥٩.

الشيعة[١].

فهذه ثلاث مرات ينفى فيها الشيخ المفيد قدس سره عن بغداد، ويبعد عن الكرخ، رغم أنّه لم يكن له دور في الأحداث.

ومن يقرأ كلمات كبار علماء السنّة في الشيخ المفيد قدس سره يجد أنّه كان مستهدفاً من قبل مخالفي عصره؛ لما يبذله من جهود في مقارعة الخصوم ونشر الحق، ولذلك كان يوم وفاته عيداً للمخالفين!

قال الخطيب البغدادي عند ترجمته للشيخ المفيد قدس سره: شيخ الرافضة، والمتعلم على مذاهبهم، صنّف كتباً كثيرة في ضلالاتهم، والذب عن اعتقاداتهم ومقالاتهم، والطعن على السلف الماضين من الصحابة والتابعين وعامة الفقهاء المجتهدين، **وكان أحد الأئمة الضلال، هلك به خلق من الناس، إلى أن أراح الله المسلمين منه**، ومات في يوم الخميس ثاني شهر رمضان من سنة ثلاث عشرة وأربعمائة[٢].

قال ابن كثير في ترجمة ابن النقيب: عبيد الله بن عبد الله بن الحسين أبو القاسم الخفاف، المعروف بابن النقيب، كان من أئمة السنة، **وحين بلغه موت ابن المعلم فقيه الشيعة سجد لله شكراً، وجلس للتهنئة، وقال: ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم**[٣].

فمن كان هذا حال عصره كيف يمكن أن يصرّح بقضية شائكة مثل هذه القضية التي قد تودي بحياته، بل بحياة كلّ أهل الكرخ، إذ أنّ

---

(١) مرآة الزمان ١٨/ ٢٦٧.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤٥٠.

(٣) البداية والنهاية ١٢/ ٢٢.

المناوئين للشيخ كانوا يتصيّدون الزلّة على شيعة بغداد؛ للفتك بهم وإبادتهم عن بكرة أبيهم.

الخلاصة:

إنّ النزاع في قضية المحسن عليه السلام لا يدور حول أصل وجوده، ولا حول كونه سقطاً، وإنّما حول السبب في تسقيطه، هل هو الإعتداء على أمّه الطاهرة عليها السلام أو أمر آخر؟

وقد أثبتنا أنّ سبب ذلك كان ضرب فاطمة الزهراء عليها السلام، وذكرنا الروايات المستفيضة التي نطمئنّ بصدورها عن الأئمة عليهم السلام، التي لأجلها أطبق علماء الشيعة على هذه الحقيقة، ولم يخالف فيها أحد منهم.

نصوص أخرى مهمّة

وردت عدّة نصوص أخرى في المصادر الروائية عند الشيعة الإمامية، تفيد في إثبات هذه الواقعة بطريقة غير مباشرة، فهي وإن لم تصرّح بوقوع هذه الجريمة بصراحة إلّا أنّه يستفاد منها في المقام:

فاطمة الزهراء عليها السلام شهيدة:

نصّت بعض الروايات على أنّ السيّدة الزهراء عليها السلام ماتت شهيدة، ومن هذه الروايات ما نقله ثقة الإسلام الكليني رضي الله عنه في كتاب الكافي، بسنده عن أبي الحسن موسى عليه السلام، قال: إنّ فاطمة عليها السلام صدّيقة شهيدة، وإنّ بنات الأنبياء لا يطمثن[1].

ودلالة هذا الخبر واضحة لكل متأمّل، إذ أنّه نصّ على أنّ وفاتها عليها السلام لم تكن وفاة طبيعية، وإنّما كانت نتيجة عوامل خارجية سبّبت وفاتها ممّا استحقّت به وصف الشهادة، ولا يوجد سبب مذكور في الروايات يصلح لذلك سوى قضية الهجوم على دارها والاعتداء عليها.

فقد صرّحت بذلك رواية الطبري الصغير عن أبي عبد الله عليه السلام التي قال فيها: **وكان سبب وفاتها** أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسناً، **ومرضت من ذلك مرضاً شديداً**، ولم تَدَعْ أحداً ممن آذاها يدخل عليها[2].

---

(١) الكافي ١/ ٤٥٨، وقد صحّح هذا الخبر العلامة المجلسي قدس سره في مرآة العقول ٥/ ٣١٥.

(٢) دلائل الإمامة: ١٣٤.

وكذلك رواية طويلة رواها سليم بن قيس رضي الله عنه عن سلمان، قال فيها: فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضادة باب بيتها، ودفعها، فكسر ضلعها من جنبها، فألقت جنيناً من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش **حتّى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة**(١).

ومن هنا فإنّ كلّ شرّاح الحديث فهموا من هذه الرواية هذا المعنى، وربطوا بين القضيتين:

منهم: العلامة المجلسي قدس سره، قال: ثم إنّ هذا الخبر يدل على أنّ فاطمة صلوات الله عليها كانت شهيدة، وهو من المتواترات، وكان سبب ذلك أنهم لما غصبوا الخلافة وبايعهم أكثر الناس بعثوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليحضر للبيعة، فأبى، فبعث عمر بنار ليحرق على أهل البيت بيتهم، وأرادوا الدخول عليه قهراً، فمنعتهم فاطمة عند الباب، فضرب قنفذ غلام عمر الباب على بطن فاطمة عليها السلام، فكسر جنبيها، وأسقطت لذلك جنيناً كان سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً، فمرضت لذلك، **وتوفّيت صلوات الله عليها في ذلك المرض**(٢).

ومنهم: المجلسي الأول قدس سره، قال: وفي الصحيح عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: «إنّ فاطمة صديقة شهيدة، وإنّ بنات الأنبياء لا يطمثن»، **وشهادتها صلوات الله عليها كانت من ضرب عمر**... الباب على بطنها عند إرادة أمير المؤمنين لبيعة أبي بكر... وضرب قنفذ غلام عمر السوط عليها بإذنه، والحكاية مشهورة عند العامّة والخاصّة،

---

(١) كتاب سليم: ١٥٣.

(٢) مرآة العقول ٥/ ٣٢٠.

ومفصّلة في كتاب لسليم بن قيس الهلالي، وسقط بالضرب غلام كان اسمه محسن، وهو مذكور في إرشاد المفيد رضي الله عنه[(١)].

ومنهم: المولى المازندراني[(٢)]، فإنه قال في شرحه على أصول الكافي: والشهيد من قُتل من المسلمين في معركة القتال المأمور به شرعاً، ثم اتّسع فأطلق على كل من قُتل منهم ظلماً كفاطمة عليها السلام، **إذ قتلوها بضرب الباب على بطنها وهي حامل**، فسقط حملها، فماتت لذلك[(٣)].

ومما قاله المازندراني قدس سره يتبيّن أنه لا يراد بكونها شهيدة الشهادة بالمعنى الأخص ليشكل علينا بأنّ الزهراء عليها السلام قد غُسّلت وجهّزت، بل المراد بالشهادة هو المعنى الأعم، وهو الموت دفاعاً عن مبدء إلهي.

فهذا الخبر يدلّ بالدلالة الالتزامية على حادثة الهجوم على بيتها عليها السلام والاعتداء عليها الذي تسبّب في وفاتها.

وصيّة النبي صلى الله عليه وآله قبل وفاته:

روى الشيخ الكليني رضي الله عنه بسنده عن الإمام الكاظم عليه السلام رواية مطوّلة، تناولت طرفاً من وصيّة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، وفيها ذكر النبي صلى الله عليه وآله ما يجري على أهل البيت عليهم السلام من بعده، قال عليه السلام: حين نزل برسول الله صلى الله عليه وآله الأمر، نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجّلاً، نزل به جبرئيل مع

---

(١) روضة المتقين ٥/ ٣٤٢.

(٢) الشيخ محمد صالح بن أحمد السروري المازندراني صهر المجلسي الأول قدس سره ومن كبار تلامذته لم تذكر الكتب تاريخ ميلاده إلّا أنّها اتفقت أنّه توفي سنة ١٠٨٦هـ، كان عالما فقيها عابدا زاهدا.

(٣) شرح أصول الكافي ٧/ ٢١٣.

أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة، فقال جبرئيل: يا محمد مُرْ بإخراج من عندك إلّا وصيّك، ليقبضها منا، وتشهدنا بدفعك إياها إليه ضامناً لها – يعني عليًّا عليه السلام –، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بإخراج من كان في البيت ما خلا عليًّا عليه السلام، وفاطمة فيما بين الستر والباب، فقال جبرئيل: يا محمد، ربّك يقرئك السلام، ويقول: هذا كتاب ما كنت عهدت إليك، وشرطت عليك، وشهدت به عليك، وأشهدت به عليك ملائكتي، وكفى بي يا محمد شهيداً، قال: فارتعدت مفاصل النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا جبرئيل ربي هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام، صدق عزّ وجلّ وبر، هات الكتاب، فدفعه إليه، وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال له: اقرأه. فقرأه حرفاً حرفاً، فقال: يا علي، هذا عهد ربي تبارك وتعالى إليَّ، شرطه علي وأمانته، وقد بلَّغت ونصحت وأدّيت، فقال علي عليه السلام: وأنا أشهد لك بأبي وأمي أنت بالبلاغ والنصيحة والتصديق على ما قلت، ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي. فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أخذت وصيّتي، وعرفتها، وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها؟ فقال علي عليه السلام: نعم بأبي أنت وأمي، عليَّ ضمانها، وعلى الله عوني وتوفيقي على أدائها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إنّي أريد أن أشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة. فقال علي عليه السلام: نعم أشهد. فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن، وهما حاضران معهما الملائكة المقرّبون لأشهدهم عليك. فقال: نعم، ليشهدوا وأنا – بأبي أنت وأمي – أشهدهم. فأشهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان فيما اشترط عليه النبي بأمر جبرئيل عليه السلام فيما أمر الله عزّ وجلّ أن قال له: يا علي تفي بما فيها من موالاة

من والى الله ورسوله، والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله والبراءة منهم، على الصبر منك، وعلى كظم الغيظ، وعلى ذهاب حقّك، وغصب خمسك، وانتهاك حرمتك؟ فقال: نعم يا رسول الله. **فقال أمير المؤمنين** عليه السلام: **والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل** عليه السلام **يقول للنبي: يا محمد عرّفه أنه يُنتهَك الحرمة، وهي حرمة الله وحرمة رسول الله** صلى الله عليه وآله، وعلى أن تُخضب لحيته من رأسه بدم عبيط. قال أمير المؤمنين عليه السلام: فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل، حتى سقطت على وجهي، وقلت: نعم، قبلت ورضيت وإن انتُهكت الحرمة، وعُطّلت السنن، ومُزّق الكتاب، وهُدمت الكعبة، وخُضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط، صابراً محتسباً أبداً حتى أقدم عليك[1].

والشاهد في هذا الحديث هو الأمر الذي أصرّ جبرئيل عليه السلام على تعريفه لأمير المؤمنين عليه السلام، وعُبّر عنه بهتك الحرمة، وتسبّب سماعه لهذا الأمر في صعق أمير المؤمنين عليه السلام، وسقوطه على وجهه!

ولا شكّ في أنّ المراد منه هو الاعتداء على الزهراء عليها السلام؛ لأنّ الإخبار تضمّن أمرين:

الأوّل: خضاب لحيته من دم رأسه عليه السلام، وهذا لا يمكن أن يكون المراد؛ لأنّه عليه السلام قد علم بوقوع ذلك من قبل، ولم يُصعق من ذلك، بل نجده استبشر، كما في خطبة النبي صلى الله عليه وآله في أول رمضان: قلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي أبكي لما يُستحلّ منك في هذا الشهر، كأنّي بك وأنت تصلّي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين، شقيق عاقر ناقة

---

(١) الكافي ١/ ٢٧١.

ثمود، فضربك ضربه على قرنك، فخضّب منها لحيتك. قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال صلى الله عليه وآله: في سلامة من دينك[(١)].

الثاني: هو ما عبّرت عنه الرواية على لسان جبرئيل عليه السلام بقوله: «أنه ينتهك الحرمة، وهي حرمة الله وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله»، والمراد قطعاً هنا الاعتداء على الزهراء عليها السلام، بقرينة الخبر المروي بنفس السند عن عيسى بن المستفاد الضرير عن الإمام الكاظم عليه السلام، قال: ألا إنّ فاطمة بابها بابي، وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله. قال عيسى: فبكى أبو الحسن عليه السلام طويلاً، وقطع بقية كلامه، وقال: هُتك والله حجاب الله، هُتك والله حجاب الله، هُتك والله حجاب الله، يا أُمَّهْ صلوات الله عليها[(٢)].

فالتعبير عن بابها بأنّه حجاب الله يناسب التعبير الوارد في رواية الكافي «حرمة الله»، ممّا يؤكد أنّ المراد من الحرمة التي صُعق أمير المؤمنين عليه السلام لسماعه هتكها هو ما يحدث للزهراء عليها السلام.

حديث الباب الذي يُكسر:

وردت بعض الأحاديث في مصادر أهل السنة والجماعة تتحدّث عن فتنة تصيب هذه الأمّة، تتمثّل في باب يُكسر، فينفتح باب شرّ وفتن لا ينغلق إلى يوم القيامة:

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده: عن حذيفة قال: كنّا عند عمر، فقال: أيّكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن، فقال قوم: نحن سمعناه،

---

(١) عيون أخبار الرضا ١/ ٢٦٦.

(٢) بحار الأنوار ٢٢/ ٤٧٧.

فقال: لعلّكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره، قالوا: أجل، قال: تلك تكفرّها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيّكم سمع النبي ﷺ يذكر التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم، فقلت: أنا، قال: أنت لله أبوك، قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأيّ قلب أشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضرّه فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخرأسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلّا ما أشرب من هواه، قال حذيفة: **وحدّثته أنّ بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك أن يُكسر**، قال عمر: أكسراً لا أبا لك، فلو أنه فتح لعله كان يعاد، قلت: لا بل يُكسر. وحدّثته أنّ ذلك الباب رجل يُقتل، أو يموت، حديثاً ليس بالأغاليط، قال أبو خالد: فقلت لسعد: يا أبا مالك ما أسود مرباداً؟ قال: شدّة البياض في سواد، قال: قلت: فما الكوز مجخياً؟ قال منكوساً[(١)].

فالحديث يخبرنا عن وقوع فتنة، يكون بينها وبين عمر بن الخطاب باب مغلق، يوشك أن يُكسر، فتنفتح على هذه الأمة الشرور إلى قيام الساعة!

وقد أحسّ الرواة بخطورة دلالة هذا الحديث، فتصرّفوا في متنه بعدّة صور، كي يجعلوه منقبة لعمر لا دليل ادانة عليه، ولهذا نجد أنّ ألفاظ هذا الحديث مضطربة وتختلف باختلاف الرواة:

١- أنّ النصّ الذي ذكرناه أعلاه يبيِّن أنّ بين الخليفة الثاني وبين

---

(١) صحيح مسلم ٨/ ١٧٣.

الفتنة باباً مغلقاً، إذا كُسر بدأت الفتنة، في حين أنّ بعض الرواة غيّروا معنى الخبر، وزعموا أنّ الباب إشارة إلى رجل يُقتل أو يموت، بزعمهم أنّ مسروق وهو من رواة الخبر سأل حذيفة، فأخبره أنّ الباب هو عمر[١].

٢- أنّ بعض طرق الحديث زيد فيها فقرة: «ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين»[٢]؛ من أجل إعطاء عمر صكّ براءة من تلك الفتنة.

٣- أنّ الرواة حذف قول عمر بن الخطاب لحذيفة بن اليمان: «إنك لجري»[٣]، وهذا يدلّ على أنّ هذه الفتنة من الأمور التي شملها الحظر الحكومي في ذلك الوقت، حتى صارت من الأمور التي لا يحق لأحد أن يتكلّم فيها.

فهذه الأمور تجعلنا نربط بين هذا الباب وبين باب الزهراء عليها السلام الذي كسره الرجل وأحرقه بالنار، ولا سيما أنّه ورد في بعض طرق هذا الحديث أنّ فتنة الرجل في أهله وماله وولده تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، وسكت عن هذه الفتنة، ممّا يشعر بكونها جرماً عظيماً لا كفارة له.

حديث غضب الزهراء عليها السلام في الصحيحين:

من يقرأ حديث غضب الزهراء عليها السلام على الشيخين الذي تعرّضنا له سابقاً في بحثنا حول فدك والميراث، يجد أنّ فيه بعض الإشارات حول هذا الموضوع.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٣٣.

(٢) صحيح البخاري ١/ ١٣٣.

(٣) صحيح مسلم ٨/ ١٧٣.

فقد ورد في بعض طرق الحديث قول عائشة: فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، قال: فهجرته فلم تكلّمه حتى توفّيت، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر، فلما توفّيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها علي، وكان لعلي من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلمّا توفّيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، **فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد (كراهية محضر عمر بن الخطاب)، فقال عمر لأبي بكر: والله لا تدخل عليهم وحدك. فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بي؟** إنّي والله لآتينهم. فدخل عليهم أبو بكر[1]...

وموضع الشاهد في الخبر هو طلب أمير المؤمنين عليه السلام من أبي بكر الحضور لوحده دون عمر بن الخطاب، فلو كان النزاع منحصراً في قضية الخلافة وفدك والميراث فما سبب كراهة علي بن أبي طالب عليه السلام لحضور عمر الذي بحسب ما تقدّم لم يكن له دور في الأحداث؟

والشاهد الثاني: هو محاولة عمر بن الخطاب منع أبي بكر من الذهاب لبيت علي عليه السلام لوحده! فإذا كانت العلاقة جيدة والخلاف محصوراً في مسألة اجتهادية حول فدك والميراث، لماذا كلّ هذا الإصرار من عمر على منع أبي بكر من الذهاب لبيت علي عليه السلام، ويقسم يميناً لمنعه من ذلك؟

والأهم من هذا جواب أبي بكر، وهو قوله: «وما عساهم أن يفعلوا بي؟»، وهو تعبير يشعر أنّ مراد عمر من منعه لأبي بكر من الذهاب هو

---

(١) صحيح مسلم ٥/ ١٥٤.

الخوف على سلامته!

فهل يعقل أن يكون كلّ هذا الخوف والوجل والتحذير من الدخول في بيت علي عليه السلام وحده هو بسبب النزاع حول فدك والميراث؟ أو أنّ الأمر بدرجة من الخطورة بحيث يخاف على سلامة أبي بكر من الذهاب وحده؟

ومن العجيب التبرير الذي ذكره الكرماني في شرحه على البخاري حيث جاء بكلام يُضحك الثكلى، قال: فإن قلت: لم قال عمر لا تدخل عليهم؟ قلت: لعلّه **توهّم أنهم لا يعظّمونه حقّ التعظيم**، وأمّا توهّمه ما لا يليق بهم، فحاشاه وحاشاهم من ذلك[(١)].

أحداث وفاة الزهراء عليها السلام:

الشاهد الصريح على عظم ما جرى على السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام هو أحداث وفاتها، وما جرى بعدها من تجهيز وتشييع ودفن لها عليها السلام، وقد نقل لنا البخاري في صحيحه طرفاً من هذه الأحداث برواية عائشة حيث قالت: فلما توفّيت دفنها زوجها عليٌّ ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها[(٢)].

ومن هذه الرواية نستفيد عدّة أمور مهمّة تفيدنا في معرفة أحداث تلك الفترة، منها:

أولاً: أنّ دفن السيّدة الزهراء عليها السلام ليلاً أمر يثير الدهشة والاستغراب، فمن الغريب حقًّا أن تُدفن بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسيّدة

---

(١) صحيح مسلم ٥/ ١٥٤.

(٢) الكواكب الدراري ١٦/ ١١٢.

نساء العالمين ليلاً، ولا يُخبَر بذلك أبو بكر؟

فإن قيل: إنّ دفن المسلم ليلاً أمر طبيعي كما يحصل في هذه الأيام، فلا إشكال في ذلك!

أجبنا بأنّ القوم قد رووا النهي على ذلك، فقد روى ابن حبّان في صحيحه بسنده أنّ النبي ﷺ خطب يوماً، فذكر رجلاً من أصحابه كُفِّن في كَفَن غير طائل، ودُفن ليلاً. فزجر النبي ﷺ أن يُقبر الرجل ليلاً، إلّا أن يضطر الإنسان إلى ذلك(١).

علماً أنّ دفنها ليلاً كان بوصيّة منها كما اعترف بذلك ابن حجر العسقلاني في شرحه، حيث قال: روى ابن سعد من طريق عمرة بنت عبد الرحمن أنّ العباس صلّى عليها. ومن عدة طرق أنها دُفنت ليلاً، وكان ذلك بوصيّة منها؛ لإرادة الزيادة في التستر(٢).

ويحقّ لنا أن نسأل: ما هو الشيء الذي اضطر فاطمة أن توصي بدفنها ليلاً، مع علمها بنهي أبيها رسول الله ﷺ عن ذلك كما تقدّم؟

فإن قيل: أوصت بذلك لزيادة التستّر كما ذكر ذلك العسقلاني.

أجبنا أنّ هذا الكلام لا يعدو كونه مجرّد ادّعاء منه، ولا يوجد عليه أي دليل، والأهمّ من هذا هو: هل زيادة التستّر بهذا النحو تُعدّ ضرورة؟ خصوصاً أنهم نقلوا في كتبهم أنّ فاطمة عليها السلام أوصت بأن يُجعل لها النعش كما روى ذلك ابن سعد في طبقاته بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: فاطمة أوّل من جُعل لها النعش، عملته لها أسماء بنت عميس، وكانت قد رأته

---

(١) صحيح ابن حبان ٧/ ٣٧١.

(٢) فتح الباري ٧/ ٣٧٨.

يُصنع بأرض الحبشة[١].

فمع وضعها في النعش لا حاجة لأن توصي بأمر مكروه وهو دفنها ليلاً إذا كان الداعي هو مجرّد التستّر.

ثانياً: عدم إخبار أبي بكر بموعد تشييع الزهراء عليها السلام لحضور جنازتها والصلاة عليها كما ورد في الخبر: «ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلّى عليها»[٢]، وهذا أيضاً ممّا أوصت به الزهراء عليها السلام كما سيأتي ذلك في الروايات التي ذكرت وصيّتها مفصّلة.

وقد حاول شرّاح الحديث التبرير لهذا الأمر، والخروج من هذا المأزق، فجاؤوا بما يُضحك الثكلى!

قال ابن حجر عند تعليقه على خصوص هذه النقطة: ولعلّه لم يُعْلِم أبا بكر بموتها؛ لأنه ظنّ أنّ ذلك لا يخفى عنه، وليس في الخبر ما يدل على أن أبا بكر لم يعلم بموتها ولا صلّى عليها[٣].

ولا ندري من أين علم ابن حجر وغيره من شرّاح الحديث أنّ عليّا عليه السلام ظنّ هذا الظن؟

هل أعلمهم عليه السلام بذلك؟

أم اطّلعوا على الغيب وما تخفي الصدور؟

وكذلك من يقرأ تعليق القرطبي[٤] في شرحه على صحيح مسلم

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٢٨.

(٢) صحيح البخاري ٥/ ٨٣.

(٣) فتح الباري ٧/ ٣٧٨.

(٤) أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصار القرطبي ولد سنة ٥٧٨هـ وتوفي سنة ٦٥٦ هـ فقيه

يتعجّب من ردّة فعل القوم تجاه هذه القضية، حيث قال: وكونه لم يؤذن أبا بكر بها لعلّه إنّما لم يفعل ذلك لأنّ غيره قد كفاه ذلك، أو خاف أن يكون ذلك من باب النعي المنهي عنه، وليس في الخبر ما يدلّ على أنّ أبا بكر لم يعلم بموتها، ولا صلّى عليها، ولا شاهد جنازتها، بل اللّائق بهم المناسب لأحوالهم حضور جنازتها، واغتنام بركتها، ولا تسمع أكاذيب الروافض المبطلين المضلّين[١].

قلت: يمكن التبرير بذلك لو كانت العلاقة بين أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام وبين أبي بكر وعمر حسنة، وأما إذا لم تكن كذلك فإن سبب عدم إخبار أبي بكر بدفن السيدة فاطمة عليها السلام هو سوء العلاقة بينهم، ولهذا قالت عائشة في نفس هذا الحديث: «وكان لعلي من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلما توفّيت استنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر»، والمصالحة إنما تكون بعد القطيعة وسوء العلاقة، وهو أمر واضح.

ثالثاً: خفاء قبر الزهراء عليها السلام الذي بقي شاهداً إلى يومنا هذا على عظم هذا الجرم الذي ارتُكب في حقّها، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أخفى قبرها بطلب منها في وصيّتها الأخيرة له عليه السلام.

وقد ذكرت روايات الشيعة وصيّتها عليها السلام وأحداث دفنها بنحو مفصَّل لم يُذكر في روايات أهل السنة.

فقد روى الشيخ الصدوق قدس سره في العلل وصيّة السيّدة الزهراء عليها السلام،

مالكي من رجال الحديث. (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ١٨٦)

(١) المفهم ٣/ ٥٦٩.

وما جرى بعد وفاتها، بسنده عن عمرو بن أبي المقدام وزياد بن عبد الله قالا في حديث طويل: فلمّا نُعي إلى فاطمة نفسها أرسلت إلى أم أيمن، وكانت أوثق نسائها عندها وفي نفسها، فقالت لها: يا أم أيمن، إنّ نفسي نُعيت إليَّ، فادعي لي عليًّا. فدعته لها، فلما دخل عليها قالت له: يا ابن العم، أريد أن أوصيك بأشياء فاحفظها عليَّ. فقال لها: قولي ما أحببتِ. قالت له: تزوّج فلانة، تكون لولدي مربية من بعدي مثلي، واعمل نعشاً رأيت الملائكة قد صوّرته لي. فقال لها علي: أريني كيف صورته؟ فأرته ذلك كما وصفت له وكما أمرت به، ثم قالت: فإذا أنا قضيت نحبي فأخرجني من ساعتك، أيّ ساعة كانت من ليل أو نهار، ولا يَحضرَنَّ من أعداء الله وأعداء رسوله للصلاة عليَّ أحد. قال علي عليه السلام: أفعل. فلما قضت نحبها صلى الله عليها، وهم في ذلك في جوف الليل، أخذ علي في جهازها من ساعته كما أوصته، فلمّا فرغ من جهازها، أخرج عليٌّ الجنازة، وأشعل النار في جريد النخل، ومشى معرالجنازة بالنار حتى صلّى عليها، ودفنها ليلاً، فلما أصبح أبو بكر وعمر عاودا عايدين لفاطمة، فلقيا رجلاً من قريش، فقالا له: من أين أقبلت؟ قال: عزَّيت عليًّا بفاطمة. قالا: وقد ماتت؟ قال: نعم، ودُفنت في جوف الليل. فجزعا جزعاً شديداً، ثم أقبلا إلى علي عليه السلام فلقياه، وقالا له: والله ما تركت شيئاً من غوايلنا ومساءتنا، وما هذا إلّا من شيء في صدرك علينا، هل هذا إلا كما غسلت رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا، ولم تدخلنا معك، وكما علّمت ابنك أن يصيح بأبي بكر أن انزل عن منبر أبي. فقال لهما علي عليه السلام: أتصدّقاني إن حلفت لكما؟ قالا: نعم. فحلف، فأدخلهما على المسجد، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لقد أوصاني وتقدّم إليَّ أنّه لا يطّلع على عورته

أحد إلا ابن عمه، فكنت أغسله والملائكة تقلّبه، والفضل بن العباس يناولني الماء وهو مربوط العينين بالخرقة، ولقد أردت أنزع القميص، فصاح بي صايح من البيت، سمعت الصوت ولم أر الصورة: «لا تنزع قميص رسول الله»، ولقد سمعت الصوت يكرّره عليَّ، فأدخلت يدي من بين القميص، فغسلته، ثم قُدِّم إليَّ الكفن فكفنته، ثم نزعت القميص بعد ما كفّنته، وأمّا الحسن ابني فقد تعلمان ويعلم أهل المدينة أنّه يتخطّى الصفوف حتّى يأتي النبي ﷺ وهو ساجد، فيركب ظهره، فيقوم النبي ﷺ ويده على ظهر الحسن، والأخرى على ركبته، حتى يتمّ الصلاة. قالا: نعم، قد علمنا ذلك. ثم قال: تعلمان ويعلم أهل المدينة أنّ الحسن كان يسعى إلى النبي، ويركب على رقبته، ويدلي الحسن رجليه على صدر النبي ﷺ، حتى يُرى بريق خلخاليه من أقصى المسجد والنبي ﷺ يخطب، ولا يزال على رقبته حتّى يفرغ النبي ﷺ من خطبته والحسن على رقبته، فلمّا رأى الصبي على منبر أبيه غيره شقّ عليه ذلك، والله ما أمرته بذلك، ولا فعله عن أمري، وأمّا فاطمة فهي المرأة التي استأذنتُ لكما عليها فقد رأيتما ما كان من كلامها لكما، والله لقد أوصتني أن لا تحضرا جنازتها ولا الصلاة عليها، وما كنت الذي أخالف أمرها ووصيتها إليَّ فيكما. وقال عمر: دع عنك هذه الهمهمة، أنا أمضي إلى المقابر فأنبشها حتى أصلي عليها. فقال له علي عليه السلام: والله لو ذهبت تروم من ذلك شيئاً، وعلمت أنّك لا تصل إلى ذلك حتى يندر عنك الذي فيه عيناك، فإنّي كنت لا أعاملك إلّا بالسيف قبل أن تصل إلى شيء من ذلك. فوقع بين علي وعمر كلام حتى تلاحيا واستبّا، واجتمع المهاجرون والأنصار، فقالوا: والله ما نرضى بهذا أن يقال في ابن

عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأخيه ووصيّه. وكادت أن تقع فتنة، فتفرّقا[(١)].

وقد نقل الشيخ المجلسي قدس سره في البحار قسماً من وصية الزهراء عليها السلام جاء فيها أن فاطمة عليها السلام قالت لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّ لي إليك حاجة يا أبا الحسن. فقال: تُقضى يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. فقالت: نشدتك بالله وبحق محمد رسول الله أن لا يصلّي عليَّ أبو بكر ولا عمر، فإنّي لا أكتمك حديثاً. فقالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة! إنّك أول من يلحق بي من أهل بيتي»، فكنت أكره أن أسوأك. قال علي عليه السلام: فلمّا قُبضت أتاه أبو بكر وعمر، وقالا: لم لا تخرجها حتى نصلي عليها؟ فقال: ما أرانا إلا سنصبح. ثم دفنها ليلاً، ثم صوّر برجله حولها سبعة أقبر، قال: فلما أصبحوا أتوه فقالا: يا أبا الحسن! ما حملك على أن تدفن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم نحضرها؟ قال: ذلك عهدها إلي. قال: فسكت أبو بكر، فقال عمر: هذا والله شيء في جوفك. فثار إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فأخذ بتلابيبه، ثم جذبه فاسترخى في يده، ثم قال: والله لولا كتاب سبق وقول من الله، والله لقد فررتَ يوم خيبر وفي مواطن، ثم لم ينزل الله لك توبة حتى الساعة. فأخذه أبو بكر وجذبه، وقال: قد نهيتك عنه[(٢)].

وروى صاحب دلائل الإمامة رواية تضمّنت ما جرى من أحداث بعد دفن الزهراء عليها السلام، قال: وروي أنها قُبضت لعشر بقين من جمادى الآخرة، وقد كمل عمرها يوم قبضت ثماني عشرة سنة، وخمسة وثمانين يوماً بعد وفاة أبيها، فغسّلها أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يحضرها غيره والحسن

---

(١) علل الشرائع ١/ ١٨٧.

(٢) بحار الأنوار ٢٩/ ١١٢.

والحسين وزينب وأم كلثوم، وفضة جاريتها، وأسماء بنت عميس، وأخرجها إلى البقيع في الليل، ومعه الحسن والحسين، وصلّى عليها، ولم يعلم بها، ولا حضر وفاتها، ولا صلّى عليها أحدٌ من سائر الناس غيرهم، ودفنها في الروضة، وعفّى موضع قبرها، وأصبح البقيع ليلة دُفنت وفيه أربعون قبراً جدداً، وإنّ المسلمين لما علموا وفاتها جاؤوا إلى البقيع، فوجدوا فيه أربعين قبراً، فأشكل عليهم قبرها من سائر القبور، فضجّ الناس، ولام بعضهم بعضاً، وقالوا: لم يخلّف نبيّكم فيكم إلا بنتاً واحدة، تموت وتُدفن ولم تحضروا وفاتها ولا دفنها ولا الصلاة عليها! بل ولم تعرفوا قبرها؟! فقال ولاة الأمر منهم: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور، حتى نجدها، فنصلي عليها، ونزور قبرها، فبلغ ذلك أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله، فخرج مغضباً قد احمرّت عيناه، ودرت أوداجه، وعليه قباؤه الأصفر الذي كان يلبسه في كل كريهة، وهو يتوكأ على سيفه ذي الفقار، حتى ورد البقيع، فسار إلى الناس من أنذرهم، وقال: هذا علي بن أبي طالب قد أقبل كما ترونه، يُقسم بالله لئن حُوِّل من هذه القبور حجر ليضعن السيف في رقاب الآمرين، فتلقّاه عمر ومن معه من أصحابه، وقال له: ما لك يا أبا الحسن؟ والله لننبشنّ قبرها، ولنصلينّ عليها. فضرب علي عليه السلام بيده إلى جوامع ثوبه فهزّه، ثم ضرب به الأرض، وقال له: يا ابن السوداء، أمّا حقّي فقد تركته مخافة أن يرتدّ الناس عن دينهم، وأمّا قبر فاطمة فوالذي نفس عليّ بيده لئن رمت وأصحابك شيئاً من ذلك لأسقينّ الأرض من دمائكم، فإن شئت فاعرض يا عمر. فتلقّاه أبو بكر، فقال: يا أبا الحسن، بحقّ رسول الله وبحق من فوق العرش إلّا خليت عنه، فإنّا

غير فاعلين شيئاً تكرهه. قال: فخلّى عنه، وتفرق الناس، ولم يعودوا إلى ذلك[١].

وهذا المضمون نقله سليم بن قيس رضي الله عنه في كتابه، فيما رواه عن ابن عباس، قال: فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر وعمر والناس يريدون الصلاة على فاطمة عليها السلام، فقال المقداد: قد دفنّا فاطمة البارحة. فالتفت عمر إلى أبي بكر فقال: ألم أقل لك إنّهم سيفعلون؟ قال العباس: إنّها أوصت أن لا تصلّيا عليها. فقال عمر: والله لا تتركون - يا بني هاشم - حسدكم القديم لنا أبداً، إنّ هذه الضغائن التي في صدوركم لن تذهب، والله لقد هممت أن أنبشها فأصلي عليها. فقال علي عليه السلام: والله لو رمت ذلك يا ابن صهاك لأرجعت إليك يمينك، والله لئن سللت سيفي لا غمدته دون إزهاق نفسك، فرم ذلك. فانكسر عمر وسكت، وعلم أنّ عليًّا عليه السلام إذا حلف صدق[٢].

فهذه القرائن مجتمعة تجعلنا نقطع بحصول خطب جلل وجور عظيم على البيت النبوي، بل على خصوص السيّدة الزهراء عليها السلام، جعلها توصي بهذه الأمور؛ لكي تكون شاهداً على ظلامتها.

تعرّض بنات النبي صلى الله عليه وآله للضرب:

من يقرأ التاريخ يجد أنّ بقية بنات النبي صلى الله عليه وآله قد اعتُدي عليهم أيضاً بالضرب كما اعتُدي على سيّدتنا ومولاتنا فاطمة عليها السلام:

---

(١) كتاب سليم: ٣٩٣.

(٢) دلائل الإمامة: ١٣٧.

فقد تعرّضت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله للاعتداء من قبل قريش، **مما** تتسبّب في سقوطها من على بعيرها وادمائها، وسقوط جنين كانت حاملة به!

فقد أخرج الحاكم في المستدرك وصحّحه، والطبراني في معجمه الكبير بسندهما عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، خرجت ابنته زينب من مكة مع كنانة - أو ابن كنانة - فخرجوا في أثرها، فأدركها هبَّار بن الأسود، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه، حتى صرعها، وألقت ما في بطنها، وأهريقت دماً..[(١)].

وقد ذكر ابن سيّد الناس أنّ هذا الأمر كان سبب وفاتها، قال: وأما هبار بن الاسود فهو الذى عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفهاء من قريش حين بعث بها أبو العاص زوجها إلى المدينة، فأهوى إليها هبار هذا، ونخس بها، فسقطت على صخرة، فألقت ذا بطنها، وأهراقت الدماء، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت سنة ثمان[(٢)].

وعلّق ابن أبي الحديد على هذا الحديث، وذكر قصة تربط بين هذه الحادثة وحادثة الاعتداء على الزهراء عليها السلام، فقال: وهذا الخبر أيضاً قرأته على النقيب أبي جعفر رحمه الله، فقال إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبار بن الأسود لأنّه روّع زينب فألقت ذا بطنها، فظهر الحال **أنّه لو كان حيًّا لأباح دم من روّع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها**[(٣)].

---

(١) المستدرك ٢/ ٢١٩، المعجم الكبير ٢٢/ ٤٣١.

(٢) عيون الأثر ٢/ ١٩٦.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٤/ ١٩٣.

وكذلك تعرّضت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله للضرب والاعتداء، وكان ذلك سبب وفاتها عليها السلام.

فقد روى ثقة الإسلام الكليني قدس سره بسنده عن يزيد بن خليفة الخولاني، قال: سأل عيسى بن عبد الله أبا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر فقال: تخرج النساء إلى الجنازة؟ وكان عليه السلام متّكئاً فاستوى جالساً، ثم قال: إنّ ... آوى عمّه المغيرة بن أبي العاص، وكان ممن هدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه، فقال لابنة رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تخبري أباك بمكانه. كأنّه لا يوقن أنّ الوحي يأتي محمداً، فقالت: ما كنت لأكتم رسول الله صلى الله عليه وآله عدوّه، فجعله بين مشجب له، ولحفه بقطيفة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله الوحي، فأخبره بمكانه، فبعث إليه عليًّا عليه السلام، وقال: اشتمل على سيفك، ائت بيت ابنة ابن عمّك، فإن ظفرت بالمغيرة فاقتله. فأتى البيت، فجال فيه، فلم يظفر به، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال: يا رسول الله لم أره. فقال: إنّ الوحي قد أتاني فأخبرني أنه في المشجب. ودخل عثمان بعد خروج علي عليه السلام، فأخذ بيد عمّه، فأتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله، فلما رآه أكبّ عليه، ولم يلتفت إليه، وكان نبي الله صلى الله عليه وآله حييًّا كريماً، فقال: يا رسول الله هذا عمي، هذا المغيرة بن أبي العاص، وقد والذي بعثك بالحق آمنته. قال أبو عبد الله عليه السلام: وكذب والذي بعثه بالحق، ما آمنه، فأعادها ثلاثاً، وأعادها أبو عبد الله عليه السلام ثلاثا: أنّى آمنه؟ إلّا أنّه يأتيه عن يمينه، ثم يأتيه عن يساره، فلما كان في الرابعة رفع رأسه إليه فقال له: قد جعلتُ لك ثلاثاً، فإن قدرتُ عليه بعد ثالثة قتلته. فلمّا أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم العن المغيرة بن أبي العاص، والعن من يؤويه، والعن من يحمله، والعن من يُطعمه، والعن من يسقيه، والعن من يجهّزه،

والعن من يعطيه سقاء أو حذاء أو رشاء أو وعاء. وهو يعدّهن بيمينه، وانطلق به عثمان، فآواه وأطعمه، وسقاه، وحمله، وجهّزه، حتى فعل جميع ما لعن عليه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنْ يفعله به، ثم أخرجه في اليوم الرابع يسوقه، فلم يخرج من أبيات المدينة حتى أعطب الله راحلته، ونقب حذاه، وورمت قدماه، فاستعان بيديه وركبتيه، وأثقله جهازه حتى وجس به، فأتى شجرة فاستظلّ بها، لو أتاها بعضكم ما أبهره ذلك، فأتى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الوحي فأخبره بذلك، فدعا عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: خذ سيفك، وانطلق أنت وعمار وثالث لهم، فأت المغيرة بن أبي العاص تحت شجرة كذا وكذا. فأتاه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فقتله، فضرب عثمان بنت رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقال: أنتِ أخبرتِ أباك بمكانه. فبعثت إلى رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تشكو ما لقيت، فأرسل إليها رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: اقني حياءك، ما أقبح بالمرأة ذات حسب ودين في كل يوم تشكو زوجها. فأرسلت إليه مرات، كل ذلك يقول لها ذلك، فلما كان في الرابعة دعا عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال: خذ سيفك، واشتمل عليه، ثم ائت بيت ابنة ابن عمّك، فخذ بيدها، فإن حال بينك وبينها أحد فاحطمه بالسيف. وأقبل رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كالواله من منزله إلى دار عثمان، فأخرج علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ابنة رسول الله، فلما نظرت إليه رفعت صوتها بالبكاء، واستعبر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبكى، ثم أدخلها منزله، وكشفت عن ظهرها، فلما أن رأى ما بظهرها قال ثلاث مرات: ماله قتلك؟ قتله الله. وكان ذلك يوم الأحد، وبات عثمان ملتحفاً بجاريتها، فمكث الإثنين والثلاثاء، وماتت في اليوم الرابع، فلما حضر أن يخرج بها أمر رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، فخرجت ونساء المؤمنين معها، وخرج عثمان يشيع جنازتها، فلما نظر إليه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال:

من أطاف البارحة بأهله أو بفتاته فلا يتبعن جنازتها. قال ذلك ثلاثاً، فلم ينصرف، فلما كان في الرابعة، قال: لينصرفنّ أو لأسمّينّ باسمه، فأقبل عثمان متوكّئاً على مولى له ممسك ببطنه، فقال: يا رسول الله إنّي أشتكي بطني، فإن رأيت أن تأذن لي أنصرف. قال: انصرف. وخرجت فاطمة عليها السلام ونساء المؤمنين والمهاجرين، فصلّين على الجنازة[1].

وقد أشار الإمام أحمد بن حنبل إلى هذه القصة بصورة غير مباشرة في مسنده، حيث روى بسنده: عن أنس أنّ رقية رضي الله عنها لما ماتت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يدخل القبر رجل قارف أهله. فلم يدخل عثمان بن عفان القبر[2].

وهنا يحقّ لنا أن نسأل هذا السؤال: لماذا منع النبي صلى الله عليه وآله كلّ من قارف أهله من الدخول إلى القبر؟

ولماذا أخبر الراوي بعدم دخول عثمان من دون كلّ الذين حضروا هذه الجنازة الكبيرة؟

وهل يعقل أن يجامع الرجل جاريته في نفس الليلة التي علم فيها بوفاة زوجته؟

ولأجل غرابة تصرّف عثمان أتعب هذا الحديث شرّاح الحديث من أهل السنة والجماعة، فعدّه بعضهم من مشكلات الأخبار[3]، والبعض

---

(١) الكافي ٣/ ٢٥٣.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٢٢٩: وقد صحّح الخبر الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٧، وسكت عنه الذهبي، وصحّحه كذلك شعيب الأناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد ٣/ ٢٢٩.

(٣) مشكل الآثار ٦/ ٣٢٧.

الآخر حاول تحريف الحديث وطمس دلالته بعدّة صور:

أمّا في صحيح البخاري فقد تلوعب بالحديث بصورة عجيبة، قال: عن أنس بن مالك، قال: شهدنا بنتاً لرسول الله ﷺ، قال: ورسول الله ﷺ جالس على القبر، قال: فرأيت عينيه تدمعان، قال: فقال: هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا. قال: فانزل. قال: فنزل في قبرها[1].

والملاحظ أنّ الرواة تصرّفوا بالحديث من عدّة جهات:

١- تغييب اسم «رقية»، وعدم التصريح به؛ لكي يبقى الأمر مردّداً بين البنات الثلاثة لرسول الله ﷺ.

٢- حذف كلمة «أهله» بعد فعل المقارفة؛ لتغييب دلالة الحديث، ولم يُكتفَ بذلك، بل أضيفت تتمّة في بعض طرق الحديث، جعلت متعلّق المقارفة «الذنب»، وليس «الأهل»، قال: قال ابن المبارك: قال فليح: أراه يعني الذنب[2].

٣- لم يذكر الحديث لا من قريب ولا من بعيد عثمان بن عفان، ولم يشر حتى لوجوده في الجنازة، وحذف الاستثناء الوارد في الطرق الأخرى للحديث.

فهذه التحريفات والتدليسات في الرواية تدلّ على محاولة القوم إخفاء هذه الحقيقة التاريخية المهمّة، وإبقاءها طيّ الكتمان، وقد أصبح كلّ من يجاهر بهذه الحقيقة التاريخية من الناس معرّضاً للطعن والتوهين بين القوم، فمثلاً: راجع ترجمة (يونس بن خباب الأسيدي)، وستجد أنّ القوم

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٩٣.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٩٣.

لم يتركوا مسبّة أو منقصة أو مثلبة إلّا نسبوها إليه، رغم أنّه من رواة المسانيد والسنن، وإذا بحثت عن السبب في ذلك، تجد أنّ تضعيفهم له كان بسبب تصريحه بهذه الحقيقة!

انظر إلى كلام ابن حبان فيه، الذي ضعّفه صريحاً بسبب هذه القضية، قال: وكان رجل سوء، غالياً في الرفض، **كان يزعم أن عثمان بن عفان قتل ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يحلّ الرواية عنه**؛ لأنّه كان داعية إلى مذهبه، ثم مع ذلك يتفرّد بالمناكير التي يرويها عن الثقات، والأحاديث الصحاح التي يسرقها عن الأثبات، فيرويها عنهم[1].

وقال ابن حجر العسقلاني في ترجمته: وقال الدوري عن ابن معين: رجل سوء، وكان يشتم عثمان. وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين: لا شيء، وقال الجوزجاني: كذاب مفتر. وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث، ليس بالقوي. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال الآجري عن أبي داود: يونس بن خباب شتَّام الصحابة، حدّثني من سمع عليًّا يعني ابن المديني يقول: لا أحدِّث حتى أتوسّد يميني، قال أبو داود: وقد رأيت أحاديث شعبة عنه مستقيمة، وليس الرافضة كذلك، وقال أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن عباد بن عباد: سمعت يونس بن خباب يقول: عثمان بن عفان قتل ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم. فقلت له: قتل واحدة، فلم زوَّجه الأخرى[2].

---

(١) المجروحين ٣/ ١٤٠.

(٢) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٥؛ أمّا قصّة تزويجه من أم كلثوم عليها السلام، وقول النبي صلى الله عليه وآله: «لو كانت لي أخرى لزوّجتها إياه» فهي من مفتريات بني أمية؛ لطمس هذه الجريمة وإخفاء معالمها.

شعر الزهراء عليها السلام:

نقلت كتب السير والتراجم مجموعة من الأبيات الشعرية التي أنشأتها أو أنشدتها الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله في أكثر من مورد نذكر منها:

مَاذَا عَلَى مَن شَمَّ تُربَةَ أَحمَدٍ   أَن لَا يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا
صُبَّت عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَو أَنَّهَا   صُبَّت عَلَى الأَيَّامِ عُدنَ لَيَالِيَا

وقد دأب العلماء على نسبة هذه الأبيات لفاطمة عليها السلام نسبة جزمية سواء في كتب الفقه[1] أو في كتب السير[2] أو في كتب التاريخ والتراجم[3] بل حتّى في كتب الأدب واللغة[4]، ولم نجد من اعترض منهم على هذه النسبة سوى ما ذكره الذهبي في ترجمتها بعد أن ساق الأبيات قال: وممّا ينسب لفاطمة ولا يصحّ...[5]

---

(١) ابن قدامة الحنبلي في المغني ٢/ ٤١١، ابن حجر الهيتمي الشافعي في تحفة المنهاج ٣/ ١٨٠، الطهطاوي الحنفي في حاشيته على مراقي الفلاح ٦١٩، الرملي المعروف بالشافعي الصغير في نهاية المحتاج ٣/ ١٧، زكريا الأنصاري في أسنى المطالب ١/ ٢٩٨.

(٢) الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٢٨٩، ابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/ ٤٠٩، الكلاعي في الاكتفاء ٣/ ٦٢، ابن قنفذ في وسيلة الاسلام ١/ ١١٩، الملا علي القاري في شرح الشمائل ٢/ ٢١٠.

(٣) الفاسي في شفاء الغرام ٢/٤٥٣، السمهودي في وفاء الوفا ٤/ ٢١٦، ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن ٤٨٩، المناوي في اتحاف السائل ١٠٣.

(٤) النويري في نهاية الأرب ١٨/ ٤٠٣.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٤.

وكعادته لم يذكر سبب رفضه لهذه الأبيات ولا موطن العلّة فيها بل كان انكاره دفعا بالصدر لا غير، علما أنّ الأبيات قد رواها مسندة صاحب كتاب الدرّة الثمينة، قال: أنبأنا أبو جعفر الواسطي، عن أبي طالب، عن ابن يوسف، أخبرنا أبو الحسن بن الأبنوسي، عن عمر بن شاهين، أخبرنا محمد بن موسى، حدّثنا أحمد بن محمد الكاتب، حدّثني طاهر بن يحيى، حدّثني أبي، عن جدّي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لمّا رمس رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت فاطمة عليها السلام فوقفت على قبره وأخذت قبضة من تراب القبر فوضعته على عينيها وبكت وأنشأت تقول:...[1]

وموضع الشاهد في هذه الأبيات أنّها ضمّنت الشكاية لرسول الله صلى الله عليه وآله بما جرى بعده لاسيما تعبيرها عليها السلام "صبّت علي مصائب"، فكلامها ليس حول خصوص مصيبة فقد النبي صلى الله عليه وآله بل تتحدّث عليها السلام على مجموعة من البلايا التي أحاطت بها.

بل ورد النصّ على هذا صريحا في ما نقله بعضهم أنّها قالت: (فاليوم أخضع للذليل وأتقي منه وأدفع ظالمي..) فالحديث إذن في هذه الأبيات ليس عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وإن كانت مصيبة عظمى، بل المراد هنا تعداد المصائب التي حصلت بعد وفاته صلى الله عليه وآله.

ومنها قولها عليها السلام:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَثَةٌ ... لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ يَكْثُرِ الخَطْبُ

وهذا البيت أنشدته أو أنشأته عمّتها صفية بنت عبد المطلب عليها السلام،

(١) الدرة الثمينة ٢٦٤.

حيث نقل المحدّثون والمؤرخون قصّة هذا البيت: خرجت صفية وقد قبض النبي ﷺ وهي تلمع بثوبها يعني تشير به وهي تقول: قد كان بعدك أنباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب[١].

وكلّ منصف يعلم أنّ خروج صفيّة عمّة النبي ﷺ في هذه الصورة وإشارتها بثوبها يدلّ على وقوع مصيبة عظيمة عند المسلمين، والأهمّ من هذا مضمون ما قالته -سواء كان نظما أو تمثّلا- إذ أنّها تخبر بما حصل بعد رسول الله ﷺ (قد كان بعدك أنباء وهنبثة) والهنبثة كما نصّ أهل اللغة هي الدواهي والأمور الشديدة المختلف فيها[٢]!

فما هي الأمور التي وقع فيها الخلاف بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة بحيث يصدق عليها أنّها هنبثة؟

بل الأعظم من هذا تتمّة هذا البيت الذي نقل في جملة من الكتب وهو قولها: فاختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب[٣]؛ إذ أنّ الاختلال بمعنى عدم انتظام أمرهم وإشارة إلى بدء وقوع الفتن والاختلاف.

ووردت هذا العجز بلفظ آخر أوضح وأجلى وهو ما نقله ابن قنفذ[٤] في سيرته: واختلّ قومك بعد العهد واحتزبا[١]؛ والاحتزاب بمعنى

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٤٢٨؛ وقد نصّ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٩ على وثاقة رجال السند، قال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلّا أنّ محمّدا لم يدرك صفية؛ أقول: مراده من محمّد هو الإمام الباقر عليه السلام وهذا لا يضرّ بصحّة السند.

(٢) لسان العرب ٢/ ١٩٨.

(٣) غريب الحديث ١/ ٥٩٠؛ النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٧٧.

(٤) أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ، ولد سنة ٧٤٠هـ وتوفي سنة ٨١٠هـ باحث له علم بالتراجم والحديث والفلك والفرائض. (للمزيد

الانقسام وصيرورة الأمة الواحدة أحزابا وفرقا مختلفة.

علما أنّ هذه الأبيات قد نسبها جملة من علماء السير والتاريخ واللغة والأدب للزهراء عليها السلام بلا نكير بينهم نذكر منها:

١- ابن قتيبة الدينوري في غريب الحديث: وحدّثنا أحمد بن نصر النيسابوري بإسناد ذكره: إنّ فاطمة عليها السلام قالت بعد موت أبيها صلى الله عليه وآله من البسيط:..[٢]

٢- ابن طيفور في بلاغات النساء بعد سرده لخطبة الزهراء عليها السلام: ثم انحرفت إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وهي تقول:...[٣]

٣- ابن الأثير الجزري في النهاية في غريب الحديث: فيه أنّ فاطمة قالت بعد موت النبي صلى الله عليه وآله :...[٤]

٤- ابن حمدون في تذكرته بعد نقله لخطبتها: ثم انكفأت على قبر أبيها صلى الله عليه وآله وقالت: من البسيط...[٥]

والذي يدلّك على صراحة هذه الأبيات في الدلالة على المطلوب تلاعب بعض المصنّفين بها ممّا يضيّع معانيها ويلبّس على القارىء مضامينها:

فمنهم ابن سعد صاحب الطبقات الذي روى هذه الأبيات بعد أن

الأعلام للزركلي ١/ ١١٧)

(١) وسيلة الاسلام ١/ ١٢٠.

(٢) غريب الحديث ١/ ٥٩٠.

(٣) بلاغات النساء ١٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٧٧.

(٥) التذكرة الحمدونية ٦/ ٢٥٨.

تلوعب بعجز البيت الثاني[١]: ففي الأصل (فاختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب) لكنّه تغيّر وأصبح بقدرة قادر (فاحتل لقومك واشهدهم ولا تغب) فغيّر "اختلّ" الذي هو اخبار عن وقوع الاختلال أي الاختلاف والانقسام في المسلمين إلى "احتل" الذي هو فعل أمر والمعنى اتخذ حيلة للرجوع لقومك، فتغيّر معنى البيت من الاخبار والشكاية بوقوع الاختلال إلى التفجّع وطلب العود!

ومنهم ابن قنفذ القسنطيني الذي نقل الأبيات ونسبها للزهراء عليها السلام إلّا أنّه حُذف منها كلمة "هنبثة" والتي تعني الاختلاف الشديد كما تقدّم فأصبح صدر البيت بهذه الصورة (قد كانت بعدك أنباء...)[٢].

ومنهم أبو طاهر المقدسي في كتاب البدء والتاريخ حيث أحسّ بخطورة نسبة هذه الأبيات للزهراء عليها السلام فجعلها من قول أعرابي، قال: وروى أصحاب الأخبار شيئا كثيرا من الشعر في مراثيه فمن ذلك قول عربي لفاطمة...[٣]

وممّا يؤكّد صحّة ما ذهبنا إليه، ما ذكره الخطّابي[٤] في كتابه غريب الحديث حيث نسب هذه الأبيات إلى معاوية بن أبي سفيان، قال: وقال أبو سليمان في حديث معاوية أنّه قال يوم صفّين: آها أبا حفص قد كان بعدك

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٢٥١.

(٢) وسيلة الإسلام ١١٩.

(٣) البدء والتاريخ ٥٩٨.

(٤) أحمد بن محمد بن ابراهيم ابن الخطاب البستي نسبة إلى بست من بلاد كابل الخطابي نسبة إلى زيد بن الخطاب أخ عمر بن الخطاب، ولد سنة ٣١٩هـ وتوفي سنة ٣٨٨هـ، فقيه محدّث صاحب تصانيف. (للمزيد الأعلام للزركلي ٢/ ٢٧٣)

أنباء وهنبثة...[١]

ولعلّ القارىء اللبيب قد فهم مغزى معاوية من التمثّل بخصوص هذا البيت من الشعر، والتأسف على خصوص أبي حفص عمر بن الخطاب في يوم صفين حربه مع علي عليه السلام.

فهذه النصوص وإن لم تتحدّث مباشرة عن قضية ضرب الزهراء عليها السلام والإعتداء عليها، إلّا أنّها بمثابة القرائن التي تعضد الروايات المتقدّمة، وترفع درجة صحّتها، وعدم استبعاد وقوعها، أو نكارتها.

(١) غريب الحديث ٢/ ٥٣٣.

مصيبة الزهراء عليها السلام عند الشيعة

اشتهرت قضية الهجوم على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام والاعتداء عليها بين الشيعة، بحيث أصبحت من الضروريات التاريخية التي لا يختلف فيها اثنان بينهم، وقد طفحت بها كتبهم، وشاع ذكرها بين الفقهاء والمؤرّخين والمتكلّمين والشعراء والأدباء وغيرهم.

كلمات علماء الشيعة:

نستعرض في هذا الفصل قسماً من كلمات بعض كبار علماء الشيعة الذين صرّحوا بحدوث هذا الجرم العظيم على سيّدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، وطبعاً لم نقصد الاستقصاء، بل أردنا ذكر بعض الأسماء المعروفة في الأوساط الشيعية، مرتبين لها بحسب الأسبق في سنة الوفاة:

١ - سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه (توفي ٧٦هـ):

شحن كتابه بذكر الروايات التي تثبت وقوع هذه الحادثة، ويعتبر كتابه من أوّل المصادر التاريخية التي نقلت هذه القضية، وأكثرها أهميّة، نظراً لأنّه نقل الأحداث المتعلّقة بالهجوم على الدار من الأشخاص الذين شهدوا هذه الحوادث، وكانوا طرفاً فيها كسلمان الفارسي وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم.

٢- السيد إسماعيل بن محمد الحميري قدس سره[(١)] (توفي ١٧٣ هـ):

أشار إلى قضية الزهراء عليها السلام في جملة من قصائده من دون نكير من الشيعة أو اعتراض من أحد من الأئمة عليهم السلام، مما يؤكّد ثبوتها عند الأئمة عليهم السلام واشتهارها عند الشيعة كافة، قال:

ضُرِبَتْ واهتُضِمَتْ مِنْ حَقِّهَا   وَأُذِيْقَتْ بَعْدَه طَعْمَ السَّلَعْ[(٢)]
قَطَعَ اللهُ يَدَيْ ضَارِبِهَا   وَيَدَ الرَّاضِي بِذَاكَ المُتَّبِـعْ[(٣)]

٣- أحمد بن أبي يعقوب[(٤)] -اليعقوبي- رحمه الله (توفي بعد ٢٩٢هـ):

وهو من الشيعة كما نسبه بعض من ترجم إليه، نقل في تاريخه قصة الهجوم على الدار مقتضبة، قال: وبلغ أبا بكر وعمر أنّ جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار، وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر، فصارعه عمر فصرعه، وكسر سيفه، ودخلوا الدار، فخرجت فاطمة، فقالت: والله لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري، ولأعجّنّ إلى الله!

---

(١) أبو عامر إسماعيل بن محمد بن يزيد الحميري ولد سنة ١٠٥هـ وتوفي سنة ١٧٣هـ شاعر مفوّه من شعراء العرب كان إباضي المذهب وانتقل بين المذاهب إلى أن صار إماميا واعتقد بإمامة الصادق عليه السلام.

(٢) السلع: نبات، وقيل: هو سُم.

(٣) الصراط المستقيم ٣/ ١٣.

(٤) أبو العباس أحمد ين اسحاق بن جعفر المعروف باليعقوبي مؤرخ وجغرافي لم تذكر الكتب تاريخ مولده، توفي بعد ٢٩٢هـ. (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ٩٥)

فخرجوا، وخرج من كان في الدار، وأقام القوم أياماً[١].

٤- علي بن الحسين المسعودي رحمه الله[٢] (توفي ٣٤٥هـ):

من كبار مؤرِّخي المسلمين كافة، قال في كتابه (إثبات الوصية): فأقام أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه من شيعته في منازلهم، بما عهده إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجّهوا إلى منزله، فهجموا عليه، وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرهاً، وضغطوا سيّدة النساء بالباب، حتى أسقطت محسناً[٣].

٥- الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني رضي الله عنه[٤] (توفي ٣٦٠هـ):

قال في كتابه (الغيبة): وقد فعل بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعليها ما دعاها إلى الوصية بأن تُدفن ليلاً، ولا يصلي عليها أحد من أمة أبيها إلا من سمّته، فلو لم يكن في الإسلام مصيبة ولا على أهله عار ولا شنار ولا حجة فيه لمخالف لدين الإسلام إلّا لحق فاطمة عليها السلام حتى مضت غضبى على أمة أبيها، ودعاها ما فُعل بها إلى الوصية بأن لا يصلي عليها أحد منهم فضلاً عما سوى ذلك لكان عظيماً فظيعاً منبِّهاً لأهل الغفلة، إلا من قد طبع الله على قلبه وأعماه لا ينكر ذلك، ولا يستعظمه، ولا يراه شيئاً،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٦.

(٢) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي المسعودي نسبة إلى الصحابي عبد الله بن مسعود، مؤرخ رحالة بحّاثة من أهل بغداد أقام بمصر وتوفي فيها سنة ٣٤٦هـ. (للمزيد الأعلام للزركلي ٤/ ٢٧٧)

(٣) اثبات الوصية ١٥٤.

(٤) الشيخ محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني من تلاميذ الشيخ الكليني رضي الله عنه وكاتبه، كان عظيم القدر شريف المنزلة،صحيح العقيدة. (للمزيد معجم رجال الحديث ١٥/ ٢٣١)

بل يزكّي المضطهِد لها إلى هذه الحالة، ويفضّله عليها وعلى بعلها وولدها، ويعظّم شأنه عليهم ، ويرى أن الذي فُعل بها هو الحق، ويعدّه من محاسنه، وأن الفاعل له بفعله إياه من أفضل الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قال الله عز وجل : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[١] .

٦- الشيخ محمد بن علي بن بابويه -الصدوق- رضي الله عنه (توفي ٣٨١هـ):

صرّح في كتابه (معاني الأخبار) بما حصل على الزهراء عليها السلام، في شرح معنى قوله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «إن لك كنزاً في الجنة»، فقال: وقد سمعت بعض المشايخ يذكر أن هذا الكنز هو ولده المحسن عليه السلام، وهو السقط الذي ألقته فاطمة عليها السلام لما ضُغطت بين البابين[٢] .

وتكمن قيمة هذه الشهادة في كونه رضي الله عنه ينقل هذه الشهادة عن بعض مشايخه، ومن المعلوم أنّ مشايخ الصدوق رضي الله عنه هم من الطبقة التي عاشت في الغيبة الصغرى، وبعضهم كان من أصحاب الأئمة عليهم السلام .

٧- السيد علي بن الحسين -الشريف المرتضى- رضي الله عنه (توفي ٤٣٦هـ):

قال في كتابه (الشافي) في مقام الردّ على القاضي عبد الجبار الهمداني الذي كذّب هذه القضية، واستبعد وقوعها[٣]: وبعد، فلا فرق بين أن يهدّد بالإحراق للعلّة التي ذكرها، وبين ضرب فاطمة عليها السلام لمثل هذه العلّة، فإنّ

---

(١) الغيبة ٥٦.

(٢) معاني الأخبار ٢٠٦.

(٣) قال القاضي عبد الجبار: فأما ما ذكروه من حديث عمر في باب الإحراق، فلو صحَّ لم يكن طعناً على عمر؛ لأن له أن يهدّد من امتنع عن المبايعة إرادة للخلاف على المسلمين؛ لكنه غير ثابت؛ لأن أمير المؤمنين قد بايع...

إحراق المنازل أعظم من ضربه بالسوط، وما يُحسِّن الكبير ممن أراد الخلاف على المسلمين أولى بأن يُحسِّن الصغير، فلا وجه لامتعاض صاحب الكتاب من ضربة السوط، وتكذيب ناقلها، وعنده مثل هذا الاعتذار(١).

ولا يخفى أنّ ذكر القاضي عبد الجبار لهذه القضية، والتصدي للرّد عليها دفاعاً عن اعتقاده بصحة إمامة الأول والثاني، يكشف عن أنّ هذه القضية كانت على الأقل مشهورة عند الشيعة.

٨- الشيخ أبو الصلاح الحلبي رضي الله عنه (توفي ٤٤٧هـ):

ذكر في كتابه (تقريب المعارف) هذه القضية من ضمن مثالب القوم، قال: فمن ذلك [أي مثالب القوم]: أمان كل معتزل بيعتهم ضررهم، وقصدهم عليًّا عليه السلام بالأذى لتخلّفه عنهم، والإغلاظ له في الخطاب، والمبالغة في الوعيد، وإحضار الحطب لتحريق منزله، والهجوم عليه بالرجال من غير إذنه، والإتيان به ملبَّباً، واضطرارهم بذلك زوجته وبناته ونساءه وحامّته من بنات هاشم وغيرهم إلى الخروج عن بيوتهم، وتجريد السيوف من حوله، وتوعّده بالقتل إن امتنع من بيعتهم، ولم يفعلوا شيئاً من ذلك بسعد بن عبادة، ولا بالخباب بن المنذر وغيرهما ممن تأخّر عن بيعتهم(٢).

٩- أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي رضي الله عنه (توفي ٤٤٩هـ):

ذكر في كتابه (التعجّب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة) قضية

---

(١) الشافي ٤/١٢٠.

(٢) تقريب المعارف: ٢٣٣.

ضرب الزهراء عليها السلام مرسلاً لها إرسال المسلّمات مما يثبت تسالم الشيعة عليها، قال: من عجيب كذبهم روايتهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «وُزنت بأمّتي فرجحت، ووُزن بها أبو بكر فرجح، ووُزن بها عمر فرجح، ثم رجح، ثم رجح»، فزعموا أن نبي الرحمة الذي هدى الله به الأمّة رجح مرّة واحدة ، وأن أبا بكر ساواه، رجح مرّة واحدة مثله، وأن عمر بن الخطاب الذي شكَّ في نفسه، ولم يتحقَّق إيمانه، واتَّهم نبيَّه، ولم يصوّبه في فعله، ولا صدق في قوله، ومنع أن يؤتى له بالدواة ليكتب بها ما فيه صلاح أمّته، وزعم أن خير خلق الله يهجر في كلامه، **ولطم فاطمة ابنته، وأتى بالحطب ليحرق بيتها على من فيه،** رجح بالفضل ثلاث دفعات، وأن فضل رسول الله صلى الله عليه وآله قدر ثلث فضله، وهذا في الغاية من الجهل، وعدم التميز والعقل[١].

١٠- شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي رضي الله عنه (توفي ٤٦٠هـ):

ذكر في كتابه (تلخيص الشافي) إجماع الشيعة على وقوع الظلم على الزهراء عليها السلام، ونفي وجود المخالف، فقال: والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة، أنّ عمر ضرب على بطنها حتى أسقطت، فسُمّي السقط محسناً، والرواية بذلك مشهورة عندهم، وما أرادوا من إحراق البيت عليها حين التجأ إليها القوم، وامتنعوا من بيعته؛ وليس لأحد أن ينكر الرواية بذلك؛ لأنا قد بيَّنّا الرواية الواردة من جهة العامّة من طريق البلاذري وغيره، ورواية الشيعة مستفيضة به، لا يختلفون فيه[٢].

---

(١) التعجب: ١٢٩.

(٢) تلخيص الشافي ١٥٦/٣.

١١- الشيخ أسعد بن عبد القاهر الأصفهاني قدس سره[١] (توفي ٦٣٥هـ):

ذكر ذلك في كتابه (رشح البلاء) عند شرحه لدعاء صنمي قريش، فقال: و«البطن المفتوق» بطن عمار بن ياسر، ضربه عثمان على بطنه، فأصابه الفتق، و«الجنين المسقط» هو محسن، و«الضلع المدقوق، والصكّ الممزوق» إشارة إلى ما فعلاه مع فاطمة عليها السلام من مزق صكّها ودقّ ضلعها، و«الشمل المبدّد» هو تشتيت شمل أهل البيت، وكذا شتتوا بين التأويل والتنزيل، وبين الثقلين الأكبر والأصغر[٢].

١٢- السيد علي بن موسى بن جعفر بن طاووس رضي الله عنه[٣] (توفي ٦٦٤هـ):

قال في كتابه (الطرائف): ومن طرائف ما بلغ إليه جماعة كثيرة من المسلمين من رجال الأربعة المذاهب أنهم رووا ما قدّمنا بعضه، وسيأتي منه طرف آخر، تعظيم أهل البيت عليهم السلام وخاصّة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فأما علي عليه السلام فقد عرفت ما جرى عليه من الدفع عن خلافته ومنزلته، وما بلغوا إليه من القصد لإحراقه بالنار وكسر حرمته، وأما فاطمة عليها السلام فقد اشتهر ما ظهر من أذيّتهم لها، حتى هجرتهم إلى أن

---

(١) أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الأصفهاني، ترجم له الحرّ العاملي بقوله: كان عالما فاضلا محقّقا. (أمل الآمل ٢/ ٣٢)

(٢) منهاج البراعة ١٤/ ٤٠٣.

(٣) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الطاووس العلوي الحسني رضي الدين قدس سره، من أجلّاء هذه الطائفة وثقاتها، جليل القدر عظيم المنزلة كثير الحفظ نقي الكلام، حاله في العبادة والزهد أشهر من أن يذكر، له كتب حسنة رضي الله عنه. (نقد الرجال للتفريشي ٣/ ٣٠٤)

ماتت، وسيأتي طرف من ذلك إن شاء الله تعالى[١].

١٣- العلامة الحسن بن المطهر الحلّي رضي الله عنه[٢] (توفي ٧٢٦هـ):

قال في كتابه (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد): وبعث إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام لما امتنع من البيعة، فأضرم فيه النار، وفيه فاطمة والحسن والحسين وجماعة من بني هاشم، وأخرجوا عليًّا عليه السلام كرهاً، وكان معه الزبير في البيت، فكسروا سيفه، وأخرجوه من الدار، وضُربت فاطمة عليها السلام، فألقت جنيناً اسمه محسن، ولما بويع أبو بكر صعد المنبر، فجاءه الحسنان عليهما السلام مع جماعة من بني هاشم وغيرهم، وأنكروا عليه، وقال له الحسن والحسين عليهما السلام: «هذا مقام جدّنا، لستَ له أهلاً»، ولما حضرته الوفاة قال: «ليتني تركت بيت فاطمة لم أكشفه»، وهذا يدل على خطئه في ذلك[٣].

---

(١) الطرائف: ١٩٥.

(٢) الحسن بن يوسف بن المطهّر المشهور بالعلامة الحلّي، من كبار فقهاء الإمامية وأعظمهم على الاطلاق شهد له بالعلم والفضل الموالف والمخالف، قال ابن حجر: عالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم وكان آية في الذكاء شرح مختصر ابن الحاجب شرحاً جيداً سهل المأخذ غاية في الإيضاح واشتهرت تصانيفه في حياته وهو الذي رد عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية في كتابه المعروف بالرد على الرافضي: وكان ابن المطهر مشتهر الذكر وحسن الأخلاق ولما بلغه بعض كتاب ابن تيمية قال: لو كان يفهم ما أقول أجبته ومات في المحرم سنة ست وعشرين وسبعمائة عن ثمانين سنة وكان في آخر عمره انقطع في الحلة إلى أن مات. (لسان الميزان ١/ ٣٣٨)

(٣) كشف المراد: ٤٠٢.

١٤- الفاضل المقداد السيوري الحلي قدس سره[(١)] (توفي ٨٢٦هـ):

قال في كتابه (شرح اللوامع): إنّ عليًّا عليه السلام وجماعة لما امتنعوا عن البيعة، والتجؤوا إلى بيت فاطمة عليها السلام منكرين بيعته، بعث إليها عمر حتى ضربها على بطنها، وأسقطت سقطاً اسمه محسن، وأضرم النار ليحرق عليهم البيت، وفيه فاطمة عليها السلام وجماعة من بني هاشم، فأخرجوا عليًّا عليه السلام قهراً بحمائل سيفه يقاد[(٢)].

١٥- الشيخ علي بن يونس العاملي البياضي قدس سره[(٣)] (توفي ٨٧٧هـ):

قال في كتابه (الصراط المستقيم): ومنها: ما رواه البلاذري واشتهر في الشيعة أنه حصر فاطمة في الباب حتى أسقطت محسناً، مع علم كل أحد بقول أبيها لها: فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني[(٤)].

---

(١) الشيخ أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمد السيوري الحلّي الأسدي، توفي سنة ٨٢٦هـ، قال الشيخ عباس القمي في ترجمته: كان عالما فاضلا فقيها محقّقا مدقّقا. (الكنى والألقاب ٣/ ١٠)

(٢) اللوامع الإلهية: ٣٠٢.

(٣) زين الدين أبو محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي ولد سنة ٧٩١هـ وتوفي سنة ٨٩٤هـ، ترجم له الحر العاملي بقوله:كان عالما فاضلا محقّقا مدقّقا ثقة متكلّما شاعرا أديبا متبحّرا. (أمل الآمل ١/ ١٣٥)

(٤) الصراط المستقيم ٣/ ١٢.

١٦ - الشيخ بن أبي جمهور الأحسائي قدس سره[١] (توفي بعد ٩٠٩هـ):

قال في كتابه (المجلي): وإلى الآن هذه الشكاية لم تنتقص، وغصص مرارتها في حلوق شيعة آل الرسول إلى وقتنا هذا، وجميع ما يلقونه من الأذى من مخالفيهم كلّه مسبّب عنهم، فوقع منها هتك حرمات أهل البيت عليهم السلام، فخرّ[٢] علي ملبّباً للمبايعة، وتوعّد جماعة بني هاشم بالشر، وأحرق بيت فاطمة، ودخل إليه بغير إذنها، بل هجموا عليه كما يُهجم على بيوت أهل الكفر، ولم تراع حرمة آل الرسول، وضُربت ابنة الرسول العزيزة عليه المكرّمة لديه بالسوط حتى أثّر السوط في جسمها الشريف، وضُغطت بالباب حتى أجهضت جنيناً في بطنها كان سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً[٣].

١٧ - المحقق الثاني الكركي قدس سره[٤] (توفي ٩٤٠هـ):

قال في كتابه نفحات اللاهوت: ... فإنه من حين ولي أبو بكر احتف به جماعة من قريش وذؤبان العرب، أصحاب الحقد والحسد على أمير المؤمنين عليه السلام، تبيّن أنهم يدالون عن أهل البيت عليهم السلام بمنع الإرث والنحلة

---

(١) الشيخ شمس الدين أبو جعفر محمد بن الشيخ علي بن الشيخ حسام الهجري المعروف بابن أبي جمهور الأحسائي، ولد سنة ٨٣٨هـ بالأحساء بعد سنة ٩٠١ هـ وقيل سنة ٩٠٩هـ وترك مجموعة كبيرة من المصنفات.

(٢) كذا في النسخة المطبوعة، ولعله: فأُخرج.

(٣) مجلي مرآة المنجي ٤/ ١٣٦٢.

(٤) الشيخ علي بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد العال المعروف بالمحقّق الكركي نسبة إلى بلدة (كرك نوح) في بعلبك، ولد سنة ٨٦٨هـ وتوفي سنة ٩٤٠هـ، قال الحر العاملي: لأمره في الثقة والعلم والفضل وجلالة القدر وعظم الشأن وكثرة التحقيق أشهر من أن يذكر ومصنّفاته كثيرة مشهورة... (أمل الآمل ١/ ١٢١)

والخمس والطلب إلى البيعة بالإهانة والتهديد بتحريق البيت وجمع الحطب عند الباب وإسقاط فاطمة محسناً[(١)].

١٨ - الشيخ أحمد بن محمد المقدس الأردبيلي قدس سره[(٢)] (توفي ٩٩٣هـ):

ذكر في حاشيته على التجريد: وقد زيد في بعض الكتب أنه أخرجوا أمير المؤمنين عليه السلام وضربوا فاطمة عليها السلام حتى أسقطت جنينا اسمه: محسن، وكان الإضرام متحقّقا، ولهذا ما صرح في الجواب عنه بالمنع[(٣)].

١٩ - المجلسي الأول الشيخ محمد تقي المجلسي قدس سره (توفي ١٠٧٠هـ):

قال في كتابه (روضة المتقين): وشهادتها صلوات الله عليها كانت من ضرب عمر... الباب على بطنها عند إرادة أمير المؤمنين لبيعة أبي بكر...، وضرب قنفذ - غلام عمر - السوط عليها بإذنه، والحكاية مشهورة عند العامّة والخاصّة[(٤)].

٢٠ - المولى محمد صالح السروي المازندراني قدس سره (توفي ١٠٨٦هـ):

قال في شرحه على أصول الكافي: والشهيد من قُتل من المسلمين في معركة القتال المأمور به شرعاً، ثم اتّسع فأُطلق على كل من قُتل منهم ظلماً، كفاطمة عليها السلام، إذ قتلوها بضرب الباب على بطنها وهي حامل، فسقط

---

(١) نفات اللاهوت: ١٣٠.

(٢) أحمد بن محمد الأردبيلي المعروف بالمقدّس الأردبيلي، قال الميرزا عبد الله أفندي: كان عالما فاضلا مدقّقا عابدا ثقة ورعا عظيم الشأن جليل القدر... (رياض العلماء ١/ ٥٦)

(٣) الحاشية على الإلهيات: ٢٥٧.

(٤) روضة المتقين ٥/ ٣٤٢.

حملها، فماتت لذلك[١].

٢١- العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره (توفي ١١١١هـ):

قال في (مرآة العقول) تعليقاً على وصف الإمام الكاظم عليه السلام لأمّه الزهراء عليها السلام بأنّها شهيدة: ثم إنّ هذا الخبر يدل على أن فاطمة صلوات الله عليها كانت شهيدة، وهو من المتواترات، وكان سبب ذلك أنهم لما غصبوا الخلافة وبايعهم أكثر الناس، بعثوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليحضر للبيعة، فأبى، فبعث عمر بنار ليحرق على أهل البيت بيتهم، وأرادوا الدخول عليه قهراً، فمنعتهم فاطمة عند الباب، فضرب قنفذ - غلام عمر - الباب على بطن فاطمة عليها السلام، فكسر جنبيها، وأسقطت لذلك جنيناً كان سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً، فمرضت لذلك، وتوفيت صلوات الله عليها في ذلك المرض[٢].

٢٢- الشيخ يوسف البحراني قدس سره[٣] (توفي ١١٨٦هـ):

قال في كتابه (الحدائق الناضرة): إنّ من العجب الذي يُضحك الثكلى، والبيِّن البطلان الذي أظهر من كل شيء وأجلى، أن يُحكم بنجاسة من أنكر ضروريًّا من سائر ضروريات الدين، وإن لم يُعلم أنّ ذلك منه عن

---

(١) شرح أصول الكافي ٧/ ٢١٣.

(٢) مرآة العقول ٥/ ٣٢٠.

(٣) الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن ابراهيم آل عصفور الدرازي البحراني، ولد سنة ١١٠٧ بقرية الماحوز وتوفي سنة ١١٨٦هـ بكربلاء المقدّسة، قال أبو علي الحائري: عالم فاضل متبحّر ماهر متتبّع محدّث ورع عابد صدوق ديّن من أجلّة مشايخنا وأفاضل علمائنا المتبحرين. (منهى المقال ٧/ ٧٥)

اعتقاد ويقين، ولا يُحكم بنجاسة من يسبّ أمير المؤمنين عليه السلام، وأخرجه قهراً مقاداً، يُساق بين جملة العالمين، وأدار الحطب على بيته ليحرقه عليه وعلى من فيه، وضرب الزهراء عليها السلام حتى أسقطها جنينها، ولطمها حتى خرَّت لوجهها وجبينها، وخرجت لوعتها وحنينها، مضافاً إلى غصب الخلافة الذي هو أصل هذه المصائب وبيت هذه الفجائع والنوائب(١).

٢٣- المحدّث الشيخ عباس بن محمد رضا القمي قدس سره (توفي ١٣٥٩هـ):

قال الشيخ عباس القمي في كتابه (بيت الأحزان): وأمّا كُناها صلوات الله عليها، فأم الحسن، وأم الحسين، وأم المحسن، وأم الأئمة، وأم أبيها، وأم المؤمنين، وهذه الكنية تكون في زيارتها، وفي المناقب يقال لها في السماء :النورية، السماوية، الحانية. أقول: «الحانية»: المشفقة على زوجها وأولادها، أما شفقتها على زوجها فيكفى في ذلك أن ما وصل إليها من الضرب والإهانة وكسر الضلع وأثر السوط على عضدها كالدملج مما يجيء تفصيلها إن شاء الله تعالى، كل ذلك كان في حماية زوجها إلى أن ماتت شهيدة(٢).

اشتهار الأمر عن الشيعة من دون خلاف بينهم:

من يقرأ كتب المخالفين يجد أنّ قضية الهجوم على البيت العلوي والاعتداء على سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام من الأمور المسلّمة عندهم، بحيث ينسبونها نسبة قطعية للشيعة، ويجعلونها من فظائعهم.

---

(١) الحدائق الناضرة ٥/ ١٨٠.

(٢) بيت الأحزان: ٢٦.

نذكر من هؤلاء:

١- مطهّر بن طاهر المقدسي[١] (توفي بعد ٣٥٥ هـ):

نسب الاعتقاد بما جرى على السيّدة الزهراء عليها السلام إلى الشيعة في كتابه (البدء والتاريخ) حيث قال: وولدت محسناً، وهو الذي تزعم الشيعة أنّها أسقطته من ضربة عمر، وكثير من أهل الآثار لا يعرفون محسناً[٢].

المؤلف من الذين عاصروا بدايات الغيبة الكبرى، ونسبته هذا الأمر للشيعة نسبة قطعية دليل انتشار هذا الأمر وشيوعه بين الناس.

٢- أبو الحسين الملطي الشافعي[٣] (توفي ٣٧٧هـ):

عدّد في كتابه (التنبيه والرد) عقائد هشام بن الحكم التي خالفهم فيها، ثم قال: وأنّ أبا بكر مرّ بفاطمة عليها السلام **فرفس في بطنها فأسقطت**، وكان سبب علّتها وموتها، وأنّه غصبها فدكاً، فذكر أشياء كثيرة مما كاد بها الإسلام من المخاريق والأباطيل والزور التي لا تجوز عند العلماء، ولا تخفى إلا على أهل العمى والغباء[٤].

وتكمن أهمية هذه الكلام في قطع الملطي بنسبة هذا الكلام لهشام بن الحكم رضي الله عنه الذي هو من خواصّ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، مما

---

(١) مطهر بن طاهر المقدسي نسبة لبيت المقدس، لا يعرف بالضبط تاريخ ميلاده ولا وفاته إلّا أنّه كان حيّا سنة ٣٥٥ كما يظهر من الكتاب (للمزيد الأعلام للزركلي ٧/ ٢٥٣)

(٢) البدء والتاريخ ٥/ ٢٠.

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي العسقلاني، من فقهاء الشافعية عالم بالقرآت، توفي سنة ٣٧٧هـ. (للمزيد الأعلام للزركلي ٥/ ٣١١)

(٤) التنبيه والردّ ٢٥.

يثبت شهرة هذه القضية في ذلك العصر.

٢-محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (توفي ٥٤٨هـ):

ذكر في كتابه (الملل والنحل) مثالب النظَّام المعتزلي، واعتبر منها موافقته للرافضة بحسب تعبيره في كثير من المسائل، ذكر منها: وزاد في الفرية فقال: إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: «أحرقوا دارها بمن فيها»، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين(١).

وإبراهيم بن سيّار النظَّام كان حيًّا في القرن الثاني بحسب كتب التراجم والتاريخ، ممّا يؤكّد شهرة القضية عند الشيعة في ذلك الوقت.

٣- عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي (توفي ٦٥٦هـ):

ذكر في شرحه على (نهج البلاغة) أحداث السقيفة برواية الشيعة، فقال: فأمّا امتناع علي عليه السلام من البيعة حتى أُخرج على الوجه الذي أُخرج عليه فقد ذكره المحدّثون، ورواه أهل السِّيَر، وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب، وهو من رجال الحديث ومن الثقات المأمونين، وقد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثرة، فأمّا الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة عليها السلام، وأنّه ضربها بالسوط، فصار في عضدها كالدملج، وبقي أثره إلى أن ماتت، وأنّ عمر أضغطها بين الباب والجدار، فصاحت: يا أبتاه يا رسول الله! وألقت جنيناً ميتاً، وجُعل في عنق علي عليه السلام حبل يقاد به وهو يعتل، وفاطمة خلفه تصرخ وتنادي بالويل والثبور، وابناه حسن وحسين معهما يبكيان... فكلّه لا أصل له عند

---

(١) الملل والنحل ١/ ٥٧.

أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث، ولا يعرفونه، وإنّما هو شيء تنفرد الشّيعة بنقله[(١)].

٥-أحمد بن محمد الهيتمي المعروف بابن حجر المكي (توفي ٩٧٤هـ):

قال في كتابه (الصواعق المحرقة) مشنِّعاً على الشيعة: وقد تأمّلت كلماتهم فرأيت قوماً أعمى الهوى بصائرهم، فلم يبالوا بما ترتّب على مقالاتهم من المفاسد، ألا ترى إلى قولهم: «إن عمر قاد عليًّا بحمائل سيفه، وحصر فاطمة، فهابت فأسقطت ولداً اسمه المحسن»، فقصدوا بهذه الفرية القبيحة، والغباوة التي أورثتهم العار والبوار والفضيحة، إيغار الصدور على عمر، ولم يبالوا بما يترتّب على ذلك من نسبة علي رضي الله عنه إلى الذلّ والعجز والخور[(٢)].

فهؤلاء خمسة من كبار علماء أهل السنة والجماعة في عصور مختلفة، نسبوا إلى الشيعة الاعتقاد بصحّة هذه الحادثة، ممّا يؤكّد إجماع الشيعة على ذلك قديماً وحديثاً، وأنهم تلقّوه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعن ثقات أصحابهم.

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢/ ٦٠.

(٢) الصواعق المحرقة: ٥٢. لا يخفى أن لزوم الذلّ والعجز بسبب كثرة الأعداء وقلّة الأنصار قد حصل لكثير من الأنبياء عليهم السلام، فإن لوطاً عليه السلام قال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، وقال نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ٩، ١٠]، وفي القرآن نماذج أخرى غير ذلك.

شبهات وردود

أثيرت حول قضية الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام عدّة إشكالات، الغرض منها هو التشكيك في أصل وقوع هذه القضية التي بذل بعضهم غاية جهده لإبطالها!

١- عدم وجود أسانيد صحيحة!

زعم بعضهم أنّ قضية ضرب الزهراء عليها السلام وكسر ضلعها وإسقاط جنينها غير ثابتة؛ وذلك لعدم وجود روايات صحيحة من جهة السند تثبت وقوع هذه الحادثة.

والجواب:

أوّلاً: صحّة أسانيد بعض الروايات:

هذا الإشكال يدلّ على قلّة الاطّلاع على روايات أهل البيت عليهم السلام، ويكشف عن شدّة الضعف في معرفة المباني الرجالية، ونحن قد أشرنا فيما تقدّم إلى صحّة جملة من الروايات التي تنصّ بصراحة على حصول هذا الجرم العظيم:

نذكر منها على سبيل المثال:

١- رواية أبي الفتح الكراجكي رضي الله عنه في كتابه (كنز الفوائد)، التي تقدّمت برقم (١٥).

٢- رواية ابن جرير الطبري رضي الله عنه في كتابه (دلائل الإمامة)، التي

تقدّمت برقم (١٧).

٣- رواية السيّد ابن طاووس رضي الله عنه في كتابه (مهج الدعوات)، التي تقدّمت برقم (١٩).

فهذه الروايات صحيحة على كلّ المباني الرجالية المتداولة الآن في الحوزات العلمية، كما أنّ جملة من الروايات المتبقية التي أشرنا لها هي صحيحة على بعض المباني.

ثانياً: خطأ منهجي في التعامل مع الروايات التاريخية:

المنهج الصحيح لتناول مثل هذه القضايا هو النظر إلى مجموع الروايات لا مناقشة الروايات كلّ على حدة، إذ أنّ الروايات أو الأحداث التي ادّعي تواترها لا تبحث بهذه الصورة أي بمناقشة أفراد طرقها، فإنّ هذا المنهج غير صحيح بل هو مجانب للمنهج العلمي؛ لأنّنا إذا أردنا مناقشة أي حادثة إثباتاً أو نفياً فعلينا أن ننظر إلى كلّ تفاصيلها، وأن نجمع كلّ الشواهد والقرائن المتعلّقة بتلك الحادثة، ثمّ يكون الحكم على المجموع، لا على كلّ جزء على حدة.

ومن المقرَّر في علم الأصول أنّ تراكم الظنون قد يفضي إلى اليقين، وهو ما عنونه المتأخرون بحساب الاحتمالات، وفسّروا به كيفية حصول العِلْم من التواتر، وبيانه موكول إلى محلّه.

وبما أنّنا ندّعي تواتر قضية الزهراء عليها السلام، من التجمهر حول دارها، واقتحام بيتها، والاعتداء عليها بالضرب، وإسقاط جنينها، فإنّ من يريد مناقشة القضية عليه أن يبطل دعوى التواتر، لا أن يناقش سند كل خبر على حدة، فيعامل الخبر المتواتر معاملة خبر الواحد.

ثالثاً: الصحّة بمجموع الطرق:

لو تنزّلنا لهؤلاء جدلاً وسلّمنا لهم أنّ الروايات بمجموعها لا تصل إلى حدّ التواتر، وأنّ كلّ أسانيدها ضعيفة، فإن الكلام يبقى في الإستفاضة، وهو أنّ مجموع هذه الروايات التي تزيد عن (٢٠) يورث الاطمئنان.

وهذا المنهج قد اتّبعه أساطين الشيعة عبر التاريخ وكذلك حفّاظ ومحدّثو أهل السنة والجماعة:

أمّا عند الشيعة فنأخذ على سبيل المثال السيّد الخوئي قدس سره الذي يُعتبر من منظِّري مدرسة الوثوق المُخْبِري (أي وثاقة رجال السند)، فإنه في أكثر من مورد في معجمه يعتمد بعض الروايات الضعيفة سنداً لاعتضاد بعضها ببعض:

قال في ترجمة الشهيد زيد بن علي رضي الله عنه: **إنّ استفاضة الروايات أغنتنا عن النظر في إسنادها وإن كانت جلّها بل كلّها ضعيفة أو قابلة للمناقشة،** على أن في ما ذكرناه أولاً غنى وكفاية، ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع كتابَيْ: الأمالي والعيون للصدوق قدس سره[(١)].

وقال في ترجمة الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنه: ونحن وإن لم نظفر برواية صحيحة مادحة، **وجميع ما رأيناه من الروايات في إسنادها ضعف، إلّا أنّ استفاضتها أغنتنا عن النظر في إسنادها،** فمن المطمأن به صدور بعض هذه الروايات عن المعصومين إجمالاً وغيرهما[(٢)].

فقد قال في ترجمة الصحابي عمرو بن الحمق الخزاعي رضي الله عنه: إنّ ما

---

(١) معجم رجال الحديث ٨/ ٣٦٠.

(٢) معجم رجال الحديث ١١/ ٢٥٠.

تقدم من الروايات **وإن كانت كلّها ضعيفة السند، إلّا أنها مستفيضة**، على أن جلالة عمرو بن الحمق من الواضحات التي لا يعتريها شكّ، مضافاً إلى أن شهادة البرقي على أنه كان من شرطة الخميس فيها كفاية[(١)].

أمّا عند أهل السنّة والجماعة فقد تقرّر في علم المصطلح عندهم أنّ الحديث وإن كان ضعيفاً فإنّه يتقوّى بكثرة الطرق، ويرتقي إلى درجة الصحّة، وإليك بعض كلماتهم:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: وفي رواية هذا الحديث من لا يُعرف حاله، إلّا أنّ كثرة الطرق إذا اختلفت المخارج تزيد المتن قوة[(٢)].

وقال النووي في المجموع: وإن كانت أسانيد مفرداتها ضعيفة، فمجموعها يقوّي بعضه بعضاً، ويصير الحديث حسناً، ويُحتجّ به[(٣)].

وقال السيوطي عند تخريجه لأحد الأحاديث: فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضا[(٤)].

وقال بدر الدين العيني عند الإحتجاج على مختاره في عدد أيام الحيض: قد شهد لمذهبنا عدّة أحاديث من الصحابة بطرق مختلفة كثيرة يقوّي بعضها بعضاً، وإن كان كل واحد ضعيفاً، لكن يحدث عند الإجتماع ما لا يحدث عند الإنفراد[(٥)].

---

(١) معجم رجال الحديث ١٤/ ١٠٠.

(٢) القول المسدد: ٦٢.

(٣) المجموع ٧/ ١٩٧.

(٤) لباب النقول: ٨١.

(٥) عمدة القاري ٣/ ٣٠٧.

وقال الألباني: وجملة القول: أنّ الحديث طرقه كلها لا تخلو من ضعف، ولكنّه ضعف يسير، إذ ليس في شيء منها من اتّهم بكذب، وإنّما العلة الإرسال أو سوء الحفظ، ومن المقرَّر في (علم المصطلح) أنّ الطرق يقوّي بعضها بعضاً إذا لم يكن فيها متّهم كما قرّره النووي في تقريبه، ثم السيوطي في شرحه، وعليه فالنفس تطمئن لصحة هذا الحديث، لا سيما وقد احتجّ به إمام السنة أحمد بن حنبل كما سبق، وصحّحه أيضاً صاحبه الإمام إسحاق بن راهويه[1].

بل نجد أنّ ابن تيمية يؤصل إلى أنّ ما اشتهر في كتب السيرة وشاع في كتب أقطابها هو في أعلى درجات الصحة: ومثل هذا مما يشتهر عند هؤلاء مثل الزهري وابن عقبة وابن إسحاق والواقدي والأموي وغيرهم وأكثرهم ما فيه أنه مرسل والمرسل إذا روي من جهات مختلفة ولا سيما ممّن له عناية بهذا الأمر و يتبع له و كان كالمسند بل بعض ما يشتهر عند أهل المغازي و يستفيض أقوى مما يروى بالإسناد الواحد[2].

والنتيجة: أنّ هذا المنهج متّفق عليه بين المسلمين كافّة، ولا خلاف فيه بينهم، وعليه فمجموع هذه الروايات تورث الإطمئنان على أقلّ التقادير إن لم يورّث مجموعها العلم.

رابعاً: سند الخبر التاريخي:

تقدّم في أوّل الكتاب أنّ مناقشة الأسانيد طبقاً للتقسيم الرباعي المعروف لا يكون إلّا في الروايات التي تحوي أحكاماً شرعية إلزامية، أمّا

---

(١) إرواء الغليل ١/ ١٦٠.

(٢) الصارم المسلول ١/ ١٤٧.

غيرها لاسيما الأخبار التاريخية فلا يُشترط فيها ذلك.

وعليه فلا قيمة لهذا الإشكال أساساً من ناحية علمية؛ لأنّه يكشف عن عدم معرفة طارحه بأساليب البحث العلمي، ورغم هذا جئنا بروايات صحيحة لقطع دابر كلّ من يثير مثل هذه السفاسف.

٢- انفراد كتاب سليم:

من الأمور التي اتُّخذت مطعناً في قضية الزهراء عليها السلام والهجوم على دارها دعوى انحصار نقل تفاصيل هذه القضية في كتاب سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه، وحيث أنّ هذا الكتاب لم يثبت لضعف سنده، فإنّ قضية الضرب وكسر الضلع وإسقاط الجنين كذلك لم تثبت تبعاً للكتاب.

والجواب:

أولاً: كتاب سليم معتبر:

إنّ كتاب سليم بن قيس الهلالي من الكتب المعتبرة، ومن الوثائق التاريخية المهمّة جدًّا، التي أرّخت بأمانة لفترة ما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وكلّ ما قيل من الطعون في هذا الكتاب غير تام، وقد جعلت من ملاحق كتابي هذا بحثاً مفصّلاً حول اعتبار كتاب سليم، وردّ الطعون التي قيلت فيه، فراجعه[١].

ثانياً: كتاب سليم لم ينفرد بأي تفصيل:

إنّ كتاب سليم لم ينفرد بذكر أي شيء يتعلّق بمصيبة الزهراء عليها السلام لم يُذكر في المصادر المعتبرة الأخرى، ولم يذكر شيئاً مخالفاً لما نُقل في غيره من

---

(١) راجع (ملحق٢).

الكتب المعتبرة حول خصوص هذه القضية.

وقد ذكر العلامة المامقاني قدس سره هذا المعنى في كتاب (تنقيح المقال)، حيث قال: وإنّي أسأل الله تعالى شأنه أن يوفّقني لتخريج روايات أصل سليم بلفظها أو بمضامينها من طرق صحيحة مستفيضة، وإثبات أنّ روايات المترجَم ليست ممّا تفرّد بها، ومن الله أستمدّ العون والتوفيق[١].

وقد تقدّم ذكر الروايات من كتب العلماء الأقدمين الذين نقلوا الحادثة بالأسانيد المعتبرة، وهم:

١- الشيخ فرات بن إبراهيم الكوفي رحمه الله (القرن الثالث) في تفسيره المعروف بتفسير فرات الكوفي.

٢- الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق رضي الله عنه (المتوفى سنة ٣٨١هـ) في كتابه (الأمالي).

٣- الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه رضي الله عنه (المتوفى سنة ٣٦٨هـ) في كتابه (كامل الزيارات).

٤- الشيخ محمد بن مسعود العياشي رضي الله عنه (المتوفى سنة ٣٢٩هـ) في تفسيره المعروف بتفسير العياشي.

٥- الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد رضي الله عنه (المتوفى سنة ٤١٣هـ) في كتاب (الاختصاص).

٦- الشيخ أبو الفتح الكراجكي رضي الله عنه (المتوفى سنة ٤٤٩هـ) في كتابه (كنز الفوائد).

---

(١) تنقيح المقال ٣٢/ ٤٣٥.

٧- محمد بن جرير الطبري الصغير رضي الله عنه (من أعلام القرن الخامس) في كتاب (دلائل الإمامة).

٨- ابن شهر آشوب المازندراني رضي الله عنه (المتوفى سنة ٥٨٨هـ) في كتابه (مثالب النواصب).

٩- الشيخ أحمد بن علي الطبرسي رضي الله عنه (المتوفى سنة ٦٢٠هـ) في كتابه (الاحتجاج).

١٠- السيد رضي الدين ابن طاووس رضي الله عنه (المتوفى سنة ٦٦٤هـ) في كتابه (مهج الدعوات).

فهذه عشرة كاملة من المصادر الروائية المعتمدة عند الطائفة، والتي تسالم الأعلام على اعتبارها وعلى جلالة مؤلّفيها، نقلت لنا ما جرى على سيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو كافٍ في ردّ دعوى انفراد كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه بنقل الحادثة.

هذا مع أنّ الانفراد بنقل حادثة لا يدلّ على كذبها إذا كان الناقل لها ثقة متحرّزاً عن الكذب، وكثير من الحوادث التاريخية وغيرها انفرد بنقلها أفراد، ومع ذلك ربما لا يشك أحد في اعتبارها وعدم الطعن فيها.

مضافاً إلى أن جميع الحوادث التي نقلها سليم بن قيس رضي الله عنه روى أهل السنة ما يوافقها أو يؤيّدها، وقد نقلنا جملة من تلك الروايات عن بعض مصادر أهل السنة، فراجعها.

٣- عدم رواية المخالفين للقضية:

ذكر بعضهم أنّه لو حصلت هذه القضية لاشتهرت بين الناس،

ولتداولها مجتمع الصحابة في ذلك الوقت؛ وذلك لتوفّر الدواعي لنقلها، خصوصاً أنّ الزهراء عليها السلام كانت امرأة مميَّزة في ذلك المجتمع، فهي ابنة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله الوحيدة، وهي سيّدة نساء العالمين التي حازت من الفضائل والمناقب ما لم يحزه غيرها.

والجواب:

أولاً: تحرير محل النزاع:

لا بدّ من التنبّه إلى أنّ المخالفين لم ينكروا أصل قضية الزهراء عليها السلام، بل غاية ما في الأمر أنّهم أنكروا بعض تفاصيلها، فقد أثبتوا في كتبهم تجمهر الأعداء عند البيت العلوي وتهديد أهله بالإحراق، وكذلك اقتحام البيت كما تقدّم، بل رووا أنّ الزهراء عليها السلام هجرت القوم، وماتت غاضبة ساخطة عليهم، وأوصت أن تدفن بالليل، وكلّ هذه قرائن على عظم ما جرى عليها.

فإذن المقدار الذي ليس له وجود في كتبهم هو قضية ضرب الزهراء عليها السلام، وإسقاط المحسن عليه السلام، والذي أثبتوه ليس أقل من الهجوم والاقتحام!

بل نحن في مقام إدانة الطرف الآخر يكفينا فقط إثبات أنّها عليها السلام قد غضبت عليهم، وماتت وهي ساخطة عليهم؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله رتّب كلّ الأثر على مجرّد الغضب، فقال صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني[١].

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢١٠.

ثانياً: الدافع مفقود، والمانع موجود:

لنقل أيّ خبر من الأخبار لا بدّ من توفّر شرطين لنقله، هما:

١- وجود المقتضي الداعي لنقل الخبر.

٢- عدم المانع من نقل الخبر.

ومن هنا نجد أنّ كثيراً من الأمور المتعلقة بسيرة النبي صلى الله عليه وآله لم تنقلها كتب التاريخ، كأغلب خطبه صلى الله عليه وآله، وأحداث حياته اليومية، وما نقل منها لعلّه لا يبلغ عشر معشارها، وكل ما دُوِّن في الكتب، وتداوله الصحابة ومن جاء بعدهم من الرواة، قد توفّرت الدواعي لنقله؛ لأنه كان أمراً مهمًّا، ولم يكن أمراً معتاداً (روتينيًّا)، ولم يكن هناك مانع من نقله، وكذلك الأحداث التي تحصل في العالم في هذا العصر، وتتداولها الفضائيات الإخبارية، فإنها لا تنقل إلّا إذا كان فيها مقتضٍ لنقلها، ولم يكن هناك مانع كقوانين البث وسلطة الحكومات ونحو ذلك.

وإذا جئنا إلى قضية الزهراء عليها السلام نجد أنّ دوافع نقلها كانت موجودة عند الشيعة؛ لأنّها ظلامة وقعت على سيّدة نساء العالمين عليها السلام التي يجب على الأمّة محبّتها، ونصرتها، ويحرم عليهم إيذاؤها وظلمها، وأقل ما يمكن به نصرتها سلام الله عليها بيان تلك الظلامة، وتخطئة من أساء إليها.

مضافاً إلى ذلك فإن الشيعة يثبتون بهذه القضية عقيدتهم، وصدق ما يذهبون إليه في النبوة والإمامة وما يتعلّق بالصحابة، ولا مانع في البين، فالدافع بالنسبة لهم موجود، والمانع مفقود.

أمّا بالنسبة لأهل السنة والجماعة فالدافع مفقود بالنسبة إليهم، والمانع موجود؛ وذلك لأنّ هذه القضية تهدم كلّ شيء يعتقدون به،

كخلافة الثلاثة وعدالتهم، بل والقول بعدالة كلّ الصحابة، هي العقيدة التي قام عليها مذهبهم، واستبيحت بها دماء الشيعة.

أمّا المانع فهو أن رواية مثل هذه الأمور تفضي إلى الطعن في الراوي وتسقيطه في المجتمع في ذلك العصر، إذ أنّ القوم يحكمون على الراوي من خلال مروياته، عكس سيرة العقلاء القاضية بالحكم على الروايات من خلال معرفة صدق الراوي.

فمن يروي عندهم فضائل أهل بيت العصمة عليهم السلام يُتّهم في دينه، ويُنسب للتشيع، وهذا سبب كافٍ عندهم لرد جميع رواياته؛ لأنها حينئذ ستدخل تحت قاعدة: (ردّ رواية المبتدع إذا روى ما يقوِّي بدعته)، وهذه القاعدة وضعها إبراهيم الجوزجاني الناصبي لردّ روايات أهل البيت عليهم السلام، وفي هذا يقول المعلمي اليماني: والجوزجاني فيه نَصْب، وهو مولع بالطعن في المتشيِّعين كما مرّ، ويظهر أنه إنما يرمي بكلامه هذا إليهم، فإن في الكوفيّين المنسوبين إلى التشيّع جماعة أجلّة اتّفق أئمة السُّنّة على توثيقهم، وحسن الثناء عليهم، وقبول روايتهم، وتفضيلهم على كثير من الثقات الذين لم يُنسبوا إلى التشيّع، حتى قيل لشعبة: حدِّثْنا عن ثقات أصحابك. فقال: إن حدّثتكم عن ثقات أصحابي فإنما أحدّثكم عن نفر يسير من هذه الشيعة، الحكم بن عتيبة، وسلمة بن كهيل، وحبيب بن أبي ثابت، ومنصور. راجع تراجم هؤلاء في (تهذيب التهذيب)، فكأنّ الجوزجاني لما علم أنه لا سبيل إلى الطعن في هؤلاء وأمثالهم مطلقاً حاول أن يتخلّص مما يكرهه من مروياتهم، وهو ما يتعلق بفضائل أهل البيت[١].

---

(١) التنكيل ١/ ١٢٤.

وهذه بعض الأمثلة للطعن في من روى أحاديث الفضائل:

فقد نقل الحاكم في (المستدرك) قصّة طعنهم في أبي الأزهر النيسابوري؛ لأنّه حدّث بمنقبة لأمير المؤمنين عليه السلام: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي فقال: «يا علي أنت سيِّد في الدنيا، سيِّد في الآخرة، حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله، والويل لمن أبغضك بعدي...»، ثم قال: سمعت أبا عبد الله القرشي يقول: سمعت أحمد بن يحيى الحلواني يقول: لما ورد أبو الأزهر من صنعاء، وذاكر أهل بغداد بهذا الحديث، أنكره يحيى بن معين، فلما كان يوم مجلسه قال في آخر المجلس: أين هذا الكذّاب النيسابوري الذي يذكر عن عبد الرزاق هذا الحديث؟ فقام أبو الأزهر فقال: هو ذا أنا. فضحك يحيى بن معين من قوله وقيامه في المجلس، فقرَّبه وأدناه[١].

فانظروا كيف طعن يحيى بن معين في أبي الأزهر النيسابوري رغم أنّه لا يعرف من هو، فقط كان طعنه لأجل أنّه لم يستمرئ الرواية، ولم يقبلها قلبه الذي امتلأ بحب أعداء أمير المؤمنين عليه السلام!

ومنها: طعنهم في ابن السقّا نتيجة روايته لحديث الطير المعروف، بل والاعتداء عليه، قال الذهبي: واتّفق أنه أملى حديث الطير، فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا به، وأقاموه، وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته، فكان لا يحدِّث أحداً من الواسطيين، فلهذا قلّ حديثه عندهم[٢].

علماً أنّه كان زعيمهم وعالمهم قبل أن يحدّث بهذا الحديث، لكن

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٢٨.

(٢) تذكرة الحفاظ ٢/ ٩٦٦.

القلوب وما تحمل من حقد!

ومنها: تضعيفهم لعبد السلام بن صالح المعروف بأبي الصلت الهروي، فقط لأنّه روى حديث: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»، وقد نقل الخطيب البغدادي صورة من تحاملهم على الرجل بسبب هذه الرواية، فقال: سمعت العباس بن محمد الدوري يقول: سمعت يحيى بن معين يوثّق أبا الصلت عبد السلام بن صالح، فقلت - أو قيل له -: إنّه حدّث عن أبي معاوية عن الأعمش «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»! فقال: ما تريدون من هذا المسكين؟! أليس قد حدّث به محمد بن جعفر الفيدي عن أبي معاوية، هذا أو نحوه[(١)].

بل وصل الأمر بهم إلى جلد من يحدّث بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام، بل قتله!

فقد نقل لنا الخطيب البغدادي ما صنعه المتوكّل العبّاسي بنصر بن علي؛ لأنّه حدّث بفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام، فقال:...أخبرني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي، حدّثني أخي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين، قال: «من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة«؛ قال أبو عبد الرحمن عبد الله :لما حدّث بهذا الحديث نصر بن علي أمر المتوكّل بضربه ألف سوط، وكلّمه جعفر بن عبد الواحد، وجعل يقول له: «هذا الرجل من أهل السنة»، ولم يزل به حتى تركه، وكان له أرزاق فوفّرها عليه موسى. قلت:

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ١٥.

إنما أمر المتوكّل بضربه لأنه ظنه رافضيًّا، فلما علم أنه من أهل السنة تركه[١].

وذكر الذهبي ما فعله المتوكّل أيضاً بابن السكيت رضي الله عنه، حيث قال: ويروى أن المتوكل نظر إلى ابنيه المعتز والمؤيَّد، فقال لابن السكيت: من أحبُّ إليك: هما، أو الحسن والحسين؟ فقال: بل قنبر. فأمر الأتراك، فداسوا بطنه، فمات بعد يوم، وقيل: حُمل ميتاً في بساط، وكان في المتوكّل نصب، نسأل الله العفو[٢].

ونقل لنا أيضاً ما جرى لمحمد بن يحيى الصولي بسبب نقله لفضائل الأمير عليه السلام، فقال: توفي بالبصرة مستتراً؛ لأنه روى خبراً في حقّ علي عليه السلام، فطلبته العامّة لتقتله[٣].

فإذا كان هذا ما يواجهه من يروي فضائل أهل البيت عليهم السلام فكيف هو الحال بمن يروي مثالب أعدائهم الذين لهم حصانة كبيرة عند القوم، والذين رفعوهم إلى مصاف الأنبياء، وصار الطاعن فيهم محكوماً عليه بالزندقة ومستحقاً للقتل؟!

وقد نقل لنا المؤرّخون أيضاً بعض الصور التي تبيّن لنا عظم الهجمة الشرسة التي يواجهها كل من يحاول الاقتراب من هذه الخطوط الحمراء التي وضعها سلاطين الجور:

فمن هذه الصور ما جرى للحافظ النسائي إمام الجرح والتعديل

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٠٢.

وصاحب السنن المعروف عند أهل السنة والجماعة، الذي امتنع عن ذكر فضائل معاوية، ولمّح إلى عدم وجود فضائل له، فكان جزاؤه القتل.

قال المزّي في التهذيب: فسُئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، فقال: أخرجوني إلى مكة. فأخرجوه إلى مكة وهو عليل، وتوفي بها مقتولا شهيدا(١).

قال ابن خلكان: قال محمد بن إسحاق الأصبهاني: سمعت مشايخنا بمصر يقولون: إن أبا عبد الرحمن [يعني الحافظ النسائي] فارق مصر في آخر عمره، وخرج إلى دمشق، فسُئل عن معاوية وما رُوي من فضائله، فقال: أَمَا يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس، حتى يفضل؟! وفي رواية أخرى: ما أعرف له فضيلة إلا «لا أشبع الله بطنك». وكان يتشيّع، فمازالوا يدفعون في حضنه حتى أخرجوه من المسجد، وفي روية أخرى: يدفعون في خصييه وداسوه، ثم حُمل إلى الرملة، فمات بها.

وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني: لما امتُحن النسائي بدمشق، قال: احملوني إلى مكة. فحُمل إليها، فتوفي بها، وهو مدفون بين الصفا والمروة. وكانت وفاته في شعبان من سنة ثلاث وثلثمائة.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول، قال: وكان قد صنَّف كتاب (الخصائص) في فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأهل البيت، وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى. فقيل له: ألا تصنف كتاباً في فضائل الصحابة رضي الله عنهم؟ فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن علي رضي الله عنه كثير، فأردت أن يهديهم الله

---

(١) تهذيب الكمال ١/ ٣٣٩.

تعالى بهذا الكتاب[١].

فإذا كان مجرّد عدم ذكر فضائل معاوية بن أبي سفيان والامتناع عن مدحه جزاؤه الضرب والقتل، فكيف بذكر بمثالب من سبقوه تصريحاً؟

ولذلك نجد أنّ أعظم مثالب النظّام المعتزلي هو أنّه كان يعتقد بقضية الزهراء عليها السلام.

قال الشهرستاني: وزاد في الفرية فقال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: «أحرقوا دارها بمن فيها»، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين[٢].

وأفضل شاهد على هذا هو ما ذكروه في ترجمة ابن أبي دارم الذي أشبعوه مدحاً وثناء في طيلة حياته، لكنّهم طعنوا فيه للسبب التالي.

قال الذهبي: كان مستقيم الأمر عامة دهره، ثم في آخر أيامه كان أكثر ما يُقرأ عليه المثالب، حضرته ورجل يقرأ عليه: إنّ عمر رفس فاطمة حتى أسقطت بمحسن[٣].

فالرجل لم يعتقد بقضية الزهراء عليها السلام ولم يروها أصلاً، ولم يقرأها على أحد، بل غاية ما في الأمر أنّها قُرئت عليه من رجل لم يُذكر اسمه، فلم ينكر ذلك، ولعلّ عدم إنكاره لسبب يُعذَر به، فكان عقابه أن ضُعّف، ووُسم بالكذب!

فإذا كان القوم هذا منهجهم في التعامل مع كل ما فيه قدح للخلفاء

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٧٧.

(٢) الملل والنحل ١/ ٥٧.

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ١٣٩.

السابقين، فكيف يمكن لناقل أن ينقل مصيبة الزهراء عليها السلام بكلّ تفاصيلها حتى لو كانت صحيحة عنده؟

ثالثاً: سعي المخالفين لإخفاء الحقائق:

نحن لا نسلّم أساساً بعدم نقل أهل السنة والجماعة لهذه الحادثة، بل غاية ما يمكن قوله هو عدم وجود بعض تفاصيل الحادثة الآن في كتبهم، وإلّا فمن المطمأن به أنّ هذه القضية نُقلت في الكتب، لكن الأيادي الخائنة تلاعبت بهذه الكتب، وعبثت بتلك الروايات بحيث لم يصل لنا إلّا هذا الفتات.

لقد ابتدع القوم قاعدة: (وجوب الإمساك عمّا شجر بين الصحابة) من أجل إخفاء كلّ الأحداث القبيحة التي وقعت بين الصحابة، وقد حكم الذهبي بإعدام كل الروايات التي احتوت هذه المضامين، فقال: كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية لا يُلتفت إليه، بل يُطوى ولا يُروى، كما تقرّر عن الكفّ عن كثير ممّا شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمرّ بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، **فينبغي طيّه وإخفاؤه، بل إعدامه؛ لتصفو القلوب وتتوفّر على حبّ الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعيّن عن العامّة وآحاد العلماء**، وقد يرخّص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العريّ من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم، كما علّمنا الله تعالى[(١)].

وقد طبّق أصحاب أحمد بن حنبل هذه القاعدة، فأتلفوا الكثير

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٢.

من الكتب والأحاديث التي أرّخت لهذه الفترة، وقد نقل الخلال ما يدلّ على ذلك، فقال: جاء سلام بن أبي مطيع إلى أبي عوانة، فقال: هات هذه البدع التي قد جئتنا بها من الكوفة. قال: فأخرج إليه أبو عوانة كتبه، فألقاها في التنور، فسألت خالداً: ما كان فيها؟ قال: حديث الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استقيموا لقريش»، وأشباهه، قلت لخالد: وأيش؟ قال: حديث علي: «أنا قسيم النار»، قلت لخالد: حدَّثكم به أبو عوانة، عن الأعمش؟ قال: نعم. وأخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: سمعت أبي يقول: سلام بن أبي مطيع من الثقات من أصحاب أيوب، وكان رجلاً صالحاً، حدّثنا عنه عبد الرحمن بن مهدي، ثم قال أبي: كان أبو عوانة وضع كتاباً فيه معايب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه بلايا، فجاء إليه سلام بن أبي مطيع، فقال: يا أبا عوانة، أعطني ذلك الكتاب. فأعطاه، **فأخذه سلام فأحرقه**[1].

فمع وجود هذه الرقابة الشديدة من كبار حفاظ الحديث خصوصاً في موضوع الفتن التي وقعت بين الصحابة، كيف يُتصوَّر أن تصل إلينا مصيبة الزهراء عليها السلام بكلّ تفاصيلها؟!

بل حتّى المقدار الذي نقلوه في كتبهم قد حاولوا طمسه بشتّى الطرق، وقد تقدّم ذكر نماذج من تلاعبهم بالروايات كما في رواية التهديد التي ذكرها ابن أبي شيبة، ورواية ندم الخليفة الأول التي نقلها الطبراني في المعجم الكبير، وإنكارهم أن كتاب (الإمامة والسياسة) المشتمل على بعض تلك المصائب من مؤلّفات ابن قتيبة الدينوري.

---

(١) السنة ١/ ٣٦٢.

والأعظم من ذلك ما فعلوه بكتاب (المعارف) لابن قتيبة من التحريف والتشويه:

فقد نقل عنه غير واحد أن محسناً مات من دفع قنفذ فاطمة عليها السلام دفعاً شديداً.

قال ابن شهر آشوب في مناقبه: وأولادها: الحسن، والحسين، والمحسن سقط، وفي معارف القتيبي: أنّ محسناً فسد من زخم[١] قنفذ العدوي[٢].

وقال الحسين بن جبر في كتابه (نخب مناقب آل أبي طالب): وأولادها: الحسن، والحسين، والمحسن سقط، وزينب، وأم كلثوم، وفي معارف القتيبي أنّ محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي[٣].

وقال الكنجي الشافعي: وزاد على الجمهور، وقال: إن فاطمة عليها السلام أسقطت بعد النبي ذَكَراً، كان سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً، وهذا شيء لم يوجد عند أحد من أهل النقل إلا عند ابن قتيبة[٤].

لكن عندما نرجع إلى كتاب (المعارف) لابن قتيبة المطبوع والمتداول في هذه الأيام، لا نجد لهذه العبارة عيناً ولا أثراً، بل نجد أنّها تحوّلت بقدرة

---

(١) الزخم: الدّفع الشَّديد.

(٢) المناقب ٢/ ١٣٣.

(٣) نخب المناقب ٢/ ٥٨٥، ذكر المصنّف في أوّل الكتاب طريقه إلى كتاب المعارف لابن قتيبة، وهذا يجعلنا نطمئنّ لنقله: إسناد المعارف:... الكرماني عن أبيه عن جدّه عن محمد بن يعقوب عن أبي بكر المالكي عن عبد الله بن مسلم بن قتيبة.

(٤) كفاية الطالب: ٤٢٣.

قادر إلى: وأما (محسّن بن عليّ) فهلك وهو صغير[١].

وبعد هذا العرض السريع يحقّ لنا أن نتساءل:

كم من الكتب أُتلفت؟

وكم من الروايات حُرِّفت؟

وكم من الحقائق أخفيت؟

رابعاً: الفرق الإسلامية نقلت التفاصيل:

المفروض أن يُعكس السؤال على صاحب الإشكال، ويقال له: لماذا لم يرو أهل السنة والجماعة هذه الحادثة، والحال أنّها بلغت من الشهرة والاستفاضة بل والتواتر ما قد رأيت؟

فإن فرق المسلمين المشهورة قد روتها، وصدّقت بها، ولم تشكّك فيها كما شكّك فيها أهل السنة والجماعة:

فقد صدّق بالقضية بعض المعتزلة، مثل شيخهم النظّام كما نقل ذلك الشهرستاني، قال: وزاد في الفرية فقال: **إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها،** وكان يصيح: «أحرقوا دارها بمن فيها»، وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين[٢].

كما نقل بعض الزيدية هذه الحادثة في كتبهم، ودونك الهادي إلى الحق

(١) المعارف: ٢١١، تجدر الإشارة أنّ السيد محمد مهدي الخرسان حفظه الله قد جعل ملحقاً لكتابه (المحسن السبط) أسماه (كتاب المعارف لابن قتيبة وما لحقه من تحريف وتخريف)، استقصى فيه الكثير من الموارد التي وقع فيها التلاعب بالكتاب.

(٢) الملل والنحل ١/ ٥٧.

يحيى بن الحسين[1] الذي قال في كتابه (تثبيت الإمامة): وأين الاجماع؟ وبنو هاشم - إليهم يرجع الشرف والذكر والقول في الجاهلية والاسلام - لم يبايع منهم أحد، ولم يشهدوا، ولم يشاوَروا؟! وأمير المؤمنين علي عليه السلام لازم بيته، قد أبى أن يخرج معهم، وأبي أن يحضر، وقد أرسلوا إليه ثلاثة رسل، رسولاً بعد رسول: أن اخرج، فبايع خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، فردّ عليهم: ما كان أسرع ما كذبتم على رسول الله. ثم عاد الرسول ثانية، فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: يا سبحان الله! ما أجرأ من تسمّى بما ليس له!؟ ثم رجع إليه ثالثة، فقال: أجب أبا بكر، فقد أجمع عليه المسلمون وبايعوه، فبايعه أنت، وادخل في ما دخل فيه الناس! فقال أبو بكر لعمر: انهض في جماعة، واكسر باب هذا الرجل، وجئنا به يدخل في ما دخل فيه الناس. فنهض عمر ومن معه إلى باب علي عليه السلام، فدقّوا الباب، **فدافعته فاطمة صلوات الله عليها، فدفعها، وطرحها**، فصاحت: يا عمر أحرجك بحرج الله أن لا تدخل عليَّ بيتي، فإني مكشوفة الشعر مبتذلة. فقال لها: خذي ثوبك، فقالت: ما لي ولك؟ ثم قال لها: خذي ثوبك فإني داخل! فأعادت عليه البتول، فدفعها، ودخل هو وأصحابه، فحالت بينهم وبين البيت الذي فيه علي عليه السلام وهي ترى أنها أوجب عليهم حقًّا من علي عليه السلام؛ لضعفها وقرابتها من رسول الله صلى الله عليه وآله- فوثب إليها خالد بن الوليد، **وضربها بالسوط على عضدها، حتى كان أثره في عضدها مثل الدملج،** وصاحت عند ذلك، فخرج عليهم الزبير بالسيف، فصاح عمر: دونكم

---

(١) من كبار أئمة الزيدية، ولد سنة ٢٤٥هـ، وتوفي سنة ٢٩٨هـ، وهو الذي استقرّ في اليمن، وثبّت وجود الزيدية هناك، وامتد حكمهم إلى منتصف القرن العشرين الميلادي.

الليث! فدخل في صدره عبد الله بن أبي بيعة، فعانقه، وأخذ السيف من يده، وضرب به حتى كسره، فدخلوا البيت، فأخرجوا عليًّا عليه السلام ملبوباً، فتعلق به جماعة منهم حتى انتُهي به إلى أبي بكر[(١)].

وكذلك نقل بعض الإسماعيلية قضية الزهراء عليها السلام وما جرى عليها، ودونكم القاضي النعمان المغربي[(٢)] الذي نظم أرجوزة ضمَّنها ما جرى على فاطمة عليها السلام، فقال:

حتَّى أَتَوا بَابَ البَتُولِ فَاطِمَةْ   وَهْيَ لَهُمْ قَالِيَةٌ مُصَارِمَةْ
فَوَقَفَتْ عَنْ دُونِهِ تَعْذلُهُمْ   فَكَسَرَ البَابَ لَهُمْ أَوَّلُهُمْ
فَاقْتَحَمُوا حِجَابَهَا فَعَوَّلَتْ   **فَضَرَبُوهَا بَيْنَهُمْ فَأَسْقَطَتْ**[(٣)]

فالعجب في الحقيقة ليس ممن روى هذه الحادثة، وإنما كل العجب من الذين لم يذكروا الحادثة رغم شهرتها واستفاضتها في كتب عامة المسلمين.

٤- لماذا لم يتدخّل بقية الصحابة؟

من الإشكالات التي أثارها البعض هو: كيف يعقل أن يهاجَم بيت الزهراء عليها السلام بهذه الوحشية من دون ينكر ذلك أحد من الصحابة الذين عرفوا مقامها وفضلها وقربها من رسول الله صلى الله عليه وآله وبالخصوص بني هاشم؟

---

(١) تثبيت الإمامة: ١٥.

(٢) أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن حيون التميمي المعروف بالقاضي النعمان، توفي سنة ٣٦٣هـ، كان ركنا من أركان الدولة الفاطمية ومشيّدا لدعائم مذهبهم. (للمزيد الأعلام للزركلي ٨/ ٤١)

(٣) الأرجوزة المختارة: ٨٩.

والأهمّ من هذا: كيف يمكن أن يقوم هؤلاء بهذا الانقلاب الكبير - والذي كان الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام حلقة من حلقاته - والحال أنّ هناك كثيراً من الصحابة عرفوا فضل أمير المؤمنين عليه السلام، بل وبايعوه في يوم غدير خم كما هو معروف؟

ولعلّ أوّل من أثار هذه القضية الفضل بن رزبهان[1]، حيث قال: إنّ عيون بني هاشم وأشراف بني عبد مناف وصناديد قريش كانوا مع علي، وهم كانوا في البيت، وعندهم السيوف اليمانية، وإذا بلغ أمرهم إلى أن يحرقوا من في البيت، أتراهم طرحوا الغيرة، وتركوا الحمية رأساً، ولم يخرجوا بالسيوف المسلة، فيقتلوا من قصد إحراقهم بالنار؟[2].

وقال في مورد آخر: إنّ أمراء الأنصار وأكابر الصحابة كانوا مسلّمين منقادين محبّين لرسول الله صلى الله عليه وآله، أتراهم سكتوا ولم يكلّموا أبا بكر في هذا، وإن إحراق أهل بيت النبي لا يجوز ولا يحسن؟[3].

ونجيب على هذه الشبهة بعدّة إجابات:

أولاً: التخطيط المسبق للانقلاب:

من يتتبّع كتب التاريخ يجد أنّ عمليّة إزاحة أهل البيت عليهم السلام والانقلاب عليهم كان أمراً مخطّطاً له من البداية، ولم يكن موقفاً وليد الساعة، بل بدأ التحضير له قبيل سنوات من استشهاد النبي صلى الله عليه وآله !

---

(١) فضل الله بن روزبهان الخنجي الشيرازي الأصفهاني متكلّم أشعري وفقيه شافعي توفي سنة ٩٢٧هـ وعرف بردّه على كتاب العلامة الحلي (نهج الحق).

(٢) دلائل الصدق ٣/ ٨٠.

(٣) دلائل الصدق ٣/ ٨٠.

ويدلّ على هذا حديث الصحيفة المشهور والمستفيض في كتب الأحاديث عند الشيعة:

فقد نقل ثقة الإسلام الكليني رضي الله عنه في كتاب (الكافي) الخبر بسنده: عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، قال: نزلت هذه الآية في فلان وفلان، وأبي عبيدة الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة، حيث كتبوا الكتاب بينهم، وتعاهدوا، وتوافقوا: لئن مضى محمد لا تكون الخلافة في بني هاشم ولا النبوة أبداً، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم هذه الآية، قال: قلت: قوله عز وجل: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، قال: وهاتان الآيتان نزلتا فيهم ذلك اليوم، قال أبو عبد الله عليه السلام: لعلّك ترى أنه كان يوم يشبه يوم كتب الكتاب إلا يوم قتل الحسين عليه السلام، وهكذا كان في سابق علم الله عزّ وجلّ الذي أعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله أن إذا كتب الكتاب قُتل الحسين، وخرج الملك من بني هاشم، فقد كان ذلك كلّه[١].

وقد نصّت الروايات الشريفة أنّ هذه الصحيفة هي التي كانت مقدّمة لما جرى على أهل البيت عليهم السلام كما في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في سقيفة بني ساعدة على المتآمرين، قال: لقد وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي تعاقدتم عليها في الكعبة: إن قتل الله محمداً أو مات لتزونَّ هذا الأمر عنا أهل البيت. فقال أبو بكر: فما علمك بذلك؟ ما أطلعناك عليها! فقال

---

(١) الكافي ٨/ ١٨٠.

عليه السلام: أنت يا زبير وأنت يا سلمان وأنت يا أبا ذر وأنت يا مقداد، أسألكم بالله وبالإسلام، أما سمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك وأنتم تسمعون: إنّ فلاناً وفلاناً - حتّى عدّ هؤلاء الخمسة - قد كتبوا بينهم كتاباً، وتعاهدوا فيه، وتعاقدوا أيماناً على ما صنعوا إن قُتلت أو مت؟ فقالوا: اللهم نعم، قد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك لك: إنهم قد تعاهدوا، وتعاقدوا على ما صنعوا، وكتبوا بينهم كتاباً، إن قُتلت أو متّ أن يتظاهروا عليك، وأن يزووا عنك هذا يا علي[1].

وهذه الصحيفة هي التي أرادها أمير المؤمنين عليه السلام في الحديث المشهور عنه بين الخاصّة والعامّة: ما أحبّ أن ألقى الله بصحيفة أحد، إلّا بصحيفة هذا المسجَّى[2].

فالقوم قد فهموا من الحديث مدحاً للرجل، وذلك لتوهّمهم أنّ الصحيفة المقصودة هي صحيفة أعماله، والحال أنّ الصحيفة المقصودة هي التي كُتبت وعلِّقت في الكعبة، كما بيّن ذلك الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عنها:

فقد روى الشيخ الصدوق رضي الله عنه بسنده: عن مفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن معنى قول أمير المؤمنين صلوات الله عليه لما نظر إلى الثاني وهو مسجّى بثوبه: ما أحد أحبّ إليّ أن ألقى الله بصحيفة من هذا المسجّى. فقال: عنى بها الصحيفة التي كُتبت في الكعبة[3].

---

(١) كتاب سليم: ١٥٥.

(٢) المتمنين: ٨٩.

(٣) معاني الأخبار: ٤١٢.

بل صرّح أمير المؤمنين عليه السلام بهذا كما في كتاب سليم، إذ قال: فقام عند ذلك علي عليه السلام- وغضب من مقالة طلحة -، فأخرج شيئاً قد كان يكتمه، وفسَّر شيئاً قد كان قاله يوم مات عمر لم يدروا ما عنى به ، وأقبل على طلحة - والناس يسمعون - فقال: يا طلحة، أما والله ما من صحيفة ألقى الله بها يوم القيامة أحبّ إليّ من صحيفة هؤلاء الخمسة الذين تعاهدوا على الوفاء بها في الكعبة في حجة الوداع: إن قتل الله محمداً أو مات أن يتوازروا ويتظاهروا عليَّ، فلا أصل إلى الخلافة[١].

فمن خلال هذه الروايات يتبيّن أنّ القوم قد خطّطوا لهذا الفعل مسبقاً، وهذا ما يفسّر خوفهم الشديد يوم الخميس من كتابة رسول الله صلى الله عليه وآله أي شيء قد يكون هادماً لمشروعهم.

وهذا ما استظهره عبد الرحمن بن الجوزي من رزية الخميس، حيث نصّ أنّ النبي صلى الله عليه وآله عزم على النصّ على الخليفة من بعده، قال: اختلف العلماء في الذي أراد أن يكتب لهم على وجهين: أحدهما: أنه **أراد أن ينصّ على الخليفة بعده**، والثاني: أن يكتب كتاباً في الأحكام، يرتفع معه الخلاف، والأول أظهر[٢].

وعليه فإنّ الأمر كان مفاجأة بالنسبة لعامّة الناس، بخلاف هؤلاء الذين استعدّوا جيّداً، وخططوا لمواجهة أي معارضة أو مقاومة ستكون ضدّهم.

---

(١) كتاب سليم: ٢٠٤.

(٢) كشف المشكل ١/ ٤٩٧.

ثانياً: خروج خلّص الصحابة من المدينة

في الأيّام الأخيرة شدّد رسول الله ﷺ على وجوب الإلتحاق بجيش أسامة بن زيد، والمشاركة في جهاد الروم، وقد استجاب خلّص الصحابة لهذا النداء، لاسيما الذين عيّنهم النبي ﷺ بالأسماء، فانضموا إلى هذا المعسكر الذي كان خارج المدينة.

قال ابن سعد في الطبقات: فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده، ثم قال: اغز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله. فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، وعسكر بالجرف، **فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتُدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب**، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وقتادة بن النعمان، وسلمة بن أسلم بن حريش[(١)].

وقد أكدّ ابن كثير على هذا المعنى بقوله: وقد انتُدب **كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار** في جيشه، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب[(٢)].

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة أسامة: استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام، **وفي الجيش عمر والكبار**، فلم يسر حتى توفي رسول الله[(٣)].

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ١٩٠.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ٢٤٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٩٨.

أمّا الذين في قلوبهم شيء، فإنّه عصوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، فطعنوا في إمارة أسامة، بزعم أنّه صغير السن، ورفضوا المبادرة للخروج والانضمام إلى جيشه، وقد نقل لنا البخاري كيف أثاروا بلبلة حول هذا الجيش، في رواية عن عبد الله بن عمر، قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثاً، وأمّر عليهم أسامة بن زيد، **فطعن بعض الناس في إمارته**، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في امارة أبيه من قبل[١].

والعجيب من الشهرستاني صاحب (الملل والنحل) كيف جمع المتناقضات في كلامه حول هذه الحادثة، فمع أنه نقل أنّ النبي صلى الله عليه وآله لعن المتخلّفين عن جيس أسامة، إلا أنه في المقابل برّر لهم بعذر أقبح من ذنب، فقال: الخلاف الثاني: في مرضه أنّه قال: «جهّزوا جيش أسامة، **لعن الله من تخلّف عنه**»، فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأسامة قد برز من المدينة. وقال قوم: قد اشتدَّ مرض النبي عليه الصلاة والسلام، فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه، فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من أمره[٢].

وقد نصّت بعض الروايات على هذا المعنى كما في خبر أبان عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: وروى أنهم – المقصود هم خلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام– كانوا غُيّباً عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقدموا وقد تولّى أبو بكر، وهم يومئذ أعلام مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله[٣].

هكذا يكتمل المشهد أكثر بالنسبة للقارئ، فكبار الصحابة لا سيما

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢١٣.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢١٣.

(٣) الإحتجاج ١/ ٩٩.

المخلصين منهم خرجوا في جيش أسامة امتثالا لأمر نبيهم ﷺ، وفي المقابل بقيت في المدينة الشرذمة التي طعنت في إمارته، وخالفت أمر تنصيبه.

ثالثاً: سرعة تنفيذ المشروع:

العامل الثاني المهم هو السرعة العجيبة التي نفذ بها القوم مشروعهم، فمن يربط بين الأحداث يجد أنّ عملية بيعة السقيفة تمّت قبل دفن النبي ﷺ، ومطالبة الإمام علي عليه السلام بالبيعة للخليفة الأول كان في نفس اليوم!

وهذا صريح رواية سليم رضي الله عنه عن سلمان المحمدي رضي الله عنه، قال: فأخبرت عليًّا عليه السلام - وهو يغسل رسول الله ﷺ - بما صنع القوم، وقلت: إنّ أبا بكر الساعة لعلى منبر رسول الله ﷺ، ما يرضون يبايعونه بيد واحدة، وإنهم ليبايعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله[1].

وكذلك نصّ كلام الزهراء عليها السلام الذي نقله ابن قتيبة الدينوري، قالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقًّا[2].

فهذه السرعة هي التي تفسّر غياب أغلب الصحابة عن الساحة في ذلك الوقت، إذ أنّ الأغلبية الساحقة كانت مصدومة بهذا الخطب الجلل، وهو وفاة الرسول الأكرم ﷺ، وبالخصوص أهل المدينة، أمّا بقية المدن الأخرى والبلدان خارجها فكلّ هذه الأحداث تمّت وانتهت قبل أن يبلغهم حتى خبر موت رسول الله ﷺ.

وبعد أن وصل لهم الخبر، وعلموا بما حصل، قاموا بانتفاضتهم

---

(١) كشف المشكل ١/ ٤٩٧.

(٢) الإمامة والسياسة ١/ ٢٠.

الشهيرة التي زيَّفتها كتب التاريخ، وحرَّفت دوافعها، وعُرفوا بين الناس للأسف الشديد بأنهم مرتدّون أو مانعو الزكاة.

ومن الشواهد على هذا ما نقله الطبرسي رضي الله عنه في احتجاجه عند نقله لكتاب الخليفة الأول لأسامة بن زيد، قال: عن الباقر عليه السلام أنّ عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: اكتب إلى أسامة بن زيد يقدم عليك، فإنّ في قدومه قطع الشنيعة عنا. فكتب أبو بكر إليه: من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أسامة بن زيد: أمّا بعد فانظر إذا أتاك كتابي فأقبل إليَّ أنت ومن معك، فإن المسلمين قد اجتمعوا عليّ، وولّوني أمرهم، فلا تتخلفنّ فتعصي، ويأتيك مني ما تكره، والسلام. قال: فكتب أسامة إليه جواب كتابه: من أسامة بن زيد عامل رسول الله صلى الله عليه وآله على غزوة الشام، أمّا بعد فقد أتاني منك كتاب ينقض أوله آخره، ذكرت في أوّله أنّك خليفة رسول الله، وذكرت في آخره أنّ المسلمين قد اجتمعوا عليك، فولّوك أمرهم ورضوك، فاعلم أنّي ومن معي من جماعة المسلمين والمهاجرين فلا والله ما رضيناك، ولا ولّيناك أمرنا، وانظر أن تدفع الحق إلى أهله، وتخليهم وإياه، فإنهم أحقّ به منك، فقد علمت ما كان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي يوم الغدير، فما طال العهد فتنسى، انظر مركزك، ولا تخالف فتعصي الله ورسوله، وتعصي من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله عليك وعلى صاحبك، ولم يعزلني حتى قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنك وصاحبك رجعتما، وعصيتما، فأقمتما في المدينة بغير إذن[1].

فإذا كان أسامة بن زيد الذي هو من أهل المدينة، والذي عسكر مع

---

(١) الاحتجاج ١/ ١١٤.

جيشه على بعد ثلاثة أميال من المدينة، لم يعلم بحصول شيء إلّا بعد ورود هذا الكتاب من أبي بكر إليه، فكيف يستشكل علينا بعدم تدخّل الصحابة؟!

رابعاً: استعمال سلاح الترهيب:

لعلّ أهمّ عامل أنجح الانقلاب المشؤوم، وكان له الدور الأكبر في كلّ ما حصل، هو استعمال حزب السقيفة لسلاح الترهيب تجاه كل من عارضهم، ومن يُحتمل فيه المعارضة، بل حتى مع الأطراف المحايدة!

وهنا قد يسأل القارئ: كيف استطاعت هذه الفئة الصغيرة أن ترهّب كلّ سكّان المدينة، وتجبرهم على البيعة، بل وتعتدي على مثل أمير المؤمنين عليه السلام والزبير وسعد بن عبادة وغيرهم؟!

والجواب هو أنّ القوم قد تحالفوا مع قبيلة (بنو أسلم)، وخطّطوا لاحتلال المدينة، واجبار عامّة الناس على بيعة أبي بكر، وموالاة أصحاب السقيفة.

وهذه بعض النصوص التي تبيِّن لنا ما حصل:

منها: ما رواه سليم بن قيس عن البراء بن عازب الذي شهد الموقف، قال البراء بن عازب: فلما قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله تخوّفتُ أن تتظاهر قريش على إخراج هذا الأمر من بني هاشم، فلمّا صنع الناس ما صنعوا من بيعة أبي بكر أخذني ما يأخذ الواله الثكول، مع ما بي من الحزن لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعلت أتردّد وأرمق وجوه الناس، وقد خلا الهاشميون برسول الله صلى الله عليه وآله لغسله وتحنيطه، وقد بلغني الذي كان من قول سعد بن عبادة ومن اتبعه من جهلة أصحابه، فلم أحفل بهم، وعلمت أنه لا يؤول

إلى شيء، فجعلتُ أتردّد بينهم وبين المسجد، وأتفقّد وجوه قريش، فإنّي لكذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، **ثم لم ألبث حتى إذا أنا بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة قد أقبلوا في أهل السقيفة وهم محتجزون بالأزر الصنعانية، لا يمرّ بهم أحد إلا خبطوه**[1]، فإذا عرفوه مدّوا يده، فمسحوها على يد أبي بكر، شاء ذلك أم أبى[2].

وروى الشيخ المفيد رواية شبيهة بهذه، إلّا أنّها أكثر تفصيلاً، قال: كان جماعة من الأعراب قد دخلوا المدينة ليمتاروا منها، فشُغل الناس عنهم بموت رسول الله صلى الله عليه وآله، فشهدوا البيعة، وحضروا الأمر، فأنفذ إليهم عمر واستدعاهم، وقال لهم: خذوا بالحظ من المعونة على بيعة خليفة رسول الله، واخرجوا إلى الناس واحشروهم ليبايعوا، فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه. قال: والله لقد رأيت الأعراب تحزّموا، واتّشحوا بالأزر الصنعانية، وأخذوا بأيديهم الخشب، وخرجوا حتى خبطوا الناس خبطاً، وجاؤوا بهم مكرهين إلى البيعة[3].

وهذه الرواية تؤكّد ما قلناه من أنّ الأمر كان مخطّطاً له، ودخول هؤلاء الأعراب كان بصورة غير ملفتة للنظر، بحيث لم يستغرب أحد من دخولهم، لكن ما إن حانت ساعة الصفر حتى لبسوا لباس الحرب، وبدؤوا حملتهم على كلّ من عارض أبا بكر وعمر!

وهذا ما يفسّر غياب بعض كبار الصحابة عن المدينة في الأيام

---

(١) خبطوه: أي ضربوه.

(٢) كتاب سليم: ١٣٨.

(٣) الجمل: ٥٩، كما نقله ابن أبي الحديد في شرحه للنهج: ١/ ٢١٩.

الأخيرة لوفاة النبي صلى الله عليه وآله، إذ كان الغرض من ذلك هو ترتيب الأمر مع قبائل الأعراب التي من السهل شراء ذممهم بالأموال.

ولا يظنّ القارئ الكريم أنّ هذه الروايات من مرويّات الشيعة فقط، فكتب التاريخ السنيّة قد نقلت جزءاً من هذه الحقيقة:

فقد نقل الطبري في تاريخه هذا النصّ الخطير، قال: أنّ أسلم أقبلت بجماعتها حتى **تضايق بهم السكك**، فبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو إلّا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر[١].

وهذا النص الخطير فيه نقاط مهمّة:

١- الأعداد الهائلة لقبيلة بني أسلم التي دخلت المدينة حتى عبّر الراوي بأنّها «تضايق بهم السكك»، فهل يعقل أنّ هؤلاء اجتمعوا كلهم في المدينة بمحض الصدفة؟

٢- دخول هؤلاء كان قبل بيعة أبي بكر، بدليل قول عمر: «ما هو إلّا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»، ولو كان بعد بيعة الناس لأبي بكر لما هناك أي نصر يُرتقب، وهذا يدل على أن دخول أسلم المدينة قد تمّ قبل تغسيل ودفن النبي صلى الله عليه وآله، فهل كان توقيتهم صدفة أيضاً؟

٣- أنّ كلمة عمر المذكورة تدل على أنّ حضورهم هو الذي رجّح كفّة أبي بكر، بل سمّاه عمر نصراً! ويظهر من كلام عمر أن هناك اتّفاقاً مسبقاً مع بني أسلم؛ لأن عمر أيقن بالنصر بمجرد رؤيتهم، وقبل أن يقولوا رأيهم في موضوع الخلافة، لا أنه أيقن بالنصر بعد بيعتهم لأبي بكر.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/ ٤٥٩.

والذي يؤكّد هذا المعنى ما نقله ابن الأثير في (الكامل)، فإنه نقل نصًّا آخر يثبّت هذا المعنى، قال: وجاءت أسلم، فبايعت، فقويَ أبو بكر بهم، وبايع الناس بعد[١].

علماً أنّ صاحب الاحتجاج قد أورد نصًّا صريحاً ذكر فيه عدد هؤلاء الأعراب الذين حاصروا المدينة وأهلها، قال: فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد **ومعه ألف رجل،** فقال لهم: ما جلوسكم، فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة **ومعه ألف رجل،** وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل **حتى اجتمع أربعة آلاف رجل،** فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب، حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلّم بالذي تكلّم بالأمس لنأخذنّ الذي فيه عيناه[٢].

خامساً: قلّة بني هاشم في المدينة:

أضف إلى هذا أنّ بني هاشم لم يكن لهم ذلك الحضور القوي في المدينة المنورة، بل كانوا قلّة قليلة جدًّا، فعدد رجال بني هاشم الذين كانت عندهم القدرة على حمل السلاح وحماية بيت الزهراء عليها السلام لا يصل إلى العشرة.

وقد أجاب الأئمة عليهم السلام على هذه الإثارة بما رواه ثقة الإسلام الكليني قدس سره: عن سدير قال: كنا عند أبي جعفر عليه السلام، فذكرنا ما أحدث

(١) الكامل في التاريخ ٢/ ٣٣١.

(٢) الاحتجاج ١/ ١٠٤.

الناس بعد نبيّهم ﷺ، واستذلالهم أمير المؤمنين عليه السلام، فقال رجل من القوم: أصلحك الله، فأين كان عزّ بني هاشم وما كانوا فيه من العدد؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **ومن كان بقي من بني هاشم؟ إنّما كان جعفر وحمزة فمضيا، وبقي معه رجلان ضعيفان ذليلان حديثا عهد بالإسلام:** عباس وعقيل، وكانا من الطلقاء، أما والله لو أنّ حمزة وجعفراً كانا بحضرتهما ما وصلا إلى ما وصلا إليه، ولو كانا شاهديهما لأتلفا نفسيهما[(١)].

بل إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أجاب على هذا السؤال في حياته، حيث قال: ثم حملتُ فاطمة، وأخذتُ بيد ابني الحسن والحسين، فلم أدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلا ناشدتهم الله في حقّي، ودعوتهم إلى نصرتي، فلم يستجب لي من جميع الناس إلا أربعة رهط: سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير، ولم يكن معي أحد من أهل بيتي أصول به ولا أقوى به، أما حمزة فقُتل يوم أحد، وأما جعفر فقُتل يوم مؤتة، وبقيتُ بين جلفين جافيين ذليلين حقيرين عاجزين: العباس وعقيل، وكانا قريبي العهد بكفر[(٢)].

فهذا الإشكال مبني على جهل صاحبه ببني هاشم، وعددهم، وحالهم في تلك الحقبة.

---

(١) الكافي ٨/ ١٩٠، وللسيد الخوئي قدس سره تعليق مهم في آخر ترجمة العباس بن عبد المطلب، ذكره في معجم رجال الحديث ١٠/ ٢٥٤ حيث قال: ورواية الكافي الواردة في ذمّه صحيحة السند، ويكفي هذا منقصة له، حيث لم يهتم بأمر علي بن أبي طالب عليه السلام، ولا بأمر الصدّيقة الطاهرة في قضية فدك، معشار ما اهتم به في أمر ميزابه.

(٢) كتاب سليم: ٢١٦.

سادساً: الإمام علي عليه السلام يستنصر الصحابة:

من الأمور المهمّة التي نقلها التاريخ هي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد استنصر الصحابة، وطلب منهم المعونة أمام هذه الهجمة الشرسة التي تعرّض لها البيت العلوي:

فقد نقل سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه في كتابه مشهداً محزناً لاستنصار أمير المؤمنين عليه السلام للصحابة على لسان معاوية، قال: إنّا قد رأيناك بأعيننا، فلا نحتاج أن نسأل من ذلك غيرنا، **رأيتك حملتَ امرأتك فاطمة على حمار، وأخذت بيد ابنيك الحسن والحسين - إذ بويع أبو بكر -، فلم تدع أحداً من أهل بدر وأهل السابقة إلا دعوتهم واستنصرتهم عليه،** فلم تجد منهم إنساناً غير أربعة: سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير، لعمري لو كنتَ محقًّا لأجابوك، وساعدوك، ونصروك، ولكن ادّعيتَ باطلاً، وما لا يقرّون به، وسمعتك أذناي وأنت تقول لأبي سفيان - حين قال لك: «غُلبتَ يا ابن أبي طالب على سلطان ابن عمّك، ومن غلبك عليه أذلّ أحياء قريش: تيم وعدي»، ودعاك إلى أن ينصرك - فقلت: «لو وجدت أعواناً أربعين رجلاً من المهاجرين والأنصار من أهل السابقة لناهضت هذا الرجل»، فلمّا لم تجد غير أربعة رهط بايعتَ مكرهاً[(١)].

ونقل ابن أبي الحديد في شرحه للنهج رواية مسند عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه، **أنّ عليًّا حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له،** فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، لو كان

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣٠٢.

ابن عمّك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به. فقال علي: أكنتُ أترك رسول الله ميتاً في بيته لا أجهّزه، وأخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟! وقالت فاطمة: ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسبهم عليه[١].

ونقل نفس النصّ ابن قتيبة الدينوري في كتابه المعروف (الإمامة والسياسة)، فراجعه[٢].

وبعد هذه المناشدة الطويلة لم يستجب للأمير عليه السلام إلا أربعة أشخاص فقط من كلّ سكان المدينة!

قال سلمان المحمدي رضي الله عنه: فلمّا أن كان الليل حمل علي عليه السلام فاطمة عليها السلام على حمار، وأخذ بيدي ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام، فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار إلّا أتاه في منزله، فذكّرهم حقّه، ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلا أربعة وأربعون رجلاً، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلقين رؤوسهم، معهم سلاحهم؛ ليبايعوا على الموت، فأصبحوا، فلم يواف منهم أحد إلا أربعة، فقلت لسلمان: من الأربعة؟ فقال: أنا وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام، ثم أتاهم علي عليه السلام من الليلة المقبلة فناشدهم، فقالوا: «نصبحك بكرة»، فما منهم أحد أتاه غيرنا، ثم أتاهم الليلة الثالثة فما أتاه غيرنا[٣].

وروى الكشي خبراً آخر يحوي نفس المضمون، قال: عن أبي جعفر

---

(١) شرح نهج البلاغة ٦/ ١٣.

(٢) الإمامة والسياسة ١/ ١٩.

(٣) كتاب سليم: ١٤٦.

عليه السلام، قال: جاء المهاجرون والأنصار وغيرهم بعد ذلك إلى علي عليه السلام، فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين، وأنت والله أحقّ الناس وأولاهم بالنبي عليه السلام، هلمّ يدك نبايعك، فوالله لنموتنّ قدامك! فقال علي عليه السلام: إن كنتم صادقين فاغدوا غداً عليَّ محلقين. فحلق علي عليه السلام، وحلق سلمان، وحلق مقداد، وحلق أبو ذر، ولم يحلق غيرهم، ثم انصرفوا، فجاؤوا مرة أخرى بعد ذلك، فقالوا له: أنت والله أمير المؤمنين، وأنت أحق الناس وأولاهم بالنبي عليه السلام، هلمّ يدك نبايعك، فحلفوا، فقال: إن كنتم صادقين فاغدوا عليّ محلقين. فما حلق إلّا هؤلاء الثلاثة، قلت: فما كان فيهم عمار؟ فقال: لا. قلت: فعمار من أهل الردّة؟ فقال: إنّ عماراً قد قاتل مع علي عليه السلام بعد ذلك[1].

وفي هذا الخبر بيان لمعنى الحديث المشهور: «ارتدّ الناس إلّا ثلاثة أو إلّا أربعة أو سبعة»، إذ أنّ المراد منه ليس الردّة عن الدين بمعنى الخروج على ملّة المسلمين، بل هو الرجوع عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وعدم الوفاء بها، فليس في الخبر ما يدلّ على تكفير الشيعة لكلّ الصحابة كما يروّج البعض لذلك.

سابعاً: نماذج من مواقف بعض الصحابة:

وردت بعض الروايات التي ذكرت نماذج من دفاع بعض الصحابة الكرام عن بيت الوحي، وهؤلاء وإن كانوا قلّة إلّا أنّه كان لموقفهم الدور الكبير في الجهر بكلمة الحق وإعلائها:

١ - موقف المقداد رضي الله عنه: روى سليم في كتابه بسنده عن سلمان أنه قال

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٣٨.

في حديث طويل: فقام المقداد فقال: يا علي، بمَ تأمرني؟ والله إن أمرتني لأضربنّ بسيفي، وإن أمرتني كففت. فقال علي عليه السلام: كفّ يا مقداد، واذكر عهد رسول الله وما أوصاك به. فقمت وقلت: والذي نفسي بيده، لو أنّي أعلم أنّي أدفع ضيماً، وأعزّ لله ديناً، لوضعت سيفي على عنقي، ثم ضربت به قدماً قدماً، أتثبون على أخي رسول الله ووصيّه وخليفته في أمّته وأبي ولده؟ فابشروا بالبلاء، واقنطوا من الرخاء(١).

٢- **موقف أبي ذر الغفاري** رضي الله عنه: قال سلمان في الحديث السابق: وقام أبو ذر فقال: أيّتها الأمّة المتحيّرة بعد نبيّ،ها المخذولة بعصيانها، إنّ الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾، وآل محمد الأخلاف من نوح وآل إبراهيم، من إبراهيم والصفوة والسلالة من إسماعيل، وعترة النبي محمد، أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، وهم كالسماء المرفوعة والجبال المنصوبة والكعبة المستورة والعين الصافية والنجوم الهادية والشجرة المباركة، أضاء نورها، وبورك زيتها، محمد خاتم الأنبياء وسيّد ولد آدم، وعلي وصيّ الأوصياء، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجلين، وهو الصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، ووصيّ محمد، ووارث علمه، وأولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم كما قال الله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾، فقدِّموا من قدّم الله، وأخِّروا من أخَّر الله، واجعلوا الولاية والوراثة لمن جعل الله(٢).

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٥٨.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ١٥٨.

٣- موقف بريدة الأسلمي رضي الله عنه: ذكره سليم رضي الله عنه في كتابه عن سلمان في الحديث السابق أنه قال: وقام بريدة الأسلمي وقال: أتثب على أخي رسول الله وأبي ولده، وأنت الذي نعرفك في قريش بما نعرفك؟ ألستما قال لكما رسول الله صلى الله عليه وآله: «انطلقا إلى علي، وسلّما عليه بإمرة المؤمنين»؟ فقلتما: أعن أمر الله وأمر رسوله؟ قال: نعم. فقال أبو بكر: قد كان ذلك، ولكن رسول الله قال بعد ذلك: «لا يجتمع لأهل بيتي النبوّة والخلافة»، فقال: والله ما قال هذا رسول الله، والله لا سكنتُ في بلدة أنت فيها أمير. فأمر به عمر، فضُرب وطُرد [١].

٤- موقف أم أيمن رضي الله عنها: قال سلمان في الحديث السابق: فقام عمر فقال لأبي بكر - وهو جالس فوق المنبر -: ما يجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب لا يقوم فيبايعك؟ أو تأمر به فنضرب عنقه؟ والحسن والحسين قائمان، فلمّا سمعا مقالة عمر بكيا، فضمهما عليه السلام إلى صدره فقال: لا تبكيا، فوالله ما يقدران على قتل أبيكما. وأقبلت أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أبديتم حسدكم ونفاقكم. فأمر بها عمر فأُخرجت من المسجد، وقال: ما لنا وللنساء [٢].

٥- موقف الزبير بن العوام: وقد نقلت كتب العامّة والخاصّة دفاع الزبير عن منزل الوحي وكيف كُسر سيفه، ونكتفي بما ذكره الطبري في تاريخه، حيث قال: عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علي، وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٥٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ١٥٩.

عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه، فأخذوه[(١)].

وروى سليم بن قيس رضي الله عنه رواية أخرى عن ابن عباس تبيّن موقف المخلصين من الصحابة عند هجوم القوم على بيت أمير المؤمنين عليه السلام، ومما جاء فيها قول ابن عباس: وأقبل المقداد وسلمان وأبو ذر وعمار وبريدة الأسلمي حتى دخلوا الدار أعواناً لعلي عليه السلام، حتى كادت تقع فتنة، فأُخرج علي عليه السلام، واتبعه الناس، واتبعه سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وبريدة الأسلمي رحمهم الله وهم يقولون: ما أسرع ما خنتم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخرجتم الضغائن التي في صدوركم[(٢)].

الخلاصة:

إذا جمعنا الحقائق التي ذكرناها فيما تقدّم نصل إلى النتيجة الآتية: وهي أنّ القوم خططوا لإبعاد أهل البيت عليهم السلام عن مقامهم الذي وضعهم الله عزّ وجلّ فيه، وبدؤوا العمل على تنفيذه في الأيّام الأخيرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، بحيث رفضوا الإمتثال لأمره صلى الله عليه وآله بالخروج مع جيش أسامة، وبقوا في المدينة بخلاف عامة الصحابة الذين خرجوا، كما رفضوا تنفيذ أمره صلى الله عليه وآله بإحضار كتاب لينصّ فيه على الخليفة من بعده، ثم بعد وفاته صلى الله عليه وآله دخلت قبيلة بني أسلم المدينة، وبدأ التنفيذ!

وعليه فإنّ بقيّة الصحابة لم يدافعوا على بيت الزهراء عليها السلام سوى هذه القلة المعهودة؛ لأنّ بعضاً منهم كان خارج المدينة، وبعض آخر كان مغلوباً

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٤٤٣.

(٢) كتاب سليم: ٣٨٧.

على أمره، وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فلم يكن معه ما يكفي من الأنصار لمواجهة أربعة آلاف مقاتل من قبيلة بني أسلم.

٥- هل كان بالمدينة أبواب؟

من الإثارات التي جعلها البعض مطعناً في قضية الزهراء عليها السلام هو كيف تكون الزهراء قد عُصرت بين الباب والجدار والحال أنّ المدينة المنورة في ذلك الوقت لم يكن فيها أبواب من خشب، بل كانوا يجعلون ستوراً على بيوتهم؟

والجواب:

هل عدم وجود الأبواب يسقط القضية؟

قبل البدء في الإجابة على هذا السؤال، نتنزّل جدلاً لأصحاب هذه الشبهة ونقول لهم: لو سلّمنا بعدم وجود أبواب في المدينة في ذلك الوقت، فإنّ هذا لا يلغي ظلامة الزهراء عليها السلام بكاملها، بل يسقط جزءاً منها، وهو حادثة العصر بين الباب والجدار.

والحال أنّنا بيّنا سابقاً أنّ الاعتداء على الزهراء عليها السلام ليس منحصراً في قضية العصر بالباب، بل اعتُدي عليها بأكثر من صورة:

- لطم باليد على الوجه.
- ضرب بالسياط على العضد.
- رفس بالرجل على البطن.
- وكز بالسيف في الجنب.

فلو قبلنا هذا الإشكال جدلاً، لسقط خصوص قضية العصر

بالباب، لكن تبقى هذه الأمور الأربعة.

نصوص تثبت وجود أبواب في المدينة:

إنّ النصوص التي تثبت وجود أبواب خشبية في المدينة كثيرة جدّا، ولا يمكن إحصاؤها، ويكفي في الدلالة على ذلك ما ورد في سورة يوسف حيث قال سبحانه: ﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، حيث أن هذه الآية تدل على أن الأبواب كانت معروفة في زمان نبي الله يوسف عليه السلام، وأنها يمكن إغلاقها كما هو الحال في الأبواب المتعارفة عندنا، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن تكون معروفة أيضاً في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله.

لذلك سنكتفي بذكر بعض النصوص من صحيح البخاري لإتمام الحجّة على المنكرين:

منها: ما رواه البخاري بسنده: عن شقيق، قال: سمعت حذيفة قال: كنا جلوساً عند عمر، فقال: أيّكم يحفظ قول رسول الله صلى الله عليه وآله في الفتنة؟ قلت: أنا كما قاله، قال: إنك عليه أو عليها لجريء، قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفِّرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي. قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، **إنّ بينك وبينها باباً مغلقاً**، قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر. قال: إذن لا يُغلق أبداً[(١)].

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٣٣.

ووجه الاستدلال بهذا النص أنّ المصطفى صلى الله عليه وآله مثّل لهذه الفتنة بالباب المغلق، فلو لم يكن أهل المدينة يعرفون الأبواب الخشبية لما مثّل النبي صلى الله عليه وآله بهذا التمثيل، ثم نجد أنّ حذيفة رضي الله عنه اعتبر بداية هذه الفتنة كسر الباب ممّا يؤكد أنّها من الخشب أو من شيء آخر لأنّ الستور لا تكسر كما هو معروف.

ومنها: ما رواه البخاري بسنده: عن عائشة، قالت: لما جاء قُتل ابن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرف فيه الحزن، قالت عائشة: وأنا أطلع من صائر الباب، تعني من شق الباب...[(١)].

ووجه الاستدلال بهذه الرواية هو أنّ الأبواب لو كانت ستوراً كما ادَّعى صاحب الإشكال، لما كان فيها شق أو صائر.

ومنها: ما رواه البخاري أيضاً بسنده: عن ابن عباس - في حديث - أنّ عمر بن الخطاب قال: فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار، إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر، ونحن نتخوّف ملكاً من ملوك غسان، ذُكر لنا أنّه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه، فإذا **صاحبي الأنصاري يدق الباب**، فقال: افتح افتح، فقلت جاء الغساني؟...[(٢)].

ومنها: ما رواه البخاري أيضاً بسنده: عن محمد بن المنكدر، قال: سمعت جابراً رضي الله عنه يقول: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دَيْن كان على أبي، **فدققت**

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ١٤٣.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٧٠.

الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا. فقال: «أنا أنا» كأنّه كرهها[١].

ومنها: ما رواه أيضاً بسنده: عن المسور قال: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل، **فضرب الباب** حتى استيقظت، فقال: أراك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم[٢].

والروايات الثلاثة صريحة الدلالة في أنّه لم تكن هناك مجرّد ستور على الأبواب في المدينة؛ وذلك لأنّ الستور لا تُدقّ ولا تُطرق.

ومنها: ما رواه بسنده: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيرة مخصفة أو حصيراً، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيها، فتتبع إليه رجال، وجاؤوا يصلّون بصلاته، ثم جاؤوا ليلة فحضروا، وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم، **وحصبوا الباب**، فخرج إليهم مغضباً...[٣].

وهذه كسابقاتها، فلو كان في المدينة ستور فقط لما كان هناك معنى لحصبها لكي ينتبه من في داخل البيت.

وقد نقل في فتنة عثمان أنّ القوم أحرقوا باب بيته لكي يتسنى لهم دخول المكان وقتله، وقد نقل ذلك صاحب تاريخ المدينة، قال: أحرق باب عثمان رفاعة بن عمرو الانصاري، ودخلوا على عثمان من دار عمرو بن حزم[٤].

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ١٣١.

(٢) صحيح البخاري ٨/ ١٢٣.

(٣) صحيح البخاري ٧/ ٩٩.

(٤) تاريخ المدينة ٤/ ١٢٧.

علماً أنّهم نقلوا أنّ عثمان بن عفّان حمل بعد مقتله على باب وكان رأسه يضرب الباب فيصدر صوتاً (طق طق) كما روى ذلك الطبراني في الكبير: عبد الملك الماجشون قال سمعت مالكا يقول قتل عثمان عنه فأقام مطروحا على كناسة بني فلان ثلاثا فأتاه اثنا عشر رجلا فيهم جدي مالك بن أبي عامر وحويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وعائشة بنت عثمان معهم مصباح في حق **فحملوه على باب وإن رأسه يقول على الباب طق طق** حتى أتوا به البقيع[١]...

هذا غيض من فيض من النصوص التي تدلّ على هذه الحقيقة التي حاول البعض دفعها، وإلّا فإنّ مثل هذا الموضوع لا يصلح أن يُستدلّ عليه لوضوحه، لكن عش رجباً ترى عجباً.

وقد قال بعض المحقّقين كلاماً في التعليق على هذه الشبهة جدير بأن يُنقل، قال: إنّي لآسف كل الأسف على هذه الأيام من العمر التي صُرفت في جمع هذه النصوص، وكم كنت أتمنّى لو أنّني عوضاً عن ذلك عالجت بعض الأمور الحياتية التي تفيد الناس، ولكن عزائي الوحيد هو أنني قد أكون بعملي هذا قد أسهمت بتحصين أولئك الطيّبين، الذين هم في أعلى درجات الطهر والصفاء، حتى لا تبهرهم العناوين الكبيرة الخادعة، ولا الأسماء اللامعة، فلا تؤثّر عليهم الدعاوى العريضة التي يطلقها مثقّف هنا، أو صاحب مقام هناك[٢].

---

(١) المعجم الكبير ١/ ٧٩، وقد وثّق الهيثمي رجال السند في مجمع الزوائد ٩/ ٩٥.

(٢) مأساة الزهراء ٢/ ٢٢٥.

ماهي قصة المسوح؟

تمسّك بعضهم في مقام نفي وجود أبواب في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، بما ورد في بعض النصوص التاريخية من أنّ أبواب بيوت النبي ﷺ كانت عليها مسوح الشعر.

فقد روى ابن سعد عن عمر بن أبي أنس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر: أدركت حُجَر أزواج رسول الله ﷺ من جريد النخل، على أبوابها المسوح من شعر أسود[١].

والجواب:

أولاً: أنّ اثبات وجود المسوح لا يعني إلغاء وجود الأبواب، فإثبات شيء لا ينفي ما سواه، فلعلّ هذه المسوح كانت توضع على الأبواب زيادة في الستر، حتى لا يُرى شيء من شقوق الأبواب، إذ كان من المنافقين من يحاول هتك حرمة رسول الله ﷺ.

فقد روى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي:أنّ رجلاً اطّلع في جُحْرٍ في باب رسول الله ﷺ، ومع رسول الله ﷺ مدرى يحكّ به رأسه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: لو أعلم أنّك تنتظرني لطعنت به في عينيك[٢].

فلا مانع من اجتماع الأمرين: المسوح والأبواب، وقد رأيت مثل هذا في صغري في بعض البيوت، حيث يوضع خلف الباب ستارة، بحيث لو فُتح الباب، ودخل صاحب الدار، لم يتسنّ للمارّة كشف حرمة البيت.

---

(١) الطبقات الكبرى ٨/ ١٦٨.

(٢) صحيح البخاري ٨/ ٤٥.

ثانياً: وردت رواية واضحة تثبت أنّه كان لحجرات النبي صلى الله عليه وآله أبواب من خشب، ممّا يقطع هذا النزاع من أساسه، فقد روى البخاري في الأدب المفرد بسنده عن أنس بن مالك: إن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تُقرع بالأظافير[(١)].

فلو كانت القضية مجرّد مسوح من الشعر لما تُصُوِّر أن يُطرق عليها بالأظافير فقط؟ بل كيف يتصوّر أصلاً طرقها؟

وقد وقعت على نصّ ينهي هذا الاشكال من أساسه: عن محمد بن هلال قال: أدركت بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله كانت من جريد مستور بمسوح الشعر مستطيرة في القبلة وفي المشرق والشام، ليس في غربي المسجد شيء منها، وكان باب عائشة مواجه الشام وكان بمصراع واحد من عرعر أو ساج[(٢)].

وبهذا يُعلم أنّ هذه الشبهة لا قيمة لها، ولا يمكن أن تكون قادحة في قضية الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام.

٦- تهديد أو إحراق؟

أُشكل على قضية الزهراء عليها السلام بأنّ الروايات فيها متضاربة، حيث أنّ بعضها تذكر أنّه قد أضرمت النار في بابها، واستعرت النيران في بيتها، في حين أنّ روايات أخر ذكرت أنّ الأمر كان مجرّد تهديد فقط، ولم يتحقق أي إحراق، فمثل هذا الإضطراب يشكّك في أصل القصّة.

---

(١) الأدب المفرد: ٢٩٠، صحَّحه الألباني في تعليقته على الأدب المفرد: ٤١٨، وسلسلته الصحيحة ٥/ ١٢٧، ح ٢٠٩٢.

(٢) أخبار المدينة ٩٣.

والجواب:

رواياتالإحراق:

قد طفحت كتب الشيعة بالروايات التي تصرّح بإضرام النار، وإحراق باب بيت الزهراء عليها السلام، نذكر منها:

رواية سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنه، في حديث قال: **ثم دعا عمر بالنار، فأضرمها في الباب، فأحرق الباب،** ثم دفعه عمر، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله. فرفع السيف وهو في غمده، فوجأ به جنبها، فصرخت، فرفع السوط فضرب به ذراعها، فصاحت: يا أبتاه[1].

وفي نفس المصدر عن سلمان المحمدي رضي الله عنه، أن عمر بن الخطاب قال: افتحي الباب وإلّا أحرقنا عليكم بيتكم. فقالت: يا عمر، أما تتّقي الله تدخل عليَّ بيتي؟ فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل[2].

وروى السيد المرتضى رضي الله عنه في (الشافي) بسنده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: والله ما بايع علي عليه السلام حتى رأى **الدخان قد دخل عليه بيته**[3].

وروى الخصيبي رحمه الله في كتاب (الهداية الكبرى) عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث قال: وانتهار عمر لها وخالد بن الوليد، وقولهم: دعي عنك

---

(١) كتاب سليم: ٣٨٧.

(٢) كتاب سليم: ١٥١.

(٣) الشافي في الإمامة ٣/ ٢٤١.

يا فاطمة حماقة النساء، فلم يجمع الله لكم النبوة والرسالة. **وأخذ النار في خشب الباب**، وأدخل قنفذ لعنه الله يده يروم فتح الباب[١].

وروى الديلمي قدس سره في (إرشاد القلوب) كما في (بحار الأنوار) أن فاطمة عليها السلام قالت: فجمعوا الحطب الجزل على بابنا، وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفتُ بعضادة الباب، وناشدتُهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنا وينصرونا، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ - مولى أبي بكر -، فضرب به عضدي، فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله، فردّه عليَّ وأنا حامل، **فسقطتُ لوجهي، والنار تسعر وتسفع وجهي**، فضربني بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض، فأسقطتُ محسناً قتيلاً بغير جرم، فهذه أمّة تصلي عليَّ! وقد تبرَّأ الله ورسوله منهم، وتبرَّأت منهم[٢].

وروى السيد ابن طاووس رضي الله عنه في كتابه الطرف ضمن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله الأخيرة، أنه ورد فيها: واعلم يا علي أنّي راضٍ عمّن رضيَتْ عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزّها حقّها، وويل لمن هتك حرمتها، **وويل لمن أحرق بابها**، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقّها وبارزها، اللهم إنّي منهم بريء، وهم منّي برآء[٣].

ومن هنا جزم المسعودي رحمه الله بوقوع الإحراق، وأرسله إرسال

---

(١) الهداية الكبرى: ٤٠٧.

(٢) بحار الأنوار ٣٠/ ٣٤٩.

(٣) بحار الأنوار ٢٢/ ٤٨٥.

المسلّمات، قال: فأقام أمير المؤمنين عليه السلام ومن معه من شيعته في منازلهم، بما عهده إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجّهوا إلى منزله، فهجموا عليه، **وأحرقوا بابه،** واستخرجوه منه كرهاً، وضغطوا سيّدة النساء بالباب، حتى أسقطت محسناً[١].

شبهة الحطب المتوارث:

حاول بعضهم التشكيك في القضية من خلال رواية وردت في بعض مصادر الشيعة، مفادها أنّ الحطب الذي جمعوه لحرق باب الزهراء عليها السلام موجود عند الأئمة عليهم السلام يتوارثونه.

فقد روى الطبري الصغير رضي الله عنه بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، ذكر فيه ما يصنعه القائم عليه السلام بعد خروجه، قال: ثم يحرقهما بالحطب الذي جمعاه ليحرقا به عليًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وذلك الحطب عندنا نتوارثه[٢].

فإنّ توارث الحطب يدل على أنه لم يُستخدم في الإحراق، ولو أُحرق لما أمكن توارثه.

والجواب:

أوّلاً: لا مانع من الجمع بين الروايتين بالقول بأنّ القوم لم يستخدموا كلّ الحطب للإحراق، بل استخدموا بعضه، والذي احتفظ به الأئمة عليهم السلام هو البعض الآخر الذي لم يُستخدم في ذلك.

ثانياً: قد يكون المراد من ذلك بقايا الحطب الذي أحرق به الباب، لا

(١) إثبات الوصية: ١٥٤.

(٢) دلائل الإمامة: ٤٥٥.

جميع الحطب الذي جاؤوا به، حفظه الأئمة عليهم السلام لكي يُحرق به الآمران بإحراق باب البيت العلوي.

لماذا اختلفت الروايات؟

ربما يتعلّل بعضهم لرد روايات الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام بأنها مختلفة، واختلافها موهن لها، فلا يمكن قبولها بحال.

والجواب: أنه لا يوجد اختلاف في الروايات يصل إلى درجة التناقض أو التكاذب، بل غاية ما في الأمر أنّ بعض الروايات فصَّلت، فذكرت الإحراق صريحاً، وأخرى سكتت عن هذا التفصيل.

ولعلّ السبب في ذلك هو تكرّر عملية التهديد أكثر من مرّة، فالقوم جاؤوا للبيت بالحطب والجزل، وهدّدوا أهل البيت عليهم السلام بالتحريق، وتكرّر منهم الأمر أكثر من مرة، إلى أن عزموا على الدخول، ونفذوا تهديدهم.

مثلاً: إذا رجعنا إلى رواية كتاب سليم رضي الله عنه نجد أنّه نصّ صريحاً على تعدّد التهديد والهجوم، قال: **فأرسله إليه، وأرسل معه أعواناً، وانطلق فاستأذن على علي عليه السلام، فأبى أن يأذن لهم**، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر - وهما جالسان في المسجد والناس حولهما-، فقالوا: لم يؤذن لنا. فقال عمر: **اذهبوا، فإن أذن لكم وإلّا فادخلوا عليه بغير إذن.** فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليها السلام: أحرّج عليكم أن تدخلوا عليَّ بيتي بغير إذن. فرجعوا وثبت قنفذ الملعون، فقالوا: إنّ فاطمة قالت كذا وكذا، فتحرّجنا أن ندخل بيتها بغير إذن. فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء. **ثم أمر أناساً حوله أن يحملوا الحطب، فحملوا الحطب، وحمل معهم عمر،**

فجعلوه حول منزل علي وفاطمة وابناهما عليهما السلام، ثم نادى عمر حتى أسمع عليًّا وفاطمة عليهما السلام: والله لتخرجنّ يا علي ولتبايعنّ خليفة رسول الله، وإلّا أضرمت عليك بيتك النار. فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولك؟ فقال: افتحي الباب وإلّا أحرقنا عليكم بيتكم. فقالت: يا عمر، أما تتّقي الله، تدخل عليَّ بيتي؟ فأبى أن ينصرف؛ **ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل**، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله. فرفع عمر السيف وهو في غمده، فوجأ به جنبها، فصرخت: يا أبتاه. فرفع السوط، فضرب به ذراعها، فنادت: يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر. فوثب علي عليه السلام، فأخذ بتلابيبه، ثم نتره فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته، وهمَّ بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاه به، فقال: والذي كرّم محمداً بالنبوة يا ابن صهاك، لولا كتاب من الله سبق، وعهد عهده إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعلمتَ أنك لا تدخل بيتي. فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوف أن يخرج علي عليه السلام إليه بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدّته، فقال أبو بكر لقنفذ: **ارجع، فإن خرج وإلّا فاقتحم عليه بيته، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم النار. فانطلق قنفذ الملعون، فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن**، وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فسبقوه إليه، وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعضهم سيوفهم، فكاثروه وضبطوه، فألقوا في عنقه حبلاً، وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت وإنّ في عضدها كمثل الدملج من ضربته، لعنه الله ولعن من

بعث به[1].

ومن هنا فإنّ اختلاف الروايات راجع لكيفية نقل الرواة للحادثة، فبعضهم نقلها مفصّلة كما في الرواية المتقدّمة، وبعضهم أدرك جزءاً من الموقف فنقله.

٧- فتح الزهراء عليها السلام الباب:

شبهة أخرى أثارها بعضهم، وهي: كيف يعقل أن تقوم الزهراء عليها السلام لفتح الباب وفي البيت أمير المؤمنين عليه السلام وغيره من الصحابة؟ فالرجل الغيور عادة لا يأذن لنسائه بفتح الباب للزائر الأجنبي، فكيف بأمير المؤمنين عليه السلام وهو سيّد الغيارى؟!

والجواب:

الزهراء عليها السلام لم تقم لفتح الباب:

من يقرأ الروايات يعلم يقيناً أنّ الزهراء عليها السلام لم تقم لفتح الباب كما ادّعى صاحب الشبهة، وكيف تفتح الباب لمن يريد أخذ زوجها وحرق بيتها؟

وقد نصّت الروايات على هذه الأمر:

منها: ما ورد على لسان الزهراء عليها السلام، حيث قالت: فجمعوا الحطب الجزل على بابنا، وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، **فوقفتُ بعضادة الباب، وناشدتُهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنا وينصرونا**، فأخذ عمر السوط من يد

---

(١) كتاب سليم: ١٥١.

قنفذ -مولى أبي بكر- فضرب به عضدي، فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج، **وركل الباب برجله**، فردّه عليَّ وأنا حامل، فسقطت لوجهي والنار تسعر وتسفع وجهي، فضربني بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض فأسقطت محسناً قتيلا بغير جرم، فهذه أمّة تصلي عليَّ! وقد تبرّأ الله ورسوله منهم، وتبرّأت منهم[(١)].

ومنها: رواية العياشي رضي الله عنه في تفسيره، عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن جدّه، قال فيها: فقام أبو بكر، وعمر، وعثمان وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، وقنفذ، وقمت معهم، فلما انتهينا إلى الباب **فرأتهم فاطمة صلوات الله عليها، أغلقت الباب في وجوههم، وهي لا تشكّ أن لا يدخل عليها إلّا بإذنها**، فضرب عمر الباب برجله فكسره، وكان من سعف، ثم دخلوا فأخرجوا عليًّا عليه السلام ملبّباً[(٢)].

وفي رواية سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه التي نقلناها فيما سبق أن **فاطمة** عليها السلام **قالت: يا عمر، ما لنا ولك؟ فقال: افتحي الباب وإلّا أحرقنا عليكم بيتكم. فقالت: يا عمر، أما تتّقي الله تدخل عليَّ بيتي؟** فأبى أن ينصرف؛ ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب ثم دفعه فدخل فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله...[(٣)].

والأوضح من هذا ما ورد في كتاب عمر إلى معاوية أنه قال: إن لم

---

(١) بحار الأنوار ٣٠/ ٣٤٩.

(٢) تفسير العياشي ٢/ ٦٧.

(٣) كتاب سليم: ١٥١.

يخرج جئت بالحطب الجزل، وأضرمتها ناراً على أهل هذا البيت، وأحرق من فيه، أو يقاد علي إلى البيعة، وأخذت سوط قنفذ فضربت، وقلت لخالد بن الوليد: أنت ورجالنا هلمّوا في جمع الحطب. فقلت: إنّي مضرمها. فقالت: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو أمير المؤمنين. فضربت فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه، فرمته، فتصعَّب عليَّ، فضربت كفّيها بالسوط فألّمها...

إلى أن قال: **فركلتُ الباب وقد ألصقتْ أحشاءها بالباب ترسه،** وسمعتُها وقد صرختْ صرخة حسبتها قد جعلتْ أعلى المدينة أسفلها، وقالت: يا أبتاه! يا رسول الله! هكذا كان يُفعل بحبيبتك وابنتك، آه يا فضة! إليك فخذيني، فقد والله قُتل ما في أحشائي من حمل. وسمعتها تمخض وهي مستندة إلى الجدار، **فدفعتُ الباب ودخلتُ** ...[1].

سبب وقوف الزهراء عليها السلام خلف الباب:

قد يطرح أحدهم السؤال: إذا كانت الزهراء عليها السلام لم تقم لفتح الباب، فما هو سبب وقوفها خلفه عندما هجم القوم؟

والجواب: أنّ فاطمة عليها السلام إنّما وقفت وراء الباب لأمرين:

الأول: لكي تدحض دعوى المهاجمين من أنّ المعارضين اجتمعوا في هذا البيت ويريدون القتال، فأظهروا أنّ البيت العلوي كان بمثابة معسكر جمع فيه أعداء السقيفة.

لذلك نجد أنّ النظّام المعتزلي كان يركّز على المعنى في ما نقل عنه،

---

(١) بحار الأنوار ٣٠/ ٢٩٤

حيث قال: وكان يصيح: «أحرقوا دارها بمن فيها»، **وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين**(١).

ولهذا بمجرّد أن سمع القوم كلامها وخطابها لكبيرهم قالوا متعجّبين: «إنّ في البيت فاطمة»(٢)، حيث أنّ الدعاية في ذلك الوقت كانت تصوّر أنّ الهجوم سيكون على المعارضين فقط لا على كلّ البيت العلوي.

الثاني: هو منع القوم من الدخول؛ لما لفاطمة عليها السلام من مكانة في قلوب عامّة المسلمين، لأنه ربما بينهم وبين علي عليه السلام ظغينة أو أحقاد سابقة، تسبّبت عما فعله بمشركي قريش، لكنّ لا وجود لأحقاد من هذا النوع بينهم وبين الزهراء عليها السلام.

ومن هنا تجد أنّ كثيراً من الذين هاجموا بيتها قد انسحبوا لما سمعوا صوتها، وتأثّروا بعتابها الذي كان يهزّ الجبال كما دلّت على ذلك رواية ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة)حيث قال: ثم قام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة**! فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر**، وبقي عمر ومعه قوم(٣).

وكذلك أشارت رواية سليم بن قيس إلى هذا المعنى، حيث ورد فيها قوله:...فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليها السلام: أحرّج عليكم أن تدخلوا

---

(١) الملل والنحل ١/ ٥٧.

(٢) الإمامة والسياسة ١/ ٢٠.

(٣) الإمامة والسياسة ١/ ٢٠.

عليَّ بيتي بغير إذن. **فرجعوا**، وثبت قنفذ الملعون[١].

وبما ذكرناه يتبيّن بطلان هذه الشبهة من أساسها.

٨- لماذا لم يدافع علي عليه السلام عن فاطمة عليها السلام؟

لعلّ أهمّ شبهة طرحها المشكّكون في قضية الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام والاعتداء عليها هو أنّه لو ثبت هذا الأمر فإنّ فيه ازدراء وطعناً عظيماً بأمير المؤمنين عليه السلام، الذي لم يحرك ساكناً للدفاع عن حليلته التي ضُربت أمام عينيه!

ومن أوائل الذين أثاروا هذه الشبهة الفضل بن رزبهان الذي قال: لو صحّ هذا دلّ على عجز علي - حاشاه عن ذلك -؛ فإنّ غاية عجز الرجل أن يحرق هو وأهل بيته وامرأته في داره وهو لا يقدر على الدفع، ومثل هذا العجز يقدح في صحّة الإمامة[٢].

وصية النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام بالصبر:

أجاب الشيعة أعلى الله برهانهم على هذا الإشكال بأنّ النبي المصطفى صلى الله عليه وآله قد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام بالصبر، وترك مجاهدة القوم إذا لم يجد أعواناً، وقد ورد في ذلك روايات كثيرة في كتبهم:

منها: ما رواه سليم بن قيس رضي الله عنه في كتابه ضمن رواية احتوت وصية رسول الله صلى الله عليه وآله الأخيرة ساعة وفاته، قال: يا علي، إنك ستلقي بعدي من قريش شدّة، من تظاهرهم عليك، وظلمهم لك، فإن وجدت أعواناً

---

(١) كتاب سليم: ١٥١.

(٢) دلائل الصدق ٣/ ٨٠.

عليهم فجاهدهم، وقاتل من خالفك بمن وافقك، فإن لم تجد أعواناً فاصبر، وكف يدك، ولا تُلقِ بيدك إلى التهلكة، فإنّك مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة، إنّه قال لأخيه موسى: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْيَقْتُلُونَنِى﴾[(١)].

وفي خبر آخر، قال: فابشر يا علي، فإن حياتك وموتك معي، وأنت أخي، وأنت وصيي، وأنت صفيي ووزيري ووارثي والمؤدّي عني، وأنت تقضي ديني، وتنجز عداتي عني، وأنت تُبرئ ذمتي، وتؤدي أمانتي، وتقاتل على سنتي الناكثين من أمتي والقاسطين والمارقين، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة، إذ استضعفه قومه، وكادوا يقتلونه، فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهرهم عليك، فإنّك بمنزلة هارون من موسى ومن تبعه، وهم بمنزلة العجل ومن تبعه، وإنّ موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم: إن ضلّوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم بهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكفّ يده، ويحقن دمه، ولا يفرّق بينهم[(٢)].

وفي رواية أخرى في نفس المصدر أجاب أمير المؤمنين عليه السلام عن سؤال الأشعث بن قيس الكندي: فما يمنعك يا ابن أبي طالب حين بويع أخو تيم بن مرّة، وأخو بني عدي بن كعب، وأخو بني أمية بعدهما، أن تقاتل وتضرب بسيفك؟ وأنت لم تخطبنا خطبة منذ كنت قدمت العراق إلّا وقد قلت فيها قبل أن تنزل عن منبرك: «والله إنّي لأولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ قَبض الله محمداً صلى الله عليه وآله»، فما منعك أن تضرب بسيفك دون

(١) كتاب سليم: ١٣٥.

(٢) كتاب سليم: ١٣٦.

مظلمتك؟ فقال له علي عليه السلام: يا ابن قيس، قلتَ فاسمع الجواب، لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهية للقاء ربي، وأن لا أكون أعلم أنّ ما عند الله خير لي من الدنيا والبقاء فيها، ولكن منعني من ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده إلي، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بما الأمة صانعة بي بعده، فلم أكُ بما صنعوا حين عاينته بأعلم منّي ولا أشدّ يقيناً منّي به قبل ذلك، بل أنا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ يقيناً مني بما عاينت وشهدت، فقلت: يا رسول الله، فما تعهد إلي إذا كان ذلك؟ قال: إن وجدتَ أعواناً فانبذ إليهم، وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك، واحقن دمك، حتى تجد على إقامة الدين وكتاب الله وسنتي أعواناً، وأخبرني صلى الله عليه وآله أنّ الأمة ستخذلني، وتبايع غيري، وتتبع غيري، وأخبرني صلى الله عليه وآله أنّي منه بمنزلة هارون من موسى، وأنّ الأمّة سيصيرون من بعده بمنزلة هارون ومن تبعه، والعجل ومن تبعه، إذ قال له موسى: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾، وقال: ﴿قَالَ يَا ابْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، وإنّما يعني أنّ موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم، إن ضلوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكفّ يده، ويحقن دمه، ولا يفرّق بينهم، وإنّي خشيت أن يقول لي ذلك أخي رسول الله صلى الله عليه وآله: «لم فرّقتَ بين الأمة، ولم ترقب قولي وقد عهدتُ إليك إن لم تجد أعواناً أن تكفّ يدك، وتحقن دمك ودم أهل بيتك وشيعتك؟»[1].

وروى الشيخ الطوسي قدس سره في كتاب (الغيبة) بسند صحيح عن ابن

---

(١) كتاب سليم ٢١٥.

عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّته لأمير المؤمنين عليه السلام: يا علي إن قريشاً ستظاهر عليك، وتجتمع كلمتهم على ظلمك وقهرك، فإن وجدت أعواناً فجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فكفَّ يدك، واحقن دمك، فإن الشهادة من ورائك، لعن الله قاتلك(١).

إذن هناك وصية ثابتة من النبي المصطفى صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام بحفظ دمه، وعدم خوض نزاع مسلّح مع القوم، إلّا اجتمع معه عدد كافٍ من الأعوان، حدّدته بعض الروايات بأربعين رجلاً.

وقد سعى أمير المؤمنين عليه السلام لجمع هذه العدّة، واستنصر المهاجرين والأنصار كما تقدّم، إلّا أنه لم يستجب له إلّا عدد قليل جدًّا: ثلاثة أو أربعة أو سبعة كما ذكرت النصوص المختلفة.

مصادر الوصية في كتب أهل السنة:

قد يتساءل القارئ العزيز، فيقول: هل ثبتت هذه الوصية الخاصّة لأمير المؤمنين عليه السلام في كتب غير الشيعة؟ أم أنّ هذه الوصية هي من مختصات كتب الشيعة فقط؟

والجواب: أنّ نفس هذه الوصية قد وردت في المصادر الروائية عند أهل السنة والجماعة، وهي قول النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين علي عليه السلام: سيكون بعدي اختلاف أو أمر، فإن استطعتَ أن تكون السلم فافعل(٢).

وقد علّق الهيثمي على سند هذه الرواية بقوله: رواه عبد الله، ورجاله

---

(١) الغيبة: ١٩٣.

(٢) مسند أحمد ١/ ٩٠.

ثقات[١].

كما صحّح الخبر أحمد شاكر في تحقيقه على مسند أحمد بن حنبل، قال: إسناده صحيح[٢].

وهنا قد يطرح تساؤل آخر: ما الدليل على أنّ متعلّق هذه الوصيّة هو النزاع الدائر بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين الأول والثاني، الذي كان من تبعاته الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام.

والجواب: هو أنّ من يتتبّع الروايات الشريفة يجد أنّ هناك وصيّتين لأمير المؤمنين عليه السلام، الوصيّة الأولى هي الوصيّة المتقدّمة التي ذكرناها، وأثبتنا صحّتها من كتب الشيعة والسنة.

أمّا الوصيّة الثانية فهي وصيّته صلى الله عليه وآله له عليه السلام بقتال الناكثين والمارقين التي استفاضت في كتب الفريقين.

فقد أخرج الحاكم بسنده عن عقاب بن ثعلبة: حدثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين[٣].

وروى الطبراني بسنده عن مخنف بن سليم، قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري وهو يعلف خيلاً له بصعنبى، فقلنا عنده، فقلت له: أبا أيوب قاتلتَ المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جئت تقاتل المسلمين؟ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بقتال ثلاثة: الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فقد

(١) مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٤.

(٢) مسند أحمد ١/ ٤٦٩.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٥٠.

قاتلت الناكثين، وقاتلت القاسطين، وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالشعفات بالطرقات بالنهراوات، وما أدري ما هم[(١)].

ورواه بسنده عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: أمر رسول الله ﷺ بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين[(٢)].

ورواه في الأوسط بسنده عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجد، قال: سمعت عليًّا يقول: أُمرتُ بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين[(٣)].

ورواه بسنده عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، قال: أُمر علي بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين[(٤)].

ورواه أبو يعلى بسنده عن علي بن ربيعة، قال: سمعت عليًّا على منبركم هذا يقول: عهد إلي النبي ﷺ أن أقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين[(٥)].

وروى بسنده عن عمار بن ياسر، قال: أمرت أن أقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين[(٦)].

وأشار لهذا المعنى أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه في (نهج البلاغة)، قال: فلما نهضتُ بالأمر نكثتْ طائفة، ومرقتْ أخرى، وقسط

---

(١) المعجم الكبير ٤/ ١٧١.

(٢) المعجم الكبير ١٠/ ٩١.

(٣) المعجم الأوسط ٨/ ٢١٣.

(٤) نفس المصدر ٩/ ١٦٥.

(٥) مسند أبي يعلى ١/ ٣٩٧.

(٦) مسند أبي يعلى ٣/ ١٩٤.

آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها[1].

ولا شكّ أنّ المراد بهذه الوصية هم أهل الجمل والنهروان وصفّين، بقرينة قول أمير المؤمنين عليه السلام: «فلمّا نهضت الأمر» أي بعد أن تولّيت الخلافة الظاهرية سنة ٣٥هـ، وعليه فالمراد من الوصية الأولى الفترة الممتدّة من وفاة النبي صلى الله عليه وآله إلى حين تولّيه الأمر.

وعليه فالنبي صلى الله عليه وآله أمر عليًّا عليه السلام بالصبر في حال وقوع «اختلاف أو أمر» بحسب تعبير الرواية، والظاهر أنّ قوله: «أمر» هو تصرّف من الرواة في الحديث بغرض إخفاء الحقيقة وتخفيف الموضوع، وإلّا فالاختلاف المذكور في الحديث هو ما عبّرت عليه رواياتنا بـ «التظاهر، والاستضعاف».

وهناك رواية ذكرتها بعض مصادر العامّة نصّت على حقيقة هذا «الاختلاف»وكشفت النقاب عنه.

فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك بسنده عن حيّان الأسدي: سمعت عليًّا يقول: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ الأمة **ستغدر بك بعدي**، وأنت تعيش على ملّتي، وتُقتل على سنّتي، من أحبّك أحبّني، ومن أبغضك أبغضني، وإنّ هذه ستخضب من هذا - يعني لحيته من رأسه -[2].

(١) نهج البلاغة ١/ ٣٦.

(٢) المستدرك ٣/ ١٥٣، قال الحاكم: صحيح. ووافقه الذهبي في التلخيص.

وروى كذلك بسنده عن أبي إدريس الأودي عن علي عليه السلام، قال: إنّ مما عهد إليّ النبي صلى الله عليه وسلم أنّ الأمة ستغدر بي بعده[(١)].

فهذه الأحاديث تثبت أنّ ما سيتعرّض له أمير المؤمنين علي عليه السلام هو غدر به من قبل هذه الأمّة، وبالجمع بينها وبين حديث الوصية المتقدّم نعلم أنّ تكليف أمير المؤمنين عليه السلام هو الصبر، وعدم سلّ السيف لحرب الذين غدروا به.

لماذا هذه الوصية؟

قد يظن البعض أنّ هذه الوصية هي مجرّد تكليف شخصي لأمير المؤمنين عليه السلام، ولا واقع لها في الخارج، ولهذا أشكل البعض بأنّه لا يمكن قبول هذه الوصية؛ لكونها لا فائدة فيها سوى إضعاف موقف علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهذا غير صحيح، ومنشأ هذا الاشتباه هو النظرة القاصرة للأوضاع العامة لبلاد المسلمين في ذلك الوقت، فمن يقرأ الأحداث قراءة سياسية بحتة يجد أنّ الدولة الإسلامية الفتيّة كانت مستعدّة للدخول في حرب أهلية حقيقية، تقوّض كلّ ما بناه النبي المصطفى صلى الله عليه وآله مدّة دعوته المباركة.

فبلاد فارس كانت تحكمها امبراطورية قويّة، يمتدّ تاريخها إلى مئات السنين، لها أطماع توسعية كبيرة جدًّا، خصوصاً بعد أن هزمت الإمبراطورية البزنطية في بعض المعارك، وتوسّعت على حسابها.

وبلاد الروم كانت تحكمها امبراطورية قويّة أيضاً، مُنيت بأكثر من

(١) المستدرك ٣/ ١٥٣، قال الحاكم: صحيح. ووافقه الذهبي في التلخيص.

هزيمة من قبل الفرس، إلا أنها كانت تسعى لتدارك تلك الهزائم وتعويض الخسائر، والحلقة الأضعف بين هذه الدول الثلاث هي دولة المسلمين الفتية.

أمّا جزيرة العرب فكانت متذبذة بين الحفاظ على إسلامها، وبين اتّباع المتنبّئين الذين ظهروا في بعض مناطقهم، كمسيلمة الكذّاب والأسود العنسي وسجاح وغيرهم، الذين طالما انتظروا وفاة النبي صلى الله عليه وآله.

أمّا مكّة المكرمة فهي آخر المناطق دخولاً في الإسلام، أو بتعبير أصح: «الإستسلام»، حيث خاف صناديد قريش من انتقام المسلمين منهم نتيجة التعذيب والتنكيل الذين لاقوه منهم في بداية الإسلام وفي الحروب التي دارت بينهم، ومن هنا اعتُبر مسلمة الفتح من المؤلّفة قلوبهم.

أمّا المدينة المنورة فيكفينا تصوير القرآن الكريم لبعض تركيبتها الاجتماعية، حيث قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، فالمدينة كانت محاطة بالأعراب الذين وُصفوا في آية أخرى بأنهم ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾، وفي داخلها مجموعة من المنافقين الذين مردوا على النفاق، بمعنى أنّهم أجادوا تمثيل دور المسلم بحيث يصعب كشف نفاقهم، ويكفينا لمعرفة دور هؤلاء محاولتهم اغتيال النبي صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك سنة ٩هـ، ممّا يبيّن عظم نفوذهم في المجتمع المدني في ذلك الوقت[1].

(١) من أشهر محاولات اغتيال النبي صلى الله عليه وآله هي المحاولة التي حصلت في العقبة بعد انصراف المصطفى صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك، وقد روى أحمد في مسنده ٥/ ٤٥٣ القصة كاملة، قال: عن أبي الطفيل قال: لما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: أنّ رسول

الله ﷺ أخذ العقبة، فلا يأخذها أحد. فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة، ويسوق به عمار، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل، غشوا عماراً وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: قُدْ قُدْ. حتى هبط رسول الله ﷺ، فلما هبط رسول الله ﷺ نزل، ورجع عمار، فقال: يا عمار هل عرفت القوم؟ فقال: قد عرفت عامّة الرواحل، والقوم متلثمون. قال: هل تدري ما أرادوا؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ فيطرحوه. فسابَّ عمار رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ فقال: أربعة عشر. فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر. فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة، قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، وما علمنا ما أراد القوم. فقال عمار: أشهد أنّ الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة ويوم يقوم الأشهاد. قال الوليد: وذكر أبو الطفيل في تلك الغزوة: أنّ رسول الله ﷺ قال للناس، وذُكر له أنّ في الماء قلّة، فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فنادى: أن لا يرد الماء أحد قبل رسول الله ﷺ. فورده رسول الله ﷺ، فوجد رهطاً قد وردوه قبله، فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذ.

والظاهر أنّ محاولة الاغتيال هذه كانت خطة بديلة عن الأصل؛ لأنّ من يقرأ النصوص التاريخية يجد أنّ كثيراً من هؤلاء قد حاول أن يتخلّف عن الخروج لغزوة تبوك، وكانت أعداد المتخلفين كبيرة جدّا، وكأنّهم بيّتوا النية لاحتلال المدينة بعد من مغادرة رسول الله ﷺ لها، لكن حدث ما لم يكن في حسبانهم، وهو استخلاف النبي ﷺ لعلي عليه السلام على المدينة كما ورد ذلك فيما رواه البخاري في صحيحه ٥/ ١٢٩: عن مصعب بن سعد عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليًّا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنّه ليس نبي بعدي. وقد مثّل وجود علي عليه السلام عائقاً أمام تنفيذ مشروعهم، فانتقلوا إلى الخطة البديلة، وهي اغتيال المصطفى ﷺ قبل رجوعه إلى المدينة!

أمّا من هم هؤلاء الذين حاولوا اغتيال النبي ﷺ فقد أهملت النصوص التاريخية ذكرهم، بسبب سرّية الموضوع من جهة، وخطورة التصريح بهذه الأسماء من جهة أخرى، ولم تصل لنا إلّا بعض العلامات التي يمكن أن نشخّص بها هؤلاء من بين سائر الصحابة: منها: امتناع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن الصلاة على هؤلاء بعد مماتهم؛ لأنه

ولا ننسى قبائل اليهود التي كانت محيطة بالمدينة المنورة، وكانوا يحيكون المؤامرات لإسقاط الدولة الإسلامية وإفشال دعوة المسلمين، حقداً منهم على الإسلام وأهله، وقد كان لهم دور كبير في الحروب التي قام بها كفّار قريش ضد المسلمين، لا سيما غزوة الأحزاب التي كادت أن تُذهب بالإسلام وأهله.

ومن هنا فقد أجلى النبي صلى الله عليه وآله بعض القبائل اليهودية التي شاركت في هذه المؤامرات، فكان ذلك سبباً في زيادة الحقد والبغضاء في قلوبهم.

فلو حصل نزاع مسلّح بين أمير المؤمنين عليه السلام الذي يدين له بالولاء قسم كبير من المسلمين الذين سبق أن سمعوا فضائله ومناقبه من النبي صلى الله عليه وآله، بل بايعوه قبل سنة واحدة في غدير خم، وعلى رأس هؤلاء الجيش المجهَّز لقتال الروم، الذي كان يقوده أسامة بن زيد، وبين حزب السقيفة

كان يعرفهم بأعيانهم، حيث استأمنه رسول الله صلى الله عليه وآله على أسمائهم، فسُمّي بصحاب سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنها: بعض تلميحات حذيفة التي كانت تصدر منه بين الحين والآخر، ومنها: شدّة عداوتهم وبغضهم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لما ثبت بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق» (سنن الترمذي ٥/ ٦٤٣).

ولذلك نجد أنّ بعض رواة هذا الخبر وهو الوليد بن جميع قد نقل رواية عن حذيفة ذكر فيها أسماء الذين شاركوا في محاولة الاغتيال، أشار إليها ابن حزم الظاهري في (المحلّى) ١١/ ٢٢٤، حيث قال: «وأما حديث حذيفة فساقط؛ لأنه من طريق الوليد بن جميع، وهو هالك، ولا نراه يعلم من وضع الحديث، فإنه قد روى أخباراً فيها أنّ أبا بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وإلقاءه من العقبة في تبوك، وهذا هو الكذب الموضوع الذي يطعن الله تعالى واضعه». ولم يبق عين ولا أثر لهذه الروايات، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

الذين تحالفوا مع بعض الأعراب الذين كانوا يحيطون بالمدينة، ومع بعض كبار قريش الذين كانوا يحملون أحقاداً بدرية أحدية حنينية في قلوبهم على علي عليه السلام، فستكون الخسائر فادحة من الطرفين، وستستغل الأطراف الخارجية كالفرس والروم هذا الصراع الداخلي لاجتياح بلاد المسلمين وإعادة السيطرة عليهم، ولن تقوم للإسلام قائمة بعد ذلك اليوم.

ويظهر من بعض القرائن أنّ المنافقين كانوا ينتظرون وقوع مثل هذا الخلاف لزعزعة الإسلام من الداخل، فقد روى الحاكم النيسابوري في المستدرك أن أبا سفيان بن حرب جاء إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: ما بال هذا الأمر في أقلّ قريش قلّة وأذلّها ذلّة؟! - يعني أبا بكر -، والله لئن شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجالاً. فقال علي: لطالما عاديت الإسلام وأهله يا أبا سفيان[١].

فاعتبر أمير المؤمنين عليه السلام عرض أبا سفيان وتحريضه على القتال عداء منه للإسلام وكيد منه لأهله.

وأفضل بيان لما قلناه هو ما نقله ابن أبي الحديد المعتزلي على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، إذ قال: وقد رُوي عنه عليه السلام أنّ فاطمة عليها السلام حرّضته يوماً على النهوض والوثوب، فسمع صوت المؤذن: «أشهد أنّ محمدا رسول الله»، فقال لها: أيسرّك زوال هذا النداء من الأرض؟ قالت: لا. قال: فإنّه ما أقول لك[٢].

وهذا هو مراده عليه السلام من قوله في خطبته الشقشقية: أما والله لقد

---

(١) المستدرك ٣/ ٧٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١١/ ١١٣.

تقمَّصها فلان، وإنّه ليعلم أنّ محلي منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير، فسدلتُ دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، **فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجى**، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً[1].

فقيام نزاع مسلّح بين الطرفين يعني نهاية الإسلام، وسقوط الدولة التي تأوي المسلمين وتحميهم.

هل سكت الإمام علي عليه السلام عند ضرب الزهراء عليها السلام؟

يؤكّد أصحاب الإشكال على الرواية الشيعية تنصّ على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يحرّك ساكناً وقت الهجوم على بيت النبوة، والاعتداء على الزهراء عليها السلام، وأنه عليه السلام اتّخذ موقف المتفرّج من هذا الحدث، وهذا ما يرفضه كلّ عاقل، خصوصاً مع ما عُرف من غيرة وشجاعة الأمير عليه السلام.

والحقّ أنّ هذا الادّعاء غير صحيح، فليس أمير المؤمنين عليه السلام بالذي تُضرب زوجته أمامه، ويبقى متفرّجاً لا يحرك ساكناً، بل إنّ النصوص المتعدّدة ذكرت موقفه عليه السلام في الدفاع عن حليلته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله:

فقد روى سليم رضي الله عنه في كتابه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه واصفاً المشهد في حديث طويل ذكرنا بعضه فيما تقدّم، قال: **فوثب علي** عليه السلام، **فأخذ بتلابيبه، ثم نتره فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته، وهمَّ بقتله**، فذكر قول رسول

---

(١) نهج البلاغة ١/ ٣١.

الله ﷺ وما أوصاه به، فقال: والذي كرّم محمداً بالنبوة يا ابن صهاك، لولا كتاب من الله سبق، وعهد عهده إلي رسول الله ﷺ لعلمتَ أنك لا تدخل بيتي. فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوّف أن يخرج علي عليه السلام إليه بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدّته، فقال أبو بكر لقنفذ: ارجع، فإن خرج وإلّا فاقتحم عليه بيته، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم النار. فانطلق قنفذ الملعون فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، **وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فسبقوه إليه، وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعضهم سيوفهم، فكاثروه** وضبطوه، فألقوا في عنقه حبلاً، وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدملج من ضربته، لعنه الله ولعن من بعث به(١).

وفي رواية طويلة أخرى رواها سليم عن ابن عباس رضي الله عنه، قال فيها: **فوثب علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخذ بتلابيب عمر، ثم هزّه فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته، وهمّ بقتله،** فذكر قول رسول الله ﷺ وما أوصى به من الصبر والطاعة، فقال: والذي كرم محمداً بالنبوة يا ابن صهاك، لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي. فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وسلّ خالد بن الوليد السيف ليضرب فاطمة عليها السلام، **فحمل عليه بسيفه، فأقسم على علي عليه السلام، فكفّ**(٢).

كما نقل اليعقوبي في تاريخه صورة أخرى من دفاع أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) كتاب سليم: ١٥١.

(٢) كتاب سليم: ٣٨٧.

عن زوجته فاطمة عليها السلام، قال: فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار، **وخرج علي ومعه السيف**، فلقيه عمر، فصارعه عمر فصرعه، وكسر سيفه، ودخلوا الدار فخرجت فاطمة، فقالت: والله لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري ولأَعُجَنّ إلى الله! فخرجوا، وخرج من كان في الدار، وأقام القوم أياماً[(١)].

فمن هنا نعلم أنّ الصورة التي يحاول البعض جعلها في أذهان الناس حول موقف علي عليه السلام عند الهجوم على بيته غير صحيحة، بل الثابت هو دفاعه عن سيّدة النساء عليها السلام بالمقدار الذي أذن له فيه.

باء تجر وباء لا تجر!!

الملاحظ أنّ أصحاب هذه الشبهة التي مللنا من تكرارها يعتبرون هذا الموقف من أمير المؤمنين عليه السلام مطعناً فيه ومنقصة له، لكن نجد أنّهم ينسبون نفس هذا الموقف لعثمان، بل أعظم منه، ولا يرون في موقف عثمان ما ينقصه أو يعيبه!

فقد روت المصادر التاريخية قصة إحراق القوم لباب عثمان، وهجومهم على داره، وما حصل عند ذلك:

فقد قال ابن كثير في تاريخه عند تعرّضه إلى كيفية قتل عثمان: فكان أول من دخل عليه رجل يقال له: «الموت الأسود»، فخنقه خنقاً شديداً حتى غُشي عليه، وجعلت نفسه تتردّد في حلقه، فتركه وهو يظنّ أنّه قد قتله، ودخل ابن أبي بكر، فمسك بلحيته ثم ندّ وخرج، ثم دخل عليه آخر

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٦، ظاهر نصّ اليعقوبي أنّ المصروع هو أمير المؤمنين عليه السلام، لكن ما عُرف من شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام، وما تبيّن من رواية كتاب سليم نعلم أنّ الذي صُرع هو المهاجم لبيت فاطمة عليها السلام، وليس عليًّا عليه السلام.

ومعه سيف، فضربه به فاتقاه بيده فقطعها، فقيل: إنّه أبانها. وقيل: بل قطعها ولم يبنها. إلّا أنّ عثمان قال: والله إنها أول يد كتبت المفصَّل، فكان أول قطرة دم منها سقطت على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، ثم جاء آخر شاهراً سيفه، فاستقبلته نائلة بنت الفرافصة لتمنعه منه، وأخذت السيف فانتزعه منها، فقطع أصابعها، ثم إنه تقدّم إليه فوضع السيف في بطنه فتحامل عليه،... وفي رواية: إنّ الغافقي بن حرب تقدّم إليه بعد محمد بن أبي بكر، فضربه بحديدة في فيه، ورفس المصحف الذي بين يديه برجله، فاستدار المصحف، ثم استقرّ بين يدي عثمان، وسالت عليه الدماء، ثم تقدّم سودان بن حمران بالسيف، فمانعته نائلة، فقطع أصابعها، **فولّت، فضرب عجيزتها بيده، وقال: إنها لكبيرة العجيزة.** وضرب عثمان فقتله، فجاء غلام عثمان فضرب سودان فقتله، فضرب الغلام رجل يقال له: «قترة» فقتله[1].

وقريباً منه ما نقله ابن الأثير في كامله، قال: ثار قتيرة وسودان بن حمران والغافقي، فضربه الغافقي بحديدة معه، وضرب المصحف برجله فاستدار المصحف، واستقرّ بين يديه، وسالت عليه الدماء، وجاء سودان ليضربه فأكبت عليه امرأته، واتّقت السيف بيدها، فنفح أصابعها، فأطن أصابع يديها، وولّت فغمز أوراكها، وقال: «إنها لكبيرة العجز»، وضرب عثمان فقتله[2].

إذن عثمان حوصر بيته، وأحرق بابه، وهاجمه القوم، وانتهى الأمر

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٢١٠.

(٢) الكامل في التاريخ ٣/ ١٨٧.

بقتله، بل وبالاعتداء على زوجته بصورة مخزية كما مرّ في هذه النصوص التاريخية، علماً أنّ عثمان كان خليفة في ذلك الوقت، وكانت كلّ جيوش المسلمين تحت إمرته، فلماذا لم يدافع عن نفسه وعن زوجته، واكتفى بقراءة القرآن؟

وعندما نسأل هذا السؤال يجيبنا محبّوه بأنّ سبب امتناعه عن الدفاع عن نفسه وعن عرضه هو التزامه بوصيّة أوصاه إياها رسول الله صلى الله عليه وآله، تتعلّق بخصوص هذه الحادثة:

فقد روى الترمذي بسنده: عن أبي سهلة قال: قال لي عثمان يوم الدار: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم **قد عهد إليَّ عهداً، فأنا صابر عليه**[1].

ومن هنا فإنّه امتنع عن أي عمل دفاعي عن نفسه وعن عرضه، بل منع كلّ من حاول ذلك، وقد نقل لنا ابن كثير تفصيل الخبر، قال: كان الحصار مستمرًّا من أواخر ذي القعدة إلى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة، فلما كان قبل ذلك بيوم، قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار وكانوا قريباً من سبعمائة، فيهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، والحسن، والحسين، ومروان، وأبو هريرة، وخلق من مواليه، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكفّ يده، وأن ينطلق إلى منزله. وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير، وقال لرقيقه: من أغمد سيفه فهو حر. فبرد القتال من داخل، وحمي من خارج، واشتد الأمر، وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلّت على

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٢٩٥: علّق الترمذي على الحديث بقوله: هذا حديث حسن صحيح، كما صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ح٢٩٢٨.

اقتراب أجله، فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده[1].

فلا ندري لماذا يُستشكل على تصديق الشيعة بقضية الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام، ويُسكت على قضية عثمان، فلا يغمز ولا يلمز فيها أحد من الناس؟!

بل الأعجب من هذا عدّهم للهجوم على بيت عثمان وقتله والاعتداء المخزي على زوجته منقبة وفضيلة لعثمان، بل من أعظم مناقبه التي فُضّل بها على علي أمير المؤمنين عليه السلام!

قال ابن تيمية في منهاجه: ومن المعلوم بالتواتر أنّ عثمان كان من أكفّ الناس عن الدماء، وأصبر الناس على من نال من عرضه، وعلى من سعى في دمه، فحاصروه، وسعوا في قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاءه المسلمون من كل ناحية ينصرونه، ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال، ويأمر من يطيعه أن لا يقاتلهم، ورُوي أنّه قال لمماليكه: من كفّ يده فهو حُرّ. وقيل له: تذهب إلى مكة؟ فقال: لا أكون ممّن ألحد في الحرم. فقيل له: تذهب إلى الشام؟ فقال: لا أفارق دار هجرتي. فقيل له: فقاتلهم. فقال: لا أكون أول من خلف محمداً في أمته بالسيف. **فكان صبر عثمان حتى قُتل من أعظم فضائله عند المسلمين**، ومعلوم أن الدماء الكثيرة التي سُفكت باجتهاد علي، ومن قاتله لم يسفك قبلها مثلها من دماء المسلمين[2].

ونسبوا أعظم من هذا إلى خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، فقد روى

---

(١) البداية والنهاية ٧/ ٢٠٣.

(٢) منهاج السنة ٦/ ١٤٤.

البخاري في صحيحه قصة دخول نبي الله عليه السلام مع زوجته سارة إلى أرض أحد الجبابرة، قال:...بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إنّ ههنا رجلا معه إمرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإنّ هذا سألني عنك فأخبرته أنّك أختي فلا تكذّبيني، فأرسل إليها فلمّا دخلت عليه، ذهب يتناولها بيده فأُخذ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرّك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشدّ، فقال: ادعى الله لي ولا أضرّك فدعت الله فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان إنّما اتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلى، فأومأ بيده مهيا، قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره[1].

فهنا نجد أنّ نبي الله إبراهيم عليه السلام بحسب هذا النصّ، لم يدافع على زوجته بل أرسلها إلى هذا الجبّار واكتفى بالصلاة والدعاء لها بالخلاص رغم أنّ ذلك الجبار كان يريد أن يزني بها عياذا بالله!

علما أنّ ابن حجر العسقلاني قد أكّد هذا المعنى، وصرّح بأنّ نبي الله إبراهيم إنّما فعل ذلك لحماية نفسه، قال: واختلف في السبب الذي حمل إبراهيم على هذه الوصيّة مع **أنّ ذلك الظالم يريد اغتصابها** على نفسها أختا كانت أو زوجة فقيل كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرّض إلّا لذوات الأزواج، كذا قيل ويحتاج إلى تتمّة: وهو أنّ إبراهيم أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفّهما **وذلك أنّ اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة**

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١١٢.

لكن إن علم أنّ لها زوجا في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه أو حبسه وإضراره بخلاف ما إذا علم أنّ لها أخا فإنّ الغيرة حينئذ تكون من قبل الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالي به...[1]

فهذه الشبهة التي يثيرها البعض الغرض منها هو التشويش، وإثارة الغبار على هذه القضية المهمّة وإلّا فلماذا اختلف الحكم باختلاف الأشخاص؟!

٩- اضطراب روايات ضرب الزهراء عليها السلام:

زعم بعضهم أنّ روايات ضرب الزهراء عليها السلام التي نقلناها في الفصول السابقة مضطربة، ويرجع الاضطراب إلى اختلاف الروايات في تحديد اسم المعتدي، وبيان كيفية الاعتداء، وهذا النوع من الاضطراب يسقط الروايات عن الاعتبار كما هو مقرّر في علم الدراية.

والجواب:

لا وجود لهذا الإضطراب أساساً، ولا مشكلة في هذه الروايات، بل المشكلة في القراءة التجزيئية لهذه الروايات، التي تكوِّن صورة ناقصة غير مكتملة عند القارئ.

ضرب الزهراء عليها السلام أكثر من مرة:

أشارت الروايات إلى أنّ الاعتداء على فاطمة الزهراء عليها السلام قد تكرّر أكثر من مرّة، ولم يقع مرّة واحدة فقط عند دخولهم كما توهّم البعض:

---

(١) فتح الباري ٦/ ٢٧٩.

الاعتداء الأول: كان قبل دخول القوم إلى الدار، وبالتحديد عندما دافعت الذي هجم على بيتها الباب، فضربها بالسوط، كما دلّ على ذلك كتاب عمر لمعاوية، الذي قال فيه: فضربتْ فاطمة يديها من الباب تمنعني من فتحه، فرمتُه، فتصعَّب علي، فضربت كفيها بالسوط فألّمها، فسمعت لها زفيراً وبكاء[١].

الاعتداء الثاني: كان عند دخول القوم الدار، وهو الإعتداء المعروف الذي ذكرته أكثر الروايات، حيث وُكزت في جنبها بالسيف، ولُطمت على وجهها، وعُصرت بين الباب والجدار.

الاعتداء الثالث: حصل عندما حاولت الزهراء عليها السلام منع القوم من أخذ الإمام علي عليه السلام، كما ورد ذلك في جملة من الروايات، نذكر منها على سبيل المثال ما ورد في رواية سليم رضي الله عنه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه التي سبق ذكرها، قال فيها: وقد كان قنفذ لعنه الله ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط حين حالت بينه وبين زوجها، وأرسل إليه عمر: «إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها»، فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضادة باب بيتها، ودفعها، فكسر ضلعها من جنبها، فألقت جنيناً من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة[٢].

الاعتداء الرابع: حدث بعد أن كتب لها أبو بكر كتاباً بردّ فدك، إلا أن عمر عارض ذلك، وأراد أن ينتزع الكتاب من فاطمة عليها السلام، فلما أبت دفعه إليه رفسها ولطمها، فقد روى الشيخ المفيد قدس سره في كتاب (الإختصاص)

---

(١) بحار الأنوار ٣٠/ ٢٩٤.

(٢) كتاب سليم: ١٥٣.

حديثاً طويلاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال فيه: فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر، فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذي معك؟ فقالت: كتاب كتب لي أبو بكر برد فدك. فقال: هلمّيه إلي. فأبت أن تدفعه إليه، فرفسها برجله وكانت حاملة بابن اسمه المحسن، فأسقطت المحسن من بطنها، ثم لطمها، فكأني أنظر إلى قرط في أذنها حين نقفت، ثم أخذ الكتاب فخرقه[1].

فمنشأ الاضطراب المزعوم هو توهّم أن الاعتداء على الزهراء عليها السلام كان مرّة واحدة، لا أنّه تعدّد وتكرّر أكثر من مرة كما بينّا بالروايات الصريحة.

تعدّد المعتدين على الزهراء عليها السلام:

أيضاً الروايات بيّنت أمراً آخر مهمًّا، وهو أنّ الجاني على الزهراء عليها السلام لم يكن شخصاً واحداً، بل كان مجموعة من الأشخاص، وكلّ واحد منهم جنى عليها بشكل من الإشكال كما سيأتي.

فتغاير الروايات في تصوير أشكال الجناية على الزهراء عليها السلام ليس اضطراباً فيها، بل هو تغاير بلحاظ الجاني عليها، خصوصاً وأنّ الحادثة قد رواها أكثر من راوٍ، سواء كان من الذين شهدوها كأمير المؤمنين عليه السلام وسلمان وابن عباس وغيرهم، أم من الأئمة عليهم السلام اللاحقين الذين نقلوا الحادثة للأجيال اللاحقة.

فكلّ راو من هؤلاء نقل جزءاً من القضية بحسب مشاهدته، أو

---

(١) الاختصاص: ١٨٥.

بحسب الأجواء التي نقل فيها الحديث، والسبب الدافع لذلك النقل.

ومن هنا يعلم القارئ أنّ ما توهم أنّه اضطراب ليس إلّا قصوراً في تتبّع الروايات والنصوص التاريخية.

١٠ - حديث: أنتِ أول أهل بيتي لحوقاً بي:

من الأحاديث التي تمسّك بها بعض المنكرين الحديث المعروف والمشهور بين السنة والشيعة عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله أنه قال لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام: أنتِ أول أهل بيتي لحوقاً بي[1].

ووجه الدلالة في هذا الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وآله ذكر أنّ أوّل أهل بيته لحوقاً بعده فاطمة عليها السلام، ومقتضى رواية الهجوم على دارها أنّ أوّل من لحق بالنبي صلى الله عليه وآله هو المحسن عليه السلام؛ لأنّه كان ضحية من ضحايا هذا الهجوم الآثم على بيت الوحي.

ويمكن الجواب ببيان عدة أمور:

عدم شمولية الكلام للمحسن عليه السلام:

أنّ كلام النبي صلى الله عليه وآله إنما يشمل الموجودين من أهل بيته في ذلك الوقت، ولا يشمل غيرهم، أو كما يعبّرون في علم المنطق بأن هذه القضية قضية خارجية، وليست حقيقية، بمعنى أن الحكم فيها مختص بالموجودين فعلاً في الخارج، ولا يشمل من سيوجدون بعد ذلك، فالمحسن عليه السلام ليس مشمولاً أساساً بأهل البيت في هذا الحديث لكي يرد علينا هذا الإشكال.

---

(١) الأمالي: ١٥٦، الإرشاد ١/ ١٨٧، دلائل الإمامة: ١٣١، صحيح البخاري ٤/ ٢٠٣، صحيح مسلم ٧/ ١٤٣.

وبتعبير آخر: إنّ قوله ﷺ: «أهل بيتي» في الحديث لا يشمل الأجنّة في بطون أمهاتهم، لا لغةً ولا اصطلاحاً، فلا يشمل المحسن عليه السلام بأي نحو.

أما لغة: فإنه من الواضح أن الجنين لا يُعد في اللغة من أهل الرجل، أو من أهل بيته؛ لأن المراد بأهل البيت من يسكنون فيه، والجنين لا يعتبر من سُكّان البيت.

قال الخليل بن أحمد: أَهْلُ الرَجل: زوجهُ، وأخصّ الناس به. والتَّأَهُّل: التَّزوُّج. وأهل البيت: سُكّانه(١).

وقال الزبيدي: الأهل للبيت: سُكَّانه ومن ذلك: أهل القرى: سُكّانها(٢).

وأما اصطلاحاً فإن الأحاديث حصرت أهل البيت في ذلك الوقت بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كما دلّت على ذلك أحاديث كثيرة مرويّة في كتب الفريقين.

وعليه فمن يزعم أن الجنين مشمول بأهل البيت فعليه الإثبات.

عدم صدق اللّحوق على المحسن عليه السلام

إنّ الجنين الذي يكون في رحم أمّه لم تبدأ حياته الفعلية بحيث يحسب عمره، بل إنّ حساب السنّ يبدأ بعد ولادته وخروجه لهذا العالم، وعليه فسقوط المحسن عليه السلام لا يصدق عليه أنّه لحوق بالنبي ﷺ، فهو لم يدركه أساساً، فكيف يكون سقوطه لحوقاً بالنبي ﷺ؟!

---

(١) العين ٤/ ٨٩.

(٢) تاج العروس ٢٨/ ٤١.

مناسبة المقام:

من يقرأ الرواية يجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان في مقام مواساة الزهراء عليها السلام والتخفيف من مصابها بفقده صلى الله عليه وآله، فليس من المعقول أن يذكّرها في مثل هذه الحالة بمصيبة أخرى، فمثل هذا الفعل ناقض للغرض، ولا يصدر من عاقل، فكيف بسيّد العقلاء؟

١١- لماذا لم تُذكر قضية الزهراء عليها السلام في (نهج البلاغة)؟

طرح بعضهم هذا التساؤل: لماذا لا يوجد في كتاب (نهج البلاغة) الذي هو من أهم مصادر الشيعة أي ذكر لقضية الهجوم على الدار وكسر الضلع؟ أليست هذه القضية أهم من كثير من القضايا التي ذكرت في هذا الكتاب؟

والجواب:

منهج الشريف الرضي رضي الله عنه:

هذه الشبهة مبنيّة على توهّم كون كتاب (نهج البلاغة) مجعول لجمع واستقصاء كلّ خطب وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام، والحال أنّ الكتاب صنّفه صاحبه لجمع أبلغ الكلمات المنسوبة للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد صرّح الشريف الرضي قدس سره في مقدّمة النهج أنّ الكتاب هو مختارات، قال: فرغت من الخصائص التي تخصّ أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام، وعاقت عن إتمام بقيّة الكتاب محاجزات الزمان ومماطلات الأيام، وكنت قد بوّبت ما خرج من ذلك أبواباً، وفصّلته فصولاً، فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نُقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والأمثال

والآداب، دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة، فاستحسن جماعة من الأصدقاء والإخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدّم ذكره، معجبين ببدائعه، ومتعجّبين من نواصعه، وسألوني عند ذلك أن أبدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه، ومتشعّبات غصونه، من خُطَب وكتب ومواعظ وآداب، علماً أن ذلك يتضمّن عجائب البلاغة، وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب[١].

فكلام أمير المؤمنين عليه السلام لا ينحصر في الخطب الموجودة فقط في (نهج البلاغة)، بل ما يوجد فيه لا يعدو كونه مجرّد مختارات، لوحظ فيها فقط الجانب الأدبي للكلمات والكتب، ولم يلحظ أي جانب آخر.

قضية الزهراء عليها السلام في (نهج البلاغة):

نقل الشريف الرضي رضي الله عنه كلاماً في نهجه لأمير المؤمنين عليه السلام، يتعرّض فيه لقضية ظلم الزهراء عليها السلام، وهي قوله عليه السلام عند دفنها: السلام عليكَ يا رسول الله، عنّي وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، قلَّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، ورقّ عنها تجلّدي، إلّا أنّ لي في التأسّي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك، موضع تعزٍّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فلقد استُرجعت الوديعة، وأُخذت الرهينة، أمّا حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهَّد، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبّئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها، فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا

---

(١) نهج البلاغة ١/ ١١.

ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر[١].

فهذه الرواية وإن أجملت الحال، إلّا أنّها أشارت إلى الفاجعة العظمى، ويكفي القارئ اللبيب قوله عليه السلام: «وستنبّئك ابنتك بتضافر أمّتك على هضمها»؛ ليعلم مقصود الإمام عليه السلام.

تقيّة الشريف الرضي رضي الله عنه:

لا بدّ من ملاحظة العصر الذي عايشه الشريف الرضي رضي الله عنه، والظروف التي أحاطت به، فمن يقرأ الأوضاع التي واكبها يعلم يقيناً أنّ الرجل كان لا يتمكّن من التصريح بكلّ شيء يعتقده؛ لعدّة عوامل:

أولاً: كونه صاحب منصب رفيع في بغداد، وهو (نقابة الطالبيين) باتفاق بين الدولة العباسية والبويهية في ذلك الوقت، وهذا الوضع يقتضي منه المحافظة على هذا التوازن والمقبولية عند الطرفين، خصوصاً أنّ هذه النقابة كانت تجمع كل المذاهب.

ثانياً: صعوبة الوضع الديني في بغداد في ذلك الزمن، حيث كان التوتّر الطائفي يسود المنطقة، وكانت تحصل الفتنة تلو الفتنة، وقد نقلنا عدّة شواهد عند تعرّضنا لعصر الشيخ المفيد رضي الله عنه أستاذ الرضي قدس سره.

ثالثاً: كانت علاقة الشريف الرضي رضي الله عنه جيّدة جدًّا بكلّ الطوائف الإسلامية، وقد تتلمذ عند كثير من علماء وأدباء أهل السنة والجماعة، ولهذا نجد أنّ كلّ من ترجم له أثنى عليه[٢].

(١) نهج البلاغة ٢/ ١٨٢.

(٢) ذكرت من مدح الشريف الرضي قدس سره من علماء العامّة في كتاب (نهج البلاغة فوق

هذه العوامل الثلاثة اقتضت أن يستخدم الشريف الرضي رضي الله عنه التقية في أقواله وأفعاله، وأن يجتنب التصريح بكلّ ما من شأنه زعزعة الوضع العام، ويدلّ على هذا إسقاطه في نهج لاسم «ابن أبي قحافة» في الخطبة الشقشقية، واستعاضته بقوله: «فلان»، رغم أنّ كلّ المصادر القديمة ورد فيها التصريح بالاسم.

بل كُتبت بحوث ودراسات حول استخدام الشريف الرضي رضي الله عنه التقية حتى في أشعاره الغزلية[1]، وهذا كاف في عدم ذكر شيء مما وقع على الزهراء عليها السلام في نهج البلاغة.

تصريح أمير المؤمنين عليه السلام بما جرى:

توجد عدّة روايات في المصادر الروائية الأخرى عند الشيعة صرّح فيها بما جرى على زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام:

منها: ما رواه سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه في كتابه، قال: انتهيت إلى حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ليس فيها إلّا هاشمي غير سلمان، وأبي ذر، والمقداد، ومحمد بن أبي بكر، وعمر بن أبي سلمة، وقيس بن سعد بن عبادة، فقال العباس لعلي عليه السلام: ما ترى عمر مَنَعَه من أن يغرم قنفذاً كما أغرم جميع عماله؟ فنظر علي عليه السلام إلى من حوله، ثم اغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال: **شكر له ضربةً ضربها فاطمة** عليها السلام **بالسوط، فماتت وفي**

الشبهات والتشكيكات فراجع.

(١) راجع: (التقية في شعر الشريف الرضي...) بحث نُشر في مجلّة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية، لإيمان محمد أمين الكيلاني.

عضدها أثره كأنه الدملج(١).

وروى الشيخ الصدوق رضي الله عنه في كتاب الأمالي، بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: بين أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: أبكي مما يُصنع بكم بعدي. فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: أبكي من ضربتك على القرن، **ولطم فاطمة خدّها**، وطعنة الحسن في الفخذ، والسُّمّ الذي يُسقى، وقتل الحسين. قال: فبكى أهل البيت جميعاً. فقلت: يا رسول الله، ما خلقنا ربّنا إلا للبلاء! قال: ابشر يا علي، فإنّ الله عزّ وجلّ قد عهد إلي أنه لا يحبّك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق(٢).

وروى الكفعمي قدس سره في مصباحه في الدعاء الذي كان يقنت به أمير المؤمنين عليه السلام في صلاته، وفيه: وكفر نصبوه، وإرث غصبوه، وفيء اقتطعوه، وسحت أكلوه، وخمس استحلّوه، وباطل أسّسوه، وجور بسطوه، ونفاق أسرّوه، وغدر أضمروه، وظلم نشروه، ووعد أخلفوه، وأمان خانوه، وعهد نقضوه، وحلال حرّموه، وحرام أحلّوه، **وبطن فتقوه، وجنين أسقطوه، وضلع دقّوه**، وصكّ مزّقوه(٣).

وما رواه ابن العرندس في (كشف اللئالي) عن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث طويل - قال: والموعد قريب، والرب نعم الحاكم، فاستعدوا للمسألة جواباً، ولظلمكم لنا أهل البيت احتساباً، أو تُضرب الزهراء نهراً،

---

(١) كتاب سليم: ٢٢٤.

(٢) الأمالي: ١٩٧.

(٣) المصباح: ٥٥٢.

ويؤخذ منّا حقّنا قهراً وجبراً، فلا نصير ولا مجير، ولا مسعد ولا منجد، فليت ابن أبي طالب مات قبل يومه، فلا يرى الكفرة الفجرة قد ازدحموا على ظلم الطاهرة البرّة، فتبًّا تبًّا، وسحقاً سحقاً، ذلك أمر إلى الله مرجعه، وإلى رسول الله ﷺ مدفعه، **فقد عزّ على ابن أبي طالب أن يسودّ متن فاطمة ضرباً**، وقد عرف مقامه، وشوهدت أيّامه، فلا يثور إلى عقيلته، ولا يصر دونه حليلته، فالصبر أيمن وأجمل، والرضا بما رضي الله به أفضل[1].

لماذا الاقتصار على دليل من نهج البلاغة فقط؟

إنّ أصحاب هذا الإشكال اتبعوا طريقة من أسموا أنفسهم بالقرآنيين، وهي محاولة إلزام المسلمين بما يوجد في القرآن فقط، ونفي ما لا يوجد فيه، وكذلك الحال هنا، فإنّ هؤلاء النفاة يحاولون إلزام الشيعة بالإتيان بدليل من (نهج البلاغة) فقط، دون الأدلة الأخرى الموجودة في غيره.

ونحن لا نقبل هذا الإلزام؛ لأنّ العمدة عندنا هي الروايات والنصوص التاريخية المثبِتة لهذه الحادثة المذكورة في المصادر المعتبرة الأخرى وإن لم توجد في نهج البلاغة، ولا ندري هل يلتزم أصحاب هذا الإشكال بإسقاط كلّ عقيدة أو حكم فقهي أو قضية لم تُذكر في كتاب الله عزّ وجلّ، أم لا؟

وعليه، فالأساس الذي بُني عليه هذا الإشكال لا نسلّم به، وعليه فلا نسلّم بأنّ المطروح هو إشكال أساساً.

---

(١) مصباح البلاغة ١/ ٢٨٦.

١٢- لماذا لم تذكر الزهراء عليها السلام قضيّتها في الخطبة الفدكيّة؟

من الإشكالات التي ذكرها بعضهم هو: لماذا لم تتطرّق الزهراء عليها السلام لما جرى عليها من هجوم على دارها، وكسر ضلعها، وإسقاط جنينها، في خطبتها الشهيرة التي عُرفت بالخطبة الفدكيّة؟

فالفرصة كانت مناسبة جدًّا لفضح المهاجمين لها أمام كلّ المسلمين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، كي تؤلّب الرأي العام عليهم، وتستنصر الصحابة الذين غُيّبت عنهم الحقيقة.

والجواب يتّضح ببيان عدّة نقاط:

الخطبة كانت للدفاع عن الإسلام:

إنّ خطبة الزهراء عليها السلام التي خلّدها الزمن وسطّرها التاريخ كانت لإرجاع الإسلام إلى عينه الصافية، ومحاربة الانحراف الذي قام به أصحاب السقيفة لخدمة مصالحهم، ومن هنا نجد أنّ الشيخ الصدوق رضي الله عنه جعل خطبتها تحت باب أسماه (علل الشرائع وأصول الاسلام)[1].

ومن يقرأ الخطبة يجد أنّ الزهراء عليها السلام تعرّضت فعلاً لأركان الإسلام والتشريعات، وحتى عند ذكرها لقضية فدك التي سُمّيت الخطبة باسمها عرضتها بكونها تحريفاً لكتاب الله، وتلاعباً بشرع الله، ممّا يخرجها عن كونها قضية شخصية بين الزهراء عليها السلام وبين مخالفيها:

قالت عليها السلام في خطبتها: وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟! أفلا تعلمون؟

---

(١) علل الشرائع ١/ ٢٤٨.

بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية: أنّي ابنته. أيّها المسلمون أغلب على إرثي؟ يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فريًّا! أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، وقال فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾، وقال: ﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ﴾، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾، وقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم هل تقولون: إنّ أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟[(١)].

فالزهراء عليها السلام وقفت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله دفاعاً عن الإسلام الذي جاء به أبوها النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، وليس عن قضاياها الشخصية التي وإن كانت مهمّة إلّا أنّ الدفاع عن الدين بما هو دين أهمّ.

إضعاف موقف الزهراء عليها السلام:

لو تعرّضت الزهراء عليها السلام لقضية الاعتداء عليها في خطبتها فإنّ ذلك كان سيُضعف موقفها كثيراً أمام الطرف الآخر الذي صوّر البيت العلوي على أنّه مجموعة من المعارضين الذين يحاولون شقّ عصا المسلمين، والقيام بفتنة في المجتمع المدني بعد أن استقرت الأمور.

---

(١) دلائل الإمامة: ١١٠.

وقد تقدّم في الروايات أنّهم روّجوا أنّ المعارضين قد اعتصموا في البيت العلوي ومعهم السلاح استعداداً للانقلاب على حزب السقيفة، وضرب السيدة الزهراء عليها السلام واقتحام بيتها ربما يبرّره القوم بأنه لأجل إجبار المعارضين على الدخول فيما دخلت فيه الأمة، وإن اقتضى ذلك ضرب الزهراء عليها السلام التي أرادت حماية أولئك المخالفين لاختيار الأمة.

وبتعبير آخر نقول: إنّ الزهراء عليها السلام تكلّمت في خطبتها في القضايا التي لا يسع القوم تبريرها والاعتذار منها، مثل غصب الخلافة، والاستيلاء على فدك، دون الأمور الأخرى التي أوجدوا لها بعض المبرّرات.

وقد أجاد السيّد محمد علي القاضي رحمه الله في تقرير هذا الجواب بصورة أخرى، حيث قال: لعلّ عدم إشارة الصدّيقة الطاهرة سلام الله عليها إلى أعمال القوم من الضرب واللطم، وكذا عدم إشارة أمير المؤمنين عليه السلام إلى تلك الأعمال الصادرة منهم في حقّ الزهراء البتول عليها السلام، إنّما هو من جهة عدم الاعتناء لما صدر منهم من تلك الأعمال الرذيلة، فإنّ الأكابر والأعاظم من الرجال فضلاً عمّن هو في مقام العصمة والولاية لا يعبؤون بما يصدر من الأراذل والأخسة في حقّهم من الوهن وعدم رعاية الاحترام بمثل الضرب واللطم، فإنّ تلك الأشخاص في أنظارهم المقدسة كالأنعام بل هم أضلّ، فهل ترى أنّ حيواناً إذا ركل شخصاً جليلاً أن يقابله بمثل عمله وسوء صنيعه؟ أو يأتي هذا الشخص إلى حشد من الناس وأندية قوم شاكياً من عمل هذا الحيوان؟ بل إذا خاطبهم الجاهلون بالأقوال الشائنة والأفعال الشنيعة كالضرب واللطم والشتم وأمثالها مرّوا كراماً وقالوا:

«سلاماً»، وكان عدم إشارة أمير المؤمنين عليه السلام وكذا الصدّيقة الطاهرة عليها السلام إلى أعمال القوم لهذه العلّة، وأمّا شكواها من غصب الخلافة وغصب فدك فإنّ لهذين الأمرين من الأهمية والاعتناء ما ليست لغيرهما[١].

تكذيب الزهراء عليها السلام:

الأمر الأخير الذي يمكن أن يجاب به هو أنّ الزهراء عليها السلام لو ذكرت ما جرى عليها لكانت عرضة للتكذيب، كما حصل في دعواها أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد ملّكها أرض فدك!

فإن كانت قد كُذّبت في قضية (فدك) رغم اشتهارها وذياع صيتها، فهل سيتورّع القوم عن تكذيبها في ما جرى عليها؟!

علماً أنّ الذين حاصروا بيت الزهراء عليها السلام كما تقدّم كانوا من مرتزقة قبيلة أسلم، ولم يكونوا من أهل المدينة سوى ثلّة من المهاجمين الذين لا يتورّعون عن الكذب وتزييف الحقائق للوصول إلى مبتغاهم.

فإذا كان القوم قد تجرؤوا على قذف فاطمة الزهراء عليها السلام من على منابرهم، فهل سيتورّعون عن تكذيبها؟

فقد قال الشيخ المفيد رضي الله عنه في المقنعة: وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: أكبر الكبائر سبعة، فينا نزلت، وبنا استُحلّت، أولها: الشرك بالله عزّ وجلّ، والثانية: قتل النفس التي حرّم الله، والثالثة: عقوق الوالدين، والرابعة: قذف المحصنات، والخامسة: أكل مال اليتيم، والسادسة: الفرار من الزحف، والسابعة: إنكار حقّنا أهل البيت، فأمّا الشرك بالله تعالى فقد

---

(١) جنة المأوى: ١٦٣ (في الهامش).

قال الله عزّ وجل فينا ما قال، وأنزل فينا ما أنزل، وبيّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله، فكذّبوا الله ورسوله، وردّوا عليهما، وأمّا قتل النفس التي حرّم الله فقد قُتل الحسين عليه السلام ظلماً في أهل بيته، وأمّا عقوق الوالدين فقد عقّوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في ذرّيّتهما، **وأمّا قذف المحصنات فقد قُذفت الزهراء عليها السلام على منابرهم**، وأمّا أكل مال اليتيم فإن الله تعالى جعل لنبيّه صلى الله عليه وآله الأنفال، وهي من بعده للإمام، وأحلّ لذريّته الخمس، فعَدَوا عليه فأخذوه، ومنعوهم حقوقهم منه، وأمّا الفرار من الزحف فقد والله بايعوا عليًّا طائعين، ثم فرّوا عنه، وأمّا إنكار حقّنا أهل البيت فوالله ما يتعاجم في هذا أحد[١].

وقد نقل لنا الرواة بعضاً من ردود أفعالهم بعد الخطبة العظيمة التي خطبتها الزهراء عليها السلام، وكيف انتقصوا من مقامها، وتعدّوا على ساحتها:

فقد قال ابن أبي الحديد في شرحه للنهج: وحدّثني محمد بن زكريا، قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول، قال: فلمّا سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقالتها، فصعد المنبر وقال: أيّها الناس، ما هذه الرعة[٢] إلى كل قالة! أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلّم، إنّما هو ثعالة شهيدُهُ ذَنَبُه[٣]، مُرَبٍّ

(١) المقنعة ٢٩٠.

(٢) الرعة: الاستماع والإصغاء.

(٣) ثعالة: اسم الثعلب، ومثله ذؤالة للذئب، ومعنى: «شهيده ذنبه»: لا شاهد له على ما يدّعى إلا ذَنَبه، وهذا مثَل، ذكروا أن قصته هي أنّ الأسد افتقد الشاة، وكان الثعلب قد أكلها، فأراد أن يبرئ نفسه، وأن يغري الأسد بالذئب، فقال للأسد: إنّ الذئب هو الذي أكل الشاة، وكنت حاضراً، قال الأسد: فمن يشهد لك بذلك؟ فرفع ذَنَبه وعليه

لكل فتنة[١]، هو الذي يقول: كروها جذعة[٢] بعد ما هرمت، يستعينون بالضعفة، ويستنصرون بالنساء، **كأمّ طحال**[٣] **أحبُّ أهلها إليها البَغِيّ**، ألا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبُحْت، إنّي ساكت ما تُركت. ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم، وأحقّ من لزم عهد رسول الله ﷺ أنتم، فقد جاءكم فآويتم ونصرتم، ألا إنّي لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا. ثم نزل، فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها[٤].

تصريح الزهراء عليها السلام بظلامتها:

صرّحت الزهراء عليها السلام في أكثر من مورد بظلامتها، وذكرت تفاصيل ما جرى عليها:

فقد ذكر الديلمي قدس سره في (إرشاد القلوب) وصية الزهراء عليها السلام الأخيرة لأمير المؤمنين عليه السلام، ومما ورد فيها قولها: لا تُصَلّ عليَّ أمّة نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله ﷺ في أمير المؤمنين علي عليه السلام، وظلموني

دم، فقبل الأسد شهادته، وقتل الذئب، وفي هذا الكلام تعريض بعلي عليه السلام بأنه لا شاهد له على ما يدّعي إلا زوجته التي لا تصلح للشهادة.

(١) مُرَبٍّ: ملازم ، من قولهم: أرب بالمكان. أو من ربَّى الشيء: أي نمّاه، والمعنى أنه يلازم كل فتنة، أو يؤجّجها.

(٢) كروها جذعة: أي أعيدوا الفتنة إلى حالتها الأولى.

(٣) أم طحال: امرأة بغي في الجاهلية، يُضرب بها المثل فيقال: أزنى من أم طحال. وفي هذا الكلام تعريض شديد بعلي وفاطمة عليهما السلام، والمعنى أنه شديد السوء، وأحبّ أهل بيته إليه السيء.

(٤) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢١٥.

حقّي، وأخذوا إرثي، وخرقوا صحيفتي التي كتبها لي أبي بملك فدك، وكذّبوا شهودي وهم والله جبرئيل وميكائيل وأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن، وطفت عليهم في بيوتهم، وأمير المؤمنين عليه السلام يحملني، ومعي الحسن والحسين ليلاً ونهاراً إلى منازلهم، أذكّرهم بالله وبرسوله: ألا تظلمونا، ولا تغصبونا حقّنا الذي جعله الله لنا. فيجيبونا ليلاً، ويقعدون عن نصرتنا نهاراً، ثم ينفذون إلى دارنا قنفذاً ومعه عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد ليُخرجوا ابن عمي عليّا إلى سقيفة بني ساعدة لبيعتهم الخاسرة، فلا يخرج إليهم متشاغلاً بما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وآله، وبأزواجه، وبتأليف القرآن، وقضاء ثمانين ألف درهم وصّاه بقضائها عنه عدات وديناً، فجمعوا الحطب الجزل على بابنا، وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفتُ بعضادة الباب، وناشدتهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنا وينصرونا، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ - مولى أبي بكر -، فضرب به عضدي فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج، وركل الباب برجله، فردّه عليَّ وأنا حامل، فسقطت لوجهي والنار تسعر وتسفع وجهي، فضربني بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض، فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم، فهذه أمّة تصلي عليَّ وقد تبرّأ الله ورسوله منهم، وتبرّأت منهم؟![1].

وقد أشارت الزهراء عليها السلام إلى هذا المعنى في خطبتها لنساء الأنصار كما رواها الشيخ الصدوق رضي الله عنه بسنده: عن عبد الله بن الحسن، عن أمّه فاطمة بنت الحسين عليها السلام، قالت: لمّا اشتدّت علّة فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليها، اجتمع عندها نساء المهاجرين والأنصار، فقلن لها: يا

---

(١) بحار الأنوار ٣٠/ ٣٤٩.

بنت رسول الله كيف أصبحت من علّتك؟ فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحد وخور القناة، وخطل الرأي، وبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، لا جرم لقد قلدتهم ربقتها، وشننت عليهم عارها، فجدعاً وعقراً وسحقاً للقوم الظالمين، ويحهم أنّى زحزحوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة، ومهبط الوحي الأمين، والطبين بأمر الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين، وما نقموا من أبي حسن، نقموا والله منه نكير سيفه، وشدّة وطأته، ونكال وقعته، وتنمّره في ذات الله عزّ وجلّ، والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله ﷺ لاعتلقه، ولسار بهم سيراً سجحاً لا يُكلم خشاشه، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطاناً، قد تخيَّر لهم الري، غير متحل منه بطائل، إلا بغمر الماء وردعه سورة الساغب، ولفُتحت عليهم بركات السماء والأرض، وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون، ألا هلّم فاسمع، وما عشت أراك الدهر العجب، وإن تعجب وقد أعجبك الحادث، إلى أي سناد استندوا؟ وبأية عروة تمسّكوا؟ استبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون، ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾، أما لعمر إلهك لقد لقحت فنَظِرَة ريثما تنتجوا، ثم احتلبوا طلاع القعب دماً عبيطاً وزعافاً ممقراً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غبّ ما أسّس الأوّلون، ثم طيبوا عن أنفسكم نفساً، واطمأنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا

بسيف صارم، وهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وزرعكم حصيداً، فيا حسرتي لكم، وأنى بكم، وقد عُمّيتْ عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون[١].

وقد نقل الحاكم النيسابوري قسماً من هذه الخطبة في كتابه (مناقب فاطمة الزهراء عليها السلام) عن كتاب (المناقب) لأبي بكر محمد بن داود، عنونها بقوله: ذكر وصية فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عند وفاتها[٢].

وبهذا يندفع هذا الإشكال أيضاً، ونكون قد أجبنا على أهمّ الإشكالات التي تثار من هنا ومن هناك حول قضية الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام والاعتداء عليها.

---

(١) معاني الأخبار: ٣٥٤.

(٢) فضائل فاطمة: ٧٤. والعجيب من محقّق الكتاب كيف حكم على هذه الخطبة بالوضع؛ بدليل أنّ الخطبة انتهت بالحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، قال في صفحة ٧٦: أيّها القارئ، إنّه لو لم يكن من علامات الكذب في هذه الرواية إلّا خاتمها بالحمدلة والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام لكفى ذلك في بيان بطلان نسبتها إلى فاطمة رضي الله عنها!!

أسماء الذين هجموا على بيت فاطمة عليها السلام

بعد أن استعرضنا أهم الروايات التي ورد فيها ذكر مصيبة الزهراء عليها السلام، وتفاصيل ما جرى عليها من ظلم وهضم لحقّها، نذكر الآن أهمّ أسماء الذين حاصروا البيت العلوي، واعتدوا عليه بما تقدّم، بحسب ما ورد في النصوص التاريخية:

كم عدد الذين هاجموا بيت الزهراء؟

لم تحدّد الروايات الشريفة والنصوص التاريخية العدد الدقيق لمن هاجم بيت علي عليه السلام واعتدوا عليه، لكن بعض النصوص أشارت إلى أنّهم كانوا رجالاً كثيرين.

وذكرت الروايات أنّ القوم طلبوا المدد ثلاث مرّات لكي يستطيعوا اقتحام البيت والدخول فيه، فقد روى سليم في كتابه عن سلمان الفارسي رواية طويلة جاء فيها: فأرسله إليه، وأرسل معه أعواناً، وانطلق، فاستأذن على علي عليه السلام، فأبى أن يأذن لهم، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر - وهما جالسان في المسجد والناس حولهما- فقالوا: لم يؤذن لنا. فقال عمر: اذهبوا، فإن أذن لكم وإلّا فادخلوا عليه بغير إذن. فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليها السلام: «أحرّج عليكم أن تدخلوا عليَّ بيتي بغير إذن». فرجعوا وثبت قنفذ الملعون، فقالوا: إنّ فاطمة قالت كذا وكذا، فتحرّجنا أن ندخل بيتها بغير إذن، فغضب عمر، وقال: ما لنا وللنساء؟ ثم أمر أناساً حوله أن يحملوا الحطب، فحملوا الحطب، وحمل معهم عمر، فجعلوه

حول منزل علي وفاطمة وابناهما عليهم السلام، ثم نادى عمر حتى أسمع عليًّا وفاطمة عليهما السلام: «والله لتخرجنّ يا علي، ولتبايعنّ خليفة رسول الله، وإلّا أضرمتُ عليك بيتك النار»، فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولك؟ فقال: افتحي الباب، وإلّا أحرقنا عليكم بيتكم. فقالت: «يا عمر، أما تتّقي الله تدخل عليَّ بيتي؟»، فأبى أن ينصرف؛ ودعا عمر بالنار، فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل، فاستقبلته فاطمة عليها السلام، وصاحت: «يا أبتاه يا رسول الله»، فرفع عمر السيف وهو في غمده، فوجأ به جنبها، فصرخت: «يا أبتاه»، فرفع السوط، فضرب به ذراعها، فنادت: «يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر»، فوثب علي عليه السلام، فأخذ بتلابيبه، ثم نتره، فصرعه، ووجأ أنفه ورقبته، وهمَّ بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاه به، فقال: «والذي كرّم محمداً بالنبوة - يا بن صهاك - لولا كتاب من الله سبق، وعهد عهده إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعلمت إنك لا تدخل بيتي»، فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوّف أن يخرج علي عليه السلام إليه بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدته، فقال أبو بكر لقنفذ: «إرجع، فإن خرج وإلّا فاقتحم عليه بيته، فإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم النار»، فانطلق قنفذ الملعون، فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فسبقوه إليه وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعضهم سيوفهم، فكاثروه وضبطوه، فألقوا في عنقه حبلاً، وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل

الدملج من ضربته، لعنه الله ولعن من بعث به[١].

ونقل ابن أبي الحديد خبراً مسنداً في شرحه لنهج البلاغة، يثبت فيه كثرة المهاجمين لبيت فاطمة عليها السلام، قال: عن الشعبي، قال: قال أبو بكر: يا عمر، أين خالد بن الوليد؟ قال: هو هذا، فقال: انطلقا إليهما - يعني عليًّا والزبير -، فأتياني بهما. فانطلقا، فدخل عمر، ووقف خالد على الباب من خارج، فقال عمر للزبير: ما هذا السيف؟ قال: أعددته لأبايع عليًّا. قال: وكان في البيت ناس كثير، منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشميين، فاخترط عمر السيف، فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه، ثم دفعه فأخرجه، وقال: يا خالد، دونك هذا. فأمسكه خالد - **وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس، أرسلهم أبو بكر ردءاً لهما**[٢].

وذكر صاحب الاحتجاج رواية طويلة عن أبان بن تغلب، ورد فيها أنّه اجتمع للخليفة الأول أربعة آلاف مقاتل، قال: فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل، فقال لهم: ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل **حتى اجتمع أربعة آلاف رجل،** فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب، حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلّم بالذي تكلّم بالأمس لنأخذنّ

---

(١) كتاب سليم: ١٥١.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦/ ٤٩.

الذي فيه عيناه[١].

فالظّاهر أنّ هذه الجماعة هي التي حاصرت بيت الزهراء عليها السلام واقتحمته، إذ أنّهم اجتمعوا بهذا العدد لأنّ بني هاشم - بحسب تعبيرهم- طمعوا في الملك! فأرادوا صدّهم عن ذلك.

من هاجم بيت فاطمة عليها السلام؟

لم تذكر الروايات أسماء كل المهاجمين لبيت الزهراء عليها السلام، وقد ذكرنا سابقاً أنّ غالبهم من الأعراب الذي استوطنوا ضواحي مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله من قبيلة بني أسلم، إلّا أنّ بعض الروايات ذكرت أسماء كبار المهاجمين لهذا البيت الطاهر، وهم:

١. أبو بكر:

فقد كان الهجوم على بيت فاطمة بأمره ولأجله كما دلّت على ذلك نصوص السنّة والشيعة:

منها: ما رواه سليم رضي الله عنه في كتابه عن سلمان الفارسي التي ذكرنا بعضاً منها فيما سبق، ومما ورد فيها قول سلمان رضي الله عنه: فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوّف أن يخرج علي عليه السلام إليه بسيفه؛ لما قد عرف من بأسه وشدّته، فقال أبو بكر لقنفذ: ارجع، فإن خرج وإلّا فاقتحم عليه بيته، فإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم النار. فانطلق قنفذ الملعون، فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فسبقوه إليه وكاثروه وهم كثيرون، فتناول

---

(١) الإحتجاج ١/ ١٠٤.

بعضهم سيوفهم، فكاثروه وضبطوه[(١)].

كما نقلت كتب أهل السنة والجماعة ندمه على هذا الفعل الذي أقدم عليه، فيما رواه الطبراني في معجمه الكبير بسنده عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، قال: دخلت على أبي بكر أعوده في مرضه الذي توفّي فيه، فسلّمت عليه، وسألته كيف أصبحت؟ فاستوى جالساً، فقلت: أصبحتَ بحمد الله بارئاً. فقال: أما إنّي على ما ترى وجع، وجعلتم لي شغلاً مع وجعي، جعلت لكم عهداً من بعدي، واخترت لكم خيركم في نفسي، فكلكم ورم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له، ورأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهي جائية، وستنجدون بيوتكم بسور الحرير ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأذري، كأن أحدكم على حسك السعدان، ووالله لأن يقدّم أحدكم فيُضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن يسيح في غمرة الدنيا. ثم قال: أما إنّي لا آسي على شيء إلّا على ثلاث فعلتهن، وددت أني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن، وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أنّي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن، فأما الثلاث اللاتي وددت أني لم أفعلهن، فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وتركته...[(٢)].

ومن هنا فإنّ ابن تيمية برّر هذا الفعل بقوله: وغاية ما يقال: إنه كبس البيت لينظر هل فيه شيء من مال الله الذي يقسمه وأن يعطيه لمستحقه، ثم رأى أنه لو تركه لهم لجاز، فإنه يجوز أن يعطيهم من مال الفيء، وأما إقدامه عليهم أنفسهم بأذى فهذا ما وقع فيه قط باتفاق أهل

---

(١) كتاب سليم: ١٥١.

(٢) المعجم الكبير ١/ ٦٣.

العلم والدين[١].

٢. عمر بن الخطاب:

وهو الذي قاد الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام، وتولّى عملية التهديد للبيت بالحرق وترويع من فيه، كما دلّت على ذلك روايات أهل السنة والشيعة على حدّ سواء:

منها: ما رواه الطبري في تاريخه بسنده عن زياد بن كليب، قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف، فعثر، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه[٢].

وروى البلاذري في أنسابه بسنده عن ابن عون: أنّ أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع، فجاء عمر، ومعه فتيلة، فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب، أتراك محرّقاً عليَّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك[٣].

ومنها: ما رواه ابن قتيبة بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري، وهو حديث طويل جاء فيه قوله: وإنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليٍّ كرّم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجُنّ أو لأحرقنّها على من فيها. فقيل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة؟

---

(١) منهاج السنة النبوية ٨/ ٢٩١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٤٤٣.

(٣) أنساب الأشراف ١/ ٥٨٦.

فقال: وإن. فخرجوا فبايعوا إلّا عليًّا، فإنه زعم أنه قال: حلفتُ أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن. فوقفتْ فاطمة عليها السلام على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقًّا[١].

٣. عثمان بن عفان:

وهو من الأمويين، وعداء بني أمية لبني هاشم معروف مشهور مسطّر في كتب التاريخ، وقد ذكرت بعض المصادر مشاركته في الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام:

فقد ذكر العياشي رضي الله عنه في تفسيره رواية طويلة عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن جدّه، ورد فيها: فقام أبو بكر، وعمر، وعثمان، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، وقنفذ، وقمتُ معهم، فلما انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمة صلوات الله عليها أغلقت الباب في وجوههم، وهي لا تشك أن لا يدخل عليها إلّا بإذنها، فضرب عمر الباب برجله فكسره، وكان من سعف، ثم دخلوا فأخرجوا عليًّا عليه السلام ملبّباً[٢].

٤. أبو عبيدة الجرّاح:

ترجم له ابن حجر العسقلاني بقوله: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب، ويقال: وهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢٠.

(٢) تفسير العياشي ٢/ ٦٧.

الفهري أبو عبيدة بن الجراح، مشهور بكنيته وبالنسبة إلى جدّه، ومنهم من لم يذكر بين عامر والجراح عبد الله، وبذلك جزم مصعب الزبيري في نسب قريش، والأكثر على إثباته[١].

وقد كان من المرافقين لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وأحد الرجلين اللذين رشّحهما أبو بكر للخلافة كما ورد في رواية طويلة رواها البخاري عن عائشة، جاء فيها: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منّا أمير ومنكم أمير. فذهب إليهم أبو بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلّم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلّا أنّي قد هيّأت كلاماً قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر. ثم تكلّم أبو بكر، فتكلّم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منّا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكنّا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً، وأعربهم أحساباً، فبايِعوا عمر بن الخطاب، أو أبا عبيدة بن الجراح[٢].

وهو ممن هجموا على بيت فاطمة عليها السلام كما ورد في رواية العياشي رضي الله عنه التي ذكرناها آنفاً[٣].

٥. قنفذ:

من الرجال الذين وقع الاختلاف بهم كثيراً، ولم يُبحث عن ترجمة

---

(١) الإصابة ٣/ ٤٧٥.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٩٤.

(٣) تفسير العياشي ٢/ ٦٧.

وافية لهذا الرجل، بل حتّى الروايات اختلفت في وصفه:

فبعضها نصّ على أنّه مولى لعمر كما في جملة الروايات، وبعضها عبّر عنه صراحة بالعدوي كما في نقل ابن شهر آشوب[(١)] وغيره.

وبعضها نصّ على أنّه مولى لأبي بكر كما ورد في رواية الإمامة والسياسة لابن قتيبة[(٢)] وفي غيره.

وبعضها نصّ على أنّه رجل من الطلقاء، أحد بني عدي بن كعب كما ورد في رواية سليم[(٣)].

والحقّ هو ما ورد في كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه؛ لأنّنا إذا رجعنا إلى تراجم الصحابة نجد صحابيًّا واحداً يحمل هذا الاسم، وكذلك يحمل نفس النسب، أي من بني عدي بن كعب، وهو (قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي)، وقد قالوا: إنّ (قنفذاً) هو لقب وليس اسماً، واسمه الحقيقي هو (خلف)[(٤)].

والذي يؤكّد هذا هو أنّ الذين ترجموا له، نصّوا على أنّ عمر بن الخطاب قد ولّاه مكّة المكرمة، وهذا يتناسب مع الرواية التي ذكرناها سابقاً، والتي أشارت إلى أنّه كان من عمّال عمر:

قال ابن عبد البر: قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي له صحبة، ولّاه

---

(١) المناقب ٢/ ١٣٣.

(٢) الإمامة والسياسة ١/ ٢٠.

(٣) كتاب سليم: ١٤٩.

(٤) الإصابة ٤/ ٥١٩.

عمر مكّة، ثم عزله، وولّى نافع بن عبد الحارث[(١)].

وقد ساق خليفة بن خياط نسبه في طبقاته، فقال: اسم قنفذ: خلف بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة[(٢)].

أمّا ما ورد في (الإمامة والسياسة) من أنّه كان عبداً لأبي بكر فلم أجد له دليلاً، ولم أجده في مصدر آخر، ولعلّ منشأه هو انصراف كلمة «مولى» للعبد عند البعض، ففُهم من قوله: «مولى لعمر» أو «مولى لأبي بكر» أنّه كان عبداً لأحدهما.

ووجه الجمع بين الروايات هو أنّ وصفهم له بأنّه «مولى لأبي بكر» يراد منه جهة النسب، أي أنّه ابن عمّ له، فلفظة «المولى» تطلق على ابن العم، وتعبيرهم بأنّه «مولى لعمر بن الخطاب» يراد منها تحالفه معه وانقياده له.

والظاهر أنّ التعتيم على شخصية الرجل كان متعمدّا من قبل أهل التاريخ والسير؛ لما اقترفه الرجل من فظائع، لا سيما في حقّ سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام.

وفقد روى سليم بن قيس رضي الله عنه رواية طويلة ذكر فيها ما صنعه الرجل، قال: قال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع، فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع، غيره وغير هؤلاء الأربعة... فقال أبو بكر: من نرسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً، وهو رجل فظّ غليظ جافٍ من الطلقاء، أحد بني عدي بن كعب. فأرسله إليه، وأرسل معه أعواناً، وانطلق

---

(١) الإستيعاب ٣/ ١٣٠٧.

(٢) طبقات خليفة بن خياط: ٥٠.

فاستأذن على علي عليه السلام، فأبى أن يأذن لهم، فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر وهما جالسان في المسجد والناس حولهما، فقالوا: لم يؤذن لنا. فقال عمر: اذهبوا، فإن أذن لكم وإلّا فادخلوا عليه بغير إذن. فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة عليها السلام: أحرِّجُ عليكم أن تدخلوا عليَّ بيتي بغير إذن. فرجعوا وثبت قنفذ الملعون، فقالوا: إنّ فاطمة قالت كذا وكذا، فتحرجنا أن ندخل بيتها بغير إذن[1].

وقد ذكر ابن قتيبة الدينوري دوره في الهجوم على الدار، قال: فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادع لي عليًّا. قال: فذهب إلى علي، فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة. فقال أبو بكر لقنفذ: عُدْ إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع. فجاءه قنفذ، فأدّى ما أُمر به، فرفع علي صوته، فقال: سبحان الله؟ لقد ادَّعى ما ليس له. فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً...[2].

٦. أسلم العدوي:

كان مولى لعمر بن الخطاب، وهو من كبار محدّثي أهل السنة والجماعة ومن رواة الصحيحين، عرّفه الذهبي بقوله: الفقيه الإمام أبو زيد، ويقال: أبو خالد، القرشي، العدوي، العمري، مولى عمر بن الخطاب،

---

(١) كتاب سليم: ١٤٩.

(٢) الإمامة والسياسة ١/ ٢٠.

قيل: هو من سبي عين التمر، وقيل: هو يماني، وقيل: حبشي[١].

اختلف في صحبته بين مثبت ونافٍ كما تقدّم، والذي يظهر لي أنّه كان صحابيًّا؛ للروايات التي دلّت على مشاركته في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام.

وقد نقل قصّة تبيّن العلاقة الوطيدة التي تربطه بعمر، ممّا أدّى إلى استغراب عبد الله بن عمر الذي سأله فقال: يا أبا خالد، إنّي أرى أمير المؤمنين يلزمك لزوماً لا يلزمه أحداً من أصحابك، لا يخرج سفراً إلا وأنت معه، فأخبرني عنه...[٢].

وهذا الرجل ممن رووا قصّة الهجوم على الدار كما في مصنّف بن أبي شيبة، حيث قال: إنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليّ والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم، فلماّ بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم! والله ما من أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، أن أمرتهم أن يحرّق عليهم البيت. قال: فلماّ خرج عمر جاؤوها، فقالت: تعلمون أنّ عمر قد جاءني، وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقنّ عليكم البيت، وأيم الله ليمضينَّ لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فروا رأيكم، ولا ترجعوا إلي. فانصرفوا عنها، فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٩٨.

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/ ٩٩.

بكر[١].

ونقل السيّد ابن طاووس رضي الله عنه رواية تضمّنت اعترافاً من هذا الرجل بمشاركته في هذه الجريمة العظمى، إذ قال: كنت ممن حمل الحطب مع عمر إلى باب فاطمة حين امتنع علي وأصحابه عن البيعة أن يبايعوا، فقال عمر لفاطمة: أَخْرِجي من في البيت وإلا أحرقته ومن فيه. قال: وفي البيت علي والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي، فقالت فاطمة: أفتحرق عليَّ ولدي؟ فقال: إي والله، أو ليخرجنّ وليبايعنّ[٢].

وهذه الرواية قد نقلها عن كتاب (الغرر) لأبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المصري المعروف بـ (ابن حنزابه)، وزير بني الأخشيد، الذي توفي سنة ٣٩١هـ، وكتابه المزبور لم يصل إلينا.

٧. محمد بن مسلمة:

ترجم له الذهبي بقوله: محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة أبو عبد الله، وقيل: أبو عبد الرحمن، وأبو سعيد الأنصاري[٣].

وقال: وهو حارثي من حلفاء بني عبد الأشهل، وكان رجلاً طوالاً أسمر معتدلاً أصلع وقوراً[٤].

شارك في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، بل نُقل أنّه هو الذي كسر سيف الزبير بن العوام في ذلك الهجوم، روى ذلك عبد الله بن أحمد في

---

(١) المصنف ٨/ ٥٧٢.

(٢) الطرائف: ٢٣٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٩.

(كتاب السُّنّة) بسنده: عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: وغضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر، منهم علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، فدخلا بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ومعهما السلاح، فجاءهما عمر في عصابة من المسلمين، فيهم أسيد، وسلمة بن سلامة بن وقش، وهما من بني عبد الأشهل، ويقال: فيهم ثابت بن قيس بن الشماس أخو بني الحارث بن الخزرج، فأخذ أحدهم سيف الزبير، فضرب به الحجر حتى كسره، قال موسى بن عقبة: قال سعد بن إبراهيم: حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أن عبد الرحمن كان مع عمر يومئذ، وأن **محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير**، والله أعلم[1].

والعجيب ما نُقل في ترجمته وما عُدّ من مناقبه أنّ الرجل اعتزل الفتنة، ولم يشارك في القتال بين الصحابة في الجمل وصفين والنهروان، بل كسر سيفه، واتّخذ سيفاً من خشب!

قال الذهبي: وكان رضي الله عنه ممن اعتزل الفتنة، ولا حضر الجمل، ولا صفين، بل اتّخذ سيفاً من خشب، وتحوّل إلى الربذة، فأقام بها مُدَيدة[2].

وقد نقلوا أنّ النبي صلى الله عليه وآله هو الذي أوصاه بذلك، ومنعه من الدخول في الفتن بين المسلمين، فقد روى الطبراني بسنده: عن أبي بردة، قال: مررنا بالربذة وإذا فسطاط، قلت: لمن هذا؟ قيل: لمحمد بن مسلمة. فدخلت عليه فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «يا محمد بن مسلمة، إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فاكسر سيفك، واكسر نبلك، واقطع

---

(١) السنة: ٣٩٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٦٩.

وترك، واجلس في بيتك، فقد وقعت الفتنة»، وفعلتُ الذي أمرني به رسول الله ﷺ. فالتفتّ فإذا السيف معلّق بعمود الفسطاط، فانتصلته فإذا سيفاً من خشب، قال: قد فعلتُ ما أمرني به النبي ﷺ، واتخذت هذا أهيب به الناس[١].

فانظر أخي القارئ إلى هذا الرجل، أوصاه النبي صلى الله عليه وآله باجتناب الفتنة، فكان أوّل المهاجمين على بيت النبوة، والمروّعين لبنت رسول الله صلى الله عليه وآله التي أمر الله جلّ جلاله بمودّتها، وفي المقابل يتورّع عن مقاتلة الناكثين والقاسطين والمارقين الذين أمر النبي صلى الله عليه وآله بقتالهم!

٨. أسيد بن حضير:

ترجم له ابن حجر العسقلاني بقوله: أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، يُكنّى أبا يحيى وأبا عتيك، وكان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعاث[٢].

وقد كان له دور كبير في توطيد الأمر للخليفة الأول مع ابن عمّه بشير بن سعد، وإقصاء حزب سعد بن عبادة من المعادلة في ذلك اليوم، عندما استغلّ أبو بكر الشقاق الموجود بين الأوس والخزرج:

قال الطبري في تاريخه: فقام بشير بن سعد (أبو النعمان بن بشير)، فقال: يا معشر الأنصار، إنّا والله لئن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضى ربّنا، وطاعة نبيّنا، والكدح

---

(١) المعجم الكبير ١٩/ ٢٣٣.

(٢) الإصابة ١/ ٢٣٤.

لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرَضاً، فإنّ الله وليّ المنّة علينا بذلك، ألا إن محمداً ﷺ من قريش، وقومه أحقّ به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً، فاتّقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم. فقال أبو بكر: هذا عمر وهذا أبو عبيدة، فأيّهما شئتم فبايعوا. فقالا: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنّك أفضل المهاجرين، وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدّمك أو يتولّى هذا الأمر عليك؟ ابسط يدك نبايعك. فلماّ ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد، عققت عقاق، ما أحوجك إلى ما صنعت، أنفست على ابن عمّك الأمارة؟ فقال: لا والله، ولكنّي كرهت أن أنازع قوماً حقًّا جعله الله لهم. ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر. فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم[(١)].

ولذلك اعتبرتهما عائشة من أفاضل الصحابة مع سعد بن معاذ الذي سيأتي الكلام عليه لاحقاً، قالت: ثلاثة من الأنصار لم يكن في الناس أحد يعتد عليهم فضلاً بعد رسول الله ﷺ: سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير،

---

(١) الإصابة ١/ ٢٣٤.

وعباد بن بشر[(١)].

ومن مظاهر توطيده لخلافة أبي بكر مشاركته في هذه الجريمة الشنعاء على بيت فاطمة عليها السلام كما ورد في رواية (كتاب السنة) لعبد الله بن أحمد: عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: وغضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر، منهم علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، فدخلا بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهما السلاح، فجاءهما عمر في عصابة من المسلمين فيهم **أسيد** وسلمة بن سلامة بن وقش، وهما من بني عبد الأشهل...[(٢)].

وقد أشارت رواية سليم بن قيس إلى مشاركته في الواقعة، بل وحمله السلاح، قال: ثم انطُلق بعلي عليه السلام يعتل عتلاً، حتى انتُهي به إلى أبي بكر، وعمر قائم بالسيف على رأسه، وخالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، والمغيرة بن شعبة، **وأسيد بن حضير**، وبشير بن سعيد، وسائر الناس جلوس حول أبي بكر عليهم السلاح[(٣)].

٩. سلمة بن سلامة:

ترجم له ابن حجر في الإصابة بقوله: سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي أبو عوف، ذكره ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما في أهل العقبة وبدر، قال الطبري: شهد

---

(١) المعجم الأوسط ١/ ٢٧٥.

(٢) السنة: ٣٩٧.

(٣) كتاب سليم: ١٥١.

العقبة الأولى والثانية في قول جميعهم، وشهد بدراً والمشاهد بعدها[١].

وقد كان على علاقة وطيدة بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ولهذا جعله والياً على اليمامة التي تُعتبر من أكبر المناطق في تلك الحقبة[٢].

وثبت في الروايات مشاركته في الجريمة النكراء، وهي الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، كما ورد في رواية (كتاب السُّنّة) لعبد الله بن أحمد، التي ذكرنا بعضاً منها آنفاً.

ومن طرق الشيعة ما ورد في رواية كتاب (الاحتجاج) للطبرسي، وفيها: وانصرف علي وبنو هاشم إلى منزل علي عليه السلام، ومعهم الزبير، قال: فذهب إليهم عمر في جماعة ممن بايع، فيهم أسيد بن حصين و**سلمة بن سلامة**، فألفوهم مجتمعين، فقالوا لهم: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس. فوثب الزبير إلى سيفه، فقال عمر: عليكم بالكلب العقور، فاكفونا شرَّه. فبادر سلمة بن سلامة فانتزع السيف من يده، فأخذه عمر، فضرب به الأرض فكسره، وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم، ومضوا بجماعتهم إلى أبي بكر، فلما حضروا قالوا: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس، وأيم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنّكم بالسيف[٣].

وهذا الرجل لا يُعرف عنه الشيء الكثير، وكلّ من ترجم له اكتفى ببضع سطور فقط، رغم أنّه عمّر إلى سنة ٤٥هـ، ممّا يجعلنا نتساءل عن مصير هذا الرجل في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) الإصابة ٣/ ١٢٤.

(٢) الإصابة ٣/ ١٢٤.

(٣) الاحتجاج ١/ ٩٥.

١٠. سلمة بن أسلم:

ترجم له ابن عبد البر بقوله: سلمة بن أسلم بن حريش بن عديّ بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن عديّ بن مالك بن الأوس الأنصاري الحارثي، شهد بدراً والمشاهد كلّها، وقُتل يوم جسر أبي عبيد سنة أربع عشرة، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقيل: بل قُتل وهو ابن ثلاث وستين سنة يوم جسر أبي عبيد، يكنى أبا سعد، يقال: إنّه الَّذي أسر السائب بن عبيد والنعمان بن عمرو يوم بدر، ذكر ذلك أبو حاتم الرازي[١].

وذكر ابن الأثير أنّه حليف لبني عبد الأشهل، قال: وقال ابن مندة وأبو نعيم: سلمة بن سلامة الأشهلي، شهد بدراً، لا تُعرف له رواية، ورويا عن ابن إسحاق فيمن شهد بدراً من الأوس من بني عبد الأشهل: سلمة بن أسلم بن الحريش بن عدي بن مخدعة بن حارثة بن الحارث، أخرجه الثلاثة، وجوّده أبو نعيم بقوله: هو حليف لهم. وأمّا ابن مندة فلم يذكر الحلف ولا بد منه، فإنّ سياق النسب يدل عليه؛ لأنه ليس فيه عبد الأشهل، وإنّما هو من ولد حارثة بن الحارث بن الخزرج، وعبد الأشهل هو ابن جشم بن الحارث بن الخزرج، فجشم أبو عبد الأشهل هو أخو حارثة بن الحارث، والله أعلم[٢].

وجاء في بعض الروايات أنه شارك في الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، منها رواية الطبري الكبير رضي الله عنه في كتاب (المسترشد)، قال: وحدّث

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٦٣٩.

(٢) أسد الغابة ٢/ ٣٣٢.

الواقدي: حدّثنا ابن أبي حنيفة، عن داود بن الحصين، قال: غضب رجال من المهاجرين والأنصار في بيعة أبي بكر، وقالوا: من غير مشورة ولا رضى منا. وغضب علي والزبير، ودخلا بيت فاطمة، وتخلّفا عن البيعة، فجاءهم عمر في عصابة، فيهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم بن جريش الأشهلي، فصاح عمر: اخرجوا أو لنحرقنّها عليكم! فأبوا أن يخرجوا، فصاحت بهم فاطمة وناشدتهم الله، فأمر عمر **سلمة بن أسلم**، فدخل عليهما، وأخذ سيف أحدهما، فضرب به الجدار حتى كسره، ثم أخرجه ما يسوقهما حتى بايعا[1].

وذكر ابن أبي الحديد في شرحه على (نهج البلاغة) دوره في ذلك، فقال: وذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة، منهم أسيد بن حضير و**سلمة بن أسلم**، فقال لهم: انطلقوا فبايعوا. فأبوا عليه، وخرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب. فوثب عليه سلمة بن أسلم، فأخذ السيف من يده، فضرب به الجدار[2].

١١. خالد بن الوليد:

من قادة المهاجمين لبيت الزهراء عليها السلام، وقد تقدّم أنّه قدم في ألف مقاتل؛ لمنع بني هاشم من الأمر[3]، وقد كان من الذين جمعوا الحطب على باب فاطمة عليها السلام كما نقل ذلك ابن عباس رضي الله عنه حيث قال: فانطلق قنفذ، فأخبر أبا بكر، فوثب عمر غضبان، فنادى خالد بن الوليد وقنفذاً، فأمرهما

---

(١) المسترشد: ٣٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦/ ١١.

(٣) الاحتجاج ١/ ١٠٤.

أن يحملا حطباً وناراً، ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي عليه السلام، وفاطمة عليها السلام قاعدة خلف الباب، قد عصبت رأسها، ونحل جسمها في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ...[١].

وليست هذه أول مرّة يشارك فيها الرجل في الهجوم على بيت المصطفى صلى الله عليه وآله، فقد سبق أن كان قائد المهاجمين على بيت النبوّة في مكة، في ليلة هجرة النبي صلى الله عليه وآله ومبيت أمير المؤمنين عليه السلام على فراشه.

فقد روى الشيخ الطوسي رضي الله عنه في الأمالي رواية طويلة عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال فيها: فلما غلق الليل أبوابه، وأسدل أستاره، وانقطع الأثر، أقبل القوم على علي عليه السلام يقذفونه بالحجارة والحلم، ولا يشكّون أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى إذا برق الفجر، وأشفقوا أن يفضحهم الصبح، هجموا على علي صلوات الله عليه، وكانت دور مكة يومئذ سوائب لا أبواب لها، فلما بصر بهم علي عليه السلام قد انتضوا السيوف، وأقبلوا عليه بها، وكان يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة، وثب له علي عليه السلام، فخَتَلَه وهمز يده[٢]، فجعل خالد يقمص قماص البَكْر[٣]، ويرغو رغاء الجمل، ويذعر ويصيح، وهم في عرج الدار من خلفه، وشدّ عليهم علي عليه السلام بسيفه - يعني سيف خالد -، فأجفلوا أمامه إجفال النعم إلى ظاهر الدار، فتبصّروه فإذا هو علي عليه السلام، فقالوا: إنّك لعلي؟ قال: أنا علي. قالوا: فإنّا لم نردك، فما فعل صاحبك؟

---

(١) كتاب سليم: ٣٨٧.

(٢) خَتَله: أي خادعه، وهمز يده: عصرها.

(٣) يقمص: أي لا يستقر في موضع، فيثب من مكانه من غير صبر. والبَكْرُ من الإبل: هو الفَتِيّ، والأنثى بَكْرة. قال ابْن السّكيت: البَكْر بِمَنْزِلَة الفتَى، والقَلُوص بمنزِلة الفتاة.

قال: لا علم لي به[١].

علماً أنّ الرجل كان من أشدّ المبغضين لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وقد نقل لنا أحمد بن حنبل رواية تثبت هذا المعنى، قال: عن عبد الله بن بريدة، حدّثني أبي بريدة، قال: أبغضت عليًّا بغضاً لم يبغضه أحد قط، قال: **وأحببت رجلاً من قريش لم أحبّه إلّا على بغضه عليًّا**، قال: فبُعث ذلك الرجل على خيل، **فصحبته، ما أصحبه إلّا على بغضه عليًّا**، قال: فأصبنا سبياً، قال: فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ابعث إلينا من يخمّسه. قال: فبعث إلينا عليًّا، وفي السبي وصيفة هي أفضل من السبي. فخمّس، وقسم، فخرج رأسه مغطى، فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي، فإنّي قسمت وخمّست فصارت في الخمس، ثم صارت في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم صارت في آل علي، ووقعت بها. قال: فكتب الرجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: ابعثني. فبعثني مصدّقاً، قال: فجعلتُ أقرأ الكتاب، وأقول: صدق. قال: فأمسك يدي والكتاب، وقال: أتبغض عليًّا؟ قال: قلت: نعم. قال: فلا تبغضه، وإن كنت تحبّه فازدد له حبًّا، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة. قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبّ إليّ من علي[٢].

وقد تعمّد الرواة اخفاء اسم هذا الرجل الذي كان بغضه لعلي عليه السلام معروفاً مشهوراً بين الصحابة، إلّا أنّ الخبر قد نُقل بطريق آخر صُرّح فيه

---

(١) الأمالي: ٤٦٧.

(٢) مسند أحمد ٥/ ٣٥١.

بهوية المذكور:

فقد روى الحاكم في مستدركه، قال: حدثني عبد الله بن بريدة الأسلمي، قال: إني لأمشي مع أبي، إذ مرّ بقوم ينقصون عليًّا عليه السلام، يقولون فيه، فقام فقال: **إنّي كنت أنال من علي، وفي نفسي عليه شيء، وكنت مع خالد بن الوليد** في جيش، فأصابوا غنائم، فعمد علي إلى جارية من الخمس فأخذها لنفسه، **وكان بين علي وبين خالد شيء**، فقال خالد: هذه فرصتك. وقد عرف خالد الذي في نفسي على علي...[1].

ومن هنا فإنّ القوم قد انتدبوا الرجل لاغتيال أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دلّت على ذلك بعض النصوص الروائية والتاريخية:

فقد روى سليم بن قيس رضي الله عنه في كتابه عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: ثم إنهم تآمروا وتذاكروا، فقالوا: لا يستقيم لنا أمر ما دام هذا الرجل حيًّا. فقال أبو بكر: من لنا بقتله؟ فقال عمر: خالد بن الوليد. فأرسلا إليه، فقالا: يا خالد، ما رأيك في أمر نحملك عليه؟ قال: احملاني على ما شئتما، فوالله إن حملتماني على قتل ابن أبي طالب لفعلت. فقالا: والله ما نريد غيره. قال: فإنّي له. فقال أبو بكر: إذا قمنا في الصلاة صلاة الفجر، فقم إلى جانبه ومعك السيف، فإذا سلّمت فاضرب عنقه. قال: نعم. فافترقوا على ذلك، ثم إن أبا بكر تفكّر فيما أمر به من قتل علي عليه السلام، وعرف أنّه إن فعل ذلك وقعت حرب شديدة وبلاء طويل، فندم على ما أمره به، فلم ينم ليلته تلك

(١) المستدرك ٢/ ١٢٩. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه الذهبي.

حتى أصبح، ثم أتى المسجد وقد أقيمت الصلاة، فتقدّم فصلّى بالناس مفكّراً، لا يدري ما يقول، وأقبل خالد بن الوليد متقلّداً بالسيف حتى قام إلى جانب علي عليه السلام، وقد فطن علي عليه السلام ببعض ذلك، فلمّا فرغ أبو بكر من تشهده صاح قبل أن يسلِّم: يا خالد لا تفعل ما أمرتك، فإن فعلت قتلتك. ثم سلّم عن يمينه وشماله، فوثب علي عليه السلام، فأخذ بتلابيب خالد، وانتزع السيف من يده، ثم صرعه، وجلس على صدره، وأخذ سيفه ليقتله، واجتمع عليه أهل المسجد ليخلّصوا خالداً، فما قدروا عليه، فقال العباس: حلّفوه بحق القبر لما كففت. فحلّفوه بالقبر فتركه، وقام فانطلق إلى منزله[١].

وروى علي بن إبراهيم القمّي رضي الله عنه في تفسيره بسند معتبر رواية طويلة فيها: فرجع أبو بكر إلى منزله، وبعث إلى عمر، فدعاه، ثم قال: أما رأيت مجلس علي منا اليوم؟ والله لإن قعد مقعداً مثله ليفسدنّ أمرنا، فما الرأي؟ قال عمر: الرأي أن تأمر بقتله. قال: فمن يقتله؟ قال: خالد بن الوليد. فبعثا إلى خالد فأتاهما، فقالا: نريد أن نحملك على أمر عظيم. قال: حملاني ما شئتما ولو قتل علي بن أبي طالب. قالا: فهو ذاك. فقال خالد: متى أقتله؟ قال أبو بكر: إذا حضر المسجد فقم بجنبه في الصلاة، فإذا أنا سلَّمت فقم إليه فاضرب عنقه. قال: نعم. فسمعت أسماء بنت عميس ذلك، وكانت تحت أبي بكر، فقالت لجاريتها: اذهبي إلى منزل علي وفاطمة،

(١) كتاب سليم: ٣٩٥؛ والعجيب من صاحب كتاب (التأسيس في نسبة كتاب سليم بن قيس) كيف اعتبر هذه الرواية من الموضوعات، بل من أدلّة وضع كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه، وغفل عن أنّ هذا النصّ قد روته عدّة مصادر من مصادر الشيعة، بل روته كتب أهل السنة والجماعة كما سيأتيك، رغم محاولاتهم لإخفاء معالم هذه الحادثة.

فأقرئيهما السلام، وقولي لعلي: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، فجاءت الجارية إليهما، فقالت لعلي عليه السلام: إنّ أسماء بنت عميس تقرأ عليكما السلام، وتقول ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، فقال علي عليه السلام قولي لها: إنّ الله يحيل بينهم وبين ما يريدون. ثم قام وتهيّأ للصلاة، وحضر المسجد، ووقف خلف أبي بكر، وصلى لنفسه، وخالد بن الوليد إلى جنبه ومعه السيف، فلمّا جلس أبو بكر في التشهد ندم على ما قال، وخاف الفتنة وشدّة علي وبأسه، فلم يزل متفكّراً لا يجسر أن يسلّم، حتى ظنّ الناس أنه قد سها، ثم التفت إلى خالد، فقال: يا خالد لا تفعل ما أمرتك به، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا خالد ما الذي أمرك به؟ قال: أمرني بضرب عنقك. قال: وكنت تفعل؟ قال: إي والله، لولا أنّه قال لي: «لا تفعل» لقتلتك بعد التسليم. قال: فأخذه علي عليه السلام، فضرب به الأرض، واجتمع الناس عليه، فقال عمر: يقتله ورب الكعبة. فقال الناس: يا أبا الحسن الله الله بحق صاحب هذا القبر. فخلّى عنه، قال: فالتفت إلى عمر وأخذ بتلابيبه، وقال: يا ابن الصهاك، لولا عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وكتاب من الله سبق لعلمت أيّنا أضعف ناصراً وأقل عدداً. ثم دخل منزله[(١)].

وهذه الحادثة نقلها الفضل بن شاذان رضي الله عنه في كتابه (الإيضاح) عن بعض كتب العامة، قال: روى سفيان بن عيينة، والحسن بن صالح بن حيّ، وأبو بكر بن عياش، وشريك بن عبد الله، وجماعة من فقهائكم، أنّ أبا بكر أمر خالد بن الوليد، فقال: إذا أنا فرغت من صلاة الفجر وسلّمت

---

(١) تفسير القمي ٢/ ١٥٨، ونقلها صاحب (الاحتجاج) بتفاوت بسيط ١/ ١١٨.

فاضرب عنق علي. فلمّا صلّى بالناس في آخر صلاته ندم على ما كان منه، فجلس في صلاته مفكّراً، حتى كادت الشمس أن تطلع، ثم قال: يا خالد لا تفعل ما أمرتك به (ثلاثاً)، ثم سلّم، وكان علي يصلّي إلى جنب خالد يومئذ، فالتفت علي إلى خالد فإذا هو مشتمل على السيف تحت ثيابه، فقال له: يا خالد أو كنت فاعلاً؟ قال: إي والله، إذن لوضعتُه في أكثرك شعراً، فقال علي صلوات الله عليه: كذبت ولؤمت، أنت أضيق حلقة من ذاك، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا ما سبق به القضاء لعلمتَ أي الفريقين شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً[1].

فهذه روايتكم على أبي بكر، إلا أن منكم من يكتم ذلك، ويستشنعه فلا يُظهره، وقد جعلتم هذا الحديث حجّة في كتاب الصلاة، في باب من أحدث قبل أن يسلّم وقد قضى التشهد، أنّ صلاته تامّة؛ وذلك أن أبا بكر أمر خالد بن الوليد بأمر، فقال: إذا أنا سلَّمتُ من صلاة الفجر فافعل كذا وكذا. ثم بدا له في ذلك الأمر، فخاف إن هو سلَّم أن يفعل خالد ما أمره به، فلما قضى التشهد قال: يا خالد لا تفعل ما أمرتك [به]. ثم سلم.

وقد حدَّث به أبو يوسف القاضي ببغداد، فقال له بعض أصحابه: يا أبا يوسف: وما الذي أمر أبو بكر خالد بن الوليد [به]؟ فانتهره، وقال له: اسكت، وما أنت وذاك ؟![2].

والذي يظهر من كلام الفضل بن شاذان رضي الله عنه أنّ هذه القضية كانت مشهورة بين علماء وفقهاء ورواة العامّة، بحيث استدلّ بها بعض الأحناف

---

(١) الإيضاح: ١٥٥.

(٢) الإيضاح: ١٥٨.

على جواز الإحداث قبل التسليم في الصلاة.

ومن يتتبّع الكتب يجد فيها أن القوم كانوا يشيرون في كلماتهم لهذه الحادثة، ولا يصرّحون بها، وكانوا يتعمّدون طمسها وإخفاءها؛ لما فيها من خطورة على معتقدهم:

منها: ما ورد في كتاب (الأنساب) للسمعاني في ترجمة عبّاد بن يعقوب الرواجني، قال: روى عنه جماعة من مشاهير الأئمة مثل أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري؛ لأنّه لم يكن داعية إلى هواه، وروى عنه حديث أبي بكر أنّه قال: لا يفعل خالد ما أُمر به. سألت الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني بالكوفة عن معنى هذا الأثر، فقال: كان أمر خالد بن الوليد أن يقتل عليًّا، ثم ندم بعد ذلك، فنهى عن ذلك[١].

وعبّاد بن يعقوب من ثقات الرواة، ومن الذين روى لهم البخاري في صحيحه، بل أجمعوا على صدق لهجته رغم تسالمهم على تشيعه بل ترفّضه على حدّ تعبيرهم.

ومنها: ما رواه الخلال في (كتاب السنة)، قال: ثنا الأثرم، قال: سمعت أبا عبد الله، وذُكر له حديث عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في علي والعباس، وعقيل، عن الزهري، أنّ أبا بكر أمر خالداً في علي، فقال أبو عبد الله: كيف؟ فلم يعرفها، فقال: ما يعجبني أن تُكتب هذه الأحاديث[٢].

---

(١) الأنساب ٣/ ٩٥.

(٢) كتاب السنة: ٥٠٤، وقد صحّح محقّق الكتاب هذا الأثر، لكنّه تورط في متنه، فقال: العبارة غير مستقيمة.

والذي يظهر من كلام أحمد بن حنبل أنّه كان يفرض حظراً على تناقل مثل هذه الأحادث، ويعتبرها أحاديث بدع كما قدّمنا في أوّل الكتاب، ومن هنا تناقل الشيعة هذه الأحاديث التي كتمها غيرهم.

١٢. عبد الرحمن بن عوف:

من كبار الصحابة المهاجرين، وهو عند أهل السنة من العشرة المبشرين بالجنة بحسب مروياتهم، وقد كان من منظّري الحزب القرشي الذين يُرجع إليهم في كلّ كبيرة وصغيرة، حتى أنّ عمر بن الخطاب جعله واحداً من أهل الشورى، وصار له الدور الأكبر في تنصيب عثمان بن عفان خليفة على المسلمين.

وهو الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية بأنه مال لصهره، يعني عثمان بن عفان، فقال: حتى إذا مضى لسبيله [يعني عمر]، جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيا لله وللشورى! متى اعترض الريب فيَّ مع الأول منهم حتى صرتُ أُقرن إلى هذه النظائر، لكني أسففت إذ أسفّوا، وطرت إذ طاروا، فصغى رجلٌ منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هَنٍ وهن[١].

فقد نقل البخاري في صحيحه: عن المسور بن مخرمة: أن الرهط الذين ولّاهم عمر اجتمعوا فتشاوروا، فقال لهم عبد الرحمن: «لستُ بالذي أنافسكم على هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترتُ لكم منكم»، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن، فلمّا ولّوا عبد الرحمن أمْرهم، فمال الناس على عبد الرحمن، حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ

(١) نهج البلاغة ١/ ٣٥.

عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي، حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان، قال المسور: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت، فقال: «أراك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادعُ الزبير وسعداً»، فدعوتهما له، فشاورهما، ثم دعاني، فقال: «ادعُ لي عليًّا»، فدعوته، فناجاه حتى ابهار الليل، ثم قام علي من عنده وهو على طمع، وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً، ثم قال: «ادعُ لي عثمان»، فدعوته، فناجاه حتى فرَّق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى للناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهَّد عبد الرحمن، ثم قال: «أما بعد، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنّ على نفسك سبيلاً»، فقال [يعني لعثمان]: أبايعك على سُنّة الله ورسوله، والخليفتين من بعده. فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس المهاجرون والأنصار، وأمراء الأجناد والمسلمون(١).

ونقل المحب الطبري دوره في تنصيب عثمان، فقال: فلما توفّي، وفُرِغ من دفنه ورجعوا، اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن. وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. فخلا هؤلاء الثلاثة: عليٌّ، وعثمان، وعبد الرحمن، فقال عبد الرحمن للآخَرَين: أيّكما يتبرّأ من هذا الأمر، ونجعله إليه، والله عليه والإسلام

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٢٣.

لينظرنّ أفضلهم في نفسه، وليحرصنّ على إصلاح الأمة؟ قال: فأسكت الشيخان: علي وعثمان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليّ؟ والله على أن لا آلو عن أفضلكم. قال: نعم. فأخذ بيد علي فقال: إنّ لك القِدَم والإسلام والقرابة ما قد علمت، الله عليك، لئن أمَّرتُك لتعدلنّ، ولئن أمَّرت عليك لتسمعنّ ولتطيعنّ؟ ثم خلا بعثمان، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال لعثمان: ارفع يدك. فبايعه، ثم بايعه علي، ثم ولج الدار فبايعوه. خرجه البخاري وأبو حاتم، وفي رواية ذكرها ابن الجوزي في كتاب (منهاج أهل الإصابة في محبة الصحابة) أنّ عبد الرحمن لما قال لعلي وعثمان: أفتجعلونه إليّ؟ قالا: نعم. قال لعلي: أبايعك على سيرة أبي بكر وعمر؟ فقال علي: واجتهاد رأيي. فخاف أن يترخّص من المباح ما لا يحتمله من ألف ذلك التشدّد من سيرة الشيخين، فقال لعثمان: أبايعك على سيرة أبي بكر وعمر؟ فقال: نعم. فبايعه[١].

وبعد كل هذه المقدّمة نرجع إلى موضوع حديثنا، فنقول: أخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن موسى بن عقبة صاحب المغازي رواية ذكر فيها ما جرى في ذلك اليوم الأسود، ثم ذكر في ذيلها حضور عبد الرحمن بن عوف في الهجوم على دار فاطمة عليها السلام، فقال: قال سعد بن إبراهيم: حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنّ **عبد الرحمن كان مع**

---

(١) الرياض النضرة: ٥٣، لا يخفى على القارئ ما في هذا الكلام من التحريف للقضية والتلاعب بها، إذ أنّهم عرضوا على أمير المؤمنين عليه السلام البيعة على كتاب الله وسنة رسوله وعلى سنة الشيخين، فقال: كتاب الله وسنة نبيّه ورأيي. ولم يرض بسنة الشيخين، إلّا أنّ المحب الطبري تلاعب بالخبر؛ ليغيّب هذا المعنى عن القارئ.

عمر يومئذ، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير، والله أعلم[١].

١٣ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر:

ترجم له ابن حجر العسقلاني بقوله: عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله، وقيل: أبو عثمان، وقيل: عبد العزّى بن أبي بكر بن أبي قحافة، القرشي التيمي، وأمّه أم رومان والدة عائشة، كان اسمه عبد الكعبة، فغيّره النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتأخّر إسلامه إلى أيام الهدنة، فأسلم، وحسن إسلامه[٢].

وذكر في ترجمته أيضاً أنّه شارك في حرب الجمل مع عائشة وطلحة والزبير ضدّ أمير المؤمنين عليه السلام، بخلاف أخيه محمد، فقال: وشهد وقعة الجمل مع عائشة، وأخوه محمد مع علي[٣].

وهذا الرجل ورد اسمه في رواية واحدة ذكرته في جملة التي هاجموا بيت فاطمة عليها السلام، وهي الرواية التي نقلها الشيخ المجلسي قدس سره عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، وهي رواية طويلة قال فيها: وخروج أمير المؤمنين عليه السلام من داخل الدار محمرّ العين حاسراً، حتى ألقى ملاءته عليها، وضمّها إلى صدره، وقوله لها: يا بنت رسول الله قد علمتِ أن أباك بعثه الله رحمة للعالمين، فالله الله أن تكشفي خمارك، وترفعي ناصيتك، فوالله يا فاطمة لئن فعلتِ ذلك لا أبقى الله على الأرض من يشهد أن محمداً رسول الله، ولا موسى، ولا عيسى، ولا إبراهيم، ولا نوح،

---

(١) السنة: ٣٩٧.

(٢) الإصابة ٤/ ٢٧٤.

(٣) الإصابة ٤/ ٢٧٥.

ولا آدم، ولا دابة تمشي على الأرض، ولا طائراً في السماء إلّا أهلكه الله. ثم قال: يا ابن الخطاب لك الويل من يومك هذا وما بعده وما يليه، اخرج قبل أن أشهر سيفي فأفني غابر الأمّة. فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ **وعبد الرحمن بن أبي بكر،** فصاروا من خارج الدار، وصاح أمير المؤمنين بفضة: يا فضة مولاتك، فاقبلي منها ما تقبله النساء، فقد جاءها المخاض من الرفسة ورد الباب، فأسقطت محسناً[(١)].

١٤. سالم مولى أبي حذيفة:

قال ابن حجر في ترجمته: سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أحد السابقين الأوّلين، قال البخاري: مولاته امرأة من الأنصار، وقال ابن حبان: يقال لها: ليلى، ويقال: ثبيتة بنت يعار، وكانت امرأة أبي حذيفة، وبهذا جزم ابن سعد، وقال ابن شاهين: سمعت ابن أبي داود يقول: هو سالم بن معقل، وكان مولى امرأة من الأنصار، يقال لها: فاطمة بنت يعار، أعتقه سائبة، فوالى أبا حذيفة، وسيأتي في ترجمة وديعة أن اسمها سلمى، وزعم ابن مندة أنه سالم بن عبيد بن ربيعة، وتعقبه أبو نعيم فأجاد، وإنما هو مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة، فوقع فيه سقط وتصحيف[(٢)].

ومن العجيب أنّ عمر بن الخطاب كان يراه أولى بالخلافة من جميع من بعده من الصحابة حتى أهل الشورى، حيث روي عنه أنّه قال عند

---

(١) بحار الأنوار ٥٣/ ١٩.

(٢) الإصابة ٣/ ١١.

موته: لو كان سالم حيًّا ما جعلتها شورى[١].

وكان سالم هذا من المشاركين في الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام:

فهو الذي حشد ألف مقاتل لنصرة أبي بكر لمنع بني هاشم من الملك كما روى الطبرسي في الاحتجاج عن أبان بن تغلب، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في حديث طويل ذكر فيه ما جرى من الحوادث بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله: فلمّا كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل، فقال لهم: ما جلوسكم، فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ **وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل**، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلّم بالذي تكلّم بالأمس لنأخذنَّ الذي فيه عيناه[٢].

بل نقلت الروايات مشاركته الفعلية في الهجوم على الدار كما في رواية العياشي رضي الله عنه، عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن جدّه، قال فيها: فقام أبو بكر، وعمر، وعثمان، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وأبو عبيدة بن الجراح، **وسالم مولى أبي حذيفة**، وقنفذ، وقمت معهم، فلما انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمة صلوات الله عليها أغلقت الباب في وجوههم، وهي لا تشكّ أن لا يدخل عليها إلّا بإذنها، فضرب عمر الباب برجله فكسره،

---

(١) أسد الغابة ٢/ ٢٤٦.

(٢) الاحتجاج ١/ ١٠٤.

وكان من سعف، ثم دخلوا فأخرجوا عليًّا عليه السلام ملبّباً[١].

١٥ . زياد بن لبيد:

ترجم له ابن حجر العسقلاني بقوله: زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر الأنصاري البياضي، ذكره موسى بن عقبة وغيره فيمن شهد العقبة وبدراً، وذكر الواقدي وغيره أنّه كان عامل النبي صلى الله عليه وآله على حضرموت، وولّاه أبو بكر قتال أهل الردّة من كندة، وهو الذي ظهر[٢] بالأشعث بن قيس، فسيّره إلى أبي بكر[٣].

وقد ورد ذكره في رواية مسندة يتيمة نقلها ابن أبي الحديد المعتزلي عن أبي بكر الجوهري صاحب كتاب السقيفة، قال: لما جلس أبو بكر على المنبر كان علي عليه السلام والزبير وناس من بني هاشم في بيت فاطمة، فجاء عمر إليهم، فقال: والذي نفسي بيده لتخرجنَّ إلى البيعة أو لأحرّقنّ البيت عليكم! فخرج الزبير مصلتاً سيفه، فاعتنقه رجل من الأنصار **وزياد بن لبيد**، فدقّ به، فبدر[٤] السيف، فصاح به أبو بكر وهو على المنبر: اضرب به الحَجَر[٥].

١٦ . عبد اللّه بن أبي ربيعة:

يوجد أكثر من صحابي يحمل هذا الاسم، إلّا أنّه بحسب القرائن

---

(١) تفسير العياشي ٢/ ٦٧.

(٢) كذا في المصدر، ولعل الصحيح: ظفر.

(٣) الإصابة ٢/ ٤٨٤.

(٤) كذا في المصدر، ولعل الصحيح: «ندر» كما هو موجود في روايات أُخَر، ومعنى ندر: سقط.

(٥) شرح نهج البلاغة ٢/ ٥٦.

يظهر أنّ المقصود هو عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي والد الشاعر المعروف عمر بن أبي ربيعة.

ترجم له ابن حجر في الإصابة بقوله: عبد الله بن أبي ربيعة، واسمه عمرو، وقيل: حذيفة. ويُلقّب ذا الرمحين، ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، يكنّى أبا عبد الرحمن، كان اسمه بجيراً بالموحّدة والجيم مُصغّراً، فغيره النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أخو عياش بن أبي ربيعة لأبويه، أمّهما أسماء بنت مخرمة، وهو والد عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر المشهور[(١)].

وممّا رَجّح كونه المقصود أنّه كان مقرّباً جدًّا من عمر بن الخطاب، بل ذكروا في ترجمته أنّه كان قائداً لجنده. قال ابن حجر: وولي عبد الله الجند لعمر، واستمرّ إلى أن جاء لينصر عثمان، فسقط عن راحلته بقرب مكّة فمات، ويقال: إنّ عمر قال لأهل الشورى: «لا تختلفوا، فإنّكم إن اختلفتم جاءكم معاوية من الشام، وعبد الله بن أبي ربيعة من اليمن، فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم، وإنّ هذا الأمر لا يصلح للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء»، فهذا يقتضي أن يكون عبد الله من مسلمة الفتح، وقد جاء ذلك صريحاً[(٢)].

والذي ذكر مشاركته في الهجوم على بيت الوحي هو يحيى بن الحسين في كتابه (تثبيت الإمامة)، قال عندما ذكر قضية الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام: فخرج عليهم الزبير بالسيف، فصاح عمر: دونكم الليث. فدخل في صدره **عبد الله بن أبي ربيعة فعانقه**، وأخذ السيف من يده، وضرب به حتى كسره، فدخلوا البيت، فأخرجوا عليًّا عليه السلام ملبوباً، فتعلّق به جماعة منهم

(١) الإصابة ٢/ ٦٩.

(٢) الإصابة ٢/ ٦٩.

حتى انتُهي به إلى أبي بكر[١].

١٧ ـ المغيرة بن شعبة:

لم تشر النصوص التاريخيّة التي وثّقت الحادثة لمشاركته في الهجوم على الدار، إلّا أنّ الشيخ الطبرسي قدس سره نقل رواية عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام تدلّ على أنّه كان من المشاركين بل من المعتدين على الزهراء عليها السلام، ومما جاء في تلك الرواية قول الإمام الحسن عليه السلام للمغيرة: وأنت الذي ضربتَ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أدميتها، وألقت ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته[٢].

١٨ ـ هرمز:

ذكرت رواية العياشي رضي الله عنه المتقدّمة أنّ هرمز وهو جدّ عمرو بن أبي المقدام قد شارك في الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام، قال العياشي: عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه عن جدّه: ما أتى عليّ يوم قط أعظم من يومين أتيا علي، فأمّا اليوم الأول فيوم قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمّا اليوم الثاني فوالله إنّي لجالس في سقيفة بني ساعدة عن يمين أبي بكر، والناس يبايعونه، إذ قال له عمر: يا هذا ليس في يديك شيء مهما لم يبايعك علي، فابعث إليه حتى يأتيك يبايعك، فإنّما هؤلاء رعاع. فبعث إليه قنفذ، فقال له: اذهب فقل لعلي: أجب خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله. فذهب قنفذ، فما لبث أن رجع، فقال لأبي بكر: قال لك: ما خلّف رسول الله أحداً غيري. قال: ارجع إليه فقل: أجب، فإنّ الناس قد أجمعوا على بيعتهم إياه، وهؤلاء المهاجرين

---

(١) تثبيت الإمامة: ١٧.

(٢) الاحتجاج: ٤١٤.

والأنصار يبايعونه وقريش، وإنّما أنت رجل من المسلمين، لك ما لهم، وعليك ما عليهم. فذهب إليه قنفذ، فما لبث أن رجع فقال: قال لك: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي وأوصاني أن إذا واريته في حفرته، لا أخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله، فإنه في جرايد النخل وفي أكتاف الإبل. قال عمر: قوموا بنا إليه. فقام أبو بكر، وعمر، وعثمان، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، وقنفذ، وقمت معهم، فلما انتهينا إلى الباب فرأتهم فاطمة صلوات الله عليها أغلقت الباب في وجوههم، وهي لا تشكّ أن لا يدخل عليها إلّا بإذنها، فضرب عمر الباب برجله فكسره، وكان من سعف، ثم دخلوا فأخرجوا عليًّا عليه السلام ملبَّباً[(١)].

وجدّ عمرو بن أبي المقدام هو هرمز الفارسي كما ذكر الشيخ الطوسي رضي الله عنه في رجاله، إذ قال: ثابت بن هرمز الفارسي، أبو المقدام العجلي الحداد، مولى بني عجل[(٢)].

ولا يوجد في الصحابة رجل بهذا الاسم سوى (هرمز بن ماهان الفارسي)، ولم يذكروا في ترجمته شيئاً سوى أنّه كان مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنه روى عنه حديثاً واحداً[(٣)].

١٩ . معاذ بن جبل:

ورد ذكره في الرواية التي ذكرها الطبرسي قدس سره في احتجاجه والتي

---

(١) تفسير العياشي ٢/ ٦٧.

(٢) رجال الطوسي: ١١٠.

(٣) أسد الغابة ٥/ ٥٨، الإصابة ٦/ ٤١٩.

سبق ذكرها، وقد ورد فيها قوله: فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل، فقال لهم: ما جلوسكم، فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، **وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل**، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب، حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلّم بالذي تكلّم بالأمس لنأخذنّ الذي فيه عيناه[1].

وفي رواية سليم بن قيس رضي الله عنه: ثم انطُلق بعلي عليه السلام يعتل عتلاً، حتى انتُهي به إلى أبي بكر، وعمر قائم بالسيف على رأسه، وخالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، **ومعاذ بن جبل**، والمغيرة بن شعبة، وأسيد بن حضير، وبشير بن سعيد، وسائر الناس جلوس حول أبي بكر عليهم السلاح[2].

ولم أجد بحسب تتبّعي القاصر رواية تنصّ صريحاً على مشاركته في اقتحام البيت والاعتداء على فاطمة الزهراء عليها السلام، لكن بحسب أجواء الروايات المتقدّمة نطمئنّ بمشاركته في هذه الأحداث ولو بمحاصرته للدار.

وقد ترجم له ابن حجر العسقلاني في الإصابة، فقال: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدى بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن عدي بن نابي بن تميم بن كعب بن

---

(١) الاحتجاج ١/ ١٠٤.

(٢) كتاب سليم: ١٥١.

سلمة أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، الإمام المقدّم في علم الحلال والحرام[١].

وقد بالغوا في ذكر مناقب الرجل وإحصاء فضائله، بحيث كاد بعضهم أن يجعله أفضل حتى من العشرة المبشَّرين بالجنة عندهم، حتى قالوا: إنّ عمر بن الخطاب قال فيه: عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ، ولولا معاذ لهلك عمر[٢].

من الذين اعتدوا على فاطمة عليها السلام بالضرب؟

١. عمر بن الخطاب:

وهو الذي نصّت عليه أغلب الروايات التي ذكرناها سابقاً، ولعلّه لم تخل رواية من ذكر ما صنعه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد قام بالاعتداء عليها بعدّة :

١- **الوكز بالسيف:** كما في رواية كتاب سليم التي ورد فيها قوله: ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه، فدخل فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت: يا أبتاه يا رسول الله. فرفع عمر السيف وهو في غمده، فوجأ به جنبها[٣].

٢- **اللطم باليد على الخد:** كما في رواية الديلمي التي ذكرناها سابقاً، وفيها قول فاطمة عليها السلام: فسقطتُ لوجهي والنار تسعر وتسفع وجهي،

(١) الإصابة ٦/ ١٠٨.

(٢) الإصابة ٦/ ١٠٩.

(٣) كتاب سليم: ١٥١.

فضربني بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض، فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم، فهذه أمّة تصلي علي؟! وقد تبرَّأ الله ورسوله منهم، وتبرَّأتُ منهم[(١)].

وكذا رواية أحمد بن إسحاق القمي رضي الله عنه عن أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام في فضل يوم التاسع من ربيع الأول، وهو حديث طويل قال فيه عليه السلام: ...ولطم حر وجه الزكيّة، وصعد منبر الرسول صلى الله عليه وآله غصباً وظلماً، وافترى على أمير المؤمنين عليه السلام، وعانده وسفّه رأيه[(٢)].

وكذلك ما اعترف به عمر بن الخطاب في كتابه المشهور لمعاوية، الذي قال فيه: فدفعتُ الباب ودخلت، فأقبلت إلي بوجه أغشى بصري، فصفقت صفقة على خديها من ظاهر الخمار، فانقطع قرطها، وتناثرت إلى الأرض[(٣)].

٣- **الضرب بالسوط**: ورد ذكره في رواية الديلمي عن فاطمة عليها السلام التي سبق ذكر بعضها، وفيها قالت عليها السلام: فجمعوا الحطب الجزل على بابنا، وأتوا بالنار ليحرقوه ويحرقونا، فوقفتُ بعضادة الباب، وناشدتهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنّا وينصرونا، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ - مولى أبي بكر-، فضرب به عضدي، فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج[(٤)].

---

(١) بحار الأنوار ٣٠/ ٣٤٩.

(٢) المحتضر: ٩٨.

(٣) بحار الأنوار ٣٠/ ٢٩٤.

(٤) بحار الأنوار ٣٠/ ٣٤٩.

وكذلك في رواية سليم عن سلمان رضي الله عنه التي سبق ذكرها، وقد ورد فيها قوله: فصرخت: يا أبتاه. فرفع السوط، فضرب به ذراعها، فنادت: يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر[١].

٤- **الرفس بالرِّجْل والعصر بالباب:** وهذا أشهر ما ذُكر من تفاصيل الهجوم على الدار والاعتداء عليها عليها السلام، وهنا نشير إلى بعض الروايات - التي ذكرناها فيما سبق - من باب المثال:

منها: رواية إرشاد القلوب:...وركل الباب برجله فردّه علي وأنا حامل فسقطت لوجهي والنار تسعر وتسفع وجهي[٢].

وكذا رواية كتاب مختصر البصائر عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام التي قال فيها: وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لإحراقهم بها، وضرب يد الصدِّيقة الكبرى فاطمة بالسوط، ورفس بطنها، وإسقاطها محسناً[٣].

وأيضاً في كتابه لمعاوية، قال: فسمعت لها زفيراً وبكاء، فكدت أن ألين وأنقلب عن الباب، فذكرت أحقاد علي وولوعه في دماء صناديد العرب، وكيد محمد وسحره، **فركلتُ الباب وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترّسه،** وسمعتها وقد صرخت صرخة حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها، وقالت: يا أبتاه! يا رسول الله! هكذا كان يُفعل بحبيبتك وابنتك، آه يا فضة! إليك فخذيني فقد والله قُتل ما في أحشائي من حمل. وسمعتها

---

(١) كتاب سليم: ١٥١.

(٢) بحار الأنوار ٣٠/ ٣٤٩.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ١٨٧.

تمخض وهي مستندة إلى الجدار(١).

٢. قنفذ:

ورد اسمه في أكثر من رواية من الروايات التي ذكرناها فيما سبق، والتي ذكرت مشاركته في الاعتداء على الطهر فاطمة عليها السلام، وقد كان ذلك بأكثر من صورة:

١- **الضرب بالسوط**: قال سليم بن قيس رضي الله عنه في كتابه مما ذكره من مشاهداته بنفسه: انتهيت إلى حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيها إلّا هاشمي، غير سلمان، وأبي ذر، والمقداد، ومحمد بن أبي بكر، وعمر بن أبي سلمة، وقيس بن سعد بن عبادة، فقال العباس لعلي عليه السلام: ما ترى عمر منعه من أن يغرم قنفذاً كما أغرم جميع عماله؟ فنظر علي عليه السلام إلى من حوله، ثم اغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال: شكر له ضربة ضربها فاطمة عليها السلام بالسوط، فماتت وفي عضدها أثره كأنه الدملج(٢).

٢- **اللكز بالسيف**: كما في رواية الطبري الصغير عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام التي قال فيها: وكان سبب وفاتها أن قنفذاً مولى عمر لكزها بنعل السيف بأمره، فأسقطت محسناً، ومرضت من ذلك مرضاً شديداً، ولم تَدَعْ أحداً ممن آذاها يدخل عليها(٣).

وكذلك ما رواه سليم في كتابه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، وفيها قال: وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون

---

(١) بحار الأنوار ٣٠/ ٢٩٤.

(٢) كتاب سليم: ٢٢٤.

(٣) دلائل الإمامة: ١٣٤.

بالسوط، فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدملج من ضربته، لعنه الله ولعن من بعث به[١].

٣- **العصر بالباب**: ورد ذكره في السابقة التي رواها سليم عن سلمان، قال: فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضادة باب بيتها، ودفعها، فكسر ضلعها من جنبها، فألقت جنيناً من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة[٢].

٣. المغيرة بن شعبة:

ذُكر اسمه أيضاً ضمن أسماء المعتدين على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام كما في رواية الاحتجاج على لسان الإمام المجتبى عليه السلام، قال: وأنت الذي ضربتَ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أدميتها، وألقت ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته[٣].

٤. خالد بن الوليد:

ذكرت الروايات مشاركته في الاعتداء على فاطمة الزهراء عليها السلام حين دخل لنجدة أصحابه، وكان الاعتداء بنحوين، هما:

١- **الضرب بالسوط**: ورد ذكر ذلك في كتاب (تثبيت الإمامة) ليحيى بن الحسين، قال: فحالت بينهم وبين البيت الذي فيه علي عليه السلام، وهي ترى أنها أوجب عليهم حقًّا من علي عليه السلام؛ لضعفها وقرابتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، فوثب إليها خالد بن الوليد، وضربها بالسوط على

---

(١) كتاب سليم: ١٥١.

(٢) كتاب سليم: ١٥٣، والرواية معتبرة لاعتبار الكتاب.

(٣) الاحتجاج: ٤١٤.

عضدها، حتى كان أثره في عضدها مثل الدملج[١].

٢- محاولة ضربها بالسيف: وقد ورد ذلك في رواية طويلة رواها سليم بن قيس عن ابن عباس رضي الله عنه، قال فيها: فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وسلّ خالد بن الوليد السيف ليضرب فاطمة عليها السلام، **فحمل عليه بسيفه، فأقسم على علي عليه السلام فكفّ**[٢].

هذه أهم تفاصيل الهجوم على بيت فاطمة الزهراء عليها السلام، وهؤلاء هم الأشخاص الذين شاركوا في هذا الهجوم الشنيع.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

(١) تثبيت الإمامة: ١٨.

(٢) كتاب سليم: ٣٨٧.

مصادر مفقودة

استعرضنا في ما سبق مجموعة من الروايات والنصوص التاريخية التي ذكرت لنا بعض ما جرى على بيت الزهراء عليها السلام، من هجوم عليه، وتهديد لمن فيه بالإحراق، والأعظم من هذا الاعتداء على الزهراء عليها السلام بالضرب، مما تسبّب في كسر ضلعها، وإسقاط جنينها، ومرضها، ثم وفاتها عليها السلام بسبب هذا الأمر.

و المصادر التي تعرّضنا لها سواء الشيعية منها أم السنية ليست إلّا جزءاً صغيراً ممّا كُتب في هذا المجال، وإلّا فهناك الكثير من المصادر التي ضاعت وأُتلفت عبر التاريخ.

وفي هذا الفصل سنذكر أهم الكتب التي تعرّضت لهذا الموضوع، إلّا أنّها لم تصل لنا، ونحن إنما علمنا بذلك لأن مصادر أخرى نقلت عن هذه الكتب بعض ما جرى على السيّدة فاطمة عليها السلام:

مؤرِّخون ضاعت كتبهم:

١. محمد بن إسحاق صاحب (السيرة النبوية):

محمد بن إسحاق بن يسار مولى بني عبد المطلب (ت ١٥٢هـ)، كان صاحب قصب السبق في تدوين سيرة النبي صلى الله عليه وآله، حتى قال الذهبي في ترجمته: وهو أوّل من دوَّن العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحراً عجاجاً[١].

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣.

ورغم هذه الميزة في كتابه وقربه من زمن هذه الأحداث إلّا أنّ كتابه ضاع، ولم يصل إلينا إلّا ما تناقلته بعض المصادر التاريخية، أو ما اختاره ابن هشام الحميري منه، وأدرجه في كتابه المعروف (السيرة النبوية)، بعد سلسلة تحريفات وتغييرات للأصل.

وقد نقلنا عنه رواية بواسطة سبط ابن الجوزي، تضمّنت شَقّ عمر بن الخطاب للكتاب الذي كتبه أبو بكر بردّ فدك لفاطمة عليها السلام، ولا وجود لهذه الرواية إلّا في سيرة ابن إسحاق، ولعلّ وجود هذه الرواية وأمثالها كان سبب ضياع هذا الكتاب.

وممّا يؤكّد ما ذكرناه اعتراف ابن هشام في مقدّمة كتابه بما صنعه بكتاب ابن اسحاق الأصلي، قال: وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها **وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته** ومستقص إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به[1].

ويكفي القارىء اللبيب قوله (وأشياء بعضها يشنع الحديث به) لكي تعلم عظم الجناية التي فعلوها في حقّ تاريخ المسلمين ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

---

(١) السيرة النبوية ١/ ٦٣.

٢. موسى بن عقبة:

موسى بن عقبة بن أبي عياش (ت ١٤١هـ)، من كبار علماء السير والمغازي الذين أُجمع على وثاقتهم وجلالتهم بين أئمة الحديث، وقد ترجم له الذهبي في السير بقوله: الإمام الثقة الكبير، أبو محمد القرشي مولاهم، الأسدي المطرقي، مولى آل الزبير، ويقال: بل مولى الصحابية أم خالد بنت خالد الأمويّة، زوجة الزبير، وكان بصيراً بالمغازي النبوية، ألّفها في مجلد، فكان أوّل من صنّف في ذلك[1].

وقد كان له كتاب في المغازي ذكره الذهبي في ترجمته بقوله: وأمّا مغازي موسى بن عقبة، فهي في مجلد ليس بالكبير، سمعناها، وغالبها صحيح، ومرسل جيد، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتتمّة[2].

إلّا أنّ هذا الكتاب لم يصل إلينا، ولم يبق منه إلّا ما تناقلته كتب التاريخ والمغازي، وقد نقلنا منه رواية اقتحام بيت الزهراء عليها السلام، وكسر سيف الزبير.

٣. محمد بن السائب الكلبي:

أبو النضر محمد بن السائب بن هشام الكلبي (ت ١٤٦هـ)، من كبار المفسّرين والمؤرّخين والنسَّابة الذين عُرفوا في الإسلام.

قال الذهبي في ترجمته: الكلبي العلّامة الأخباري أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، المفسّر، وكان أيضاً رأساً في الأنساب[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ١١٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ١١٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٤٨.

إلّا أنّ كلّ آثاره اندرست، ولم يبق منها سوى بعض الروايات المنقولة هنا وهناك.

٤. هشام بن محمد الكلبي:

هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، ابن المترجم أعلاه، قال الذهبي في العبر: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، الأخباري، النسَّابة، صاحب كتاب الجمهرة في النسب، وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين تصنيفاً في التاريخ والأخبار، وكان حافظاً علّامة[١].

ولم يبق من هذه المائة وخمسين مصنفاً إلّا بعض الروايات القليلة جدًّا التي لا تصل إلى بضع وريقات، وقد نقل ابن شهرآشوب جزءاً من رواية وصفها بالطويلة[٢] حول هجوم القوم على الدار.

٥. أبو مخنف الأزدي (توفي ١٥٧هـ):

وهو لوط بن يحيى الأزدي، من كبار المؤرّخين وعلماء السِّيَر، ترجم له النجاشي بقوله: شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم، وكان يُسكَن إلى ما يرويه، روى عن جعفر بن محمد عليه السلام[٣].

وعدّد من مصنّفاته (كتاب السقيفة)، وهو من الكتب التي تعرّضت بالتفصيل لما جرى في سقيفة بني ساعدة، إلّا أنّه لم يصل لنا منه سوى ما نقله محمد بن جرير الطبري في تاريخه، وبعض المؤرّخين اللاحقين، ولا يُعلم ما جرى لكتبه إلى الآن.

---

(١) العبر ١/ ٣٤٦.

(٢) مثالب النواصب (مخطوط).

(٣) الفهرست: ٣٢٠.

٦. أبان الأحمر:

أبان بن عثمان الأحمر البجلي (توفي أو عاش في أواخر القرن الثاني)، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، قال النجاشي في ترجمته: أصله كوفي، كان يسكنها تارة والبصرة تارة، وقد أخذ عنه أهلها: أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبد الله محمد بن سلام، وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، له كتاب حسن كبير، يجمع المبتدأ والمغازي والوفاة والردّة[1].

ولم يبق من هذه الكتب سوى بعض الروايات المبثوثة في كتب الشيعة، كالروايات التي نقلناها سابقاً في ما يتعلق بموضوع فدك.

٧. ابن شبّة:

عمر بن شبة النميري (ت ٢٦٢هـ)، ترجم له الذهبي في السِّيَر بقوله: العلّامة الأخباري الحافظ الحجّة، صاحب التصانيف، أبو زيد، النميري البصري النحوي، نزيل بغداد، وُلد سنة ثلاث وسبعين ومائة[2].

وقد ألّف كتباً كثيرة لم يصل إلينا منها سوى كتاب (تاريخ المدينة) الذي اعتمدنا عليه في بعض فصول هذا الكتاب، وذكر الذهبي قسماً منها، قال: صنّف تاريخاً كبيراً للبصرة لم نره، وكتاباً في (أخبار المدينة)، رأيت نصفه، يقضي بإمامته، وصنّف (أخبار الكوفة)، و(أخبار مكة)، وكتاب (الأمراء)، وكتاب (الشعر والشعراء)، وكتاب (أخبار المنصور)، وكتاب

---

(١) الفهرست: ١٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٦٩.

(النسب)، وكتاب (التاريخ) في أشياء كثيرة[١].

والظاهر أن أحد هذه الكتب وصل إلى السيّد ابن طاووس، فقال: وقد ذكر عمر بن شبة[٢] وهو من أعيان علمائهم في كتابه الذي سمّاه كتاب (السقيفة) طرفاً من القبائح العظام التي جرت على بني هاشم وعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام في ذلك المقام[٣].

٨. إبراهيم الثقفي:

إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي رضي الله عنه (ت ٢٨٣هـ)، أصله كوفي، وسعد بن مسعود أخو أبي عبيد بن مسعود عمّ المختار[٤]، له مصنّفات كثيرة، منها (كتاب السقيفة)، (كتاب فدك) وغيرها.

وكان سبب خروجه من الكوفة على ما ذكره النجاشي: أنه عمل كتاب المعرفة، وفيه المناقب المشهورة والمثالب، فاستعظمه الكوفيون، وأشاروا عليه بأن يتركه ولا يُخرجه، فقال: أيّ البلاد أبعد من الشيعة؟ فقالوا: أصفهان. فحلف لا أروي هذا الكتاب إلّا بها. فانتقل إليها، ورواه بها ثقة منه بصحة ما رواه فيه[٥].

ولا يبعد أنّ سبب استعظامهم لهذه الكتب هو ذكره لخبر الهجوم على

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٧١.

(٢) في المطبوعة: «شيبة»، والصحيح ما ذكرناه.

(٣) الطرائف: ٢٣٩.

(٤) الفهرست للشيخ الطوسي: ٣٧.

(٥) الفهرست: ١٧.

بيت الزهراء عليها السلام، وتفاصيل الاعتداء عليها الذي كان تداوله عند الشيعة أمراً سرّيًّا بينهم.

٩. أبو عيسى الورّاق:

محمد بن هارون بن عيسى الورّاق (ت ٢٩٨هـ)، كان من المتكلّمين المبرزين، صنّف كتاباً بعنوان (السقيفة)، وآخر بعنوان (الإمامة)، يُظَنّ أنّه تعرّض فيهما لما جرى على بيت فاطمة عليها السلام كما ذكر ذلك النجاشي رحمه الله في الفهرست[١].

سُجن في زمن بني العباس بسبب اتّهامه بالزندقة ومصاحبة ابن الراوندي، ومات فيه ومنها اندثرت كتبه، ولم يبق منها عين ولا أثر.

١٠. أبو بكر الجوهري:

أحمد بن عبد العزيز الجوهري (ت ٣٢٢هـ)، ذكر الشيخ الطوسي في الفهرست[٢] أنّ له كتاباً بعنوان (السقيفة)، لم يصل لنا كبقية الكتب التي تعرّضنا لها، إلّا أنّه من حسن الحظ أنّ ابن أبي الحديد المعتزلي قد اعتمد على هذا الكتاب اعتماداً كليًّا في شرحه لنهج البلاغة، بحيث استوعب شرحه أغلب كتاب (السقيفة).

وقد عرّف الجوهري في شرحه بقوله: فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم، لا من كتب الشيعة ورجالهم؛ لأنّا مشترطون على أنفسنا ألّا نحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في السقيفة وفدك، وما وقع

---

(١) الفهرست: ٣٧٢.

(٢) الفهرست للشيخ الطوسي: ٧٣.

من الإختلاف والإضطراب عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدِّث كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدّثون، ورووا عنه مصنّفاته[(١)].

فهؤلاء عشرة من كبار المؤرّخين وكُتّاب السيرة الذين ضاعت كتبهم، واندرست، ولم يبق منها إلّا النزر القليل، ولو أضفنا إليهم المصادر الروائية الشيعيّة التي ضاعت، ككتاب (مدينة العلم) للشيخ الصدوق رضي الله عنه، وكتاب (نوادر الحكمة) للأشعري رضي الله عنه، يُعلم أنّ ما وصل إلينا هو نعمة من الله عزّ وجل.

مكتبات أتلفت عبر التاريخ:

أيضاً من يقرأ التاريخ يجد أنّ هناك الكثير من المكتبات التي قد تُعُمِّد إتلافها وحرق ما فيها من كنوز وذخائر، منها:

١. مكتبة عضد الدولة:

ذكر الحموي في (معجم البلدان) قصة هذه المكتبة التي أتلفت، حيث قال: **بين السُّوْرَيْن**: تثنية سُوْر المدينة: اسم لمحلة كبيرة كانت بكرخ بغداد، وكانت من أحسن محالّها وأعمرها، وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحرَّرة، واحترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦/ ٢١٠.

بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ[(١)].

وهذه المكتبة تعتبر من أهم المتاحف العلمية في عصرها، إذ أن الحموي عبَّر عنها بقوله: «كانت كلّها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحرّرة.

وقد تعرّض لذكرها ابن الأثير في كتاب (الكامل)، حيث قال: وفي جملة ما أحرقوا دارين للكتب، إحداهما وُقفت قبل أيام عضد الدولة بن بويه، فقال عضد الدولة: «هذه مكرمة سُبقنا إليها»، وهي أول دار وُقفت في الإسلام. والأخرى وقفها الوزير أبو منصور بن شاه مردان، وكان بها نفائس الكتب وأعيانها، وأحرقوا أيضاً النحاسين وغيرها من الأماكن[(٢)].

علما أنّ احراقها كان بسبب تعصّب السلاجقة للمذهب السني وحقدهم على كلّ من خالفهم حتى أنّهم كانوا يلعنون الشيعة على المنابر وزادوا معهم الأشاعرة والمعتزلة!

٢. مكتبة الشيخ الطوسي قدس سره:

من المكتبات التي جارت عليها يد العدوان مكتبة الشيخ الطوسي رضي الله عنه، التي كانت تجمع كلّ نفائس الكتب الشيعيّة في عصره:

فقد قال شمس الدين الذهبي في السِّيَر: وأعرض عنه الحفّاظ لبدعته، وقد أُحرقت كتبه عدّة نُوَب في رحبة جامع القصر[(٣)].

---

(١) معجم البلدان ١/ ٥٣٤.

(٢) الكامل في التاريخ ١٠/ ١٨٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٥.

وقال في تاريخه: روى عنه ابنه أبو علي الحسن، وقد أُحرقت كتبه غير مرّة، واختفى لكونه ينقص السلف، وكان ينزل بالكرخ، ثم انتقل إلى مشهد الكوفة[١].

وهذه الحادثة أيضاً من النكسات التاريخية التي ابتُليت بها الأمة، فإنّ فقدان مثل هذه الكتب يعتبر خسارة كبيرة جدًّا لا تعوَّض بذهب ولا فضّة، ومن أراد معرفة الكتب التي كانت عند الشيخ الطوسي فما عليه إلّا أن يتصفَّح كتابه الموسوم بالفهرست؛ ليقف على عظم الجناية التي اقترفت في حقّ تراث المسلمين.

٣. مكتبات بغداد:

أتلفت أغلب الكتب التي كانت في بغداد عند دخول التتار، وقد نقل كثير من المؤرّخين هذه الواقعة، منهم ابن خلدون[٢] الذي قال في تاريخه: واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف، ولا يحصره الضبط والعد، وأُلقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعهاً في دجلة، وكانت شيئاً لا يعبَّر عنه، مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لأوّل الفتح في كتب الفرس وعلومهم[٣].

ونقل ابن الساعي[٤] صورة أخرى لاتلاف التتار لكتب المسلمين:

---

(١) تاريخ الإسلام ٣٠/ ٤٩١.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي ولد سنة ٧٣٢هـ وتوفي سنة ٨٠٨هـ، اشبيلي الأصل تونسي المولد والمنشأ مصري الوفاة، مؤرخ وعالم اجتماع وبحّاثة اشتهر بمقدّمته المعروفة في التاريخ. (للمزيد الأعلام للزركلي ٣/ ٣٣٠)

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٧٣.

(٤) علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله البغدادي المعروف بابن الساعي ولد سنة ٥٩٣هـ

ويقال أنّهم بنوا اسطبلات الخيول وطوالات المعالف بكتب العلماء عوضا عن اللبن[١].

علماً أنّ بغداد كانت أهم مركز ثقافي في العالم الإسلامي، وكانت تحوي أكبر المكتبات في ذلك الزمن، إلّا أنّ يد الجور قد عبثت بها، وحصل الذي ذكرناه، وقد حاول الخواجة نصير الدين الطوسي إنقاذ ما يمكنه إنقاذه من الكتب، واعترف المؤرّخون بجهوده كما اعترف بذلك ابن كثير في (البداية والنهاية)، حيث قال: وفيها عمل الخواجة نصير الدين الطوسي الرصد بمدينة مراغة، ونقل إليه شيئاً كثيراً من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد، وعمل دار حكمة، ورتّب فيها فلاسفة[٢].

فليتخيل القارئ كم من الكتب النفيسة ضاعت في هذه المكتبات الضخمة!

٤. مكتبات الفاطميين بمصر:

من المكتبات التي جار عليها الدهر، خزائن الكتب التي كانت عند الخفاء الفاطميين بمصر والتي يعجب القارىء ممّا ذكر في وصفها!

نقل المقريزي[٣] في خططه: وذكر عند العزيز بالله، كتاب العين

وتوفي سنة ٦٧٤هـ كان خازن المكتبة المستنصرية وكان مهتما بتاريخ المسلمين حيث صنّف أكثر من كتاب في التاريخ. (للمزيد الأعلام للزركلي ٤/ ٢٦٥)

(١) تاريخ الخلفاء العباسيين ١٦٠.

(٢) البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٩.

(٣) تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي ولد بقاهرة مصر سنة ٧٦٦هـ وتوفي سنة ٨٤٥هـ يعتبر أهم مؤرخ لمصر حتى لقّب بمؤرخ الديار المصرية. (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ١٧٧)

للخليل بن أحمد، فأمر خزان دفاتره، فأخرجوا من خزانته نيفاً وثلاثين نسخة من كتاب العين، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد، وحمل إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري: اشتراها بمائة دينار، فأمر العزيز الخزان، فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري، منها نسخة بخطّه؛ وذكر عنده كتاب: الجمهرة لابن دريد، فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها، وقال في كتاب الذخائر: عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر: أربعون خزانة، خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة، وإنّ الموجود فيها من جملة الكتب المخرّجة في شدّة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة، وغيرهما...[1]

ونقل أيضا: وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات، ويسير من المجردات، فمنها الفقه على سائر المذاهب، والنحو، واللغة، وكتب الحديث والتواريخ، وسير الملوك، والنجامة، والروحانيات، والكيمياء من كل صيف النسخ، ومنها النواقص التي ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة، وما فيها من المصاحف الكريمة في كل مكان فوقها، وفيها من الدروج بخط ابن مقلة، ونظائره كابن البواب وغيره[2].

ونقل عن ابن أبي طي[3]: ومن جملة ما باعوه: خزانة الكتب، وكانت

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢/ ١٦٤.

(٢) المواعظ والاعتبار ٢/ ١٦٦.

(٣) يحيى بن أبي طي حميد بن ظافر الطائي الحلبي، ولد بحلب سنة ٥٧٥هـ وتوفي بعد سنة ٦١٩هـ وقيل بالتحديد سنة ٦٣٠هـ، من علماء ومؤرخي الإمامية، درس على يد ابن

من عجائب الدنيا، ويقال إنّه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر، ومن عجائبها: أنّه كان فيها ألف، ومائتا نسخة من تاريخ الطبري إلى غير ذلك، ويقال: إنّها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة[(١)].

فهذه المكتبة كانت تحوي مئات الألوف من الكتب، بل من النسخ الأصلية للمصنّفات التي صارت اليوم المرجع الأساسي لتاريخ المسلمين كتاريخ الطبري وغيره، علما أنّنا انتقينا هذه النقول وإلّا فما ذكر في حقّ هذه المكتبة ممّا يذهب العقول!

وللأسف فإنّ مصير هذه الكتاب كان السلب والنهب والضياع كحال بقيّة المكتبات التي ذكرناها: وكنت بمصر في العشر الأول من محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة، فرأيت فيها خمسة وعشرين جملاً موقرة كتباً محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي، فسألت عنها، فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو، والخطير ابن الموفق في الدين بإيجاب وجبت لهما عما يستحقانه، وغلمانهما من ديوان الجبليين، وإن حصة الوزير أبي الفرج منها قومت عليه من جاري مماليكه، وغلمانه بخمسة آلاف دينار، وذكر لي من له خبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها، مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج، وابن أبي كدينة، وغيرهما هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم

شهرآشوب المازندراني ﷺ واشتغل بالتصنيف في التاريخ حتى أصبحت مؤلفاته محلّ أنظار كلّ المسلمين، وللأسف ضاع أغلبها ولم يبق إلّا ما تناقلته غيره عنها.

(١) المواعظ والاعتبار ٢/ ١٦٦.

بالقاهرة، وسوى ما صار إلى عماد الدولة أبي الفضل بن المحترق بالإسكندرية، ثم انتقل بعد مقتله إلى المغرب، وسوى ما ظفرت به لواتة محمولاً مع ما صار إليه بالابتياع، والغصب في بحر النيل إلى الإسكندرية في سنة إحدى وستين وأربعمائة، ومما بعدها من الكتب الجليلة المقدار، المعدومة المثل في سائر الأمصار صحة، وحسن خط، وتجليد، وغرابة التي أخذ جلودها عبيدهم، وإماءهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم، وأحرق ورقها تأولاً منهم أنها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره، وإن فيها كلام المشارقة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق، وتلف، وحمل إلى سائر الأقطار، وبقي منها ما لم يحرق، وسفت عليه الرياح التراب، فصار تلالاً باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف: بتلال الكتب..[1]

فمصير هذه المكتبة العظيمة كانت نعالا في أرجل العبيد والإماء والحرق والاتلاف، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم!

علما أنّ المسؤول على كلّ ما جرى لهذه المكتبات هو صلاح الدين الأيوبي، الذي نقل التاريخ أنّه أباح لأتباعه كلّ ممتلكات الفاطميين ومنها مكتبتهم العظيمة.

نقل أبو شامة عن العماد الأصفهاني[2] المؤرّخ الرسمي لدولة الأيوبيين: وأخذت ذخائر القصر ففصّلها كما سبق، ثم قال: ومن جملتها

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢/ ١٦٦.

(٢) عماد الدين محمد بن صفي الدين الأصفهاني، ولد بأصفهان سنة ٥١٩هـ وتوفي بدمشق سنة ٥٩٧هـ، كان قريبا من حكّام الدولة النورية والدولة الأيوبية واهتمّ بتدوين أهمّ الوقائع التي حصلت، شغل كثيرا من المناصب الرسمية في الدولتين. (للمزيد الأعلام للزركلي ٧/ ٢٦)

الكتب، فإنّي أخذت منها جملة في سنة اثنتين وسبعين، وكانت خزائنها مشتملة على قريب مائة وعشين ألف مجلّدة، مؤبّدة من العهد القديم مخلّدة وفيها بالخطوط المنسوبة ما اختطفته الأيدي واقتطعته التعدّي، وكانت كالمراث مع أمناء الأيتام، يتصرّف فيها بشره الانتهاب والابتهام، ونقلت منها ثمانية أحمال إلى شام[١].

وقال القلقشندي[٢]: خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت من أعظم الخزائن، وأكثرها جمعاً للكتب النفيسة من جميع العلوم على ما سيأتي ذكره في الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية في المقالة الثانية. ولم تزل على ذلك إلى أن انقرضت دولهم بموت العاضد آخر خلفائهم، واستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم[٣].

٥. مكتبات الشيعة بالري:

ومن المصائب التي حلّت بالشيعة وتراثهم، ما فعله حكّام بلاد فارس بهم في أوائل القرن الرابع أي في بدايات الغيبة الكبرى حيث كانت الحركة العلمية قائمة على قدم وساق.

ذكر ابن الجوزي في تاريخه: وطلعت الرايات أثر المقدمة بسواد الري غدوة الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى، وخرج الديالمة معترفين

---

(١) الروضتين ٢/ ١٣٨.

(٢) أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي نسبة لقرية قريبة من القاهرة، ولد سنة ٧٥٦هـ وتوفي سنة ٨٢١هـ مؤرخ أديب بحاثة من أشهر تصانيفه (صبح الأعشى). (للمزيد الأعلام للزركلي ١/ ١٧٧)

(٣) صبح الأعشى ١/ ١٩٠.

بذنوبهم شاهدين بالكفر والرفض على نفوسهم، فرجع إلى الفقهاء في تعرف أحوالهم، فاتّفقوا على أنّهم خارجون عن الطاعة وداخلون في أهل الفساد مستمرون على العناد، فيجب عليهم القتل والقطع والنفي على مراتب جناياتهم، وإن لم يكونوا من أهل الإلحاد فكيف واعتقادهم في مذاهبهم ولا يعدو ثلاثة أوجه تسود بها الوجوه في القيامة التشيع والرفض والباطن...فقضى الانتصار لدين الله تعالى بتميز هؤلاء الباطنية عنهم، فصلبوا على شارع مدينة طالما تملكوها غصبا واقتسموا أموالها نهبا، وقد كانوا بذلوا أموالا جمة يفتدون بها نفوسهم، فعرفوا أنّ الغرض نهب نفوسهم دون العرض وحوّل رستم بن علي وابنه وجماعة من الديالمة إلى خراسان، وضمّ إليهم أعيان المعتزلة والغلاة من الروافض ليتخلّص الناس من فتنتهم، ثم نظر فيما اختزنه رستم بن علي بن الأثاث فعثر من الجواهر ما يقارب خمسمائة ألف دينار، ومن النقد على مائتين وستين ألف دينار، ومن الذهبيات والفضيات على ما بلغ قيمة ثلاثين ألف دينار، ومن أصناف الثياب على خمسة آلاف وثلاثمائة ثوب، وبلغت قيمة الدسوت من النسيج والخزوانيات عشرين ألف دينار، ووقف أعيان الديلم على مائتي ألف دينار، وحوّل من الكتب خمسون حملا ما خلا كتب المعتزلة والفلاسفة والروافض فإنّها أحرقت تحت جذوع المصلّبين، إذ كانت أصول البدع، فخلت هذه البقعة من دعاة الباطنية وأعيان المعتزلة والروافض، وانتصرت السنة فطالع العبد بحقيقة ما يسره الله تعالى لأنصار الدولة القاهرة[١].

---

(١) المنتظم ١٥/ ١٩٦.

فانظر أخي القارىء كيف يعتبر حرق الكتب واتلاف المصنّفات انتصارا للسنة!

٦. مكتبات الشيعة بآوه:

ذكرت كتب التاريخ منطقة شيعية في بلاد فارس، كانت عامرة بأهلها واندثرت في القرن السابع الهجري عند بدايات الزحف المغولي على بلاد المسلمين.

قال ياقوت الحموي: ساوه: بعد الألف واو مفتوحة بعدها هاء ساكنة: مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط، بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخا، وبقربها مدينة يقال لها آوه، فساوه سنية شافعية، وآوه أهلها شيعة إمامية، وبينهما نحو فرسخين، ولا يزال يقع بينهما عصبية، وما زالتا معمورتين إلى سنة ٦١٧ فجاءها التتر الكفار الترك فخبرت أنهم خربوها وقتلوا كل من فيها ولم يتركوا أحدا البتة، وكان بها دار كتب لم يكن في الدنيا أعظم منها بلغني أنهم أحرقوها[(١)].

ودقّق أخي القارىء إلى تعبير ياقوت بأنّه "لم يكن في الدنيا أعظم منها" لتعلم عظم المصيبة التي مني المسلمون بها.

٧. مكتبات الشيعة بحلب:

كانت حلب في ما مضى مركزا من مراكز التشيّع، وحاضرة من الحواضر العلمية التي خرّجت الكثير من العلماء والفقهاء، وقد حكمها الحمدانيين فترة من الزمن وأسّسوا فيها مكتبة ضخمة لا نظير لها، إلّا أنّها

---

(١) معجم البلدان ٣/ ١٧٩.

أتلفت كغيرها من المكتبات ولم يبق منها شيء.

ذكر لنا الذهبي في تاريخ الإسلام مصير هذه المكتبة: ثابت بن أسلم بن عبد الوهاب أبو الحسن الحلبي، أحد علماء الشيعة، وكان من كبار النحاة، صنّف كتاباً في تعليل قراءة عاصم قريش، وكان من كبار تلامذة أبي الصلاح، وتصدّر للإفادة بعده، وتولّى خزانة الكتب بحلب، فقال من بحلب من الإسماعيلية: إنّ هذا يفسد الدعوة، وكان قد صنّف كتاباً في كشف عوارهم، وابتداء دعوتهم، وكيف بنيت على المخاريق، فحمل إلى صاحب مصر فأمر بصلبه، فصلب، فرحمه الله ولعن من صلبه، وأحرقت خزانة الكتب التي بحلب، وكان فيها عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان، وغيره[١].

كتب مخطوطة:

لا يزال قسم كبير من الكتب التاريخيّة حبيس رفوف المكتبات، لم ير نور التحقيق إلى يومنا هذا، فمثلاً كتاب (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي الذي استشهدنا به في أكثر من مورد من كتابنا لم يُطبع إلّا سنة ١٤٣٤هـ الموافقة ٢٠١٣م، وقد تعجّب المحقّق في أول الكتاب من هذا الإهمال الذي وقع لهذا الكنز الثمين[٢].

---

(١) تاريخ الإسلام ٣٠/ ٣٩٩.

(٢) قال محقّق كتاب مرآة الزمان ١/ ٨: وتعجّبت كيف يبقى مثل هذا الكتاب القيّم حبيس أرفف مكتبات المخطوطات ردحاً طويلاً من الزمن! حيث لم يصدر منه غير جزء واحد من أوله، بتحقيق الدكتور إحسان عباس، طُبع بدار الشروق ١٩٨٥م، وجزء وحيد من آخره، طُبع بحيدر آباد الدكن سنة ١٩٥٢م.

فمن نفائس المخطوطات التي لم تُطبع إلى يومنا هذا:

١. **كامل البهائي**:

للشيخ عماد الدين الحسن بن علي الطبري المعاصر للخواجة نصير الدين الطوسي، والمحقق الحلي، والسيد ابن طاووس الحلي رضوان الله عليهم.

ذكره الآغا بزرگ الطهراني قدس سره كتابه في الذريعة، فقال: (كامل البهائي) فارسي، في الإمامة وشرح ما جرى بعد الرسول صلى الله عليه وآله في السقيفة، ولذا يسمّى بـ (كامل السقيفة) أيضاً للشيخ عماد الدين الحسن بن علي بن محمد بن علي الطبري، وفي النسخة المطبوعة بدل جدّه علي الطبري بالحسن، وهو المعاصر للخواجة نصير الدين الطوسي، كتبه بأمر الوزير بهاء الدين محمد ابن الوزير شمس الدين محمد الجويني صاحب الديوان، والمتولي لحكومة إصفهان في دولة هلاكوخان المغول[1].

وقد ذكر الشيخ قدس سره أنّ المطبوع منه فقط الجزء الأول، أمّا الباقي فلا يزال مخطوطاً، قال: هو كتاب كبير في مجلّدين، والمتداول منه المجلد الأول، وهو في أحوال أمير المؤمنين وإثبات إمامته وإبطال غيره، والمجلد الثاني في أحوال باقي الأئمة، وقد رأيت منه نسخة تامّة بكاشان، عند كلانتر تلك البلدة، وأخرى بإسترآباد في كتب المولى حسين الأردبيلي، ويوجد أيضاً نسخة عتيقة عند المولى ذو الفقار، ونسخة تامّة في إصفهان عند الميرزا أشرف بن الميرزا حسيب، والذي عندنا إنّما هو المجلد الأول منه، وقال قبل ذلك: إنّ الموجود عندي هو المجلد الأول إلى آخر شهادة الحسين

---

(١) الذريعة ١٧/ ٢٥٢.

عليه السلام، أقول: الميرزا أشرف هو صاحب (فضائل السادات) المطبوع، وقد كانت عنده النسخة بتمامها، وينقل عنها في كتابه، كما صرّح به في (الرياض)، فلو وجد في كتابه النقل عن (الكامل) مع عدم وجوده في النسخة المطبوعة منه يُعلم أنه منقول عن مجلده الثاني، فإنّ المطبوع منه هو المجلد الأول فقط كما يأتي(١).

وقد اعتمد المحدّث القمي على كتابه في مصنفاته التاريخية حتى قال في حقّه: الشيخ الجليل والعالم الخبير الحسن بن علي الطبري المعاصر للعلّامة والمحقّق، قال في كتاب (كامل البهائي)...(٢).

وقال مادحاً لكتاب (كامل البهائي): ومما هو معلوم من وضع الكتاب أنّ النسخ الأصلية والكتب القديمة للأصحاب كانت موجودة لديه، مثل (فعلت فلا تلم)، وهو كتاب في المثالب من مصنّفات أبي جيش المظفر بن محمد الخراساني الذي يُعدّ من متكلّمي الشيعة والعارفين بالأخبار، ومن تلاميذ أبي السهل النوبختي، وكذلك كتاب (الحاوية)، وهو كتاب في مثالب معاوية، ومؤلّفه القاسم بن محمد بن أحمد المأموني، وهو من أهل السنة(٣).

وكما يظهر من عنوان الكتاب أنّه اهتمّ بالأحداث التي حصلت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ومنها الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام والإعتداء عليها، وقد نقل بعض المعاصرين رواية من هذا الكتاب تذكر شيئاً من ظلامة الزهراء

---

(١) الذريعة ١٧/ ٢٥٢.

(٢) منتهى الآمال ١/ ٥٩٥.

(٣) الفوائد الرضوية: ١١١.

عليها السلام وما جرى عليها، قال فيها: وفي اليوم التالي أقبل الناس لبيت فاطمة للصلاة على جنازتها، وعندما رأى المقداد أبا بكر قال له: لقد دفنّاها البارحة. فقال له عمر: يا أبا بكر ألم أخبرك أنّهم فاعلون ذلك؟ قال المقداد: لقد أوصت بذلك حتى لا تصلّيا على جنازتها. فأخذ عمر يضرب المقداد على وجهه ورأسه حتى أجهده كثرة الضرب، فخلّصه الناس من بين يديه، فقام المقداد وقال له: لقد رحلت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من الدنيا **والدم ينزف من ظهرها وضلعها من ضربكم بالسيف والسوط إياها**، وإنّني لأحقر عندكم من علي وفاطمة. فقال عمر: والله لأحقّ الناس بالضرب والعقوبة علي بن أبي طالب. فجاؤوا إلى علي وكان جالساً عند باب بيته، وأصحابه مجتمعون حوله، فقال عمر: يا علي، ألن تدع حسدك القديم، فقد غسلت رسول الله من غير حضور منّا، وصلّيت على فاطمة من دوننا، وحملت الحسن عليه السلام على أن يصرخ في وجه أبي بكر أن انزل من منبر جدي؟ فلم يقل علي في جوابه شيئا، فقال عقيل: وأنتم والله لأشدّ الناس حسداً وأقدم عداوة لرسول الله وآله، **ضربتموها بالأمس**، وخرجت من الدنيا وظهرها بدم، وهي غير راضية عنكما[١].

٢. مثالب النواصب:

لابن شهر آشوب المازندراني قدس سره صاحب كتاب (مناقب آل أبي طالب) عليهم السلام، وقد جمع في هذا الكتاب مثالب أعداء أهل البيت عليهم السلام، وعدّد الجرائم والفظائع التي ارتكبوها.

قال الشيخ الطهراني قدس سره: (مثالب النواصب) للشيخ الإمام رشيد

(١) حوار مع فضل الله: ٢٧٩.

الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني، المتوفى ٥٨٨، ذكره في كتابه (معالم العلماء)، ووجد بخطّه في بعض إجازاته كما في (الرياض)، ولعلّه الذي ينقل عنه في (بشارات الشيعة) بعنوان (الصوالب والقواصب) لمحمد بن علي بن شهرآشوب، قال: ويسمّى (منهاج الهداية ومعراج الدراية)، نقل عنه جملة من الأسماء التي يثنى -يكنى- بها ويُرمز بها عن المخالفين، نظير العجل والسامري والنعثل وغيره، ونقل عن (مثالب النواصب) لابن شهرآشوب في (أنساب النواصب) المؤلّف ١٠٧٦ بما يظهر وجوده عنده، والنسخة موجودة بخط عتيق في خزانة السيّد ناصر حسين، وذكر هو أن (المثالب) هذا على كبر (المناقب) له المطبوع مكرّراً، ونسخة أخرى عند السيد محمد المحيط بطهران[1].

وقد خصّص في كتابه المزبور باباً كاملاً ذكر فيه أحداث الهجوم على الدار، واعتداء القوم على سيّدتنا ومولاتنا فاطمة عليها السلام، نقلنا منه في ما سبق بعض الروايات، كما جمع الكثير من الأشعار التي نظمها الأصحاب في خصوص هذه الحادثة.

الخلاصة:

إنّ ما وصل لنا من روايات ونصوص تاريخية ليس إلّا جزءاً بسيطاً من دُوِّن في الكتب، فليس كلّ ما نُقل وصل إلينا، وليس كلّ ما وصل إلينا هو بين أيدينا الآن، لذلك على الباحث التأنّي قبل إصدار أي حكم في أي

(١) الذريعة ١٩/ ٧٦؛ سمعت من أحد الفضلاء سنة ١٤٣١هـ أنّه بصدد تحقيق هذا الكتاب واخراجه للنور، إلّا أنّه قد مرّت أكثر من خمسة سنوات ولم نسمع خبرا عن هذا الكتاب.

قضية تاريخية إثباتاً أو نفياً، فلا ينبغي للباحث المنصف أن ينفي أي واقعة لمجرد أنها لم تروَ في الكتب، فضلاً عن الحوادث المروية فيها ولو بأسانيد ضعيفة.

ومن كل ذلك يتبيّن أنه من المجازفة العظيمة نفي الظلم والجور الذي وقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل بيته عليهم السلام، وخصوصاً ما جرى على السيّدة فاطمة عليها السلام مما نقله الشيعة وأهل السنة في كتبهم، فإنه خلاف الإنصاف، وجور واضح على التاريخ، وجناية كبيرة على أهل البيت عليهم السلام.

ملحق ١:

الإمامة والسياسة

من المصادر التاريخية التي ارتبط ذكرها بما جرى على السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام من مصائب وظلامات هو كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة الدينوري، وحيث أنّه قد أثيرت حول هذا الكتاب مجموعة من الشبهات والتشكيكات، ارتأيت أن أفنّد ما تمسّك به القوم لنفي نسبة هذا الكتاب لصاحبه.

من هو ابن قتيبة؟

ترجمه الذهبي في سير أعلام النبلاء بقوله: العلّامة الكبير، ذو الفنون، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، الكاتب، صاحب التصانيف، نزل بغداد، وصنّف وجمع، وبعد صيته[1].

وقد مدحه علماء أهل السنة، ووثّقوه، وأثنوا عليه:

فقد قال فيه الخطيب البغدادي: كان ثقة ديِّناً فاضلاً[2].

وقال الحافظ السلفي: ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة[3].

توفي في شهر رجب من سنة ٢٧٦هـ، وترك كمًّا هائلًا من التصانيف

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٧.

التي هي غاية في الكثرة.

بذرة التشكيك في الكتاب:

قد يظنّ القارئ الكريم أنّ نفي نسبة كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة هو مما قال به حفاظ الحديث وأئمّة الجرح والتعديل الذين يعتدّ بكلامهم، ويذعن لآرائهم، إلّا أنّ الحقّ الذي لا مهرب منه هو أنّ أوّل من شكّك في نسبة هذا الكتاب هو أحد المستشرقين!

وقد اعترف بذلك محقّق الكتاب (علي الشيري) حيث قال في مقدمة الكتاب: وقد ظهر مؤخّراً عدم اتفاق على اسم مؤلّف هذا الكتاب، بعد أن شكّك كثير من العلماء في نسبته إلى ابن قتيبة، وحيث أن بعضهم استبعد انتسابه إليه، وكان أوّل من تزعّم التشكيك بنسبته إلى ابن قتيبة المستشرق (غانيغوس المجريطي)، ثم تبعه الدكتور دوزي في صدر كتابه (تاريخ الأندلس وآدابه)[1].

فهل غفل المسلمون طيلة ألف سنة عن هذا الكتاب ليأتي هذا المستشرق في سنة ١٨٨١م، وينبّههم إلى عدم صحّة نسبة الكتاب لابن قتيبة؟!

صحّة نسبة الكتاب لابن قتيبة:

من يتتبّع كلمات كبار علماء أهل السنة والجماعة عبر التاريخ يجد أنّهم نسبوا هذا الكتاب لابن قتيبة نسبة قطعية، ولم يشكّك فيه أحد من المؤرّخين، ولا من المحدّثين، ولا من النقّاد:

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٢.

فقد نسب الكتاب لابن قتيبة جمع من الأعلام، منهم:

١- **القاضي أبو بكر بن العربي المالكي (ت ٥٤٣هـ)**: في كتابه (العواصم من القواصم)، حيث قال: ومن أشد شيء على الناس جاهل عاقل، أو مبتدع محتال، فأمّا الجاهل فهو ابن قتيبة، فلم يبق ولم يذر للصحابة رسماً في كتاب (الإمامة والسياسة) إن صحّ عنه جميع ما فيه[١].

فهو لا يشك في نسبة الكتاب إليه، ولهذا وصفه بالجهل، وأما قوله: «إن صحّ عنه جميع ما فيه» فظاهره أنه يحتمل عدم صحة نسبة بعض مضامين الكتاب إليه، ولعله بسبب استبعاده أن يكتب ابن قتيبة ما هو مذكور في كتاب الإمامة والسياسة مما اشتمل على الطعن الواضح في بعض كبار الصحابة، لا لوجود دليل عنده على ما يحتمله.

٢- **أبو الحجاج يوسف البلوي (ت ٦٠٤هـ)**: في كتابه (ألف باء في أنواع الآداب)، قال: ذكر ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة): أنه لما قدم على الحجَّاج سعيد بن جبير، قال له: ما اسمك؟ قال: أنا سعيد بن جبير. فقال الحجّاج: أنت شقي ابن كُسير[٢].

٣- **أبو القاسم محمد بن علي التوزري المعروف بابن شباط (ت٦٨١هـ)**: كما نقل عنه ذلك محقّق كتاب (الإمامة والسياسة) علي شيري حيث قال في مقدّمة التحقيق: إن كثيرين ممن ترجموا لابن قتيبة لم ينسب إليه واحد منهم كتاباً أو مؤلّفاً له بهذا العنوان إلا القاضي أبو عبد

---

(١) العواصم من القواصم: ٣١٢.

(٢) ألف باء الآداب: ٤٧٨.

الله التوزري المعروف بابن الشباط في كتابه (صلة السمط)[١].

٤- تقي الدين الفاسي المكي (ت ٨٣٢هـ): في كتابه (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام)، قال: ولأنا في الغالب لا نستدل إلا على ما يُستغرب، أو يقع فيه اختلاف، وولاية مسلمة بن عبد الملك حكاها ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة)، وكلامه صريح في أنه وليها لأبيه، وأن خالداً القسري وليها أيضاً لعبد الملك[٢].

٥- نجم الدين عمر بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد المكي (ت ٨٨٥هـ): في كتابه (إتحاف الورى بأخبار أم القرى)، قال: وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتاب (الإمامة والسياسة): كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان والياً على أهل مكة، فبينما هو يخطب على المنبر إذ أقبل خالد بن عبد الله القسري من الشام والياً عليها[٣].

٦- عز الدين عبد العزيز بن فهد المكي (ت ٩٢١هـ): في كتابه (غاية المرام بأخبار سلطنة البيت الحرام)، قال: ذكر ولايته -مسلمة بن عبد الملك بن مروان- عليها ابن قتيبة في الإمامة والسياسة لأنّه قال:...وذكر النصّ السابق بتمامه[٤].

وقد أشار إلى الكتاب بعضهم دون التصريح باسمه:

١- عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ): في تاريخه حيث قال: هذا

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٧.

(٢) شفاء الغرام ٢/ ٢٠١.

(٣) اتحاف الورى ٢/ ١١٨.

(٤) غاية المرام ١/ ١٩١.

أمر الجمل ملخص من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدناه للوثوق به ولسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين[١].

قلت: مرادهم من الأهواء هو نقل ما جرى بين الصحابة من خلاف وحروب، ولا يوجد كتاب تعرّض فيه ابن قتيبة لمثل هذه الأمور سوى كتاب (الإمامة والسياسة).

٢- ابن حجر المكي الهيتمي (ت ٩٧٤هـ): في كتابه (تطهير الجنان واللسان): وقد علمت مما قدمته في معنى الإمساك عن ذلك أنّ عدم الإمساك إمّا أن يكون واجباً لا سيما مع ولوغ العوام به، ومع تآليف صدرت من بعض المحدّثين كابن قتيبة مع جلالته القاضية بأنّه كان ينبغي له أن لا يذكر تلك الظواهر، فإن أبى إلا ذكرها فيبيّن جريانها على قواعد أهل السنّة حتى لا يتمسّك مبتدع أو جاهل بها[٢].

ومراده بالإمساك هو الإمساك عما شجر بين صحابة النبي ﷺ الذي جعله أهل السنة من الواجبات، وليس لابن قتيبة كتاب يذكر فيه الحوادث السيئة الصادرة عن الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ إلا كتاب (الإمامة والسياسة).

ومن هنا نعلم أنّ تشكيك هذا المستشرق لا قيمة له لتسليم جملة من العلماء بنسبة الكتاب لابن قتيبة، وتكثّر النقل عن هذا الكتاب على مرّ الأجيال، بحيث يطمئن الباحث باشتهاره بين الناس جيلاً بعد جيل وصحة نسبته لمؤلّفه.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٢/ ١٦٦.

(٢) تطهير الجنان ٥٨.

ولذلك قال محقّق إحدى طبعات هذا الكتاب، وهو الدكتور طه الزيني في مقدمة الكتاب بشهرته الأجيالية: وبعد، فإن كتاب (الإمامة والسياسة) للعالم الفاضل المؤرّخ العظيم عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أشهر الكتب تداولاً بين قرّاء العربية، لما حواه من تاريخ حقبة عزيزة على نفس كل مسلم حبيبة إلى قلبه جديرة بالذكر على لسانه[١].

تفنيد الإشكالات على صحّة نسبة الكتاب لابن قتيبة:

حاول المشكّكون حشد جملة من الإشكالات التي أرادوا بها إسقاط الكتاب، ونفي نسبته عن ابن قتيبة، ولا يخفى على القارئ الكريم أنّ سبب هذا الإصرار هو الحوادث التي نقلها ابن قتيبة في كتابه، والتي سبّبت لهم إشكالات لم يستطيعوا دفعها إلّا بإسقاط الكتاب رأساً.

الإشكال الأول: عدم ذكر الكتاب في مصنفات ابن قتيبة

ألّف بعض المعاصرين كتاباً بعنوان (عقيدة الإمام ابن قتيبة) جمع فيه كلّ ما وقع بين يديه من إشكالات تشكّك في نسبة الكتاب للرجل، ومن أهمها: أنّ الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتابًا في التاريخ يُدعى الإمامة والسياسة، ولا نعرف من مؤلّفاته التاريخية إلا كتاب (المعارف)[٢].

والجواب: لم يدّع أحد من الذين ترجموا لابن قتيبة أنّه أحاط بكلّ مؤلّفاته لكثرتها، وقد تقدّم تعبير الذهبي عن ابن قتيبة بقوله: «صاحب

---

(١) الإمامة والسياسة ١/ ٥.

(٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٨٨.

التصانيف»، كما ترجم له النووي في كتابه (تهذيب الأسماء) بقوله: وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الكاتب، اللغوي، الفاضل في علوم كثيرة، سكن بغداد، وله مصنّفات كثيرة جدًا، رأيت فهرستها ونسيت عددها، أظنها تزيد على ستين مصنفًا فى أنواع العلوم، فمن كتبه التي رأيتها: غريب القرآن، ومشكل القرآن، وغريب الحديث، ومختلف الحديث، وأدب الكاتب، والمعارف، وعيون الأخبار(١).

فلم يذكر النووي إلّا سبعة عناوين من جملة ستين! وكلّ من ترجم له ذكر كثرة تصانيفه، ولم يذكر أكثر من عشرة، أفلا يحتمل أنّ كتاب (الإمامة والسياسة) من الكتب التي لم تذكر، لعدم رغبة من ترجمه للفت أنظار العوام إلى مثل هذا الكتاب؟

ويؤيّد ما قلناه أن صاحب (مراتب النحويين) ذكر مجموعة من مؤلّفات ابن قتيبة لم يذكرها غيره، بل ولا وجود لها الآن.

قال: وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها، نحو تعرّضه لتأليف كتابه في النحو، وكتابه في تعبير الرؤيا، وكتابه في معجزات النبي ﷺ، وعيون الأخبار، والمعارف، والشعراء، ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء، وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له(٢).

وقد اعترف صاحب الإشكالات أنّه لم يطّلع على هذه الكتب، ولم يسمع بها، قال: لم أقف على كتاب له في النحو، وكتابه في تعبير الرؤيا،

---

(١) تهذيب الأسماء ٢/ ٢٨١.

(٢) مراتب النحويين: ١٣٧.

وكتابه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم[(١)].

علماً أنّه لو التزم القوم بهذا المنهج لما بقي عندهم كتاب تصحّ نسبته إلى صاحبه، إذ أنّ علماء الحديث والرجال لم يكتبوا فهارس مؤلّفاتهم كما عند الشيعة (فهرست الطوسي، وفهرست النجاشي)، بل كان اهتمامهم الأساس بذكر حياة المترجم له فقط.

الإشكال الثاني: في مكان إقامة ابن قتيبة

قال المستشكل: إنّ المتصفِّح للكتاب يشعر بأن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب، في حين أنه لم يخرج من بغداد إلّا إلى الدينور[(٢)].

والجواب: أنّنا لا ندري أين صرّح أو لمّح ابن قتيبة بأنّه أقام في دمشق أو دخل لها كما يدّعي صاحب الإشكال، فقد تصفّحنا الكتاب من أوّله إلى آخره فلم نجد ولو إشعاراً بسيطاً يدل على أنّه دخل دمشق، وصاحب الدعوى لم ينقل شواهد على كلامه، بل أطلق دعواه هكذا من دون دليل، ولو سلّمنا بوجود شواهد على ذلك فلا إشكال في البين، إذ لا مانع من دخول ابن قتيبة الشام أو المغرب كما هو حال المحدّثين الذين عُرفوا بكثرة ترحالهم، وعدم نقل ذلك في ترجمته لا يعني أنّه لم يحصل؛ لأنّ التراجم عادة ما يُدوَّن فيها الأمور المهمّة في حياة المترجم له، وأمّا الأمور المتعارفة فلا تنقل، ولعلّ ابن قتيبة دخل دمشق أو المغرب في أوّل حياته قبل أن يكون له صيت، وتتوجّه له الأنظار.

أمّا توهّم زيارته للمغرب فلعلّه ناشئ من تعبير ابن قتيبة في أكثر من

---

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ١٠٩.

(٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٨٨.

مورد من كتابه بقوله: «حدّثنا بعض مشايخ أهل المغرب»، و«حدّثنا بعض المشايخ من أهل المغرب».

ومن الواضح أنه لا يصحّ التمسّك بأمثال هذه العبارات للاستدلال بها على أن ابن قتيبة رحل إلى المغرب؛ فإن مثل هذا التعبير لا يدلّ على أن التحديث كان في المغرب، بل غاية ما يدلّ عليه هو أنّ الراوي مغربي الأصل، فلا مانع من أن يكون كذلك، ويحدّث ابن قتيبة ببغداد، خصوصاً أنّ هذه المدينة كانت عاصمة المسلمين في عصره، وكانت محطّ رحال العلماء والمتعلّمين، فمن الطبيعي أن يأتي المغاربة إلى بغداد، ويحدّثوا فيها، وينقلوا الحديث عن العلماء فيها.

الإشكال الثالث: في أسلوب الكتاب:

قال المستشكل: إنّ المنهج والأسلوب الذي سار عليه المؤلّف في (الإمامة والسياسة) يختلف تمامًا عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا، فابن قتيبة يقدّم لمؤلّفاته بمقدّمات طويلة يبيّن فيها منهجه والغرض من مؤلّفه، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب (الإمامة والسياسة)، فمقدّمته قصيرة جدًا لا تزيد على ثلاثة أسطر، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلّفات ابن قتيبة[1].

والجواب: لم يذكر هذا المستشكل الاختلافات المنهجية بين كتب ابن قتيبة الثابتة النسبة إليه وبين كتاب (الإمامة والسياسة) الذي نحن بصدد الحديث عنه، وعليه فإنّ هذه الدعوى كسابقتها مجرّدة عن الدليل.

أمّا ما ذكره من أنّ مقدّمة الكتاب قصيرة، وهي لا تشبه ما عُرف عن

---

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٨٨.

ابن قتيبة من عادته في إطالة المقدّمات في كتبه، فهو إشكال غير وارد؛ لأنّه لا يبعد أنّ الرجل قد ترك هذه العادة نتيجة للانتقادات التي وُجّهت لكتابه (أدب الكاتب)!

فقد قال ابن خلكان في (وفيات الأعيان): وكان العلماء يقولون: (إصلاح المنطق) كتاب بلا خطبة، و(أدب الكاتب) تأليف ابن قتيبة خطبة بلا كتاب[(١)].

الإشكال الرابع: الرواية عن ابن أبي ليلى:

قال المستشكل: يروي مؤلّف الكتاب عن ابن أبي ليلى بشكل يشعر بالتلقّي عنه، وابن أبي ليلى هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه، قاضي الكوفة، توفي سنة ١٤٨ هـ، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلّا سنة ٢١٣ هـ، أي بعد وفاة ابن أبي ليلى بخمسة وستين عامًا[(٢)].

والجواب: أننا بحثنا في كلّ الكتاب فلم نجد إلا رواية واحد وردت عن (ابن أبي ليلى)، وهو ليس محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه كما ادّعى صاحب الإشكال؛ لأنّ هذا الأخير أنصاري كوفي كما ورد في ترجمته:

قال ابن حبّان: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الفقيه: كنيته أبو عبد الرحمن، ولّاه يوسف بن عمر القضاء بالكوفة، يروي عن عطاء والشعبي، روى عنه أهل الكوفة والعراقيون، مات سنة ثمان وأربعين ومائة[(٣)].

---

(١) وفيات الأعيان ٦/ ٤٠٠.

(٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٨٨.

(٣) المجروحين: ٢٤٤.

في حين أنّ المذكور في كتاب (الإمامة والسياسة) قد لُقّب بالتجيبي، وقد ذكر السيوطي في كتابه (لبّ اللباب في تحرير الأنساب) أنّ محلّ هذه القبيلة بمصر[١]، وهو ما لا يجتمع مع نسبته للأنصار أو للكوفة، وعليه فالمذكور في الكتاب هو رجل آخر غير ابن أبي ليلى الذي ذكره المستشكل.

وقد روى ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق) عن التجيبي في نفس الموضوع، وهو فتح بلاد المغرب، ممّا يؤكّد أنّه مغاير للقاضي؛ إذ أنّه لم يُذكر في ترجمته في أي كتاب من الكتب أنّه تجيبي[٢].

ولو تنزّلنا وقبِلْنا أنّ المراد هنا هو القاضي ابن أبي ليلى الكوفي، فلا يلزم الإشكال أيضاً؛ وذلك لأنّه لا يمكن القطع بأنّ ابن قتيبة قد روى عنه مباشرة؛ لأنّ الرواية عنه كانت متّصلة برواية أخرى، فلعلّ الذي قال: «وحدّثنا ابن أبي ليلى» هو (الليث) المذكور قبل سطور، لا نفس ابن قتيبة، فيندفع الإشكال.

الإشكال الخامس: في بعض مشايخ ابن قتيبة:

قال المستشكل: إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب[٣].

والجواب: أنّه لا مانع أن يكون ابن قتيبة روى هنا عن آخرين؛ لأنّ أغلب كتبه الأخرى كانت في علوم أخرى، ولم يكتب كتاباً على طريقة أهل الأخبار في التاريخ والحوادث سوى هذا الكتاب، فمن الطبيعي أن يختلف

---

(١) لبّ اللباب في تحرير الأنساب ١/ ١٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٦١/ ٢١٨.

(٣) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٨٨.

مشايخه في كتابه التاريخي عن مشايخه في كتبه اللغوية وغيرها.

أضف إلى هذا أنّ أغلب كتاب (الإمامة والسياسة) غير مسند، فلا ندري كيف استطاع صاحب الإشكال استخراج مشايخ ابن قتيبة من هذا الكتاب؟!

الإشكال السادس: في بعض أخبار فتح الأندلس:

قال المستشكل: يبدو من الكتاب أنّ المؤلّف يروي أخبار فتح الأندلس مشافهة من أناس عاصروا حركة الفتح، مثل قوله: «حدّثتني مولاة لعبد الله بن موسى وكانت من أهل الصدق والصلاح أنّ موسى حاصر حصنها التي كانت من أهله»، والمعروف أنّ فتح الأندلس كان سنة ٩٢هـ، أي قبل مولد ابن قتيبة بنحو مائة وواحد وعشرين عاماً[(١)].

والجواب: أنّ الذي قال: «حدّثتني» ليس ابن قتيبة لكي يرد الإشكال، بل هو (جعفر بن الأشتر) الذي كان يحدّث بقصّة محاصرته للحصون بالأندلس، وليس ابن قتيبة كي يرد الإشكال!

بل لا يُعلم أنّ ابن قتيبة حدّث عن جعفر بن الأشتر مباشرة، إذ أنّه صدّر كلامه بقوله: «وذكروا»، فلعلّه كان ينقل قصّة فتح الأندلس عن كتاب متداول، أو كان بصدد تدوين ما اشتهر بين النّاس.

الإشكال السابع: الأخطاء التاريخية الواضحة:

قال المستشكل: إنّ كتاب (الإمامة والسياسة) يشتمل على أخطاء تاريخية واضحة، مثل جعله أبا العبّاس والسّفاح شخصيتين مختلفتين،

---

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٨٨.

وجعله هارون الرشيد الخلف المباشر للمهدي، واعتباره أنّ هارون الرشيد أسند ولاية العهد لابنه المأمون، ومن ثم لابنه الأمين، وإذا رجعنا إلى كتاب (المعارف) لابن قتيبة نجده يمدّنا بمعلومات صحيحة عن السّفاح والرّشيد، تخالف ما ذكره صاحب (الإمامة والسياسة)[1].

والجواب: أنّ هذا الإشكال فيه ثلاث نقاط:

الأوّلى: ما يتعلّق بأبي العبّاس والسفاح.

الثانية: جعله هارون الرشيد الخلف المباشر للمهدي.

والثالثة: ما يتعلّق بالرشيد وأبنائه الأمين والمأمون.

أمّا الأولى: فإنّ مراد المستشكل هو قول ابن قتيبة في كتابه: وذكروا أن أبا العباس ولّى عمه عبد الله بن علي، الذي يقال له السفّاح: الشام، وأمره أن يسكن فلسطين، وأن يجدَّ السير نحوها، وهنّأه بما أصاب من أموال بني أمية، وكتب إلى صالح بن علي أن يلحق بمصر والياً عليها، فقدم السفّاح فلسطين، وتقدّم صالح إلى مصر، فأتاها بعد قتل مروان بيومين، وأن السفّاح بعث إلى بني أمية، وأظهر للناس أن أمير المؤمنين وصَّاه بهم، وأمره بصلتهم، وإلحاقهم في ديوانه، وردّ أموالهم عليهم، فقدم عليه من أكابر بني أمية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلاً، وكان فيهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وأبان بن معاوية بن هشام، وعبد الرحمن بن معاوية، وغيرهم من صناديد بني أميّة، فأمّا عبد الرحمن بن معاوية فلقيه رجل كان صنع به برًّا، وأسداه خيراً، وأولاه جميلاً، فقال له: أطعني اليوم في كلمة، ثم اعصني إلى يوم القيامة. فقال له عبد الرحمن: وما أطيعك فيه اليوم؟

---

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٨٩.

فقال له الرجل: أدرك موضع سلطانك وقاعدتك المغرب، النجاء النجاء، فإن هذا غدر من السفّاح، ويريد قتل من بقي من بني أمية. فقال له عبد الرحمن: ويحك إنّه كتاب أبي العباس، قدم عليه، يأمره فيه بصلتنا، وردّ أموالنا إلينا وإلحاقنا بالعطاء الكامل والرزق الوافر..[1].

ومن هذا النص يتّضح أنّ ابن قتيبة لم يخلط بين الشخصيتين، بل غاية ما في الأمر أنّه نسب لقب (السفّاح) للعمّ دون ابن الأخ الذي هو الخليفة الأوّل من خلفاء العباسيين، ولا مانع من تلقّبهما بنفس اللقب، خصوصاً وأنّ العمّ قد عُرف بأنّه سفّاك دماء بني أميّة، وهو الذي نبش قبورهم، ومثّل بموتاهم.

علماً أنّ لقب السفّاح إنّما أطلقه على أبي العبّاس متأخّرو المؤرّخين، فلو رجعنا إلى الطبري في تاريخه ومن عاصروه من المؤرّخين نجد أنّهم لم يلقّبوا أبا العبّاس بهذا اللقب الذي اشتُهر به فيما بعد.

وأمّا ما نسبه المستشكل لابن قتيبة في كتاب المعارف من أنّه أمدّنا بالمعلومات الصحيحة فغير دقيق؛ لأنّه لم يشر في متن الكتاب إلى لقب السفّاح، لا للعمّ ولا لابن أخيه إلّا في عنوان الباب، ولا نعلم هل هذا التبويب من المصنّف أو من النسَّاخ.

وأمّا النقطة الثانية التي تتعلق بالرشيد وأخيه المهدي فإنّ ابن قتيبة نقل نفس القصّة التي ذكرها كل المؤرّخين من عزم المهدي العباسي على عزل ولده الهادي وتولية الرشيد، إلّا أنّه أخطأ في قوله: «ثم توفّي المهدي من يومه ذاك، واستخلف الرشيد»، ووجود خطأ مثل هذا لا يسقط

---

(١) الإمامة والسياسة ٢/ ١٦٦.

الكتاب عن الاعتبار، ولا ينفي نسبة الكتاب إلى ابن قتيبة، فمثله بل أعظم منه موجود في الصحيحين!

فقد روى مسلم في صحيحه: بسنده عن ابن عباس، قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله، ثلاث أعطنيهن. قال: نعم. قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها. قال: نعم. قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك. قال: نعم. قال: وتؤمّرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين. قال: نعم...[(١)].

ومن المقطوع به بين المؤرّخين كافّة أنّ أم حبيبة تزوّجها النبي ﷺ قبل إسلام أبي سفيان، وقبل قدومه إلى المدينة. وقد نصّ شرّاح الحديث على هذا الخطأ الفاحش في صحيح مسلم، فهل مثل هذا الخطأ يسقط الكتاب عن الاعتبار، وينفي نسبته إلى مسلم بن الحجّاج؟؟

وأمّا النقطة الثالثة وهي تولية الرشيد للمأمون من بعده فهي إشارة إلى قول ابن قتيبة:

لما دخلت عليه سنة تسعين ومائة أخذته الحمى التي أخبر بها جدّه أبو جعفر المنصور وهو في المهد صغيراً، فعرف أنّه قد دنا أجله، وحان هلاكه، فاجتمع إليه أطباء العراق يعالجونه، ثم استعان بأطباء الروم والهند، واستجلبهم من الآفاق، فلم يزالوا يداوونه حتى مضت له ثلاثة أعوام، وما أقلعت عنه، ولم يزده العلاج إلا شدة، فلما دخلت سنة أربع وتسعين ومائة أثّرت به، وأنهكت بدنه، واشتدّ ألمه، وتمادى به وجعه، فذكر

---

(١) صحيح مسلم ٧/ ١٨١.

البيعة لابنه المأمون...»[١].

إلى أن قال: فكتب عهد عبد الله المأمون، ثم محمد الأمين بعده، فلمّا كان سنة خمس وتسعين مائة توفي الرشيد رحمه الله، وعبد الله المأمون خارج عن العراق، وكان وجّهه أبوه بالجيوش إلى بعض الفرس لشيء بلغه عنهم، فلظّ بمحمد الأمين قوم من شرار أهل العراق، فقيل له: معك الأموال والرجال والقصور، فادفع في نحر أخيك المأمون، فإنّك أحقّ بهذا الأمر منه. وأعانته على ذلك أمّه زبيدة، فقدم أخوه عبد الله من بغداد، ومعه الجيوش قد أخذ بيعتهم، فنهض إليه الأمين قاصداً ومعه الجيوش، فلم يرجع ولم يمانع، ولم يختلف عليه أحد، ثم إنه غدر بأخيه الأمين لما بلغه عنه، فنهض المأمون إلى القصر فدخله، فأخذ أخاه، وشدّ وثاقه، وحبسه، وأشار إلى أمّه لما أعانته عليه، فهرب محمد من الحبس، فبعث المأمون في طلبه، فأُخذ وقُتل...»[٢].

وما قاله ابن قتيبة لا إشكال فيه، فإنا لا نعلم في حقيقة الأمر هل عهد هارون إلى الأمين ثم للمأمون، أو بالعكس، فلعله عهد إلى المأمون أولاً، لكن الأمين طمع في الخلافة وادّعى أنه ولي عهد أبيه، لكونه أكبر ولد هارون، ولأن المأمون كان غائباً عن بغداد، وما يقوله كثير من المؤرّخين ليس قطعيًّا حتى نقطع بخطأ ابن قتيبة فيما قاله، وإذا كان المسلمون قد اختلفوا في أن النبي صلى الله عليه وآله هل عهد بالخلافة إلى أبي بكر أو عهد بها إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مع توافر النقل وأهمية الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) الإمامة والسياسة ٢/ ٢٣٢

(٢) الإمامة والسياسة ٢/ ٢٣٣.

فليس ببعيد أن يقع الاختلاف في أمر وقع في داخل قصر هارون، ولم يطلع عليه كثير من الناس، ولم يُعلن عنه من قبل، لكونه كان قرار هارون في آخر ساعات حياته، ولعل ساعد على خفاء هذا الأمر أنه خلاف رغبة زبيدة، فعملت على إخفائه بكل ما استطاعت من جهد.

الإشكال الثامن: فيما رواة بصيغة التمريض:

قال المستشكل: إنّ قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض، فكثيرًا ما يجيء فيه: «ذكروا عن بعض المصريين»، و«ذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر»، و«حدّثنا بعض مشايخ المغرب»، و«ذكروا عن بعض المشيخة»، و«حدّثنا بعض المشيخة»، ومثل هذه التراكيب بعيدة كلّ البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة، ولم ترد في كتاب من كتبه.

والجواب: قد تبيّن ممّا تقدّم وهو أنّ مضمون كتاب (الإمامة والسياسة) يختلف عن مضامين كتبه الأخرى كما ذكرنا سابقاً.

أضف إلى هذا أنّ رواة الأخبار في ذلك العصر لم يعتادوا على الإتيان بالسند كاملاً على طريقة أهل الحديث.

ومثل هذه التعابير استعملت كثيراً في كتب ابن قتيبة الأخرى:

فقد قال في (عيون الأخبار): **ذكر بعض الحكماء** أعاجيب البحر وتزيّد البحريّين، فقال: البحر كثير العجائب، وأهله أصحاب تزيّد، فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصّدق، وأدخلوا ما يكون فيما يكاد لا يكون، وجعلوا تصديق الناس لهم في غريب الأحاديث سلّماً إلى ادّعاء المحال[1].

---

(١) عيون الأخبار ٢/ ٣٦.

وقال أيضاً في نفس المصدر: **وذكروا** أنّ قسًّا راهن على صليب في عنقه من خشب أنه لا يحترق، وقال: هو من العود الذي صُلب عليه المسيح، فكاد يَفتن بذلك خلقاً، حتى فطن له بعض أهل النظر، فأتاهم بقطعة عود تكون بكرمان، فكان أبقى على النار من صليبه(١).

وفي نفس الكتاب أيضاً قال: **ويروي قوم** عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يكره الحجامة، والإبتداء بعمل في محاق القمر، وفي حلوله في برج العقرب(٢).

وقال أيضاً: **وقال بعضهم**: كنت مع عمر بن عبد العزيز فوق سطح وهو يريد الركوب، فنظرت فإذا القمر بالدّبران، فقلت: انظر إلى القمر، ما أحسن استواءه! فرفع رأسه، ثم نظر فرأى منزلته، فضحك(٣).

وقال أيضاً في نفس الكتاب: قال سهل: حدّثني العتبي، قال: **حدّثني رجل من بني تميم عن بعض أشياخه من قومه**، قال: كنت عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة، فأتى بأعرابي قد كان معروفاً بالسّرق، فقال له: أخبرني عن بعض عجائبك(٤).

ومن تتبّع كتبه وجد كثيراً من هذه التعابير، فما قاله المستشكل إذن غير صحيح.

نعم، تحديثه عن أهل المغرب وأهل مصر لم يرد في بقية كتبه، والسبب

---

(١) عيون الأخبار ٢/ ١٢٢.

(٢) عيون الأخبار ٢/ ٢٠٣.

(٣) عيون الأخبار ٢/ ٣٦.

(٤) عيون الأخبار ٢/ ٢٧١.

في ذلك أنّه لم يتعرّض في تلك الكتب إلى أحداث متعلّقة بهذه البلدان، لكي يحتاج إلى النقل عن أهلها.

الإشكال التاسع: في نقله عن بعض أهل مصر:

قال المستشكل: إن مؤلّف (الإمامة والسياسة) يروى عن اثنين من كبار علماء مصر، وابن قتيبة لم يدخل مصر، ولا أخذ عن هذين العالمين[1].

والجواب: أنّ صاحب الإشكال أطلق دعاواه كالعادة دون أن ينقل النصوص التي تدعم أقواله، فمن هما العالمان اللذان لم يأخذ ابن قتيبة عنهما؟

ولو سلّمنا بوجودهما فما المانع أن يكون أخذ منهما في بغداد، أو في دينور وليس في مصر؟

وأين القرينة التي تؤكد أنّه حدّث عنهما مباشرة بلا واسطة؟

كلّ هذه الأسئلة لا بدّ لصاحب الإشكال أن يجيب عليها ليتمّ استدلاله، ويستحكم اشكاله، أمّا إلقاء الكلام على عواهنه فلا فائدة فيه.

علماً أنّ ابن قتيبة لم يذكر في أغلب الكتاب أسانيده، بل عادة ما يعبّر بقوله: «رووا»، أو «نقلوا»، أو «ذكروا»، فحتّى لو ابتدأت بعض الروايات القليلة بذكر عالم مصري فليس من المعلوم أنّ ابن قتيبة حدّث عنه مباشرة، أو حدّث عنه بمصر.

الإشكال العاشر: عدم تنسيق الكتاب:

قال المستشكل: من الملاحظ أنّ مؤلّف (الإمامة والسياسة) لا يهتم

---

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٩٠.

بالتنسيق والتنظيم، فهو يورد الخبر، ثم ينتقل منه إلى غيره، ثم يعود ليتم الخبر الأول، وهذه الفوضى لا تتّفق مع منهج ابن قتيبة الذي يستهدف التنسيق والتنظيم[١].

والجواب: أنّ هذه الدعوى لا تصلح لإسقاط الكتاب رأساً أو نفيه عن ابن قتيبة؛ لأنّا لو سلّمنا بتماميتها وصحة ما ذكره المستشكل لكان عندنا أكثر من احتمال:

منها: أنّ ابن قتيبة ألّف الكتاب في إبّان شبابه قبل أن تزداد مهارته في التصنيف والتأليف، وقبل أن يصبح إماماً في هذا الفن، وكما هو معلوم أنّ الإنسان يتكامل في حياته، فيكون نتاجه في آخر حياته أفضل من نتاجه في أوّلها.

ومنها: أنّ ابن قتيبة قد ترك الكتاب مسوَّدة، ولم يرتّبه ترتيباً نهائّيا كما هو الحال في صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرهما من كتب الحديث، غاية ما في الأمر أنّ هذه الكتب جاء من يرتّبها من بعد مؤلّفيها، ويتلافى ما فيها من العيوب، أمّا كتاب (الإمامة والسياسة) فلم يقم أحد بترتيبه.

ومنها: أنّ ابن قتيبة ألّف هذا الكتاب على نمط (الكشكول)، بمعنى أنّه لم يعتمد فيه ترتيباً معينا، بل كان يكتب ما وقع بين يديه من أخبار تاريخية دون مراعاة الترتيب.

ومنها: أن ابن قتيبة وإن كان عالماً إلا أنّ بعض العلماء قد طعن فيه من هذه الجهة، قال أبو الطيب الحلبي: وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها، نحو تعرّضه لتأليف كتابه في النحو، وكتابه في تعبير الرؤيا، وكتابه في

---

(١) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٩٠.

معجزات النبي ﷺ، وعيون الأخبار، والمعارف، والشعراء ونحو ذلك، مما أزرى به عند العلماء وإن كان نفق بها عند العامّة ومن لا بصيرة له[١].

وصاحب هذه الإشكالات من هؤلاء العامّة الذين لا بصيرة لهم، حيث غفل أو تغافل عن طعن العلماء المحقّقين في كتب ابن قتيبة الأخرى، وسلّط الضوء على (الإمامة والسياسة) فقط لشيء في قلبه.

الإشكال الحادي عشر: مكانة ابن قتيبة

قال المستشكل: ابن قتيبة يحتلّ منزلة عالية لدى العلماء، فهو عندهم من أهل السنة، وثقة في علمه ودينه، ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم هل من المعقول أن يكون مؤلّف الكتاب الذي شوّه التاريخ، وألصق بالصحابة ما ليس فيهم؟[٢].

والجواب:

أمّا قوله: إنّ ابن قتيبة «يحتلّ منزلة عالية لدى العلماء، فهو عندهم من أهل السنة وثقة» فغير صحيح؛ إذ أنّ جملة من أئمة الجرح والتعديل قد طعنوا فيه من جهة الوثاقة والضبط، وكذلك من جهة العقيدة!

فقد قال في حقّه الحاكم النيسابوري صاحب المستدرك: أجمعت الأمة على أنّ **القتبي كذّاب**[٣].

وقال فيه إمام الجرح والتعديل الدارقطني: كان ابن قتيبة **يميل إلى**

---

(١) مراتب النحويين ١٣٧.

(٢) عقيدة الإمام ابن قتيبة: ٩٠.

(٣) ميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٣.

التشبيه، منحرف عن العترة، وكلامه يدل عليه[١].

وقال فيه البيهقي: كان يرى رأي الكرّامية[٢].

وقال فيه المؤرّخ المعروف ابن تغري بردي: **خبيث اللسان**، يقع في حق كبار العلماء[٣].

ومن هنا يُعرف أنّ الرجل مختلف في وثاقته، بل حتى في عقيدته، ويكفينا لإثبات هذا الأمر أنّ صاحب هذا الإشكال قد اضطرّ لتصنيف كتاب كامل للدفاع عن ابن قتيبة وعقيدته!

فلو كان الرجل من ثقات أهل السنة غير مختلف فيه، فلماذا تكبّد المستشكل كلّ هذا العناء للدفاع عنه؟

أمّا تبرئة ابن قتيبة من تهمة إلصاقه في الصحابة ما ليس فيهم فقد ارتكب هذا الجرم في كتبه الأخرى، التي لم يُختلف في ثبوتها لابن قتيبة:

فهو الذي نقل في كتابه (تأويل مشكل القرآن) أنّ عليًّا عليه السلام لم يكن يحفظ القرآن! قال: عن شريك، عن إسماعيل بن أبي خالد أنه قال: سمعت الشعبي يحلف بالله عزّ وجلّ: **لقد دخل علي حفرته وما حفظ القرآن**[٤].

ومن هنا انتقده اللغوي المعروف ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة، حيث قال: **ابن قتيبة يطلق اطلاقات منكرة، ويروي أشياء مشنعة،** كالذي رواه عن الشعبي أن أبا بكر وعمر وعليًّا توفّوا ولم يجمعوا القرآن،

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٣.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ٥٠٣.

(٣) النجوم الزاهرة ٣/ ٥٧.

(٤) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٣.

وأن عليًّا دخل حفرته وما حفظ القرآن، وهذا كلام شنع جدًّا(١).

وهو الذي نسب للصحابي أبي الطفيل القول بالرجعة، ومن المعلوم أنّ أهل الحديث يرون أنّها من الكفر الصريح، قال: شهد مع عليّ المشاهد كلها، وكان مع المختار صاحب رايته، **وكان يؤمن بالرّجعة**(٢).

ولذلك قال فيه الدارقطني كما تقدم: «منحرف عن العترة»، لكن هذه الأمور سكتوا عنها، ولم يناقشوا فيها؛ لأنّها لا تهمهم، أمّا عندما ذكر حقائق تمسّ كبار صحابتهم سارعوا إلى نفي الكتاب والتشكيك فيه!

هذه أهم المطاعن التي ذكرها القوم للطعن في هذا الكتاب، وكما ترى أخي القارئ أنّ كلّ ما طرح لا يرقى لكي تكون إشكالات تشكّكنا في صحة نسبة الكتاب لابن قتيبة، بل أغلبها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء، فهؤلاء أرادوا نسبة هذا الكتاب إلى مجهول بأيّ صورة؛ لكي لا يُلزَموا بمضامينه التي طالما سعوا إلى إنكارها وكتمانها، بل واعدامها كما ذكرنا في مقدّمة الكتاب.

خاتمة:

إنّ سبب هذه الهجمة الشرسة على هذا الكتاب هو مضامينه التي تتّفق مع ما يرويه الشيعة وينكره أهل السنة من الروايات التي تتحدّث حول الأحداث التي وقعت بعد وفاة رسول الله ﷺ، فإنّه نقل حقيقة ما جرى في سقيفة بني ساعدة، وبيّن بعض ما جرى على بيت الزهراء عليها السلام، كما أنه تكفّل بنقل أحداث الفتنة الكبرى التي حدثت في زمان عثمان بن

---

(١) الصاحبي: ١٧٠.

(٢) المعارف: ٣٤١.

عفان، وذكر أهم المحرّضين على تلك الفتنة، بالنحو الذي يُظهر براءة الشيعة من السيناريوهات التي اخترعها أعداء الشيعة كقضية عبد الله بن سبأ.

ملحق ٢ :

كتاب سليم بن قيس الهلالي

من الكتب التي وقع كلام كثير فيها بين مثبت ونافٍ كتاب السقيفة، المعروف بين الناس بكتاب سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه، وسبب الهجمة الشرسة على هذا الكتاب كما سيأتي هو ما احتواه من نصوص روائية وتاريخية عظيمة، تدور حول موضوع إمامة أهل البيت عليهم السلام، وفضائلهم، وذكر مثالب أعدائهم، وما اقترفوه في حقّ أهل بيت النبوّة عليهم السلام .

ميزة كتاب سليم رضي الله عنه :

إنّ البحث في كتاب سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه يختلف عن البحث في غيره من الكتب حتّى الكتب الأربعة، إذ أنّ هذا الكتاب رضي الله عنه امتاز بعدّة أمور لا توجد في غيره من الكتب، ممّا جعله فريداً بينها:

١. كتاب سليم واحد من الأصول الأربعمائة:

الأصول الأربعمائة هي الكتب التي صُنّفت أيام المعصومين عليهم السلام وبحضورهم، من زمان أمير المؤمنين عليه السلام إلى زمان الإمام العسكري عليه السلام، وفي هذا يقول الشيخ المفيد رضي الله عنه: وصنّف الإمامية من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عصر أبي محمد العسكري عليه السلام أربعمائة كتاب تسمّى الأصول، وهذا معنى قولهم: له أصل[1] .

(١) معالم العلماء: ٣.

وأهمّية هذه الأصول هي أنّها كُتبت في حياة الأئمة عليهم السلام وتحت نظرهم، وتمّ تداولها بين أصحاب الأئمة عليهم السلام في زمن حضورهم، بل ادّعى المجلسي الأب قدس سره أنّ هذه الأصول قد أجمعوا على صحّتها:

قال: على أنّ الأصحاب اختاروا من هذه الكتب أربعمائة كتاب، وسمّوها بالأصول، وأجمعوا على صحّتها، إمّا لكون رواتها من الذين أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم، أو كانت الكتب معروضة على الأئمّة عليهم السلام، وكان متواتراً عندهم تقرير المعصوم عليه السلام لها، إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكرناها(١).

وكلامه رضي الله عنه سديد، إذ أنّ الأصحاب دأبوا على عرض الكتب المتداولة بينهم على الأئمة عليهم السلام؛ لتصحيحها وإمضائها، ولذلك نجد أنّ كتب الفهارس قد نقلت لنا الكثير من الحالات التي أمضى فيها الأئمة عليهم السلام بعض تلك الكتب، منها:

١- **كتاب الحلبي**: قال النجاشي رحمه الله في ترجمة عبيد الله بن علي الحلبي رضي الله عنه: وكان عبيد الله كبيرهم ووجههم، وصنّف الكتاب المنسوب إليه، وعرضه على أبي عبد الله عليه السلام، وصحّحه، وقال عند قراءته: أترى لهؤلاء مثل هذا؟(٢).

٢- **كتاب الديات**: قال النجاشي رحمه الله في ترجمة سعيد بن حنان الكناني رضي الله عنه: له كتاب الديات، رواه عن آبائه، وعرضه على الرضا عليه السلام،

---

(١) روضة المتقين ١٨/ ١٠.

(٢) الفهرست: ٢٣٠.

والكتاب يُعرف بين أصحابنا بكتاب عبد الله بن أبجر[(١)].

٣- كتاب يوم وليلة: قال الكشي في ترجمة يونس بن عبد الرحمن رضي الله عنه بسنده عن أحمد بن أبي خلف، قال: كنت مريضاً، فدخل عليَّ أبو جعفر عليه السلام يعودني في مرضي، فإذا عند رأسي كتاب يوم وليلة، فجعل يتصفّحه ورقة ورقة، حتى أتى عليه من أوله إلى آخره، وجعل يقول: رحم الله يونس، رحم الله يونس، رحم الله يونس[(٢)].

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا، وهذا ما يتلاءم مع إمامتهم عليهم السلام، حيث أنّ دورهم هو هداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فلو فُتح باب من أبواب الضلال في عصرهم فإنّ تكليفهم هو إرشاد الناس للحق، وإبعادهم عن الباطل.

وكتاب سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه من هذه الكتب التي أُلّفت في حياة المعصومين عليهم السلام، وتداولها الأصحاب حتى اشتُهرت في حياتهم عليهم السلام وتحت أعينهم.

٢. قصب السبق:

الميزة الثانية في هذا الكتاب هو أنّه أوّل كتاب ظهر للشيعة، بل هو أوّل مصنّف في الإسلام كافّة، ويكفينا بهذا فخراً، فلا يوجد كتاب صُنّف قبله إلّا ما نُقل من أنّ أبا رافع - وهو من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام - قد سبق سليم رضي الله عنه بذلك، وهذا ممّا يصعب الجزم به، لكن القدر المتيقّن أنّ كتاب سليم هو أوّل كتاب تاريخي وثّق حوادث السقيفة، وسجّل ما جرى

(١) الفهرست: ٢١٧.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٧٧٩.

بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد ذكر ذلك بعض الأعلام:

قال ابن النديم في الفهرست: وأوّل كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي، رواه أبان بن أبي عياش، لم يروه غيره[١].

وقال بدر الدين السبكي في كتابه (معرفة الأوائل): إنّ أول كتاب صُنِّف للشيعة هو كتاب سليم بن قيس الهلالي[٢].

وقال الزركلي في كتابه (الأعلام): سليم بن قيس الهلالي العامري الكوفي من أوائل المصنّفين في الإسلام[٣].

وإذا كان سليم بن قيس قد توفّي سنة ٧٦هـ، وألّف كتابه قبل ذلك بسنين، مع ضميمة أن أهل السنة كانوا لا يدوّنون الحديث، مضافاً إلى أني لم أطّلع على كتاب لأهل السنة أو غيرهم أُلِّف في تلك الفترة، فإن كتاب سليم يكون أول كتاب أُلِّف في الإسلام.

٣. ظروف تأليف الكتاب:

من الأمور الجديرة بالاهتمام الظرف الزمني الذي ألّف فيه هذا الكتاب، فالفترة الممتدّة منذ استشهاد النبي المصطفى صلى الله عليه وآله إلى بداية حكم الخليفة الأموي عمر بن العزيز كانت فترة منع لتدوين الحديث وكتابة الروايات، بل كان تدوين الأحاديث يُعدّ جرماً عظيماً تعاقب عليه السلطات الحاكمة.

---

(١) الفهرست: ٢٧٥.

(٢) الذريعة ٢/ ١٥٤.

(٣) الأعلام ٣/ ١١٩.

فأوّل قرار اتّخذه أبو بكر بعد تسلّمه زمام الأمور هو أمر الناس بالاكتفاء بكتاب الله وعدم تناقل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد روى الذهبي عن ابن أبي مليكة أنّ الصدّيق جمع الناس بعد وفاة نبيّهم، فقال: إنكم تحدِّثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافاً، فلا تحدِّثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلّوا حلاله، وحرِّموا حرامه[١].

وأكمل عمر بن الخطاب ما بدأه الأول، فكان يمنع الناس من الرواية، ويأمرهم بالكف عن ذلك، فقد روى الحاكم في المستدرك بسند صحيح: عن قرظة بن كعب، قال: خرجنا نريد العراق، فمشى معنا عمر بن الخطاب إلى صرار، فتوضّأ، ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا: نعم، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معنا. قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دويّ بالقرآن كدوي النحل، فلا تبدونهم بالأحاديث، فيشغلونكم، جرِّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامضوا وأنا شريككم. فلما قدم قرظة قالوا: حدِّثْنا. قال: نهانا ابن الخطاب[٢].

وذكر ابن سعد في طبقاته حادثة مهمّة تؤكِّد هذه الحقيقة، حيث قال: أرسل عمر أُبيًّا، قال: وأقبل أُبَيّ على عمر، فقال: يا عمر أتتّهمني على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: يا أبا المنذر لا والله، ما اتّهمتك عليه، ولكني كرهت أن يكون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً[٣].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١/ ١٠٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٤/ ٢٢.

ولهذا قال ابن كثير الدمشقي: ولهذا لما بعث أبا موسى إلى العراق قال له: «إنك تأتي قوماً لهم في مساجدهم دويّ بالقرآن كدويّ النحل، فدعهم على ما هم عليه، ولا تشغلهم بالأحاديث، وأنا شريكك في ذلك». هذا معروف عن عمر[١].

وقال الذهبي: هكذا هو كان عمر يقول: أقلّوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزجر غير واحد من الصحابة عن بَثِّ الحديث، وهذا مذهب لعمر ولغيره[٢].

وقال ابن قتيبة: وكان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية، أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه، وكان يأمرهم بأن يقلّوا الرواية[٣].

بل تطوّر الأمر إلى معاقبة كلّ من يحدّث بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وينشر حديثه بين الناس بعدّة عقوبات:

منها: حبسه لبعض كبار الصحابة: كما ورد فيما رواه الطبراني بسنده عن سعد بن إبراهيم عن أبيه، قال: بعث عمر بن الحطاب إلى ابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري وأبي الدرداء، فقال: ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فحبسهم بالمدينة حتّى استشهد[٤].

وروي عن عبد الرحمن بن عوف، قال: والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجمعهم من الآفاق: عبد

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ١١٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٠١.

(٣) تأويل مختلف الحديث: ٤١.

(٤) المعجم الأوسط ٣/ ٣٧٨.

الله بن حذافة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله ﷺ في الآفاق؟ قالوا: أتنهانا؟ قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت، فنحن أعلم، نأخذ ونردّ عليكم. فما فارقوه حتّى مات[١].

ومنها: ضربه من يجاهر بالتحديث بدرّته الشهيرة: ولذلك قال أبو هريرة أكبر محدِّثي أهل السنة: ما كنا نستطيع أن نقول: «قال رسول الله ﷺ» حتى قُبض عمر، كنا نخاف السياط[٢].

وروي عن أبي هريرة بسند صحيح قوله: أفإن كنت محدِّثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله إذاً لألفيت المخفقة ستباشر ظهري[٣].

وروى الذهبي بسنده عن ابن عجلان: أنّ أبا هريرة كان يقول: إني لأحدِّث أحاديث، لو تكلَّمت بها في زمن عمر، لشَجَّ رأسي[٤].

وهذا التصريح من أبي هريرة فيه إقرار بأن العقوبة التي كانت تطال من ينشر أحاديث النبي صلى الله عليه وآله هي الضرب بالدرّة والسياط.

ومنها: النفي والإبعاد عن مركز الخلافة الإسلامية، وهي المدينة: فقد روي عن عمر بن الخطاب بإسناد صحيح أنه قال لأبي هريرة: لتتركَنَّ الحديث عن رسول الله ﷺ أو لألحقنَّك بأرض دوس[٥].

---

(١) كنز العمال ١٠/ ٢٩٣.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ١١٥

(٣) جامع معمر بن راشد الملحق بمصنَّف عبد الرزاق ١١/ ٢٦٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٠١.

(٥) البداية والنهاية ٨/ ١١٥.

وقال أيضاً لكعب الأحبار: لتتركنَّ الحديث عن الأوّل أو لألحقنَّك بأرض القردة(١).

والذين جاؤوا من بعدهم لم يجدوا صعوبة في السير على هذا المنوال ومنع تدوين الحديث، فما كان عليهم إلّا مواصلة ما أسَّسه سابقوهم، والسير على خطاهم:

فمثلاً صرَّح الخليفة الثالث عثمان بن عفان باتباعه لسياسة عمر بن الخطاب في تعامله مع الحديث ورواته قائلاً: لا يحلّ لأحد يروي حديثاً لم يُسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر(٢).

وجاء بعده معاوية بن أبي سفيان مترسّما لخطى أسلافه، فقال للناس كما نقل مسلم في صحيحه: إيّاكم وأحاديث إلّا حديثاً كان في عهد عمر، فإن عمر كان يخيف الناس في الله عزَّ وجل(٣).

ولهذا تأثر الناس بهذه السياسة، فامتنعوا عن التحديث، إما خوفاً ورهبة من العقاب، أو عن رغبة في نيل رضا الخلفاء.

ففي مثل هذه الظروف الصعبة ينبري شاب اسمه (سليم بن قيس رضي الله عنه)، ويضرب بهذه القوانين عرض الحائط؛ ليجمع ما وصله من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي كان كلّ هذا المنع لأجلها، وهي الأحاديث التي تثبت حقّ أهل البيت عليهم السلام، والنصوص التي تضمّنت مثالب أعدائهم.

بل ضحّى الرجل بكلّ ما يملك ليوثّق جرائم نفس أصحاب

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ١١٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٩/ ١٨٠.

(٣) صحيح مسلم ٣/ ٩٥.

السلطة في ذلك الوقت دون خوف أو وجل أو تردّد من العقاب الذي من الراجح جدًّا أن يطاله إذا كُشف أمره أو علمت السلطة بكتابه!

٤. طريقة تدوين الأحداث في كتاب سليم:

إنّ طريقة تدوين الأحداث التي نقلها سليم بن قيس رضي الله عنه في كتابه القيّم جديرة بالوقوف عندها، فالرجل لم يكتف بمجرّد النقل الساذج، بل كان متتبّعاً لتفاصيل الأحداث، ولذلك دأب على أن ينقل الحدث الواحد عن أكثر من راو ليحيط بجميع تفاصيله، وهذه هي نفس الطريقة التي يقوم بها في هذه الأيام المراسلون بالقنوات الفضائية الأخبارية، فإنهم يعقدون لقاءات صحفية مع أكثر من شاهد عيان حضر الواقعة؛ ليكون نقل الخبر أكثر مصداقية.

ولم يكتف سليم رضي الله عنه بهذا، بل عرض ما نقله عن ثقات الصحابة على الأئمة عليهم السلام الذين عاصرهم؛ ليتأكّد من صحّة الخبر ومصداقيته، وهذا من الإتقان الذي ربما لا يوجد في كتب التاريخ الأخرى، ولا أدري لماذا أقصي هذا الرجل من سجلات المؤرّخين، ولم يُتعرّض له ولمنهجه في الكتب التي اهتمت بذلك.

منهجيّة البحث:

بالنظر إلى الإشكالات الكثيرة التي طرحت هنا وهناك حول كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه فإنّنا سنبحث حول أمور مهمّة تتعلّق بهذا الكتاب:

١- شخصية سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه.

٢- أصل الكتاب سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه.

٣- الطريق إلى هذا الكتاب.

٤- دفع الإشكالات المطروحة حول مضامين الكتاب.

شخصية سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه[(١)]:

لا ينبغي أن يتوقّف الباحث في وثاقة بل في جلالة قدر سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه، فإنّ كلّ من ترجم له من علماء الرجال نسب إليه كلّ منقبة، ومدحه بكلّ ما يصلح أن يكون مدحاً لمثله:

فقد ذكره النجاشي رحمه الله في الفصل الأول من كتابه، وقدّم إليه بقوله: وها أنا أذكر المتقدّمين في التصنيف من سلفنا الصالح، وهي أسماء قليلة، ومن الله أستمد المعونة[(٢)].

وذكره البرقي رحمه الله عند ترجمته لأولياء أمير المؤمنين عليه السلام، ويكفي

---

(١) ذكر المحدّث القمي قدس سره في الكنى والألقاب ٣/ ٢٩٣ سبب تلقيبه بالهلالي، فقال: ويحكى عن (ميزان الاعتدال) أنه لُقّب به لأنّه كان يرى الهلال...، وردّ عليه المحقق التستري قدس سره في (قاموس الرجال ٥/ ٢٣٩) بقوله: ثمّ إنّ قول الكشّي والشيخ في الرجال (الهلالي العامري) ظاهر في أنّ الرجل من بني هلال بن عامر رهط زينب بنت خزيمة زوج النبي صلى الله عليه وآله، فما عن (ميزان الاعتدال) كما نقل القمّي في كناه من أنّه قيل له الهلالي لأنّه كان يرى الهلال ساقط، مع أنّه لم يذكره الميزان رأساً، لا في أسمائه ولا في أنسابه...؛ والحقّ ما قاله المحقق التستري قدس سره، إلّا أنّ ما ذكره المحدّث القمّي قدس سره موجود بالفعل في الميزان ١/ ١٠ في ترجمة سليم، إلّا أنّ المراد ليس سليم بن قيس الهلالي العامري، بل سليم بن قيس العلوي الذي كما عبّر شعبة «كان يرى الهلال قبل الناس بليلتين!!»، وهو غير سليم بن قيس رضي الله عنه.

(٢) الفهرست: ٣.

بهذا مدحاً وثناء(١).

وذكر الشيخ المفيد رضي الله عنه في كتاب (الإختصاص) أنّ سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه كان من شرطة الخميس، فقال: وكان من شرطة الخميس أبو الرضي عبد الله بن يحيى الحضرمي، وسليم بن قيس الهلالي، وعبيدة السلماني المرادي، عربي(٢).

فكونه من السلف الصالح، ومن أولياء أمير المؤمنين عليه السلام، ومن شرطة الخميس، تجعلنا نقطع ليس بوثاقة الرجل فقط، بل بجلالته وبلوغه أعلى مراتب القرب من الأئمة عليهم السلام.

وقد يقال: إنّ هذا الكلام معارض بما نُسب لابن الغضائري رحمه الله من قوله في حقّ سليم رضي الله عنه: وكانَ أصحابنا يقولون: إنّ سليماً لا يُعرَف، ولا ذُكِر في خبر، وقد وجدت ذكره في مواضع من غير جهة كتابه، ولا من رواية أبان بن أبي عيّاش عنه(٣).

والجواب:

أوّلاً: أنّ ابن الغضائري رحمه الله - إن صحّت نسبة هذا الكلام له - أورد هذا الكلام وردّ عليه، لأنه نقل عن الأصحاب أنه رجل غير معروف، ولم يُذكر في أي خبر، فرد عليهم بأنه وجد ذكره في روايات أخرى غير الروايات التي ذكرها في كتابه ورواها عنه أبان بن أبي عياش.

ثانياً: أنّ هذا التعبير يؤكّد صحّة نظرية آغا بزرگ الطهراني قدس سره،

---

(١) رجال البرقي: ٤.

(٢) الإختصاص: ٤.

(٣) رجال ابن الغضائري: ٦٣.

وهو أنّ الكتاب قد تلاعب به المعاندون، إذ أنّ المتتبّع في كتب أهل السنة والجماعة يجد أنّهم يحاولون إنكار شخصية بهذا الاسم، وينفون أصل وجوده، وقد قال قائلهم: رغم أنني لم أجد لمؤلّفه ذكراً فيما رجعت إليه من مصادر [رجعت في البحث عنه إلى مصادر كثيرة من كتب أهل السنة، فلم أجد له ذكراً، فلم أجده مثلاً في (تاريخ الطبري)، كما يظهر ذلك من خلال فهرس (الأعلام) الذي وضعه أبو الفضل إبراهيم، وكذلك تاريخ ابن الأثير كما يبدو من فهارسه التي وضعها إحسان عباس (أو سيف الدين الكاتب)، وليس له ذكر في (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي، و(البداية والنهاية) لابن كثير، وطبقات ابن سعد، ولا في مجموعة من كتب الرجال مثل: (لسان الميزان)، أو (التاريخ الكبير) والصغير للبخاري، أو (تهذيب الكمال) للمزي..إلخ مع أنّه مؤلّف أوّل كتاب في الإسلام، ولاحقه الحجَّاج لقتله[1].

ولا يدري هذا المعاصر أنّ إنكاره هذا هو نتيجة لجهود أسلافه الكبيرة لإخفاء شخصية سليم بن قيس الهلالي وطمس معالمها، رغم أنّه من كبار التابعين.

وقد ورد ذكره في بعض كتب التراجم والطبقات بطريقة مبهمة وغريبة، كما في (الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم الرازي، حيث قال: سليم بن قيس العامري، روى عن سحيم بن نوفل، روى عنه أبان، سمعت أبي يقول ذلك[2].

---

(١) أصول مذهب الشيعة ١/ ٢٢٩.

(٢) الجرح والتعديل ٤/ ٢١٤.

وفي كتاب (التاريخ الكبير) للبخاري قال: سليم العامري، عن حذيفة، روى عنه الأعمش[١].

أمّا في كتب الحديث فقد ورد اسمه رضي الله عنه في جملة من الأحاديث، إلّا أنّ القوم قد تلاعبوا باسمه ونسبته تعمية وطمساً لحقيقته؛ لكي لا يلتفت القارئ إلى أنّ سليماً هذا هو الذي تروي عنه الشيعة.

ففي المستدرك على الصحيحين للحاكم نجد أنّه روى عن سليم رضي الله عنه، إلّا أنّه لقّبه بـ (الحنظلي)، قال: أخبرني محمد بن علي الصنعاني بمكة حرسها الله تعالى، ثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد، أنبأ عبد الرزاق، أنبأ معمر، عن أبان بن[٢] **سليم بن قيس الحنظلي**، قال: خطبنا عمر بن الخطاب، فقال: إنّ أخوف ما أخاف عليكم بعدي أن يؤخذ الرجل منكم البريء، فيوشر كما توشر الجزور، ويشاط لحمه كما يشاط لحمها، ويقال: «عاصٍ»، وليس بعاص. قال: فقال علي بن أبي طالب عليه السلام وهو تحت المنبر: ومتى ذلك يا أمير المؤمنين؟ وبما تشتد البليّة، وتظهر الحميّة، وتُسبى الذرّية، وتدقّهم الفتن كما تدقّ الرحا ثفلها، وكما تدق النار الحطب؟ قال: ومتى ذلك يا علي؟ قال: إذا تفقّه المتفقّه لغير الدين، وتعلّم المتعلّم لغير العمل، والتُمست الدنيا بعمل الآخرة[٣].

وذكرته بعض المصادر بعنوان سليم بن قيس (الأشعري) بدلاً عن الهلالي أو العامري، كما في الأطراف للمقدسي، قال: دخلت عائشة فقالت:

---

(١) التاريخ الكبير ٤/ ١٣١.

(٢) الصحيح أنّها (عن) لا (بن) كما في مصنّف عبد الرزاق الصنعاني ١١/ ٣٦٠.

(٣) المستدرك ٤/ ٤٥١.

ما فعل يزيد بن قيس الأرحبي لعنه الله؟ قلت: يا أم المؤمنين مات. قالت: رحمه الله، استغفر الله... الحديث. تفرّد به مجاعة بن الزبير، عن أبان بن عياش، **عن سليم بن قيس الأشعري**، عن مسروق[١].

كما تلاعب بعض أئمة القوم باسمه، فحرّفه بعضهم إلى (سليمان بن قيس) كما في مسند عبد الرزاق الصنعاني، قال: عن معمر، عن أبان، عن **سليمان بن قيس**، عن عنبسة بن أبي سفيان، عن أم حبيبة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من صلّى في يوم اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة، ومن بنى مسجداً بنى الله له أوسع منه[٢].

وحُرّف أيضاً إلى (سالم بن قيس العامري) كما في (تاريخ دمشق)، قال: أخبرني شبيب بن سعيد، عن أبان بن أبي عياش، عن سالم بن قيس العامري، ومسلم بن أبي عمران، أن حذيفة بن اليمان قال: إن أقرَّ أيامي لعيني يومٌ أرجع فيه إلى أهلي، فيشكون إليَّ الحاجة، والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّ الله ليتعاهد عبده بالبلاء كما يتعاهد الوالد لولده بالخير، وإن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن الدينا كما يحمي المريض أهله الطعام[٣].

وما ذكرناه من باب الأمثلة فقط، وإلّا لو بحثنا أكثر لوجدنا المزيد من التحريفات والتلاعبات التي أريد منها إخفاء هذه الشخصية المهمّة

(١) أطراف الغرائب ٥/ ٥٣٤.

(٢) المصنف ٣/ ٧٥.

(٣) تاريخ دمشق ١٢/ ٢٨٨.

وطمس معالمها(١).

ومن هنا لا يبقى أي شكّ أو ريب في شخصية سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه من جهة وجوده وجلالة قدره.

أصل كتاب سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه:

لم ينكر أحد من الشيعة الإمامية أعلى الله برهانهم، سواء كانوا من علماء الرجال أم التراجم أم التاريخ، وحتى الفقهاء منهم، وجود كتاب لسليم بن قيس رضي الله عنه، ولذلك نجد أنّ كل من ترجم له نسب له الكتاب كما سيأتي بيانه مفصّلاً إن شاء الله تعالى.

علماً أنّ اسم كتاب سليم الأصلي هو كتاب (السقيفة)، لكنّه اشتُهر بين الأصحاب بكتاب سليم، فغلبت عليه شهرته، وطبع مؤخّراً بهذا الاسم، وقد كان هذا النحو من نسبة الكتاب لصاحبه شائعاً بين الأصحاب، فكانوا ينسبون الكتاب لصاحبه من دون أن يذكروا عنوانه، مثل كتاب الحلبي وكتاب حريز وكتاب يونس.

ولعلّ منشأ هذه التسمية ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في خصوص كتاب سليم، حيث قال: من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبّينا كتاب سليم بن قيس الهلالي، فليس عنده من أمرنا شيء، ولا يعلم من

---

(١) ذكر صاحب كتاب دراسات في ولاية الفقيه ١/ ١٨١ أنّ سليما رضي الله عنه له روايات في مسند أحمد بن حنبل بل ذكر كتابه في ذيل إحدى روايات المسند، إلّا أنّه ورد بعنوان سليمان بن قيس؛ قلت: هذا اشتباه منه رحمه الله إذ أنّ سليمان بن قيس المذكور في هذا المورد هو اليشكري كما صُرّح بذلك في كتاب العلل لأحمد بن حنبل ٣/ ٤٣٦ وهو من البصرة كما ذكروا في ترجمته.

أسبابنا شيئاً، وهو أبجد الشيعة، وسرّ من أسرار آل محمد[١].

ولأجل هذا الكتاب طورد سليم بن قيس رضي الله عنه فترة طويلة من قبل السلطات الأموية في ذلك الزمن، ورصدت الجوائز لمن يأتي برأسه، ومن هنا بقي الكتاب مخفيًّا، لا يتداول إلّا في الأوساط الخاصّة الشيعية.

قال السيد العقيقي: كان سليم بن قيس من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، طلبه الحجاج ليقتله، فهرب وآوى إلى أبان بن أبي عياش، فلما حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليّ حقًّا، وقد حضرني الموت يا ابن أخي، إنّه كان من الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كيت وكيت، وأعطاه كتاباً، فلم يرو عن سليم بن قيس أحد من الناس سوى أبان بن أبي عياش[٢].

الطريق إلى كتاب سليم رضي الله عنه:

الكلام كلّ الكلام في طريقنا إلى كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه، حيث وقع الخلاف في النسخة المتداولة من الكتاب، هل وصلت إلينا بطريق معتبر بحسب المعايير الرجالية، لكي يمكن الاعتماد عليها والركون إليها أم لا؟

وقد كثر الكلام حول راوية هذا الكتاب وهو أبان بن أبي عياش الذي طعن فيه بعض أئمة الحديث عند المخالفين، ووافقهم في ذلك بعض علماء الشيعة الأبرار، ومن هنا فإنّ بحثنا سيتمحور حول شخصية هذا الرجل، وهل أنّ صحّة كتاب سليم تتوقّف على ثبوت وثاقته؟

---

(١) مستدرك الوسائل ١٧/ ٢٩٨.

(٢) خلاصة الأقوال: ١٦٢.

١. أبان بن أبي عياش في كتب أهل السنّة:

من يقرأ كتب التراجم والرجال عند علماء أهل السنّة يجد أنّهم اختلفوا اختلافا كبيراً في شخصية أبان بن أبي عياش بين مادح موثّق معدّل له، وبين طاعن قادح فيه!

المادحون لأبان بن أبي عياش:

١- **ابن حبّان البستي:** قال في ترجمته: من أهل البصرة، كنيته أبو إسماعيل، واسم أبيه فيروز، مولى لعبد القيس، يحدّث عن أنس والحسن، روى عنه الثوري والناس، وكان من العبّاد الذين يسهر الليل بالقيام، ويطوي النهار بالصيام[1].

٢- **ابن قتيبة الدينوري:** قال في كتابه (المعارف): تفتخر عبد قيس بأنّ من مواليها صالحاً المرّي، وهو مولى بني مرّة من عبد قيس، وكان من أهل الخير... وأنّ من مواليها أبان بن أبي عياش الفقيه، ويكنّى أبا إسماعيل[2].

٣- **مالك بن دينار:** حكى ذلك عنه المزّي في (تهذيب الكمال)، فقال: وقال إسحاق بن أبي إسرائيل، عن سفيان بن عيينة: كان مالك بن دينار يقول: كان أبان بن أبي عياش طاووس القرّاء[3].

ونقل الذهبي عن مالك بن دينار في الميزان وصفه لأبان بأنه

---

(١) كتاب المجروحين ١/ ٩٦.

(٢) المعارف: ٤٢١.

(٣) تهذيب الكمال ٢/ ٢٣.

طاووس العلماء[١].

٤- عمرو بن علي الفلاس: حكى مدحه له المزّي في (تهذيب الكمال)، فقال: هو أبان بن فيروز، مولى لأنس، مولى لعبد القيس، متروك الحديث، وهو رجل صالح، يكنى بأبي إسماعيل[٢].

٥- أبو حاتم الرازي: نقل عنه ابنه في كتاب (الجرح والتعديل) قوله في حقّ أبان: وكان رجلاً صالحاً[٣].

٦- أبو زرعة الرازي: سُئل عن صدق لهجة أبان، فقيل له: كان يتعمد الكذب؟ قال: لا، كان يسمع الحديث من أنس وشهر بن حوشب ومن الحسن فلا يميز[٤].

٧- أيوب السختياني: نقل المزّي رأيه في أبان، فقال: زاد العيشي، عن حماد، قال: فذكرت ذلك لأيوب، فقال: ما زال نعرفه بالخير منذ كان[٥].

٨- الحافظ البزّار: نقل عنه الحافظ مغلطاي قوله: إني لأستحي من الله عزّ وجلّ أن أقول: إنّ أبان بن أبي عياش وصالحاً المري كذّابان[٦].

٩- ابن عدي الجرجاني: قال في نهاية ترجمة أبان: أرجو أنّه ممّن لا يتعمّد الكذب، إلّا أن يشبّه عليه، ويغلط[٧].

---

(١) ميزان الإعتدال ١/ ١٤.

(٢) تهذيب الكمال ٢/ ٢٠.

(٣) الجرح والتعديل ٢/ ٢٩٦.

(٤) الجرح والتعديل ٢/ ٢٩٦.

(٥) تهذيب الكمال ٢/ ٢١.

(٦) إكمال تهذيب الكمال ١/ ١٦٩.

(٧) الكامل ١/ ٣٨٧.

من هنا نخلص إلى أنّ كبار أئمة الجرح والتعديل قد شهدوا بأنّ الرجل لا يتعمّد الكذب، فيكون بهذا صادق اللهجة بحسب تعبيرهم، كما شهدوا بتقواه وورعه وعبادته، فبهذا المقدار تثبت وثاقته، إلّا أن تعارض بجرح مفسّر كما هي قواعد العلم.

الطاعنون في أبان بن أبي عيّاش:

اختلفت ألفاظهم، وتعدّدت دوافعهم في تناول شخصية أبان بن أبي عياش بالطعن والتجريح، ومن هنا فإنّه لا بدّ أن يُسلَّط الضوء على كلّ لفظة منها على حدة؛ ليُعلم هل يمكن أن يعارض بها ما تقدّم أم لا؟

من عبارات الذم التي وُصف بها أبان:

١- **متروك الحديث**: وردت هذه العبارة على لسان أكثر من شخص، كأحمد بن حنبل[١]، ويحيى بن معين[٢]، والنسائي[٣]، وغيرهم.

والمراد بقولهم: «متروك الحديث» هو أنه ساقط الحديث.

قال الخطيب البغدادي: وإذا قالوا: «متروك الحديث»، أو «ذاهب الحديث»، أو «كذَّاب» فهو ساقط الحديث، لا يُكتب حديثه، وهي المنزلة الرابعة[٤].

والجواب: أنّ جرح هؤلاء لأبان بهذه اللفظة لا يمكن قبوله ما لم يذكروا سبب جرحهم له، فلا بدّ من بيان سبب تركهم لحديثه وإضرابهم

---

(١) موسوعة أقوال الإمام أحمد ١/ ١٨.

(٢) ميزان الاعتدال ١/ ١١.

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ١١.

(٤) الكفاية في علم الدراية ١/ ٢٣.

عنه، خصوصاً بعد ثبوت أنّه لا يتعمّد الكذب؟!

قال الخطيب البغدادي: سمعت القاضي أبا الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري يقول: **لا يُقبل الجرح إلّا مفسَّراً، وليس قول أصحاب الحديث: «فلان ضعيف»، و«فلان ليس بشيء» مما يوجب جرحه وردّ خبره**، وإنّما كان كذلك؛ لأنّ الناس اختلفوا فيما يُفسَّق به، فلا بدّ من ذكر سببه؛ لينظر هل هو فسق أم لا؟ وكذلك قال أصحابنا: إذا شهد رجلان بأنّ هذا الماء نجس لم تقبل شهادتهما حتى يبيّنا سبب النجاسة، فإنّ الناس اختلفوا فيما ينجس به الماء، وفي نجاسة الواقع فيه. قلت: **وهذا القول هو الصواب عندنا، وإليه ذهب الأئمة من حفّاظ الحديث ونقّاده، مثل محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج النيسابوري وغيرهما**، فإنّ البخاري قد احتجّ بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم والجرح لهم، كعكرمة مولى ابن عباس في التابعين، وكإسماعيل بن أبي أويس، وعاصم بن علي، وعمرو بن مرزوق في المتأخرين، وهكذا فعل مسلم بن الحجاج، فإنّه احتجّ بسويد بن سيد وجماعة غيره، واشتهر عمّن ينظر في حال الرواة الطعن عليهم، وسلك أبو داود السجستاني هذه الطريقة وغير واحد ممن بعده، فدلّ ذلك على أنهّم ذهبوا إلى أنّ الجرح لا يثبت إلّا إذا فُسّر سببه وذُكر موجبه[1].

بل يظهر ممّا نقل في الكتب أنّ الأسباب التي دعتهم إلى ترك حديثه تافهة في غاية التفاهة:

منها: ما نقل عن يزيد بن زريع أنّه قال: إنما تركت أباناً لأنه روى

---

(١) الكفاية في علم الرواية: ١٣٦.

حديثاً عن أنس، فقلت له: عن النبي ﷺ؟ فقال: وهل يروي أنس إلّا عن النبي ﷺ؟[(١)].

ولا ندري ما الإشكال في قول أبان؟

فإذا كان الرجل يطمئنّ بأنّ مرويات أنس كلّها على النبي ﷺ وإن لم يصرّح بذلك، فهل هذا يدعو لترك حديثه؟

علماً أنّ أهل الحديث أطبقوا على أنّ الصحابي إذا حدّث بحديث، وعُلم أنّه لم يسمعه مباشرة، أو نقل واقعة لم يدركها، فإنّ حديثه يحمل على الاتصال؛ لكونه لا يروي إلّا عن صحابي مثله. قال ابن الصلاح: ثم إنا لم نعدّ في أنواع المرسل، ونحوه ما يسمّى في أصول الفقه: «مرسل الصحابي»، مثل ما يرويه (ابن عباس) وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله ﷺ ولم يسمعوه منه؛ لأن ذلك في حكم الموصول المسند؛ لأن رواياتهم عن الصحابة والجهالة بالصحابي غير قادحة؛ لأن الصحابة كلهم عدول، والله أعلم[(٢)].

ومنها: ما استند إليه أحمد بن حنبل لترك حديث أبان، حيث قال: قال عبد الله: حدّثني أبي قال: أوّل من أهلك أبان بن أبي عياش أبو عوانة، إنّه جمع حديث الحسن عامّته من البصرة، فجاء به إلى أبان، قال: فقرأه عليه[(٣)].

ومراده أنّ أبا عوانة سلّم أحاديث الحسن البصري التي جمعها لأبان،

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ١١.

(٢) مقدمة ابن الصلاح: ٣١.

(٣) موسوعة أقوال الإمام أحمد ١/ ١٩.

ففوجئ أنّه صار يحدّث بهذه الأحاديث عن الحسن البصري بما لم يسمعه منه مباشرة.

والجواب:

أوّلاً: أنّ الجزم بسرقة أبان لأحاديث أبي عوانة غير صحيح، إذ أنّهم اعترفوا بأنّ أباناً قد جالس الحسن البصري، وسمع منه كثيرا.

قال ابن حبّان: سمع عن أنس بن مالك أحاديث، **وجالس الحسن،** فكان يسمع كلامه، ويحفظه(١).

فهل مجرّد التطابق بين ما حدّث به أبان وما نقله أبو عوانة يوجب اتّهامه بالسرقة؟

علماً أنّ المحدّثين سابقاً كان بينهم تنافس في عدد الروايات التي يروونها، فكان كلّ واحد منهم يحاول أن يستزيد من الأحاديث لكي تكون عنده أحاديث غير موجودة عند غيره، فلعلّ أبا عوانة اخترع هذه القصة ليخلو له الجوّ، ويتفرّد بأحاديث الحسن البصري!

ثانياً: أنّ سماع أبا عوانة من الحسن البصري محلّ تأمّل عند بعض المحقّقين، فإن العلّامة الكوثري قد ناقش في هذه القضية ونفاها نفياً قاطعاً!

قال في التأنيب: على أنّ أبا عوانة الوضاح بن عبد الله الواسطي كان من سبي جرجان، فعلى تقدير ولادته سنة اثنتين وعشرين ومائة كما هو مشهور، **لا تصحّ رؤيته للحسن،** ولا لابن سيرين، ولا اختلافه إلى أبي

---

(١) المجروحين ١/ ٩٦.

حنيفة؛ لأنّ أبا عوانة واسطي بقي تحت رقّ مولاه يزيد بن عطاء مدّة كبيرة، وحكاية عتقه معروفة، فلا يتمكّن من الرحلة إلى الكوفة، والاختلاف إلى أبي حنيفة(١).

ويظهر من هذه الكلمة أن أبا عوانة كان كثير الدعاوى التي لا يوافقه عليها غيره، ولعلّ قصّة أخذه الحديث عن الحسن واحدة من هذه الدعاوى.

ثالثاً: قد نذهب إلى أبعد من هذا بكثير، ونتّهم أبا عوانة بافتعال هذه القصّة نكاية بأبان بن أبي عيّاش؛ لكونه كان منافساً له في الحديث، حيث اتّهم بعضهم أبا عوانة بالوضع والكذب كما ورد ذلك عن علي بن عاصم:

فقد قال ابن حجر في التهذيب في ترجمة علي بن عاصم بن صهيب الواسطي: وقال ابن المديني أيضاً: أتيته بواسط، فذكرت جريراً، فقال: لقد رأيته ناعساً، ما يعقل ما يقال له. ومرّ ذكر أبي عوانة فقال: وضاعٌ ذلك العبد(٢).

ومن هنا نعلم أنّ استنادهم على قصة أبي عوانة للطعن في أبان غير تام، وعليه فلا يوجد مقتض لوصفه بمتروك الحديث.

٢- منكر الحديث:

تقدّم عن أحمد بن حنبل أنه علّل تركهم لأحاديثه بنكارتها.

---

(١) التأنيب ١٨٦. ناقش المعلّمي في التنكيل تاريخ مولد أبي عوانة، وسبقه ابن حجر العسقلاني في التهذيب، وحملا هذا التاريخ على سقم نسخة ثقات ابن حبّان، إلّا أنّهما لم يأتيا بدليل على ذلك.

(٢) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٣.

والجواب: أنّهم لم يسوقوا له أحاديث منكرة بيّنة النكارة لكي يكون كلامهم مقبولاً عندنا، والوحيد الذي ذكر أحاديث رواها أبان اعتبرت مناكير هو ابن عدي الجرجاني في (الكامل في ضعفاء الرجال)، إلّا أنّه برّأ أبان منها بقوله: وعامّة ما أتاني أبان من جهة الرواة لا من جهته؛ لأن أبان رووا عنه قوم مجهولين[١].

٣- الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله:

لم يصف أبان بالكذب إلّا شعبة بن الحجاج الذي شنّ حملة شعواء عليه، ومنع النّاس من السماع منه والاحتكاك به كما ذُكر ذلك في كتب التراجم:

فقد نقل ابن عدي الجرجاني عن شعيب بن حرب، قال: سمعت شعبة يقول: لأن أشرب من بول حمار حتى أروى أحبّ إليّ من حديث أبان بن أبي عياش[٢].

ونقل عن يزيد بن هارون أنّ شعبة قال: لأن أزني سبعين مرّة أحبّ إليّ من أن أحدّث عن أبان بن أبي عياش[٣].

ونقل عن عبد الله بن إدريس أنّه سمع شعبة يقول: ولأن يفعل الرجل بالزنا خير له من أن يروي عن أبان[٤].

ونقل الذهبي في الميزان عن يزيد بن هارون أنّه قال: قال شعبة:

---

(١) الكامل ١/ ٣٨٧.

(٢) الكامل ١/ ٣٨١.

(٣) الكامل ١/ ٣٨١.

(٤) الكامل ١/ ٣٨١.

داري وحماري في المساكين صدقة إن لم يكن أبان بن أبي عياش يكذب في الحديث[(١)].

وقد أشار البخاري في تاريخه إلى أنّ شعبة هو أوّل من أسّس الوقيعة في أبان بن أبي عيّاش، ومنه انتشرت العدوى لغيره، قال: أبان بن فيروز أبو إسماعيل البصري يقال: هو مولى عبد القيس، كان شعبة سيِّئ الرأي فيه[(٢)].

ولنا مع دعوى شعبة بن الحجاج وقفات:

الأولى: إنّ اتهام شعبة لأبان لا دليل عليه، فالرجل كان يحلف ويقسم بالله أنّ أبان كذّاب لكنّه لم يقم دليلا على ذلك، ولم يذكر موردا واحدا كذب فيه أبان ممّا يجعل كلامه يندرج تحت عنوان (الجرح المجمل) الذي يسقط إذا عورض بتعديل، خصوصا وأنّ تهمة الكذب ممّا انفرد بها شعبة كما تقدّم.

الثانية: لقد رفض كثير من معاصري شعبة هذه التهمة، وعارضوه في هجومه على أبان بن أبي عياش، نذكر منهم:

ما نقله أحمد بن حنبل عن **عبّاد بن عبّاد**، قال: أتيت شعبة أنا وحماد بن زيد، فكلّمناه في أن يمسك عن أبان بن أبي عياش، قال: فلقيهم بعد ذلك، فقال: ما أراني يسعني السكوت عنه[(٣)].

وما نقله عبد الله بن أحمد بن شبويه، قال: سمعت أبا رجاء يقول: قال **حماد بن زيد**: كلّمنا شعبة في أن يكف عن أبان بن أبي عياش لسنّه

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ١١.

(٢) التاريخ الصغير ٢/ ٥٠.

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ١١.

وأهل بيته، فضمن أن يفعل، ثم اجتمعنا في جنازة، فنادى من بعيد: يا أبا إسماعيل، إنّي قد رجعت عن ذلك، لا يحلّ الكفّ عنه؛ لأنّ الأمر دين[(١)].

ونقل الذهبي عن ابن ادريس أنّه قال: قلت لشعبة: ما قولك في **مهدي بن ميمون**؟ قال: ثقة. قلت: فإنّه حدّثني عن سلم العلوي أنّه رأى أبان يكتب عند أنس. قال: سلم العلوي الذي يرى الهلال قبل الناس بليلتين[(٢)].

وهذا الإعتراض منهم كاشف عن أنّ الناس لم يعرفوا لطعن شعبة بن الحجاج وجه صحيح، رغم تسليمهم بإمامته في معرفة أحوال الرجال ونقد أحاديثهم، بل عبّروا عنه بأمير المؤمنين في الحديث!!

الثالثة: أنّ شعبة بن الحجّاج قد اعترف أنّه لم يتبيّن له شيء في حال أبان، بل غاية ما في الأمر أنّه سيّئ الرأي فيه. قال معاذ بن معاذ: قلت لشعبة: أرأيت وقيعتك في أبان تبيّن لك؟ أو غير ذلك؟ فقال: **ظنٌّ يشبه اليقين**[(٣)].

الرابعة: العجيب أنّ شعبة مع كلّ ما قاله في حقّ أبان بن أبي عيّاش، إلّا أنّه كان يسمع منه الحديث ويروي عنه، ولأجل ذلك اعترض عليه بعض معاصريه:

فقد قال الذهبي: قال يزيد بن هارون: قال شعبة: داري وحماري في المساكين صدقة إن لم يكن أبان بن أبي عياش يكذب في الحديث. قلت له:

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ١١.

(٢) الكامل ١/ ٣٨١.

(٣) ميزان الاعتدال ١/ ١١.

فلم سمعت منه؟ قال: ومن يصبر عن ذا الحديث[١].

فإن كان الزنا سبعين مرّة وشرب بول الحمار خيراً من الرواية عن أبان، فلماذا روى عنه شعبة؟

من خلال هذه الوقفات نستكشف أنّ طعن شعبة في أبان لم يكن لكذبه أو لوضعه الحديث كما اتُّهم بذلك، بل كان لأمر علم به شعبة وأخفاه على غيره، فلم يستطع التصريح به، ولعلّ بعضهم قد لمّح إلى السبب الحقيقي بقوله: «كان له هوى»[٢]، أي أنّه كان صاحب مذهب مخالف لمذهب شعبة، وهو التشيع كما هو معروف.

٤- **المنامات:** من الأمور التي ذكروها في ترجمة أبان جملة من المنامات التي رؤي فيها النبي ﷺ، **يطعن في أبان بن أبي عيّاش!**

فقد قال العقيلي في ضعفائه: حدّثنا أحمد بن علي الآبار، قال: حدّثنا سويد بن سعد، قال: سمعت علي بن مسهر، قال: كتبت أنا وحمزة الزيات عن أبان بن أبي عياش نحواً من ألف حديث. قال: فلقيت حمزة، فأخبرني أنّه رأى النبي عليه السلام في المنام، قال: فقلت يا رسول الله هذا أبان بن أبي عياش يحدّث عنك! فقال: أعرضها عليَّ. قال: فعرضتها عليه، فما عرف منها إلّا خمسة أحاديث[٣].

وأكمل نقل المنام العقيلي بقوله: قال لنا أحمد بن علي الآبار: وأنا رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله أترضى أبان بن أبي عياش؟

(١) ميزان الاعتدال ١/ ١١.

(٢) تهذيب التهذيب ١/ ٨٥.

(٣) ضعفاء العقيلي ١/ ٤١.

قال: لا[١].

ولا نريد تضييع وقتنا وتسويد صفحات هذا الكتاب بالردّ على هذه التفاهات؛ لوضوح بطلانها عند كلّ عاقل، إلّا أنّ تناقل مثل هذه الأمور وتداولها في أمّهات كتب الرجال في ترجمة أبان دليل على أنّ القوم كانوا يريدون تضعيفه بأي وسيلة كانت.

ومن هنا تعلم صحّة ما ذهب إليه بعض الأعلام من أنّ أصل تضعيف أبان قد تسرّب إلينا من المخالفين، الذين ضعّفوه من جهة مذهبه وانتمائه لمدرسة أهل البيت عليهم السلام:

قال الشيخ أبو علي الحائري قدس سره: وقيل: الكتاب موضوع. وسيجيء تمام الكلام في سليم، وشيء ممّا ذكروا لا يقتضي الوضع، على أنّي رأيت أصل تضعيفه - أي أبان - من المخالفين من حيث التشيّع[٢].

وقال السيد محسن الأمين قدس سره: أما شعبة فتحامله عليه ظاهر، وليس ذلك إلّا لتشيعه كما هي العادة، مع أنّه صرَّح بأنّ قدحه فيه بالظن، وإنّ الظنّ لا يغني من الحق شيئاً، ولا يسوغ كل هذا التحامل بمجرّد الظنّ، وقد سمعت تصريح غير واحد بصلاحه، وعبادته، وكثرة روايته، وأنّه لا يعتمد الكذب[٣].

---

(١) ضعفاء العقيلي ١/ ٤١.

(٢) منتهى المقال ١/ ١٣٢.

(٣) أعيان الشيعة ٢/ ١٠٣، والعجيب من صاحب كتاب (التأسيس في نسبة كتاب سليم بن قيس) كيف انتقلت له هذه العدوى، فاتّهم أبان بالزيديّة ثمّ رتّب على ذلك اتّهامه بوضع الأحاديث واختلاقها! والحال أنّ الكتاب لم يذكر زيداً عليه السلام من قريب ولا من بعيد، بل يكفي بطلان هذا التخريف أنّ أبان عرض الكتاب على الإمام الباقر عليه السلام، ولم

ومن كل ما تقدّم يتبيّن أنّ أبان بن أبي عياش ثقة في حديثه كما نصّ على ذلك أغلب الحفّاظ وأئمّة الجرح والتعديل، وليس ممن يتعمّد الكذب والوضع على الله ورسوله كما اتّهمه شعبة بذلك، غاية ما في الأمر أنّهم شكّكوا في ضبطه وحافظته، وقد ناقشنا هذه التهمة أيضاً.

٢. أبان بن أبي عياش في كتب الخاصّة:

لعلّ المشكلة الأساس التي تواجه (أبان بن أبي عياش) هي ما ورد في حقّه في كتب الخاصّة من الطعون، حيث تمّ تضعيفه على لسان بعض المتقدّمين، ممّا جعل البعض يتابعهم على ذلك، ويتوهّم أنّ ضعفه من المسلّمات التي لا تقبل المناقشة والترديد.

وأهم هذه الطعون:

١ – طعن ابن الغضائري رحمه الله:

أوّل من نُسب له الطعن في أبان بن أبي عيّاش هو ابن الغضائري في كتابه الموسوم بالضعفاء، حيث قال: أبان بن أبي عيّاش، واسم أبي عيّاش: فَيْرُوز؛ تابعيٌّ، روى عن أنس بن مالك، وروى عن عليّ بن الحسين عليه السلام، ضعيف، لا يُلتفت إليه[1].

إلّا أنّه لا يمكننا الاطمئنان بنسبة هذا الكلام لابن الغضائري؛ وذلك لأنّ النسخة المتداولة من كتاب الضعفاء قد وقع فيها كلام كثير حول نسبتها لابن الغضائري، والأكثر من المعاصرين على نفيها عنه؛ لعدّة قرائن، من أهمّها: أنّه لا يوجد طريق صحيح لهذا الكتاب، حيث صرّح

يعرضه على زيد عليه السلام، فكيف يكون زيديًّا؟!

(١) الضعفاء: ٣٦.

السيّد ابن طاووس رضي الله عنه بذلك، فلعلّه حصل عليه وجادة، قال: ولي بالجميع روايات متّصلة عدا كتاب ابن الغضائري[١].

علماً أنّ الشيخ الطوسي رضي الله عنه الذي يعتبر من المقرّبين من ابن الغضائري رحمه الله لم يظفر بالكتاب، بل نصّ على أنّ ورثته قد أتلفوه، قال: أمّا بعد، فإنّي لما رأيت جماعة من شيوخ طائفتنا من أصحاب الحديث عملوا فهرس كتب أصحابنا، وما صنّفوه من التصانيف، ورووه من الأصول، ولم أجد أحداً استوفى ذلك، ولا ذكر أكثره، بل كل منهم كان غرضه أن يذكر ما اختصَّ بروايته، وأحاطت به خزانته من الكتب، ولم يتعرّض أحد منهم باستيفاء جميعه، إلّا ما قصده أبو الحسين أحمد بن الحسين بن عبيد الله رحمه الله، فإنّه عمل كتابين، أحدهما ذكر فيه المصنّفات، والآخر ذكر فيه الأصول، واستوفاهما على مبلغ ما وجده وقدر عليه، غير أن هذين الكتابين لم ينسخهما أحد من أصحابنا، واختُرم هو رحمه الله، وعمد بعض ورثته إلى إهلاك هذين الكتابين وغيرهما من الكتب على ما حكي بعضهم عنه[٢].

بل وصل الأمر بخرّيت هذا الفن، وهو آغا بزرگ الطهراني قدس سره أن ينسب وضع هذا الكتاب المتداول الآن إلى النواصب أعداء الشيعة، كيداً منهم للإسلام وأهله. قال: كلّ ذلك قرائن تدلّنا على أنّ هذا الكتاب ليس من تأليفه، وإنّما ألّفه بعض المعاندين للاثني عشرية، المحبّين لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وأدرج فيه بعض أقوال نسبه الشيخ والنجاشي في

---

(١) التحرير الطاووسي: ٥.

(٢) الفهرست: ٢٣.

كتابيهما إلى ابن الغضائري ليتمكّن من النسبة إلى، وليروج منه ما أدرجه فيه من الأكاذيب والمفتريات[١].

أمّا ما ذهب إليه بعض الأعلام من أنّ تطابق ما نقله النجاشي رحمه الله عن ابن الغضائري رحمه الله في الفهرست يفيد الاطمئنان بصحّة النسخة المتداولة، فغير صحيح؛ إذ أنّ مثل هذا التطابق لا ينفي النظرية التي طرحها آغا بزرگ الطهراني قدس سره من أنّ النواصب قد ضمّنوا الكتاب الموضوع أقوال النجاشي والطوسي كي يسهل تصديق الكتاب.

وعليه فلا يمكن قبول ما نُسب لابن الغضائري رحمه الله من تضعيفه لأبان، ويسري هذا الحكم لكلّ من اعتمد على كلامه كالعلامة الحلي قدس سره الذي نصّ على ذلك في ترجمة أبان بن أبي عياش بقوله: والأقوى عندي التوقّف فيما يرويه؛ لشهادة ابن الغضائري عليه بالضعف[٢].

٢- طعن الشيخ الطوسي رضي الله عنه:

لعلّ أهمّ ما تمسّك به المضعّفون لأبان هو ما ذكره الشيخ الطوسي رضي الله عنه في كتاب الرجال عند ترجمته حيث قال: أبان بن أبي عياش فيروز، تابعي، ضعيف[٣].

وقبل مناقشة تضعيف الشيخ رضي الله عنه لا بدّ من الوقوف على بعض الأمور المهمّة التي ستكون بمثابة المقدّمات:

أوّلاً: أنّ الشيخ رضي الله عنه ألّف كتاب الرجال بغرض جمع أسماء الرواة،

(١) الذريعة ٤/ ٢١٢.

(٢) خلاصة الأقوال: ٣٢٦.

(٣) رجال الطوسي: ١٢٦.

وتحديد طبقاتهم كما صرّح بذلك في مفتتح الكتاب، فقال: أما بعد: فإنّي قد أجبت إلى ما تكرّر سؤال الشيخ الفاضل فيه، من جمع كتاب يشتمل على أسماء الرجال، الذين رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الأئمة عليهم السلام من بعده إلى زمن القائم عليه السلام، ثم أذكر بعد ذلك من تأخّر زمانه من رواة الحديث، أو من عاصرهم ولم يرو عنهم[١].

ولذلك فإنّ التعرّض لتوثيق أو تضعيف أحد من الرواة مخالف للغرض الذي لأجله كُتب الكتاب، ولا يعدو كونه استطراداً، ولذا نجد أنّ الشيخ رضي الله عنه قد سكت عن أعاظم الرواة الذين لا يُشكّ في وثاقتهم كزرارة ومحمد بن مسلم، وسكت عن من لا يُشكّ في ضعفه ووهنه كابن مرجانة والدوانيقي، وقد نصّ الأعلام على هذه الحقيقة:

قال المحقق التستري قدس سره: وأمّا رجال الشيخ فمسلكه غير ذلك، حيث أنّه أراد استقصاء أصحابهم عليهم السلام، ومن روى عنهم مؤمناً كان أو عاميًّا، فعدّ أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص ونظراءهم في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وعدّ زياد بن أبيه وابنه عبيد الله بن زياد في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وعدّ المنصور الدوانيقي في أصحاب الصادق عليه السلام بدون ذكر شيء[٢].

وقال محقّق كتاب الرجال: وهو أحد الأصول الأربعة الرجالية المعتمد عليها عند علمائنا، يتضمن زهاء (٨٩٠٠) اسم، وغرضه من تأليفه مجرّد تعداد أسمائهم، وجمع شتاتهم، وتمييز طبقاتهم كما ذكر في مقدّمته، لا

(١) رجال الطوسي: ١٧.
(٢) قاموس الرجال ١/ ١٩.

تمييز الممدوح منهم من المذموم، وأمّا توثيقه لبعضهم في خلال ترجمته فهو استطرادي، أو لدفع شبهة، ولذا ترى أنّه لم يوثّق فيه من لا خلاف فيه كزرارة بن أعين ومحمد بن مسلم وهشام بن الحكم، كما أنّ جرح بعضهم قد جاء استطراديًّا، أو لدفع شبهة وثاقته وحسن حاله(١).

ومن هنا نعلم أنّ أي حكم على الراوي في هذا الكتاب لا بدّ أن يُتوقّف فيه، ويُنظر فيه مليًّا؛ ليُعلم الوجه الذي جعل الشيخ رضي الله عنه يثبته في كتابه الذي لم يكتبه لأجل هذا الغرض.

ثانياً: أنّ الشيخ قدس سره ذكر أبان في كتاب الرجال في ثلاثة موارد:

١- عند تعداده لأصحاب السجاد عليه السلام، قال: أبان بن أبي عياش فيروز(٢).

٢- عند تعداده لأصحاب الباقر عليه السلام، قال: أبان بن أبي عياش فيروز، تابعي ضعيف(٣).

٣- عند تعداده لأصحاب الصادق عليه السلام، قال: أبان بن أبي عياش فيروز البصري تابعي(٤).

فالحكم على أبان بالضعف كان عند ذكره في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام، أمّا في الموردين الآخرين فلم يذكره بمدح ولا بذمّ.

بعد هذه المقدّمتين نقول:

---

(١) رجال الطوسي: ٥٦.

(٢) رجال الطوسي: ١٠٩.

(٣) رجال الطوسي: ١٢٦.

(٤) رجال الطوسي: ١٦٤.

إنّ التضعيف المذكور في حقّ أبان بن أبي عياش ذكر في خصوص ترجمة أصحاب الباقر عليه السلام ولم يذكر لا في ما سبق ولا في ما لحق، بل حتّى وصفه بالتابعي لم يذكر في ترجمة أصحاب السجّاد عليه السلام، رغم أنّه يناسب هذا الموضع دون غيره، إذ أنّ ذكره هنا يغني عن ذكره في ترجمة أصحاب الصادقين عليهما السلام، ممّا يجعلنا نسأل عن سبب هذا التفصيل، خصوصاً أنّه كما تقدّم في المقدّمات أنّ الكتاب لم يؤلّف لغرض تقييم الرواة؟

وقد سجّل المحدّث النوري قدس سره استغرابه من هذا الصنيع، فقال: إنّه من رجال الصادق عليه السلام، ولم يضعّفه فيه، ولا في أصحاب علي بن الحسين عليه السلام، وإنّما ضعّفه في أصحاب الباقر عليه السلام، **ولم يُعلم سببه**، ولعلّه تضعيف المخالفين[1].

وعليه فالتسليم بهذا التضعيف محلّ تأمّل، لا سيما مع ما سيأتيك من تسالم الطائفة على الأخذ بما في كتاب سليم والتصديق بمضامينه، بل وتصديق أبان في دعواه عرض الكتاب على بعض الأئمّة عليهم السلام.

ويمكن حمل هذه العبارة على أحد الوجوه التالية:

الأول: أن يكون غرض الشيخ قدس سره النصّ على طبقة أبان بن أبي عيّاش، حيث أنّ التابعين طبقات كما هو معلوم عند من تتبّع كلمات أصحاب التراجم، فهناك تابعون كبار مثل سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه، الذي عايش كبار الصحابة، وهناك تابعون صغار، وهم الذين التقوا بصغار الصحابة، وهذا ما ينطبق على أبان، فمراد الشيخ رضي الله عنه الحكم عليه بأنّه (تابعي صغير)، إلّا أنّه صحّف إلى (تابعي ضعيف).

---

(١) خاتمة المستدرك ٧/ ١١٣.

وقد قرّب هذا الوجه السيد محمد علي الأبطحي ﭬ، فقال: لا يبعد كون قوله في أصحاب الباقر ﮧ: «تابعي ضعيف»، مصحّف: «تابعي صغير» كما يظهر من العامّة، مدعياً أنّه ليس من كبار التابعين، ويظهر ممّن ضعفه من العامّة أن أبان بن أبي عياش كان من العُبّاد، فلعلّ التضعيف كان من جهة المذهب، قال ابن حبان: «كان أبان من الذي يسهر الليل بالقيام»، ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال بعد ذكر اسمه: فيروز، قال: وقيل: دينار الزاهد أبو إسماعيل البصري، أحد الضعفاء، وهو تابعي صغير، يحمل عن أنس وغيره، وهو من موالي عبد القيس... إلخ، ثم ذكر عن جماعة تضعيفه[1].

وهنا لا بدّ من التنبيه على أنّ كتاب الرجال الذي ألّفه الشيخ ﭭ كان في صورة مسوَّدة، لم يوفّق الشيخ ﭬ لتبييضها، ومن يقرأ الكتاب يجد بعض الأغاليط والاشتباهات التي ينزّه مثل شيخ الطائفة عن مثلها، كإهماله ذكر جماعة من الرواة، وتكرار ذكر بعض الأسماء، وذكر الراوي في من روى عنهم، وفي من لم يرو عنهم وغيرها...

ومن هنا قال السيّد البروجردي ﭬ الذي خاض عباب بحر علم الرجال: لأنّ كتاب رجال الشيخ لا يكون مشتملاً على جميع الرواة؛ لأنّ الظاهر أنّه كان بصورة المسوَّدة، وكان غرض الشيخ الرجوع إليه ثانياً؛ لنظمه وترتيبه وتوضيح حال بعض المذكورين ممّن لم يتعرّض لبيان حاله، كما يشهد لذلك الاقتصار في بعض الرواة على ذكر مجرّد اسمه واسم أبيه، من دون أن يتعرّض لبيان حاله من حيث الوثاقة وغيرها، وكذا ذكر بعض

(١) تهذيب المقال ١/ ١٩٠.

الرواة مكرّراً كما يتّفق فيه كثيراً، مع عدم التعرّض لذكر بعض آخر، فهذا وأماثله ممّا يوجب الظنّ الغالب بكون الكتاب لم يبلغ إلى حدّ النظم والترتيب والخروج بصورة الكتاب، وذلك كان مستنداً إلى كثرة اشتغال الشيخ قدس سره بالتأليف والتصنيف في الفنون المختلفة الإسلامية من الفقه، والأصول، وجمع الأحاديث، والتفسير، والكلام، والرجال، وغير ذلك من العلوم، بحيث لو قسّمت مدّة حياته على تأليفاته لا يقع في مقابل كتابه هذا إلّا ساعات معيّنة معدودة[١].

الثاني: أن نسلّم بثبوت العبارة كما هي، إلّا أنّها مخصوصة بروايته عن الإمام الباقر عليه السلام، فلعلّ الشيخ بصدد دفع شبهة أنّ أبان روى عن الباقر عليه السلام، فلذلك قال: «ضعيف» أي روايته عنه، أمّا روايته عن السجّاد والصادق عليهما السلام فهي ثابتة ولا نزاع فيها.

وقد ذكر هذا المعنى العلامة المامقاني قدس سره حيث قال: إنّه قد اتّفق للشيخ رحمه الله في رجاله أنّه ذكر رجلاً في أصحاب أحد الأئمة عليهم السلام ووثّقه، وذكره في أصحاب إمام آخر ولم يوثّقه، أو ضعّفه، وربّما أوجب ذلك لبعضهم الاشتباه، وزعم دلالة ذلك على التعدّد رفعاً للتنافي، ولكنّه ليس على ما زعم، بل الظاهر قصر العدالة أو التضعيف على حالة روايته عن ذلك الإمام عليه السلام، كما أنّ تعديل الراوي من غيره أو منه في غير الكتاب منزّل على عدالة الراوي في حال تلك الرواية، وكذا الجرح، فإنّ بحث علماء الفنّ عن أحوال الرجال إنّما هو من حيث إنّه راوٍ، فيحكم بانطباق

---

(١) نهاية التقرير ٣/ ٢٣١.

حالة الراوي على حالة العدالة[١].

الثالث: أنّ تضعيف الشيخ رضي الله عنه مجمل، فقوله: «ضعيف» يحتمل عدّة وجوه، منها: ضعف الرجل في نفسه، بمعنى فقدانه لشروط قبول الرواية، أو ضعف حديثه بمعنى عدم قبول المضامين التي يحدّث بها، أو ضعف حافظته وضبطه، أو ضعفه من جهة العقيدة...

وقد فصّل الوحيد البهبهاني قدس سره في معنى الضعف عند القدماء، فقال: ومنها: قولهم: «ضعيف»، ونرى الأكثر يفهمون منه القدح في نفس الرجل، ويحكمون به بسببه، ولا يخلو من ضعف؛ لما سنذكر في داود بن كثير، وسهل بن زياد، وأحمد بن محمد بن خالد وغيرهم، وفي إبراهيم بن يزيد جُعل كثرة الإرسال ذمًّا وقدحاً، وفي جعفر بن محمد بن مالك الرواية عن الضعفاء والمجاهيل من عيوب الضعفاء، وفي محمد بن الحسن بن عبد الله روى عند البلوي، والبلوي رجل ضعيف... إلى قوله: مما يضعفه، وفي جابر روى عنه جماعة غمزوا فيهم، إلى غير ذلك، ومثل ما في ترجمة محمد بن عبد الله بن الجعفري، والمعلى بن خنيس، وعبد الكريم بن عمر، والحسن بن راشد، وغيرهم، فتأمل. وبالجملة كما أن تصحيحهم غير مقصور على العدالة، فكذا تضعيفهم غير مقصور على الفسق، وهذا غير خفي على من تتبّع وتأمّل. وقال جدّي رحمه الله: نراهم يطلقون الضعيف على من يروي عن الضعفاء، ويرسل الأخبار. انتهى. ولعلّ من أسباب الضعف عندهم قلّة الحافظة، وسوء الضبط، والرواية من غير إجازة، والرواية عمّن لم يلقه، واضطراب ألفاظ الرواية، وإيراد الرواية التي

---

(١) تنقيح المقال ١/ ٥١٧.

ظاهرها الغلو أو التفويض أو الجبر أو التشبيه، وغير ذلك كما هو في كتبنا المعتبرة، بل هي مشحونة منها كالقرآن، مع أن عادة المصنّفين إيرادهم جميع ما رووه كما يظهر من طريقتهم، مضافاً إلى ما ذكره في أول (الفقيه) وغيره، وكذا من أسبابه رواية فاسدي العقيدة عنه، وعكسه، بل وربما كان مثل الرواية بالمعنى ونظائره سبباً. وبالجملة أسباب قدح القدماء كثيرة، وسنشير إلى بعضها، وغير خفيٍّ أنّ أمثال ما ذُكر ليس منافياً للعدالة، وسيجيء في ذكر الطيّارة والمفوّضة والواقفة ما يزيد ويؤكّد ويؤيّد، وكذا في ترجمة إبراهيم بن عمر، وفي ذكر مضطرب الحديث وغيره. ثم اعلم أنه فرق بيِّنٌ ظاهر بين قولهم: «ضعيف»، وقولهم: «ضعيف في الحديث»، فالحكم بالقدح منه أضعف، وسيجيء في سهل بن زياد، وقال جدي رحمه الله: الغالب في إطلاقاتهم أنّه ضعيف في الحديث، أي يروي عن كل أحد. انتهى، فتأمل[١].

ووافقه على ذلك الشيخ الخاقاني قدس سره في رجاله حيث قال: ولكن غرضه أعلى الله مقامه أنّه بعد ملاحظة موارد إطلاق هذه الكلمة، نراهم يطلقونها على من لم يكن ضعيفاً في نفسه، بل لأمور أخر تتعلّق برواياته، أو طرق تحمّلها، بحيث صار ذلك ديدناً لهم، لا أنّه أمر اتفاقي وفي بعض الموارد، حتى تأخذ بظاهر اللفظ ما دام مجرّداً عن الصارف...[٢].

وما ذكره رحمه الله متين جدًّا، ويظهر ذلك لكلّ من تتبّع أقوالهم وسبر كلماتهم، وهذا ما نحتمله بقوّة في كلام الشيخ الطوسي قدس سره، بقرينة ما

---

(١) تنقيح المقال ١/ ٥١٧.

(٢) رجال الخاقاني: ٣٣٠.

سقناه سابقاً من كلمات العامّة في أبان، فلعلّ الشيخ رحمه الله اطمأنّ إلى ثبوت الطعن فيه من جهة الضبط والحفظ، فأثبته في كتابه، وليس مراده تضعيفه في صدق لهجته أو في ديانته.

وعليه فكلّ ما ذكر فيه من طعون هي محلّ تأمّل، والتسليم بها والجزم بضعفه محلّ نظر، بل التحقيق خلافه.

٣. لماذا اختُلف في أبان بن أبي عياش؟

لا بدّ أن تُبحث سيرة أبان من جميع جوانبها؛ لكي نعلم لماذا وقع الاختلاف في هذا الرجل عند الفريقين كما تقدّم:

فمن يقرأ سيرة أبان يجد أنّه كان في بادئ أمره عاميًّا، وعرف الأمر عن طريق سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه عندما كان عمره أربع عشرة سنة، فحمّله أمانة عظيمة وأبان لا يزال فتى يافعاً.

وبعد وفاة سليم رضي الله عنه انتقل أبان إلى البصرة، ووالى عبد قيس، ثم أخفى تشيعه، وأظهر أنّه من رواة حديث العامّة، ولذلك تجد أنّه أكثر عندهم من الرواية عن أنس بن مالك وغيره، وهذا ما جعلهم يثقون فيه، وفي حديثه، ويمدحونه بما تقدّم.

بل حتّى الأوساط الشيعية في ذلك الوقت لم تكن تعرف عن أبان شيئاً، نظراً لكونه لم ينشأ بينهم، ولم يجهر بتشيّعه، رغم مخالطته إيّاهم، فلهذا كانوا يرتابون في أمره.

في ظلّ هذه الظروف كان أبان يبثّ معارف أهل البيت عليهم السلام خفية في كلّ فرصة سنحت له، ومن يقرأ رواياته التي عدّوها من مناكيره يجد هذا

المعنى حاضراً بقوّة، فهو الذي روى حديث تربة كربلاء، وقتل الحسين عليه السلام بها، وهو الذي روى قنوت النبي صلى الله عليه وآله قبل الركوع كما هو عند الشيعة... إلخ.

والوحيد الذي كشف حقيقة أبان هو شعبة بن الحجّاج الذي كان متفرّغاً للتفتيش في أحوال الناس وأحاديثهم، فقد عرف حقيقة أمر أبان، وأنّ له نشاطاً سرّيًّا في الدعوة لمذهب أهل البيت عليهم السلام الذي كان يعتبر زندقة في ذلك الزمن، فلهذا كانت تلك الهجمة الشرسة منه.

وبقي الحال على ما هو عليه إلى حين وفاته، وبعد وفاته أشاع ابن أذينة - الذي كان يعرف أبان مسبقاً؛ لكونهما من بني عبد قيس - حقيقة الأمر، وبيّن أنّ الرجل كان من الشيعة الخلّص الذين نقلوا أسرار آل محمد عليهم السلام كما سيأتي قريباً.

ومن ينظر إلى حاضرنا يجد أنّ هناك شخصيات كثيرة يشبه حالها حال أبان بن أبي عياش، فهي تخفي تشيّعها، ولا تعلنه على الملأ؛ لكي تستطيع إيصال صوت الحق لأكثر عدد ممكن من الناس، ولولا المانع لسردنا مجموعة من الأسماء لمعاصرين يشبه حالهم حال أبان.

٤. أدلّة اعتبار الكتاب:

بعد أن ناقشنا ما طُعن به الرجل، وما أسقطوا به رواياته، بقيت أمامنا عقبة أخرى، وهي أنّه لو تمّ ما ذكرناه فإنّ هذا لا يغيّر شيئاً؛ لأنّ نفي الضعف عنه لا يستلزم الوثاقة، بل يبقى في دائرة الجهالة حتّى تثبت وثاقته، ولا دليل عليها!

والجواب على هذا: أنّنا لا نحتاج أساساً لإثبات وثاقة أبان؛ لأنّه لم

ينقل الكتاب رواية، بمعنى أنّه لم يحدّث به، ولم يتلقّاه الناس منه سماعاً، بل إنّه تسلّم النسخة الأصلية للكتاب من سليم بن قيس الهلالي ﵁، وسلّمها قبل موته لعمر بن أذينة ﵁، الذي حدّث في ما بعد بالكتاب، وعليه فالقضية ليس مدارها العدالة المطلوبة في رواة الحديث، بل المطلوب هو الأمانة والديانة التي أبان يتّصف بهما فعلاً.

وبيانه أنّ الأمر لا يخرج عن أحد ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأول: هو أنّ الكتاب منحول على سليم، قد كتبه أبان أو غيره، ونسبه أبان إلى سليم ؒ، وسليم منه بريء.

الاحتمال الثاني: أن يكون سليم ؒ قد ألّف كتاباً، إلّا أنّ أبان قد تلاعب به، فزاد فيه وأنقص منه متعمّداً.

الاحتمال الثالث: أنّ سليماً ألّف الكتاب، وناوله أبان، وأبان نقل الكتاب كما هو دون يعبث به بزيادة أو نقيصة.

والاحتمال الأول واضح البطلان؛ لأن أساطين علماء الطائفة لا يتردّدون في نسبة الكتاب المتداول لسليم ؒ كما سيأتي نقل كلماتهم في ذلك، ولو كان هذا الكتاب لأبان بن أبي عياش لما نسبه كبار علماء الطائفة إلى سليم هكذا من دون أيّ تردّد.

ولكن يبقى الكلام في الاحتمال الثاني، فإنّنا نحتاج إلى قرائن تامة لنفي هذا الاحتمال وتعيّن الاحتمال الثالث، كي نخلص إلى القول بثبوت نسبة الكتاب المتداول لسليم بن قيس ﵁.

وهناك جملة من القرائن التي يمكن بها نفي احتمال عبث أبان بالكتاب وتحريفه له، وهي عشر قرائن.

الأولى: وثوق سليم بن قيس رضي الله عنه بأبان بن أبي عياش، فإنّه استودعه الكتاب، وجعله أمانة عنده.

قال أبان: لما قدم الحجّاج العراق سأل عن سليم بن قيس، فهرب منه، فوقع إلينا بالنوبندجان متوارياً، فنزل معنا في الدار، فلم أر رجلاً كان أشدّ إجلالاً لنفسه، ولا أشدّ اجتهاداً، ولا أطول حزناً منه، ولا أشدّ خمولاً لنفسه، ولا أشدّ بغضاً لشهرة نفسه منه، وأنا يومئذ ابن أربع عشرة سنة، وقد قرأت القرآن، وكنت أسأله فيحدّثني عن أهل بدر، فسمعت منه أحاديث كثيرة عن عمر بن أبي سلمة ابن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله، وعن معاذ بن جبل، وعن سلمان الفارسي، وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، والبراء بن عازب، ثم استكتمنيها، ولم يأخذ عليَّ فيها يميناً، فلم ألبث أن حضرتْه الوفاة، فدعاني، وخلا بي، وقال: يا أبان، إنّي قد جاورتك، فلم أر منك إلا ما أحبّ، وإنّ عندي كتباً سمعتها عن الثقات، وكتبتها بيدي، فيها أحاديث لا أحبّ أن تظهر للناس؛ لأنّ الناس ينكرونها ويعظمونها، وهي حقّ، أخذتها من أهل الحق والفقه والصدق والبر، عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود رضي الله عنهم، وليس منها حديث أسمعه من أحدهم إلا سألت عنه الآخر، حتى اجتمعوا عليه جميعاً، فتبعتهم عليه، وأشياء بعدُ سمعتها من غيرهم من أهل الحق، وإنّي هممت حين مرضت أن أحرقها، فتأثّمت من ذلك، وقطعت به، فإن جعلتَ لي عهد الله عزّ وجلّ وميثاقه أن لا تخبر بها أحداً ما دمت حيًّا، ولا تحدّث بشيء منها بعد موتي إلّا من تثق به كثقتك بنفسك، وإن حدث بك حدث أن تدفعها إلى من تثق به من شيعة

علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، ممن له دين وحسب. فضمنتُ ذلك له، فدفعها إليَّ، وقرأها كلّها عليَّ، فلم يلبث سليم أن هلك رحمه الله[١].

فإن قيل: إنّ هذا الكلام من رواية أبان بن أبي عياش، فكيف يكون حجّة في المقام؟

أجبنا بأنّه بعد أن قدّمنا عدم تردّد أساطين علماء الطائفة في نسبة هذا الكتاب إلى سليم، وأنّ دعوى وضع الكتاب من أساسه لم يقل بها أحد من المحقّقين، وأنّ الكتاب قد انفرد بنقله أبان بن أبي عياش كما نصّ على ذلك السيد العقيقي رحمه الله حيث قال: أبان بن أبي عياش كان سبب تعريفه هذا الأمر سليم بن قيس، حيث طلبه الحجّاج ليقتله، حيث هو من أصحاب علي عليه السلام، فهرب إلى ناحية من أرض فارس، ولجأ إلى أبان بن أبي عياش، فلما حضرته الوفاة قال لابن أبي عياش: إنّ لك حقًّا، وقد حضرني الموت يا ابن أخي، إنّه كان من الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كيت وكيت. وأعطاه كتاباً، فلم يروِ عن سليم بن قيس أحد من الناس سوى أبان[٢].

وعليه، فإنّ ركون سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه لأبان بن أبي عياش وإعطاءه الكتاب، دليل على أنّ الرجل ديّن، وممّن يوثق به وبأمانته، خصوصاً وأنّ سليماً رضي الله عنه سلّمه الكتاب بعد أن عاش معه ردحاً من الزمن.

ثانياً: نقل عمر بن أذينة الكتاب، وتصديقه دعوى أبان بن أبي

---

(١) كتاب سليم: ١٢٦.

(٢) خلاصة الأقوال: ٣٢٥. فإن قيل: كيف نصدّق عمر بن أذينة في قوله أنه أخذ الكتاب من أبان، مع أن الكتاب روي عن طريق إبراهيم بن عمر اليماني عن سليم بلا واسطة كما ورد في بعض أسانيد الكتاب؟ والجواب: هو أنّ إبراهيم روى الكتاب أو جزءاً منه سماعاً، أمّا أبان فهو نقل الكتاب كله مناولة عن سليم كما تقدّم، فلا تنافي بين العبارتين.

عياش، حيث نقل عنه الكتاب جازماً أنّه لسليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه، قال: ثم دفع إليّ أبان (كتاب سليم بن قيس الهلالي العامري)، ولم يلبث أبان بعد ذلك إلّا شهراً حتى مات، فهذه نسخة كتاب سليم بن قيس العامري الهلالي، دفعه إليَّ أبان بن أبي عياش، وقرأه عليَّ[١].

وليس كلامنا من باب أنّ الثقة لا يروي إلّا عن ثقة، بل هي قضية عرفية محضة، فإن عمر بن أذينة الذي قيل في حقّه: إنّه «شيخ أصحابنا البصريّين ووجههم»[٢]، لا يمكن أن يسلّم بدعوى رجل مجهول أو ضعيف بهذه السهولة!

علماً أنّه كان قريباً جدًّا من أبان بن أبي عيّاش، فكلاهما كان من البصرة، وكلاهما كانا من بني عبد قيس، والأهم من هذا القرينة التي ذكرها ابن أذينة، وتجعلنا نثق بأبان، وهي إخبار أبان بأنه رأى سليماً رضي الله عنه في المنام، وأنه أخبره بقرب موته، وتحقّق ذلك كما أخبر أبان.

قال عمر بن أذينة: دعاني أبان بن أبي عياش قبل موته بنحو شهر، فقال لي: رأيت البارحة رؤيا، أنّي خليق أن أموت سريعاً، إنّي رأيتك الغداة، ففرحت بك، إنّي رأيت الليلة سليم بن قيس الهلالي، فقال لي: يا أبان، إنّك ميت في أيامك هذه، فاتّق الله في وديعتي ولا تضيّعها، وفِ لي بما ضمنت من كتمانها، ولا تضعها إلّا عند رجل من شيعة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، له دين وحسب، فلمّا بصرت بك الغداة فرحت برؤيتك، وذكرت رؤياي سليم بن قيس... إلى أن قال: ولم يلبث أبان بعد ذلك إلّا

---

(١) كتاب سليم: ١٣١.

(٢) فهرست النجاشي: ٢٨٣.

شهراً حتى مات[1].

فلو كان الرجل كاذباً في دعواه كيف أمكنه أن يعرف أنّه سيموت قريباً؟ بل يخبر بذلك على سبيل الجزم، ويتحقّق سريعاً ما أخبر به؟!

ثالثاً: نصّ كبار علماء أهل السنة والجماعة وأئمتهم في الجرح والتعديل على حسن ديانة أبان، حيث وصفوه بأنّه من العُبّاد والزُّهاد، وطاووس القرّاء، وغيرها من الصفات العظيمة رغم تشيّعه كما تقدّم في البحث السابق، وهذا من النادر وقوعه في الكتب الرجالية، حيث نجدهم عادة ما يطعنون في الرجل ويضعّفونه ويصفونه بأقبح الصفات لمجرّد الاختلاف في المذهب، فمن مدحه مخالفوه بمثل هذا المدح فإنه في غاية الفضل، كما قال الشاعر:

وَمَنَاقِبٍ شَهِدَ العَدُوُّ بِفَضْلِهَا ... وَالفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ

رابعاً: أنّ خمسة من الرواة المعروفين بأصحاب الإجماع رووا هذا الكتاب، وهم الرواة الذين أجمعت العصابة على تصحيح ما يصحّ عنهم، وتصديقهم فيما يروونه كما ذُكر ذلك في الكتب الرجالية وأُشبع بحثاً.

وقد روى الكتاب من أصحاب الإجماع:

١- حماد بن عيسى

٢- عثمان بن عيسى

٣- عبد الله بن مسكان

٤- محمد بن أبي عمير

---

(١) كتاب سليم: ١٢٤.

٥- الحسن بن علي بن فضال

فإن كان العلماء يحكمون بصحّة ما يصح عن كل واحد من هؤلاء كما ذهب إلى ذلك جمع من الأعلام، فكيف لا يصحّ ما صحَّ عن أكثر من واحد من هؤلاء الرواة الخمسة؟!

خامساً: رواية كبار رواة الطائفة لهذا الكتاب وتداوله جيلاً بعد جيل، لا سيما الذين عُرفوا بالتثبّت في النقل والتأكّد من ثبوت الرواية كالشيخ محمد بن الحسن بن الوليد شيخ الصدوق، وأحمد بن محمد بن عيسى، وعبد الله بن جعفر الحميري، وسعد بن عبد الله الأشعري رضوان الله عليهم، وغيرهم...

وقد تقرّر في محلّه أنّ إكثار الأجلّاء من الرواية عن شخص يكشف عن وثاقته، أو على أقلّ التقادير يكشف عن وثوقهم بما يرويه، وهو المطلوب في هذا البحث.

ومثل هؤلاء لا يمكن أن يجتمعوا على رواية كتاب موضوع، أو غير موثوق فيه، أو فيه تدليس وتخليط كما ادّعى بعضهم ذلك.

سادساً: تقرير الأئمّة عليهم السلام لهذا الكتاب، ونصّهم على صحّته وسلامة رواياته من الوضع والدسّ والتخليط:

فقد نقل أبان في مفتتح الكتاب أنّه عرضه على الإمام السجَّاد عليه السلام، قال: فحججتُ من عامي ذلك، فدخلت على علي بن الحسين عليه السلام، وعنده أبو الطفيل عامر بن واثلة صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان من خيار أصحاب علي عليه السلام، ولقيت عنده عمر بن أبي سلمة ابن أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله، فعرضته عليه وعلى أبي الطفيل وعلى علي بن الحسين عليه السلام،

ذلك أجمع ثلاثة أيام، كل يوم إلى الليل، ويغدو عليه عمر وعامر، فقرآه عليه ثلاثة أيام، فقال عليه السلام لي: صدق سليم رحمه الله، هذا حديثنا كلّه نعرفه[١].

ونقل أبان كذلك عرضه لجزء من الكتاب عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: فحججتُ بعد موت علي بن الحسين عليه السلام، فلقيت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام، فحدّثته بهذا الحديث كله، لم أترك منه حرفاً واحداً، فاغرورقت عيناه، ثم قال: صدق سليم، قد أتاني بعد أن قُتل جدّي الحسين عليه السلام وأنا قاعد عند أبي، فحدّثني بهذا الحديث بعينه، فقال له أبي: صدقت، قد حدّثك أبي بهذا الحديث بعينه عن أمير المؤمنين عليه السلام ونحن شهود. ثم حدّثاه بما هما سمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وقد اعتُرض على هذه القرينة بأنّ عرض الكتاب على الإمام عليه السلام قد رواه أبان نفسه، فلا يمكن قبوله بحال؛ لأن أبان إذا لم يكن ثقة فإخباراته كلها لا قيمة لها، ومنها زعمه عرض الكتاب على الإمام عليه السلام، وإذا كان ثقة قُبل منه كتاب سليم من دون حاجة إلى تقرير الإمام عليه السلام.

والجواب:

أنّه لم يقل أحد من المتقدّمين ولا من المتأخرين بل ولا من العامّة: إنّ أبان كذّاب، بمعنى أنّه يختلق الأحاديث مع اتفاقهم على تشيّعه، بل غاية ما قيل فيه: «إنّه ضعيف»، وقد تقدّمت مناقشة هذه الدعوى وبيان فسادها، فاتّهامه بالوضع يحتاج إلى دليل قوي.

مضافاً إلى أنّ هذا الكتاب قد رواه كبار أصحاب الأئمة عليهم السلام مع

---

(١) كتاب سليم: ١٢٧.

(٢) كتاب سليم: ١٨٦.

احتوائه على هذه الدعوى، فمن المستبعد جدًّا أن يتناقلوا هذه الدعوى الكبيرة دون تثبّت أو تدقيق، ونحن في هذا الزمان بمجرّد أن يُنسب كتاب لعالم من العلماء أو مرجع من مراجع التقليد يسارع الناس إلى التثبّت والتأكّد من صحّة هذا الخبر، فكيف بكتاب نسب راويه تقريره لبعض الأئمّة عليهم السلام ؟؟

فالحقّ أنّ مثل هذا بعيد جدًّا، مع ما عرفناه من شدّة تحرّز أصحاب الأئمة عليهم السلام في النقل والرواية، بل كيف يرضى الأئمة عليهم السلام أنفسهم أن يتداول كتاب ينسب لهم في الأوساط الشيعية على نطاق واسع ولا يُسجّل عنهم أي اعتراض؟!

والأهم من هذا كلّه أنّه رُويت مدائح للكتاب عن الأئمة عليهم السلام من غير طريق أبان بن أبي عياش:

فقد روى الفضل بن شاذان رضي الله عنه رواية من كتاب سليم، وعقّبها بنصّ لحمّاد بن عيسى، قال فيه: قد ذكرت هذا الحديث عند مولاي أبي عبد الله عليه السلام، فبكى وقال: صدق سليم، فقد روى لي هذا الحديث أبي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، قال: سمعت هذا الحديث من أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله سليم بن قيس[1].

وحمّاد بن عيسى من الذين رووا الكتاب كاملاً، ورواه عنه الأجلّاء، فمن المستبعد جدًّا أن لا يكون قد عُرض الكتاب كاملاً على الإمام الصادق عليه السلام.

وما ورد في بعض النسخ الخطية للكتاب عن مولانا الصادق عليه السلام:

---

(١) مجلّة تراثنا ١٥/ ٢٠٦.

من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبّينا كتاب سليم بن قيس الهلالي فليس عنده من أمرنا شيء، ولا يعلم من أسبابنا شيئاً، وهو أبجد الشيعة، وهو سرّ من أسرار آل محمد عليهم السلام[١].

فمجموع هذه المدائح يجعلنا نطمئن بصدورها إجمالاً عن المعصومين عليهم السلام بالتقريب الذي ذكرناه.

سابعاً: شهرة انتساب الكتاب بين العامّة والخاصّة إلى سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه عبر العصور، منذ القرن الأول إلى يومنا هذا، فمن يستقرئ رواة الكتاب في كل طبقة، ومن ذكره من المؤرّخين وأصحاب التراجم، يجد أنّ الكتاب كان مشهوراً ومتداولاً على نطاق واسع بين المسلمين!

ولذلك نجد أنّ كثيراً ممّن تعرّضوا للكتاب نصّوا على شهرته بين العامّة والخاصّة، نذكر منهم:

١- **ابن النديم البغدادي**: الذي قال: قال محمد بن إسحاق: من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام سليم بن قيس الهلالي، وكان هارباً من الحجّاج؛ لأنّه طلبه ليقتله، فلجأ إلى أبان بن أبي عياش، فآواه، فلمّا حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليّ حقًّا، وقد حضرتني الوفاة يا ابن أخي، إنّه كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيت وكيت. وأعطاه كتاباً، **وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور**، رواه عنه أبان بن أبي عياش، لم يروه عنه غيره، وقال أبان في حديثه: وكان قيس[٢] شيخاً له نور يعلوه؛ وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالي، رواه أبان بن أبي عياش، لم يروه

---

(١) فهرست التراث ١/ ١٠٤.

(٢) كذا في المطبوعة، والصحيح: سليم بن قيس.

غيره[1].

وتكمن أهمية هذا التصريح في أمور:

١- أنّ ابن النديم كان من أهل التخصّص في الكتب، إذ أنّه كان يعمل ورّاقاً، أي ناسخاً للكتب، ممّا يعني سعة اطّلاعه، وتضلعه في معرفة مختلف الكتب، وصحّة نسبتها إلى مؤلّفيها.

٢- أنّه نقل قصّة الكتاب عن محمد بن إسحاق، وهو إمام المغازي المعروف الذي ولد في سنة ٨٥هـ، وتوفي ١٥١هـ، أي أنّه كان معاصراً لأبان، وكلامه يكشف على شهرة الكتاب في ذلك الوقت.

٣- أنّ محمد بن إسحاق نصّ على شهرة الكتاب بقوله: «وأعطاه كتاباً، وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور»، وهذا يدلّ على أنّ الكتاب كان معروفاً في ذلك الزمن وما قبله أيضاً.

٢- **العلامة الأميني** قدس سره **صاحب الغدير**: كتاب سليم من الأصول المشهورة المتداولة في العصور القديمة، المعتمد عليها عند محدّثي الفريقين وحملة التاريخ، قال ابن النديم في الفهرست ص ٣٠٧ : إنّ سليماً لما حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليَّ حقًّا وقد حضرتني الوفاة يا ابن أخي، إنّه كان من أمر رسول الله كيت وكيت. وأعطاه كتاباً، وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور. إلى أنّ قال: وأوّل كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم. وفي التنبيه والإشراف للمسعودي ص ١٩٨ ما نصّه: والقطعية بالإمامة الاثنا عشرية منهم، الذين أصلهم في حصر العدد ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه. وقال السبكي في (محاسن الرسائل في معرفة

---

(١) فهرست ابن النديم: ٢٧٥.

الأوائل): «إنّ أوّل كتاب صُنّف للشيعة هو كتاب سليم». واللام في كلام ابن النديم والسبكي للمنفعة، فمفادها أنهم كانوا يحتجّون به، فيخصمون المجادل؛ لاقتناعه بما فيه، ثقة بأمانة سليم في النقل، لا محض أنّ الشيعة تقتنع بما فيه، وهو الذي يعطيه كلام المسعودي، حيث أسند احتجاج الإمامية الاثني عشرية في حصر العدد بما فيه، فإن الاقتناع بمجرّده غير مجدٍ في عصور قام الحِجَاج فيها على أشدها، ولذلك أسند إليه وروى عنه غير واحد من أعلام العامة، منهم الحاكم الحسكاني المترجم ص ١١٢ في (شواهد التنزيل لقواعد التفضيل)، والإمام الحمويني المترجم ص ١٢٣ في (فرايد السمطين)، والسيد ابن شهاب الهمداني المذكور ص ١٢٧ في (مودّة القربى)، والقندوزي الحنفي المترجم ص ١٤٧ في (ينابيع المودة)، وغيرهم، وحول الكتاب كلمات درّيّة أفردناها في رسالة، وإنما ذكرنا هذا الإجمال لتعلم أنّ التعويل على الكتاب مما تسالم عليه الفريقان، وهو الذي حدانا إلى النقل عنه في كتابنا هذا[١].

وهذه الشهادة من هذا الجهبذ الذي قضى نصف قرن بين المكتبات والمخطوطات في أصقاع الأرض جديرة بالتأمّل والاعتبار، لا سيما قوله: إنّ الكتاب كان محلّ قبول عند العامّة فضلاً عن الخاصّة!

وأيضاً ذكر هذا المعنى السيّد شهاب الدين المرعشي قدس سره في (إحقاق الحق)، حيث قال: وكتابه معروف، طُبع مرات، وهو من أقدم الكتب عند الشيعة وأصحّها، بل حكم بعض العامّة بصحّته أيضاً[٢].

---

(١) الغدير ١/ ١٩٤.

(٢) شرح إحقاق الحق ١/ ٥٥.

وممّا يدلّ على شهرته أيضاً أنّ النعماني رضي الله عنه قد نقل كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه في كتاب الغيبة[١] بأسانيد تنتهي إلى عبد الرزاق الصنعاني، ومعمر بن راشد، وهم من الشيعة الذين سكنوا اليمن وحدّثوا بها، فكثرة الأسانيد المنتهية لهما دليل على أنّ الكتاب قد اشتهر في اليمن في أوائل القرن الثاني.

ثامناً: اعتماد أعلام المتقدّمين على هذا الكتاب، وتسالمهم على النقل عنه، كالشيخ الصفار رضي الله عنه في (بصائر الدرجات) والفضل بن شاذان رضي الله عنه في (الرجعة)، والشيخ الكليني رضي الله عنه في (الكافي)، والشيخ الصدوق رضي الله عنه في أكثر من كتاب من كتبه، وشيخ الطائفة رضي الله عنه في التهذيبين، بل لا يكاد يخلو كتاب روائي أو تاريخي من كتب الطائفة على مرّ العصور من روايات منقولة عن هذا الكتاب.

فهذا الشيخ ابن أبي زينب النعماني رضي الله عنه يقول في حقّ كتاب سليم: وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السلام خلاف في أنّ كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم، ومن حملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها؛ لأنّ جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنّما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، والمقداد، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، وسمع منهما، وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها، ويُعوَّل عليها[٢].

---

(١) الغيبة: ٧٤.

(٢) الغيبة: ١٠٣.

ومن هنا يُعلم أنّ الكتاب كان محلّ وفاق بين الأقدمين، ولم يجد النعماني خلافاً بينهم في هذا، بل كلامه يكشف عن رأي أستاذه الذي لازمه سنين طويلة، وهو ثقة الإسلام الكليني رضي الله عنه الذي أكثر من النقل عن هذا الكتاب في (الكافي)، وما قاله النعماني هو الحقّ الذي لا محيص عنه.

وهذا الشيخ الصدوق رضي الله عنه يقول في مقدّمة كتابه الفقيه: ولم أقصد فيه قصد المصنِّفين في إيراد جميع ما رووه، بل قصدت إلى إيراد ما أفتي به، وأحكم بصحّته، وأعتقد فيه أنه حجّة فيما بيني وبين ربي تقدَّس ذكره وتعالت قدرته، وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة، عليها المعوَّل، وإليها المرجع[(١)].

وقد نقل في هذا الكتاب عن كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة وفاته لأبنائه وأصحابه.

وهذا شيخ الطائفة الطوسي رضي الله عنه، يشهد بأنّ أحاديث كتابه مأخوذة من الكتب المعتمد عليها، قال: إنّ ما أورده في كتابَيِ الأخبار إنما آخذه من الأصول المعتمدة عليها[(٢)].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١/ ٣.

(٢) الوافي ١/ ٣٢. لا توجد هذه العبارة بنصّها في العدّة، إلّا أنّ هذا المضمون متصيّد من قوله رضي الله عنه في العدة ١/ ١٣٧: قرينة تدل على صحّة ذلك، كان الاعتبار بالقرينة، وكان ذلك موجباً للعلم، ونحن نذكر القرائن فيما بعد جاز العمل به، والَّذي يدل على ذلك: إجماع الفرقة المحقّة، فإني وجدتها مجمعة على العمل بهذه الأخبار التي رووها في تصانيفهم، ودوّنوها في أصولهم، لا يتناكرون ذلك، ولا يتدافعونه، حتى أن واحداً منهم إذا أفتى بشيء لا يعرفونه، سألوه: من أين قلت هذا؟ فإذا أحالهم على كتاب معروف، أو أصل مشهور، وكان راويه ثقة لا يُنكر حديثه، سكتوا، وسلّموا الأمر في

وقد نقل مجموعة من الروايات في تهذيبيه عن كتاب سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه برواية أبان بن أبي عياش.

بل الأجدر بالذكر ما ذكره المسعودي صاحب كتاب (مروج الذهب) في كتابه (التنبيه والإشراف)، حيث قال: والقطعية بالإمامة الاثنا عشرية منهم، الذين أصلهم في حصر العدد ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه، الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق»، ولم يرو هذا الخبر غير سليم بن قيس[1].

فهذا الناقد الخبير والمؤرِّخ الأقدم من الشيعة يثبت أنّ الإمامية أعلى الله برهانهم قد اعتمدوا على كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه في أهم مسألة عقدية، وهي إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام!

فاعتماد الأصحاب على هذا الكتاب لاسيما الطبقة الأولى منهم دليل قوي على اعتباره عندهم ووثوقه به[2].

ذلك، وقبلوا قوله، وهذه عادتهم وسجيتهم من عهد النبي صلى الله عليه وآله ومن بعده من الأئمة عليهم السلام، ومن زمن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، الَّذي انتشر العلم عنه، وكثرت الرواية من جهته، فلولا أن العمل بهذه الأخبار كان جائزاً لما أجمعوا على ذلك ولأنكروه...

إلى أن قال: وقد ذكرت ما ورد عنهم عليهم السلام من الأحاديث المختلفة التي تختص الفقه في كتابي المعروف بـ (الاستبصار)، وفي كتاب (تهذيب الأحكام).

(١) التنبيه والإشراف: ١٩٩.

(٢) يمكننا استفادة وثاقة أبان بن أبي عياش من هذه القرينة، نظير توثيق العلماء للسكوني بناء على شهادة الشيخ الطوسي قدس سره بأنّ الطائفة عملت بمروياته؛ والعجيب من صاحب كتاب (التأسيس في نسبة كتاب سليم بن قيس) الذي شنّ حملة غير مبرَّرة على

تاسعاً: أنّ الروايات التي تضمّنها الكتاب خير دليل على صحّته واعتباره، فهي فعلاً أبجد الشيعة، إذ أنّها احتوت أهم القضايا التاريخية، والأحاديث التي استدلّ بها على ولاية أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، كحديث الغدير والثقلين والسفينة والاثني عشر، وأهم القضايا التي تُمُسِّك بها للطعن في أعدائهم وثلبهم كرزية يوم الخميس، والتفاصيل الدقيقة لأحداث السقيفة، والهجوم على بيت فاطمة عليها السلام، ومحاولة اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام...

وهذه الأمور من الحقائق التاريخية المسلّمة التي لا غبار عليها، ولا ينكرها إلّا من ينكر حوادث التاريخ بهواه، ولهذا ذهب السيّد ابن طاووس رضي الله عنه إلى أنّ متن الكتاب دليل على صحّته واعتباره، قال في ترجمة سليم رضي الله عنه: تضمَّنَ الكتاب ما يشهد بشكره وصحّة كتابه[١].

وذكر المحقّق التفريشي عبارة أبلغ تثبت هذا المعنى، حيث قال: إنّي لم أجد في جميع ما وصل إليّ من نسخ هذا الكتاب إلا كما نقل هذا الفاضل، والصدق مبيَّن في وجه أحاديث هذا الكتاب من أوله إلى آخره[٢].

كتاب سليم، فاستدل على صحّة كتاب ابن الغضائري باعتماد القدماء عليه، كالعلامة والسيّد ابن طاووس، لكنه لم يعتبر اعتماد مثل هؤلاء على كتاب سليم دليلاً على صحّته!!

(١) التحرير الطاووسي: ٢٥٣.

(٢) نقد الرجال ٢/٣٥٦. ومن المعيب ما صنعه صاحب كتاب (التأسيس في نسبة كتاب سليم بن قيس) حيث أخذ بكلام المحقق التفريشي في نقله لتضعيف أبان، وتجاهل كلامه الذي ذكرناه في النصّ الصريح على اعتبار الكتاب وصحّته، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

وذكر العلامة محي الدين المامقاني قدس سره أنّ كلّ ما في كتاب سليم بن قيس من مضامين موجودة في الكتب المعتبرة بطرق أخرى، ولا يوجد نصّ واحد فيه مخالف لما ثبت من جهة أخرى، قال: وإنّي أسأل الله تعالى شأنه أن يوفّقني لتخريج روايات أصل سليم بلفظها أو بمضامينها من طرق صحيحة مستفيضة، وإثبات أنّ روايات المترجَم ليست ممّا تفرّد بها، ومن الله أستمدّ العون والتوفيق(١).

وهذه القرينة من أقوى القرائن على صحّة الكتاب، وكما قال أهل العلم والتحقيق: كثيراً ما نصحّح الأسانيد بالمتون(٢).

عاشراً: إهمال المخالفين لذكر سليم بن قيس رضي الله عنه، ومحاولة إخفاء هذه الشخصية، بل إقصائها من الوجود، مع عدم الإشارة من قريب ولا من بعيد للكتاب، بخلاف (نهج البلاغة) مثلاً الذي لم يتركوا مورداً إلّا طعنوا فيه، وهاجموا مؤلّفه، وهذا يدلّ على عجزهم عن الطعن في مضامين الكتاب المنسجمة مع كثير من الروايات التي رواها العامّة في كتبهم كما بيّنا ذلك فيما تقدّم، فعمدوا إلى هذا الأسلوب، وهو الإخفاء؛ لكي لا يطلّع عليه عوامهم، فيفتح باب القيل والقال.

وهذا هو سبب الهجمة الشرسة التي تقدّم ذكرها من شعبة بن الحجاج على أبان بن أبي عياش، وتعجّب عامّة الناس من ذلك، وذم شعبة لأبان إن لم يكن مدحاً لأبان فليس بذم. قال المحدّث النوري قدس سره: وينبغي

---

(١) تنقيح المقال ٣٢/ ٤٣٥.

(٢) الفردوس الأعلى: ٥٣، مهذب الأحكام ٣/ ٢١٥.

عدّه من مدائحه[١].

فهذه عشر قرائن كاملة يمكن الاعتماد عليها لإثبات اعتبار الكتب وصحّته، وليس مرادنا من سوق هذه القرائن كلّها أنّ كل واحدة منها دليل تامٌّ على المطلوب، بل مرادنا أنّ هذه القرائن إذا نظر العاقل المنصف إلى مجموعها اطمأنّ بصحّة هذا الكتاب واعتباره، فالقرينة الواحدة وإن لم تكن حجّة في نفسها إلّا أن لها نسبة احتمالية، ترتفع بضمّ الأخرى لها، وهكذا إلى باقي القرائن العشر، فتكتمل الحجّة.

روايات كتاب سليم رضي الله عنه:

وقع الكلام في متن كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه، حيث ذهب بعضهم إلى أنّ اشتمال الكتاب على قرائن تدلّ على بطلان الكتاب، وسقوطه عن الاعتبار:

١. كلام الشيخ المفيد قدس سره:

ورد في كتاب (تصحيح الاعتقادات) للشيخ المفيد قدس سره الطعن في متن كتاب سليم بن قيس، والتشكيك في رواياته، حيث قال: وأمّا ما تعلّق به أبو جعفر رحمه الله من حديث سليم الذي رجع فيه إلى الكتاب المضاف إليه برواية أبان بن أبي عياش، فالمعنى فيه صحيح، غير أن هذا الكتاب غير موثوق به، ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتدين أن يجتنب العمل بكل ما فيه، ولا يعوّل على جملته والتقليد لرواته، وليفزع إلى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث؛ ليوقفوه على

---

(١) خاتمة المستدرك ٧/ ١١٣.

الصحيح منها والفاسد، والله الموفق للصواب.

وقد تمسّك بعضهم بهذه العبارة ليبرّر طعنه في الكتاب، وهنا لا بدّ لنا من وقفة مع عبارة الشيخ السديد قدس سره لفهمها بصورة صحيحة:

أوّلاً: أنّ الشيخ المفيد قدس سره لم يطعن لا في سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه ولا في أبان بن أبي عياش، ولم يصفهما لا بكذب ولا بضعف ولا بتدليس، بل سكت عنهما.

ثانياً: أنّ الشيخ المفيد قدس سره لم يقل بوضع الكتاب واختلاقه، بل ذهب إلى أنّ الكتاب قد احتوى على (تخليط وتدليس).

ثالثاً: أنّ الشيخ المفيد قدس سره سلّم بوجود الصحيح في هذا الكتاب، غير أنّه اختلط بالفاسد، وعلى المتديّن الرجوع لأهل العلم للتمييز بين هذا وذاك.

إذن الشيخ رضي الله عنه لم يذهب إلى أنّ الكتاب موضوع، أو أنّ سليماً أو أبان كذّابان، بل انتقد الكتاب من حيث إنّ فيه تخليطاً وتدليساً، وأنّه يجب على المتديّن الرجوع لأهل العلم لتمييز الصحيح من السقيم، ولهذا قَبِل رواية الصدوق رضي الله عنه التي نقلها عنه.

والجواب على الطعن في الكتاب بهذا الكلام:

أوّلاً: أنّ من يريد أن يتمسّك بهذا الكلام لإثبات أنّ كتاب سليم كان محلّ خلاف بين علمائنا المتقدّمين، عليه أولاً أن يثبت صحّة نسبة هذا الكلام للشيخ المفيد قدس سره!

فكتاب (تصحيح اعتقادات الإمامية) ليس أحسن حالاً من كتاب

سليم بن قيس، فلا يعرف للكتاب سند أصلاً، ولم يذكره أصحاب الفهارس عند ترجمتهم للشيخ المفيد ﷿، وأقدم مخطوط للكتاب يرجع للقرن الحادي عشر للهجرة، ولم يُعرف هذا الكتاب قبل زمان المجلسي ﷺ...

فهل يمكن جعل ما في هذا الكتاب حكماً على كتاب سليم الذي ذاع وانتشر منذ أوائل القرن الثاني للهجرة؟

فإن قيل: إنّ العلماء دأبوا على نسبته للشيخ المفيد ﷿ دون ارتياب في ذلك، أجبنا بأنّه ليس كتاباً روائيًّا لكي يُبحث في طريقه، بل هو كتاب كلامي، وقيمته تكمن في المطالب الكلامية والنكات العقدية التي احتواها، أمّا إذا أصبح الموضوع توثيقاً أو تضعيفاً وجب الفحص بالأدوات المعروفة.

ثانياً: أنّنا لا نعلم حقيقة النسخة التي كانت عند الشيخ المفيد ﷿ من كتاب سليم بن قيس، فلعلّها كانت غير هذه النسخة المشهورة والمتداولة بيننا، إذ أنّه لم يذكر نماذج من الأحاديث السقيمة أو التخليط والتدليس.

ولهذا قال الحر العاملي ﷿: الذي وصل إلينا من نسخه ليس فيه شيء فاسد، ولا شيء مما استُدلّ به على الوضع، ولعلّ الموضوع الفاسد غيره، ولذلك لم يشتهر، ولم يصل إلينا[1].

ثالثاً: أنّ الشيخ المفيد ﷿ قد أحال على أهل العلم لتمييز الصحيح من السقيم، ولمّا رجعنا إلى كبار العلماء والفطاحل وجدنا أنّهم نصّوا على

---

(١) وسائل الشيعة ٣٠/ ٣٨٦.

سلامته من التخليط والتدليس الذي وسمه به المفيد إن صحّت النسبة إليه، وقد قدّمنا بعض كلماتهم في ذلك.

ومن هنا فكلّ من يدّعي وجود هذا النوع من الأحاديث في الكتاب عليه أن يضع يده على مواضع التخليط والتدليس، ويبيِّن نماذج من تلك الأحاديث السقيمة المدّعاة.

رابعاً: أنّ كلام المفيد قدس سره ليس توثيقاً أو تضعيفاً لراوٍ من الرواة؛ ليؤخذ به بناء على ما تقرّر من حجية قول الرجالي، بل هو حكم على مضمون رواية بالسقم أو التخليط، وفي مثل هذا الأمر يتساوى فيه الشيخ المفيد قدس سره مع غيره من العلماء، فلا خصوصية لقوله، بل المدار على الدليل، بخلاف موضوع التوثيق والتضعيف، فإنّه يؤخذ تقييمه بلا دليل بناء على أصالة الحسّ.

وحيث أنّ الشيخ المفيد قدس سره لم يذكر شواهد تؤكّد كلامه، وتثبت صحّة ما قال، فإنّ كلامه قدس سره لا يعتبر حجة علمية في مقام البحث والاستدلال.

٢. كلام ابن الغضائري رحمه الله:

يعتبر ابن الغضائري من أوائل الذين نُسب إليهم الطعن في كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه، حيث ورد في كتاب الضعفاء: والكتاب موضوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات تدلّ على ما ذكرنا، منها: ما ذُكر أنّ محمد بن أبي بكر وعظ أباه عند الموت، ومنها: أنّ الأئمة ثلاثة عشر، وغير ذلك[1].

---

(١) الضعفاء لابن الغضائري: ٦٤.

والجواب على ما ذكره إمّا بالإجمال أو التفصيل؛ لأنّ ما ذكره هو أسّ ما تمسّك به كل من حاول الطعن في الكتاب.

أمّا الجواب الإجمالي:

أولاً: فإنّ هذا الكتاب الذي استُلّ منه هذا الكلام لم يثبت لابن الغضائري رحمه الله، وقد سبق أن بسطنا الكلام في هذه النقطة، فلا حاجة للخوض فيها مرّة أخرى، وعليه فنسبة القول بالوضع لابن الغضائري غير تامّة.

ثانياً: أنّ وجود مورد أو موردين أو أكثر نقطع بكذبها في كتابٍ ما لا يعني أنّ كلّ ما في الكتاب موضوع من أوّله لآخره، بل نرفع اليد عن المورد الذي دلّ الدليل على كذبه، أمّا غيره فلا يمكن تسرية الحكم إليه، ولو حكمنا على كلّ كتاب احتوى على خبر مكذوب بالوضع لما بقي كتاب على وجه الأرض يسلم من هذه التهمة.

ولذلك نجد أنّ العلامة الحلّي رضي الله عنه لم يقبل كلام ابن الغضائري رحمه الله، فقال: والوجه عندي الحكم بتعديل المشار إليه، **والتوقّف في الفاسد من كتابه**[1].

ثالثاً: أنّ الحكم بوضع خبر من الأخبار والقطع بذلك يكون إمّا بمخالفته لما ثبت بالعقل، أو لمحكمات كتاب الله عزّ وجلّ، أو بمنافاته لكلّ ما ثبت ثبوتاً قطعيًّا في الشريعة الإسلامية، وعملية العرض هذه ليست داخلة في علم الرجال، بل هي مهمّة الفقيه الحاذق، وابن الغضائري رحمه الله وإن كان رجاليًّا ذا باع في التراجم والسِّيَر والتاريخ، إلّا أنّه لم يُعرف بفقاهة

(١) خلاصة الأقوال: ١٦٣.

ولا اجتهاد، فحكمه بالوضع اجتهاد منه لا يُقلّد فيه إن صحّة النسبة إليه.

هذا هو الجواب الإجمالي، وأمّا الجواب التفصيلي فإنّه استدلّ على وضع الكتاب بأمرين، هما: وعظ محمد بن أبي بكر أباه عند الموت، وأنّ الأئمّة ثلاثة عشر، والجواب:

أمّا وعظ محمد بن أبي بكر رضي الله عنه أباه عند الموت فوجه استبعاد هذه القضية أنّ محمد بن أبي بكر وُلد عام حجّة الوداع، فيكون عمره عند وفاة أبيه أقلّ من ثلاثة سنوات، وبحسب العادة فإن الطفل لا يتكلّم بكلام طلق في هذا السنّ، فضلاً على أن يدرك عظائم الأمور، ويعظ أباه فيها.

ونجيب على هذا الإيراد بعدة إجابات:

أوّلاً: أنّه لا يوجد في الخبر هذا الوعظ الذي تحدّث عنه ابن الغضائري قدس سره، بل غاية ما في الأمر أنّ محمد بن أبي بكر رضي الله عنه طلب من أبيه أن يقول: «لا إله إلّا الله»، فأبى، ثم سأله بعض المسائل، ولم يكن في كلامه وعظ بالمعنى المعروف، وما على القارئ الكريم إلّا مراجعة (الحديث السابع والثلاثين من الكتاب)؛ ليتبيّن له صحّة ما ذكرناه.

ثانياً: أنّ صدور مثل هذا من محمد بن أبي بكر رضي الله عنه غير مستبعد؛ لأنّه عُرف بنبوغه وفطنته، فما المانع أن يصدر منه مثل هذا الوعظ؟ وقد قرّب السيّد إعجاز حسين هذا الجواب بقوله: لأنّ وعظ محمد بن أبي بكر أباه ليس ببعيد؛ لأنّه قد يصدر من الأطفال الصغار الأفعال العجيبة، وكان محمد بن أبي بكر عند وفاة أبيه ابن سنتين وسبعة أشهر على قول، وعلى قول ابن أربع سنين[(١)].

---

(١) كشف الحجب والأستار: ٤٤٦.

ثالثاً: يحتمل أنّ ما قاله محمد بن أبي بكر رضي الله عنه كان بتلقين من أمّه: أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وقد أرادت من هذه المحاورة أن تكشف مصير زوجها أمام بقية أبنائه، فاتّخذت هذه الطريقة، وقد ذهب إلى هذا الرأي الشيخ عبد الله المامقاني قدس سره في (تنقيح المقال)، حيث قال: وأجيب على ذلك بإمكان كون ذلك بتلقين أمّه أسماء بنت عميس(١).

رابعاً: أنّه لا مانع من أن تكون هذه الحادثة كرامة من الله عزّ وجلّ لأمير المؤمنين عليه السلام؛ ليقرّ أهل الباطل بألسنتهم، ويُفضحون من قبل أقرب المقرّبين إليهم، فإذا كان القرآن قد نقل لنا كيف نطق الرضيع لتبرئة نبي الله يوسف عليه السلام وتخطئة زليخة زوجة عزيز مصر، فمن باب أولى وقوع مثل ذلك نصرةً للحق ودحضاً للباطل.

وقد ذكر هذا الوجه غوّاص بحار الأنوار الشيخ المجلسي رحمه الله، حيث قال: أو يقال: إن ذلك كان من معجزات أمير المؤمنين عليه السلام ظهر فيه(٢).

وكذلك السيد الخوئي قدس سره، فإنه قال في المعجم: وأمّا وعظ محمد بن أبي بكر أباه عند موته فلو صحّ فهو وإن لم يمكن عادة إلّا أنه يمكن أن يكون على نحو الكرامة وخرق العادة، وعلى ذلك فلا وجه لدعوى وضع كتاب سليم بن قيس أصلاً(٣).

خامساً: أنّ قصّة وعظ محمد بن أبي بكر رضي الله عنه قد رويت في بعض مصادر الإمامية من غير طريق سليم بن قيس رضي الله عنه، بل وردت في مصادر

---

(١) تنقيح المقال ٣٢/ ٤١٠.

(٢) بحار الأنوار ٣٠/ ١٣٤.

(٣) معجم رجال الحديث ٩/ ٢٣٤.

أهل السنّة والجماعة، مشتملة على تفاصيل أكثر ممّا ورد في كتاب سليم رضي الله عنه:

فقد روى أبو حامد الغزالي هذه الرواية في (سرّ العالمين) بالصورة التالية: ودخل محمد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته، فقال: يا بني، إئت بعمّك عمر لأوصي له بالخلافة. فقال: يا أبت، كنتَ على حق أو باطل؟ فقال: على حق. فقال: وصّ بها لأولادك إن كان حقًّا، وإلّا فمكّنها لسواك. ثم خرج إلى علي وجرى ما جرى[1].

وكذلك ذكره سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص)، حيث قال: ودخل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه على أبيه في مرض موته، فقال: إئت بعمّك لأوصي له بالخلافة. فقال: يا أبه، كنتَ على حق أو على باطل؟ قال: على حق. قال: فارضَ لولدك ما رضيتَ لنفسك[2].

وقد حاول بعض الفضلاء التشكيك في ولادة محمد بن أبي بكر رضي الله عنه في حجّة الوداع، وحاول إثبات ولادته في السنة الثامنة من الهجرة[3]، وهذا مخالف لما ذكره المؤرّخون المعروفون، بل لما ورد في بعض روايات الخاصّة كما في الكافي الشريف[4].

ولعلّ منشأ الاشتباه هو تعبير بعض الروايات الواردة من طرقهم، وتصريح أرباب التراجم أنّه رضي الله عنه (ولد بالشجرة)، فتوهّم أنّ المراد من

---

(١) سرّ العالمين: ٩.

(٢) تذكرة الخواص: ١٠٧.

(٣) مير حامد اللنكهوي نقلا عن استخراج المرام ١/ ٤٠٤.

(٤) الكافي ٤/ ٤٠٤.

الشجرة الإطار الزماني، وهي السنة التي بايع فيها المسلمون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه تحت الشجرة عند توجههم لمكة، والحال أنّ المراد من الرواية الإطار المكاني، إذ أنّها رويت بعدّة طرق، بعضها عبّر فيها بـ (البيداء)، وأخرى عبّر بـ (ذي حليفة)، وأخرى بـ (الشجرة).

وفي هذا يقول النووي جمعاً بين الروايات: وقوله: «نفست بالشجرة»، وفي رواية بذي الحليفة، وفي رواية بالبيداء، هذه المواضع الثلاثة متقاربة، فالشجرة بذي الحليفة، وأمّا البيداء فهي بطرف ذي الحليفة، قال القاضي: يحمل أنّها نزلت بطرف البيداء لتبعد عن الناس، وكان منزل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بذي الحليفة حقيقة، وهناك بات وأحرم، فسُمّي منزل الناس كلّهم باسم منزل إمامهم.

بقي الكلام في جواب آخر أشار له بعض المحقّقين، وهو أنّ الذي وصل لهم هو أنّ عبد الله بن عمر وعظ أباه عند الموت، وليس محمد بن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي قام بذلك:

قال التفريشي قُدِّسَ سِرُّه في حاشية نقد الرجال: قال بعض الأفاضل: رأيت فيما وصل إليَّ من نسخة هذا الكتاب، أنّ عبد الله بن عمر وعظ أباه عند موته[1].

وقد فهم بعضهم أنّ مراد المحقّق التفريشي قُدِّسَ سِرُّه هو أنّ النسخة المتداولة فيها تصحيف في اسم المذكور، لذلك استبعد هذا الجواب؛ لعدم إمكانية تحقّق هذه الفرضية نظراً لتكرار اسم محمد بن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الرواية أكثر من مرّة ووضوح المقصود.

---

(١) نقد الرجال ٢/ ٣٥٦.

قال الشيخ محمد باقر الأنصاري: إنّ الشبهة ليست حول كلمة خاصّة قابلة للتصحيف، ولا تنحلّ بتصحيح كلمة، بل هي في القصة بمجموعها، فلا مجال لهذا الاحتمال[١].

والجواب: أنّ ما ذكره السيّد قدس سره صحيح لكنّه لم يحمل على وجهه الصحيح، فليس مراده من نفي وجود وعظ محمد بن أبي بكر رضي الله عنه لأبيه، وإثبات وعظ عبد الله بن عمر لأبيه هو تصحيف الرواية، بل مراده أنّ الكتاب لا يوجد فيه حقيقة وعظ من محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، بل غاية ما في الأمر أنّه طلب من أبيه أن يتشهّد قبل موته، ومثل هذا لا يسمّى وعظاً كما ذكرنا في الجواب الأوّل، بل الذي وعظ أباه حقًّا هو عبد الله بن عمر كما في (الحديث الحادي عشر من الكتاب).

ومن هنا نعلم أنّ العلَامة الأولى التي استُدلّ بها على وضع كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه، ووقوع التخليط والتدليس فيه غير تامّة، ولا تصلح أن تكون دليلاً على مدّعاهم.

أنّ الأئمة ثلاثة عشر:

الأمر الثاني الذي ذكره ابن الغضائري هو أنّ كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه قد تضمّن خبراً فيه أنّ الأئمة ثلاثة عشر، لا اثنا عشر كما يعتقد الشيعة.

والجواب على ذلك:

أوّلاً: لا وجود لهذا الخبر في كلّ الكتاب، وما على القارئ الكريم إلّا تصفّح الكتاب من أوّله إلى آخره ليكتشف أنّ هذا اللفظ غير موجود فيه

---

(١) كتاب سليم ١/ ١٩٧.

رأساً، ومن هنا جزم المجلسي الأب رضي الله عنه ببطلان هذه الدعوى، فقال: وذكر أنّ فيه أن الأئمة ثلاثة عشر، وليس فيه أصلاً[(١)].

وقال أبو علي الحائري قدس سره: أمّا كون الأئمة ثلاثة عشر، فإنّي تصفّحت الكتاب من أوّله إلى آخره فلم أجد فيه، بل في مواضع عديدة أنّهم اثنا عشر، وأحد عشر من ولد علي عليه السلام[(٢)].

ولعلّ منشأ التوهّم هو ما ورد في بعض موارد الكتاب من التعبير بـ «ثلاثة عشر رجلاً» التي ربما يُتوَهّم منها أنها تدل على ثلاثة عشر إماماً.

المورد الأول: قوله: فقام سلمان، فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد، وهم شهداء على الناس، الذين اجتباهم الله، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج، ملّة أبيهم إبراهيم؟ قال: عنى بذلك ثلاثة عشر رجلاً خاصّة دون هذه الأمّة. قال سلمان: بيّنهم لنا يا رسول الله؟ فقال: أنا وأخي وأحد عشر من ولدي. قالوا: اللهم نعم[(٣)].

ولا إشكال في هذا الحديث، فالمقصود من الثلاثة عشر النبي صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، وباقي الأئمة الأحد عشر من ولده عليهم السلام.

المورد الثاني: قوله: ثم ذكر مبعثه، ومولده، وهجرته، ومن يقاتله، ومن ينصره، ومن يعاديه، وكم يعيش، وما تلقى أمّته من بعده من الفرقة والاختلاف، وفيه تسمية كل إمام هدى وإمام ضلالة إلى أن يُنزل الله عيسى بن مريم من السماء، فذكر في الكتاب ثلاثة عشر رجلاً من ولد

---

(١) روضة المتقين ١/ ٣٦.

(٢) منتهى المقال ٣/ ٣٧٩.

(٣) كتاب سليم: ٢٠١.

إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، هم خير من خلق الله، وأحبُّ من خلق الله إلى الله[(١)].

والحديث واضح، ولا يحتاج إلى تأويل، فإنّ المراد من الثلاثة عشر هم: النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، والأئمة الاثنا عشر عليهم السلام من بعده.

ومن هذا النصّ يتبيّن مراد السيّد التفريشي قدس سره من قوله: قال بعض الأفاضل: رأيت فيما وصل إليّ من نسخة هذا الكتاب أنّ عبد الله بن عمر وعظ أباه عند موته، وأن الأئمة ثلاثة عشر من ولد إسماعيل، وهم: رسول الله صلى الله عليه وآله مع الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، ولا محذور في أحد هذين[(٢)].

إذن ليس مراده وقوع التصحيف في النسخة المتداولة، بل مراده نفي وجود ما ادّعاه ابن الغضائري رحمه الله من وجود ما يدل على أن الأئمة ثلاثة عشر.

المورد الثالث: قوله: فقام سلمان، فقال: يا رسول الله، من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد، وهم شهداء على الناس، الذين اجتباهم الله، وما جعل عليهم في الدين من حرج، ملة أبيهم إبراهيم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّما عنى بذلك ثلاثة عشر إنساناً: أنا، وأخي علي بن أبي طالب، وأحد عشر من ولدي، واحداً بعد واحد، كلّهم أئمة، القرآن معهم، وهم مع القرآن، لا يفترقون حتى يردوا عليَّ الحوض[(٣)].

والحديث واضح جدًّا، لا يحتاج إلى شرح أو مزيد إيضاح.

---

(١) كتاب سليم: ٢٥٣.

(٢) نقد الرجال ٢/ ٣٥٦.

(٣) كتاب سليم: ٢٩٩.

ثانياً: أنّ من يقرأ كتاب سليم رضي الله عنه يجد أنّه قد تعرّض فيه أكثر من مرّة إلى أنّ الأئمّة عليهم السلام اثنا عشر، وقد أحصى محقّق الكتاب الشيخ محمد باقر الأنصاري أكثر من عشرين مورداً، ذكر فيه أن عدد الأئمة عليهم السلام اثنا عشر[1].

ثالثاً: أنّ علماء الطائفة رووا روايات من كتاب سليم بن قيس تدلّ على أنّ الأئمة عليهم السلام اثنا عشر، بل وتذكرهم بأسمائهم، منهم:

١- ثقة الإسلام الكليني رضي الله عنه: جعل باباً في (الكافي) بعنوان: (باب فيما جاء في الاثني عشر والنص عليهم عليهم السلام)[2]، ذكر فيه رواية من كتاب سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه.

٢- ابن أبي زينب النعماني رضي الله عنه: جعل باباً كاملاً في كتاب (الغيبة)، أسماه (ما روي في أنّ الأئمة اثنا عشر إماماً وأنّهم من الله وباختياره)، ثمّ قال: «ومن كتاب سليم بن قيس الهلالي...»[3]، وذكر جملة من الروايات الدالة على ذلك.

٣- الشيخ الصدوق رضي الله عنه: ذكر في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة) عدّة روايات نقلها عن كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه في إثبات أنّ الأئمة اثنا عشر، وبيان صفاتهم وخواصّهم عليهم السلام .

رابعاً: أنه يكفينا لقطع هذا النزاع ما ذكره المسعودي رحمه الله في كتابه (التنبيه والإشراف)، حيث قال: والقطعيّة بالإمامة الاثنا عشرية منهم

---

(١) كتاب سليم ١/ ١٧٩.

(٢) الكافي ١/ ٥٢٩.

(٣) الغيبة: ٧٤.

الذين أصلهم في حصر العدد ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه، الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق»، ولم يرو هذا الخبر غير سليم بن قيس[١].

وهذا الرجل الذي يعبّر عنه بأب التاريخ وبهيرودت العرب ينصّ صراحة على أنّ مستند الشيعة في حصر الأئمّة في اثني عشر هو الكتاب المزبور!

نعم حاول بعضهم إيجاد وجه للكلام المنسوب لابن الغضائري رحمه الله بتسليمهم بعدم وجود نصّ يصرّح بأنّ الأئمّة ثلاثة عشر، لكن توجد روايات يفهم منها ذلك، وهي قوله: ألا وإنّ الله نظر إلى أهل الأرض نظرة، فاختار منهم رجلين: أحدهما أنا، فبعثني رسولاً ونبيًّا، والآخر علي بن أبي طالب، وأوحى إليَّ أن أتّخذه أخاً وخليلاً ووزيراً ووصيًّا وخليفة، ألا وإنّه وليّ كلّ مؤمن بعدي، من والاه والاه الله، ومن عاداه عاداه الله، لا يحبه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا كافر، هو زرّ الأرض بعدي وسكنها، وهو كلمة الله التقوى، وعروته الوثقى، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ألا وإنّ الله نظر نظرة ثانية، فاختار بعدنا اثني عشر وصيًّا من أهل بيتي، فجعلهم خيار أمّتي واحداً بعد واحد، مثل النجوم في السماء، كلّما غاب نجم طلع نجم[٢].

والجواب على الرواية من وجوه:

---

(١) التنبيه والإشراف: ١٩٩.

(٢) كتاب سليم: ٣٨٠.

أولاً: أنّ نفس هذه الرواية رويت بصورة أخرى ترفع الإشكال، وهي: ألا وإنّ الله نظر إلى أهل الأرض نظرة، فاختارني منهم، ثم نظر نظرة فاختار أخي عليًّا، ووزيري، ووصيّي، وخليفتي في أمّتي، ووليّ كل مؤمن بعدي، فبعثني رسولاً ونبيًّا ودليلاً، فأوحى إليّ أن أتّخذ عليًّا أخاً، ووليًّا، ووصيًّا، وخليفة في أمتي بعدي، ألا وإنّه وليُّ كلّ مؤمن بعدي، من والاه والاه الله، ومن عاداه عاداه الله، ومن أحبّه أحبّه الله، ومن أبغضه أبغضه الله، لا يحبّه إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا كافر، ربّ الأرض بعدي وسكنها، وهو كلمة الله التقوى، وعروة الله الوثقى، أتريدون أن تطفئوا نور الله بأفواهكم؟ والله متم نوره ولو كره المشركون، ويريد أعداء الله أن يطفئوا نور أخي، ويأبى الله إلا أن يتم نوره يا أيها الناس، ليبلّغ مقالتي شاهدكم غائبكم، اللهم اشهد عليهم. يا أيها الناس، إنّ الله نظر نظرة ثالثة فاختار منهم بعدي اثني عشر وصيًّا من أهل بيتي، وهم خيار أمّتي، منهم أحد عشر إماماً بعد أخي، واحداً بعد واحد، كلما هلك واحد قام واحد منهم، مثلهم كمثل النجوم في السماء، كلما غاب نجم طلع نجم؛ لأنّهم أئمّة هداة مهتدون، لا يضرّهم كيد من كادهم، ولا خذلان من خذلهم، بل يضر الله بذلك من كادهم وخذلهم، فهم حجّة الله في أرضه، وشهداؤه على خلقه، من أطاعهم أطاع الله، ومن عصاهم عصى الله، هم مع القرآن، والقرآن معهم، لا يفارقونه، ولا يفارقهم حتّى يردوا على حوضي[١].

وموضع الشاهد هو قوله: «إنّ الله نظر نظرة ثالثة، فاختار منهم بعدي اثني عشر وصيًّا من أهل بيتي، وهم خيار أمّتي، منهم أحد عشر

---

(١) كتاب سليم: ٢٣٦.

إماماً بعد أخي، واحداً بعد واحد، كلما هلك واحد قام واحد منهم».

بل ذكرت الرواية أسماء بعض أولئك الأئمّة، إذ جاء فيها قوله صلى الله عليه وآله: أوّل الأئمة أخي علي خيرهم، ثم ابني الحسن، ثم ابني الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين، وأمّهم ابنتي فاطمة، صلوات الله عليهم[١].

ومن هنا فإنّ الرواية الأولى إمّا تحمل على تصحيف (بعدي) إلى (بعدنا)، أو تصحيف (أحد عشر) إلى (اثني عشر)، ووقوع هذا ليس ببعيد، بل هو كثير الوقوع في الكتب[٢].

وقد جمع المحقّق التستري قدس سره الموارد التي وقع فيها مثل هذا التصحيف في الكتب المعتبرة، لا سيما في الكافي، فقال: وكيف كان فيمكن الجواب على هذا الطعن بأنّه من سوء تعبير الرواة، وإلّا فمثله في الكافي أيضاً موجود، ففي باب (ما جاء في النص على الاثني عشر)، في خبر عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنّي واثني عشر من ولدي وأنت يا علي زرّ الأرض»، إلى أن قال: «فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها»، وفي آخر عنه صلى الله عليه وآله: «من ولدي اثنا عشر، نقباء، نجباء، محدّثون، مفهّمون، آخرهم القائم...»، وفي خبر ثالث عن جابر الأنصاري قال: «دخلت على فاطمة وبين يديها لوح فيها أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر...»، وفي خبر رابع عن الباقر عليه السلام: الاثنا عشر إماماً من آل محمد، كلّهم محدّث،

---

(١) كتاب سليم: ٢٣٧.

(٢) اتّهم صاحب كتاب (التأسيس في نسبة كتاب سليم بن قيس) أبان بوضع هذه الرواية؛ لكونه زيديًّا كما تقدّم، والحال أنّ بطلان هذا التخريف من الواضحات، حيث أنّ القاصي والداني يعلم أنّ الإمامة عند الزيدية ليست بالاختيار والنصّ الإلهي.

من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وولد علي بن أبي طالب عليه السلام...»[1].

فهل يلتزم صاحب الإشكال أنّ الكافي موضوع؛ لابتلائه بنفس ما في كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه؟

وأمّا ما ذكره النجاشي رحمه الله في ترجمة هبة الله الكتاب من قوله: وكان يتعاطى الكلام، ويحضر مجلس أبي الحسين بن الشبيه العلوي الزيدي المذهب، فعمل له كتاباً، وذكر أنّ الأئمّة ثلاثة عشر مع زيد بن علي بن الحسين، واحتجّ بحديث في كتاب سليم بن قيس الهلالي: إنّ الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين عليه السلام[2].

فلا دلالة فيه على وقوع تحريف أو تخليط أو وضع في الكتاب، فالمشكلة في احتجاج الرجل، لا في أصل الكتاب، ولا في متن الحديث كما قدّمنا، ويكفينا دلالة على هذا ما حصل في زمننا من استدلال أتباع أحمد إسماعيل گاطع بروايات كتاب (الكافي) وغيره لإثبات أنّ صاحبهم هو الإمام الثالث عشر!

فهل يلزم من هذا إسقاط كتاب (الكافي)؟!

والمحقّق التستري قدس سره بذلك جهداً مشكوراً حيث جمع جلّ هذه الأخبار من كتب الحديث المعتبرة، وبسط الكلام في تبيان وجهها، ثم عقّب بقوله: هذا ونقل الشيخ في غيبته في ردّ فرق الشيعة المبطلة أنّ فيهم فرقة قالوا للخلف ولداً، وأنّ الأئمّة ثلاثة عشر، ولعلّهم استندوا لمثل هذه

---

(١) قاموس الرجال ٥/ ٢٣٧.

(٢) فهرست النجاشي: ٤٤٠.

الأخبار المحرّفة[١].

وعليه فلا يوجد أي نصّ في كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه يمكن أن يُقطع بوضعه كما صنع البعض، بل يمكننا أن نقول: إنّه لا يوجد أي مضمون في كتاب سليم لا وجود له في الكتب الشيعية والتاريخية الأخرى[٢].

كلمات علماء الشيعة في كتاب سليم رضي الله عنه:

نختم هذا الملحق بذكر كلمات حماة الدين وأساطين المذهب حملة علوم أهل البيت عليهم السلام في كتاب سليم بن قيس الهلالي:

١. ابن أبي زينب النعماني رضي الله عنه (توفي٤٦٢هـ):

قال قدس سره: وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السلام خلاف في أنّ كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب

(١) الأخبار الدخيلة ١/ ١٠.

(٢) لقد حاول صاحب كتاب (التأسيس في نسبة كتاب سليم بن قيس) نقد بعض متون الكتاب، إلّا أنّه خرج عن حدود النقد الموضوعي، وأصبح دأبه إسقاط الكتاب بأحكام مسبقة على الروايات، فقد جعل محاولة اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام في المسجد دليلاً على وضع الكتاب، والحال أنّها منقولة في كتب المسلمين، وجعل ذكر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام في الكتاب أمارة على وضعه، كما جعل كتب أهل السنة حاكمة على كتاب سليم، فبمجرد أن يرى أيّ تفاوت بين روايات كتاب سليم وروايات أهل السنة، فإنه يتّهم أبان بالزيادة، ويبرّئ إخوانه من التلاعب بالنقيصة، ولو صدر مثل هذا الإستدلال من مخالف لما تعجّبنا منه؛ لأنهم رغم كثرة تلاعبهم بالكتب والروايات وتزوير الحقائق فإنهم يتّهمون الشيعة بدائهم من باب (رمتني بدائها وانسلّت)، أما أن يصدر هذا من شخص يدّعي التشيع فتلك أعجوبة العجائب، نعوذ بالله من الخذلان.

الأصول التي رواها أهل العلم، ومن حملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها؛ لأنّ جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنّما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، والمقداد، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، وسمع منهما، وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها ويعوَّل عليها[(١)].

٢. السيد ابن طاووس الحلي رضي الله عنه (توفي ٦٧٧هـ):

قال قدس سره في ترجمة سليم بن قيس: تضمّن الكتاب ما يشهد بشكره وصحّة كتابه[(٢)].

٣. الحسن بن سليمان الحلي رضي الله عنه (القرن التاسع):

قال قدس سره: ومن كتاب سليم بن قيس الهلالي رحمة الله عليه، الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش، وقرأه جميعه على سيّدنا علي بن الحسين عليهما السلام بحضور جماعة أعيان من الصحابة، منهم أبو الطفيل، فأقرّه عليه زين العابدين عليه السلام، وقال: هذه أحاديثنا صحيحة[(٣)].

٤. الشيخ محمد تقي المجلسي رضي الله عنه (توفي ١٠٧٠هـ):

قال قدس سره: (وروي عن سليم بن قيس الهلالي) لم يذكر، والظاهر أنّه أخذه من كتابه، وعندنا كتابه، ومتنه يشهد بصحّته، وما نسبه إليه بعض المجاهيل أن هذا الكتاب وضعه أبان، ونسبه إلى سليم، فغلط نشأ من عدم

---

(١) الغيبة: ١٠٣.

(٢) التحرير الطاووسي: ٢٥٣.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ٤٠.

التتبّع؛ فإنه رواه ثقات أصحابنا، وعرضوه على الأئمة عليهم السلام، منهم: حماد بن عيسى، وحماد بن عثمان، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم، ومنهم: جابر بن يزيد الجعفي، وحكم بصحّته ثقة الإسلام والصدوق[١].

٥. الشيخ محمد بن الحر العاملي رضي الله عنه (توفي ١١٠٤هـ):

فإنّه اعتبر كتاب سليم من: الكتب المعتمدة، التي نقل منها أحاديث كتاب (وسائل الشيعة)، وشهد بصحّتها مؤلّفوها وغيرهم، وقامت القرائن على ثبوتها، وتواترها عن مؤلّفيها، أو عُلمت صحّة نسبتها إليهم، بحيث لم يبق فيها شكّ أو ريب، كوجودها بخطوط أكابر العلماء، وتكرّر ذكرها في مصنفاتهم، وشهادتهم بنسبتها، وموافقة مضامينها لروايات الكتب المتواترة، أو نقلها بخبر واحد محفوف بالقرينة وغير ذلك[٢].

وقال في الفوائد الطوسية: وهذا كتاب سليم بن قيس الهلالي الذي صنّفه في زمان أمير المؤمنين عليه السلام، وكتبه وعرضه على الأئمّة عليهم السلام، مشهور معروف مذكور في كتب الرجال، موجود إلى الآن، وعندنا منه نسختان، ونسخته كثيرة متعدّدة في أصفهان، وقم، وقزوين، وكاشان، وجبل عامل، وغير ذلك[٣].

٦. المحقق التفريشي رضي الله عنه (القرن الحادي عشر):

قال قدس سره: إنّي لم أجد في جميع ما وصل إليّ من نسخ هذا الكتاب إلا

---

(١) روضة المتقين ١١/ ٣٦.

(٢) وسائل الشيعة ٣٠/ ١٥٣.

(٣) الفوائد الطوسية: ٢٤٣.

كما نقل هذا الفاضل، والصدق مبيّن في وجه أحاديث هذا الكتاب من أوله إلى آخره[١].

٧. السيد هاشم البحراني رضي الله عنه (توفي ١١٠٧هـ):

قال قدس سره: ذكر سليم بن قيس في كتابه، وهو كتاب مشهور معتمد، نقل منه المصنِّفون في كتبهم، وهو من التابعين، رأى عليًّا وسلمان وأبا ذر...[٢]

٨. العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي رضي الله عنه (توفي ١١١١هـ):

قال قدس سره: وكتاب سليم بن قيس في غاية الاشتهار، وقد طعن فيه جماعة، والحقّ أنّه من الأصول المعتبرة[٣].

٩. المحقّق الشيخ يوسف البحراني قدس سره (توفي ١١٨٦هـ):

قال قدس سره: وفي كتاب سليم بن قيس، وهو أحد الأصول المشهورة والكتب المأثورة المعتمد عليها عند محققي أصحابنا كما صرح به شيخنا المجلسي رحمه الله في كتاب البحار[٤].

١٠. المحقق الرجالي أبو علي الحائري (توفي ١٢١٦هـ):

قال قدس سره: وقوله: «لضعف السند»، ما في (الكافي) و(الخصال) أسناد متعدّدة: صحيحة ومعتبرة، والظاهر منهما أنّ روايتهما عن سليم من كتابه،

---

(١) نقد الرجال ٢/ ٣٥٦.

(٢) غاية المرام ٥/ ٣١٣.

(٣) بحار الأنوار ١/ ٣٢.

(٤) الحدائق الناضرة ٢٥/ ٣٧٣.

وإسنادهما إليه إلى ما رواه فيه، وهو الراجح، مضافاً إلى أنّ روايتهما عنه في حديث واحد تارة عن ابن أذينة عن أبان عنه، وأخرى عن حمّاد عن إبراهيم بن عمر عن أبان عنه، فتدبّر. والظاهر من روايتهما صحّة نسخة كتابه الذي كان عندهما، كما يظهر من جش وكش وست أيضاً، بل ربما يظهر منهم صحّة نفس كتابه سيّما من (الكافي)، فتأمّل، فلعلّ نسخة غض كانت سقيمة.

١١. الشيخ أحمد آل طعّان القطيفي قدس سره (توفي ١٣١٥هـ):

قال قدس سره: ففي كتاب سليم بن قيس الهلالي المعدود من الأصول المعتمدة، كما صرّح به المحقّقون المحدّثون والمجتهدون[١].

١٢. المحدِّث الميرزا حسين النوري الطبرسي قدس سره (توفي ١٣٢٠هـ):

قال قدس سره: قلت: كتابه من الأصول المعروفة، وللأصحاب إليه طرق كثيرة، وقال الشيخ الأجل أبو عبد الله النعماني في كتابه في (الغيبة): ليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السلام خلاف في أنّ كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من كتب الأصول التي رواها أهل العلم، وحملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها... إلى أن قال: وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها، وتعوّل عليها.

١٣. العلامة الشيخ عبد الله المامقاني قدس سره (توفي ١٣٥١هـ):

قال قدس سره: وقد تحقّق ممّا ذكرنا كلّه وتلخّص أنّ كتاب سليم بن قيس

---

(١) الرسائل الأحمدية ٢/ ٣٧٩.

في غاية الاعتبار، وأنّ ما استشهد به على كونه موضوعاً قد عرفت فساده[(١)].

١٤ . المحدّث الشيخ عباس القمي قدس سره (توفي ١٣٥٩ هـ):

قال قدس سره: وهو أصل من الأصول التي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت عليهم السلام، وهو أول كتاب ظهر للشيعة، معروف بين المحدِّثين، اعتمد عليه الشيخ الكليني والصدوق وغيرهما من القدماء رضوان الله عليهم[(٢)].

١٥ . العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره (توفي ١٣٧٧ هـ):

قال قدس سره: ومنهم سليم بن قيس الهلالي صاحب علي عليه السلام، روى عنه وعن سلمان الفارسي، له كتاب في الإمامة ذكره الإمام محمد بن إبراهيم النعماني في (الغيبة)، فقال: وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من كتب الأصول التي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت وأقدمها، وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها وتعول عليها[(٣)].

١٦ . المحقق آغا بزرك الطهراني قدس سره (توفي ١٣٨٩ هـ):

قال قدس سره: كتاب سليم هذا من الأصول الشهيرة عند الخاصة والعامة، قال ابن النديم: «هو أوّل كتاب ظهر للشيعة»، ومراده أنّه أوّل

---

(١) تنقيح المقال ٣٢/ ٤٢٦.

(٢) الكنى والألقاب ٢/ ٢٩٣.

(٣) المراجعات: ٤٦٩.

كتاب ظهر فيه أمر الشيعة، كما أشير إليه في الحديث توصيفه بأنه أبجد الشيعة.

١٧. العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني قدس سره (توفي ١٣٩٠ هـ):

قال قدس سره: كتاب سليم من الأصول المشهورة المتداولة في العصور القديمة المعتمد عليها عند محدِّثي الفريقين وحملة التاريخ، قال ابن النديم في الفهرست ص ٣٠٧: إنّ سليماً لما حضرته الوفاة قال لأبان: إنّ لك عليَّ حقًّا، وقد حضرتني الوفاة يا ابن أخي، إنّه كان من أمر رسول الله كيت وكيت. وأعطاه كتاباً، وهو كتاب سليم بن قيس الهلالي المشهور. إلى أنّ قال: وأوّل كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم. وفي التنبيه والإشراف للمسعودي ص ١٩٨ ما نصّه: والقطعية بالإمامة الاثنا عشرية منهم الذين أصلهم في حصر العدد ما ذكره سليم بن قيس الهلالي في كتابه. وقال السبكي في (محاسن الرسائل في معرفة الأوائل): إنّ أوّل كتاب صُنّف للشيعة هو كتاب سليم، واللام في كلام ابن النديم والسبكي للمنفعة، فمفادها أنهم كانوا يحتجّون به، فيخصمون المجادل؛ لاقتناعه بما فيه، ثقةً بأمانة سليم في النقل، لا محض أنّ الشيعة تقتنع بما فيه، وهو الذي يعطيه كلام المسعودي، حيث أسند احتجاج الإمامية الاثني عشرية في حصر العدد بما فيه، فإن الاقتناع بمجرّده غير مجدٍ في عصورٍ قام الحِجَاج فيها على أشدّها، ولذلك أسند إليه، وروى عنه غير واحد من أعلام العامّة، منهم الحاكم الحسكاني المترجم ص ١١٢ في (شواهد التنزيل لقواعد التفضيل)، والإمام الحمويني المترجم ص ١٢٣ في (فرايد السمطين)، والسيد ابن شهاب الهمداني المذكور ص ١٢٧ في (مودّة القربى)، والقندوزي الحنفي

المترجم ص ١٤٧ في (ينابيع المودّة)، وغيرهم، وحول الكتاب كلمات دُرّيّة أفردناها في رسالة، وإنما ذكرنا هذا الإجمال لتعلم أنّ التعويل على الكتاب مما تسالم عليه الفريقان، وهو الذي حدانا إلى النقل عنه في كتابنا هذا[١].

١٨ ـ السيّد شهاب الدين النجفي المرعشي رضي الله عنه (توفي ١٤١١هـ):

قال قدس سره: وكتابه معروف، طبع بمرات، وهو من أقدم الكتب عند الشيعة وأصحّها، بل حكم بعض العامّة بصحّته أيضاً[٢].

الخلاصة:

إنّ كتاب سليم بن قيس رضي الله عنه من الأصول المهمّة التي نقلت لنا الأحداث التاريخية التي حصلت بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وآله، والتي كانت سبباً في انقسام المسلمين، وكلّ ما أورد على هذا الكتاب قد تمّت مناقشته والإجابة عليه.

وما ذكرناه نحن ليس إلّا مجرّد اطلالة على الكتاب، وإلّا فالمقام ليس مقام بسط الكلام في المناقشات الدرائية والمباني الرجالية، وقد ناقش ما أثير حول الكتاب مجموعة من العلماء، وذكروا عدّة وجوه لتصحيحه واعتباره، بما يجعل كلّ منصف يطمئن بهذا الكتاب.

وقد صادف أن فرغت من هذا الملحق في صبيحة يوم الجمعة الموافق للعشرين من شهر جمادى الآخر، ذكرى مولد سيدتنا ومولاتنا الزهراء عليها السلام، ممّا جعلني أستبشر وأتفاءل بهذا الكتاب.

---

(١) الغدير ١/ ١٩٤.

(٢) شرح احقاق الحق ١/ ٥٥.

نسأل الله عزّ وجلّ بحقّ أوليائه الأطهار عليهم السلام أن يرينا الحقّ حقًّا كي نتبّعه، ويوفّقنا لاتّباعه وإظهاره، ويرينا الباطل باطلاً، ويوفّقنا لاجتنابه ومحقه، إنّه عزيز رحيم، وصلّى الله على محمد وآل محمد.

مصادر الكتاب

١- **القرآن الكريم.**

(أ)

٢- **أبواب الجنان وبشائر الرضوان**: الشيخ خضر بن شلال العفكاوي، مركز الزهراء الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، تحقيق: الشيخ قيس بهجت العطّار.

٣- **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**: النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد بن محمد بن فهد المكي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٤- **الإحكام في أصول الأحكام**: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد الثعلبي الآمدي، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، المحقق: عبد الرزاق عفيفي.

٥- **أسنى المطالب في شرح روضة الطالب**: زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، دار الكتاب الإسلامي.

٦- **الإرشاد لمعرفة حجج الله على العباد**: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية ١٩٩٣م، بيروت.

٧- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية مصر، الطبعة السابعة.

٨- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبو السعود)**: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى.

٩- **الأرجوزة المختارة**: القاضي أبو حنيفة النعمان المغربي، معهد الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

١٠- **إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**: المحدّث الشاه ولي الله الدهلوي، دار القلم دمشق الشام، تحقيق: المحدث تقي الدين الندوي، ترجمة: فيروز أختر الندوي

١١- **إحقاق الحق وإزهاق الباطل**: الشهيد القاضي نور الله الحسيني التستري، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي قم إيران، تحقيق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

١٢- **الآحاد والمثاني**: ابن أبي عاصم، دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩١م، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة.

١٣- **أخبار المدينة**: محمد بن الحسن ابن زبالة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، تحقيق: صلاح عبد العزيز سلامة.

١٤- **استخراج المرام من استقصاء الإفحام**: السيد علي الحسيني الميلاني، صداقت قم المقدسة.

١٥- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: مجد الدين المبارك بن محمد ابن الأثير، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٦- **الإستيعاب في معرفة الأصحاب**: يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الجيل بيروت لبنان،الطبعة الأولى١٩٩٢.

١٧- **الإصابة في تمييز الصحابة**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥.

١٨- **أطراف الغرائب والأفراد**: أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٩- **الأحاديث المختارة**: ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٢٠- **أحاديث يحتج بها الشيعة**: عبد الرحمن الدمشقية، اعتمدنا على النسخة الموجودة في موقعه الرسمي.

٢١- **الاحتجاج**: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مكتبة دار المجتبى النجف الأشرف العراق، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٢٢- **اختيار معرفة الرجال**: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩.

٢٣- **الاختصاص**: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٤- **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين السيوطي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

٢٥- **إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب** عليه السلام: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي الهذلي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

٢٦- **إقبال الأعمال**: السيد رضي الدين ابن طاووس الحلي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني.

٢٧- **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت لبنان.

٢٨- **الأعلام**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

٢٩- **أعيان الشيعة**: السيد محسن الأمين العاملي، دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣.

٣٠- **إعجاز القرآن**: القاضي أبو بكر الباقلّاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، بعناية خالد العطار.

٣١- **الإكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**: سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٣٢- **إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله الحنفي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٣٣- **الإكمال في أسماء الرجال**: شيخ ولي الدين محمد المعروف بالخطيب التبريزي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، قم المقدسة.

٣٤- **الأموال**: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي، دار الفكر بيروت لبنان، تحقيق: خليل هراس.

٣٥- **الأموال**: حميد بن مخلد ابن قتيبة المعروف بابن زنجويه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، تحقيق: شاكر ذيب فياض.

٣٦- **الأنساب**: أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، دار الجنان للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، تحقيق: عبد الله عمر البارودي.

٣٧- **أنساب الأشراف**: أحمد بن يحي البلاذري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

٣٨- **ألف باء في أنواع الآداب والفنون والمحاضرات واللغة**: أبو الحجاج بن يوسف بن محمد البلوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ.

٣٩- **الإلزامات والتتبّع**: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الداقطني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٥م، تحقيق: مقبل الوادعي.

٤٠- **الأمالي**: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٤١- **الأمالي**: الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٤٢- **الأمالي**: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٤٣- **الإمامة والسياسة**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع، تحقيق: طه محمد زيني.

٤٤- **الإمامة والسياسة**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، انتشارات الشريف الرضي، تحقيق: علي شيري.

٤٥- **أوائل المقالات**: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري المفيد، دار

الكتاب الإسلامي بيروت لبنان.
٤٦- **الأوائل:** أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار البشير طنطا مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(ب)

٤٧- **بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار:** العلامة محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
٤٨- **البداية والنهاية:** أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨.
٤٩- **البدء والتاريخ:** ابن طاهر المطهري المقدسي، ابن النديم للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ٢٠١٥م، تحقيق: كلمان هورت، بن مزيان بن شرقي.
٥٠- **بلاغات النساء:** أبو الفضل بن أبي طاهر (ابن طيفور)، منشورات مكتبة بصيرتي قم المقدسة.
٥١- **بيت الأحزان:** المحدّث الشيخ عباس القمي، دار الحكمة للنشر والتوزيع.

(ت)

٥٢- **تاريخ بغداد:** أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٥٣- **تاريخ مدينة دمشق:** أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٩٩٦م.

٥٤- **تاريخ المدينة**: أبو زيد عمر بن شبّة النميري، منشورات دار الفكر بيروت لبنان .

٥٥- **تاريخ اليعقوبي**: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي، دار صادر بيروت لبنان.

٥٦- **تاريخ ابن خلدون**: عبد الرحمن بن خلدون المغربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

٥٧- **تاريخ الأمم والملوك**: محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٨٩م.

٥٨- **التاريخ الصغير**: محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٥٩- **تاريخ ابن معين (رواية عثمان الدارمي)**: يحيى بن معين بن عون بن زياد البغدادي، دار المأمون للتراث دمشق، تحقيق: أحمد محمد نور سيف.

٦٠- **تاريخ الخلفاء العباسيين**: علي بن أنجب المعروف بابن الساعي، مكتبة الآداب بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، تحقيق: عبد الرحيم يوسف الجمل.

٦١- **تاج العروس من جواهر القاموس**: محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٦٢- **التأسيس في نسبة كتاب سليم بن قيس**: حسين علي المصطفى، المركز الإسلامي الثقافي، مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.

٦٣- **تأويل مشكل القرآن**: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، مكتبة دار التراث القاهرة، تحقيق السيد أحمد صقر .

٦٤- **تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب**: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٦٥- **تثبيت الإمامة**: الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم الرسي، دار الإمام السجاد عليه السلام بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

٦٦- **تقريب التهذيب**: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٦٧- **التقليد والعقائد ألف فتوى وسؤال**: السيد محمد صادق الحسيني الروحاني، المؤسسة العاملية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٦٨- **التقية في شعر الشريف الرضي**: إيمان محمد أمين الكيلاني، بحث ضمن مجلة دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة عمان الأردن.

٦٩- **التسهيل لعلوم التنزيل**: محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.

٧٠- **تحف العقول عن آل الرسول**: الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٧١- **تحفة المحتاج إلى أدلّة المنهاج**: سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المعروف بابن الملقن، دار حراء مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٧٢- **التحرير الطاووسي المستخرج من حلّ الإشكال**: الشيخ حسن بن زين الدين صاحب المعالم، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٧٣- **تدريب الرّاوي في شرح تقريب النواوي**: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الرياض الحديثة.

٧٤- **تذكرة الحفاظ**: شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٧٥- **التذكرة الحمدونية**: محمد بن الحسن بن محمد ابن حمدون، دار صادر للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، تحقيق: احسان عباس/ بكر عباس.

٧٦- **تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة**: أبو المظفر يوسف بن قيز أوغلي المعروف بسبط بن الجوزي، مكتبة نينوى للنشر والتوزيع، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم.

٧٧- **تطهير الجنان واللسان عن خطورة التفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان**: أحمد بن حجر الهيتمي المكي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٧٨- **تصحيح الاعتقادات**: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٩- **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢.

٨٠- **تفسير علي بن ابراهيم** : علي بن ابراهيم بن هاشم القمي، مؤسسة

دار الكتاب للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.
٨١- **تفسير العياشي:** محمد بن مسعود العياشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ.
٨٢- **تفسير فرات الكوفي:** فرات بن ابراهيم الكوفي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان.
٨٣- **تفسير الجلالين:** جلال الدين السيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، دار الفكر بيروت لبنان.
٨٤- **تفسير التحرير والتنوير:** الإمام محمد طاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان.
٨٥- **تفسير مقاتل بن سليمان:** مقاتل بن سليمان البلخي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، تحقيق: عبد الله محمود شحاته.
٨٦- **تفسير البحر المحيط:** أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، تحقيق: عادل أحمد/ علي معوض.
٨٧- **تفسير القشيري (لطائف الإشارات):** عبد الكريم بن هوازن القشيري، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، الطبعة الثالثة، تحقيق: ابراهيم بسيوني.
٨٨- **تأويل مختلف الحديث:** عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٨٩- **تقريب المعارف في الكلام:** تقي الدين أبو الصلاح الحلبي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام بيروت لبنان، طبعة سنة ١٩٨٧م، تحقيق: رضا

أستاذي.

٩٠- **تراثنا**: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة اطلاعات طهران.

٩١- **التعليق على صحيح مسلم**: محمد بن صالح العثيمين، باشراف مؤسسة الشيخ محمد صالح العثيمين الخيرية، مكتبة دار الرشد، الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ.

٩٢- **التعجّب من أغلاط العامّة في مسألة الإمامة**: القاضي محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، تحقيق: فارس حسّون.

٩٣- **تلخيص المستدرك**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة للنشر والتوزيع بيروت لبنان .

٩٤- **تلخيص الشافي**: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة انتشارات المحبين إيران، الطبعة الأولى، تحقيق: السيد حسين بحر العلوم.

٩٥- **تهذيب الأسماء واللغات**: محيي الدين النووي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٩٦- **تهذيب التهذيب**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٩٧- **تهذيب اللغة**: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٩٨- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ، تحقيق: بشار عواد معروف.

٩٩- **التنبيه والإشراف**: أبو الحسن علي بن الحسين الهذلي المسعودي، دار ومكتبة الهلال بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨١م.

١٠٠- **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

١٠١- **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**: عبد الرحمن بن يحيى المعلّمي اليماني، مكتبة المعارف الرياض السعودية.

١٠٢- **تنقيح المقال في علم الرجال**: العلامة الشيخ عبد الله المامقاني، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، تحقيق: الشيخ محي الدين المامقاني/ الشيخ محمد رضا المامقاني.

١٠٣- **تنوير الحوالك على موطأ الإمام مالك**: جلال الدين السيوطي، دار ابن الهيثم القاهرة مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م، تحقيق محمد عبد السلام.

١٠٤- **توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار**: محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الاولى ١٩٩٨م.

(ث)

١٠٥- **الثقات**: أبو حاتم محمد بن حبان البستي-دار الفكر بيروت لبنان- تحقيق شرف الدين أحمد- الطبعة الأولى١٩٧٥.

(ج)

١٠٦- **الجامع الصحيح**: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨١.

١٠٧- **الجامع الصحيح**: مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٨١.

١٠٨- **الجامع لأحكام القرآن**: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار احياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الاولى ١٩٨٥.

١٠٩- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٥.

١١٠- **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**: أبو سعيد بن خليل العلائي، عالم الكتب بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

١١١- **الجرح والتعديل**: أبو بكر بن أبي حاتم الرازي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

١١٢- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**: عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المالكي، دار احياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

١١٣- **جلاء العيون في سيرة رسول الله وابنته السيدة الزهراء وأئمّة أهل البيت** عليهم السلام: السيد عبد الله شبر ، دار المرتضى بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

١١٤- **الجمل**: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

١١٥- **جمع الوسائل في شرح الشمائل**: علي بن نور الدين الملا الهروي

القاري، المطبعة الشرفية مصر.

١١٦- **جنة المأوى**: الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، دارأنوار الهدى، تحقيق: السيد محمد علي القاضي، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ.

(ح)

١١٧- **الحاشية على مراقي الفلاح في شرح نور الإيضاح**: أحمد بن محمد بن اسماعيل الطحطاوي الحنفي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١١٨- **الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة**: المحقق الشيخ يوسف البحراني، مؤسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المقدّسة.

١١٩- **حقبة من التاريخ**: عثمان بن محمد الخميس، مكتبة الإمام الذهبي الكويت، الطبعة السادسة ٢٠١٣م.

١٢٠- **حوار مع فضل الله حول الزهراء عليها السلام**: السيد هاشم الهاشمي، دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.

(خ)

١٢١- **الخصال**: الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، تحقيق: علي أكبر غفاري.

١٢٢- **خاتمة مستدرك الوسائل**: المحدّث الميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى رجب ١٤٢٥هـ.

١٢٣- **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال**: العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، تحقيق: الشيخ جواد القيومي.

(د)

١٢٤- **دراسات تاريخية**: أكرم ضياء العمري، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٢٥- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر بيروت لبنان.

١٢٦- **الدرة الثمينة في أخبار المدينة**: محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار، دار الزمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

١٢٧- **دلائل الإمامة**: ابو جعفر محمد بن جرير الطبري الصغير- مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان- الطبعة الثانية ١٩٨٨.

١٢٨- **دلائل الصدق**: الشيخ محمد حسن المظفر، سلسلة المكتبة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٨٩م.

(ذ)

١٢٩- **الذريعة إلى تصانيف الشيعة**: آغا بزرك الطهراني، دار الأضواء بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٣.

١٣٠- **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**: محب الدين أحمد بن علي الطبري، دار الكتب المصرية.

(ر)

١٣١- **الرجال:** أحمد بن الحسين بن عبيد الله الواسطي المعروف بابن الغضائري، دار الحديث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، تحقيق: السيد محمد رضا الجلالي.

١٣٢- **الرجال:** أحمد بن محمد بن خالد البرقي، انتشارات دانشكاه تهران، شماره ٨٥٧.

١٣٣- **الرجال (الأبواب):** شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٣٤- **رجال الخاقاني:** الفقيه الأكبر الشيخ علي الخاقاني، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم.

١٣٥- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** شهاب الدين محمود بن عبدالله الآلوسي، دار احياء التراث العربي بيروت.

١٣٦- **روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه:** الشيخ محمد تقي المجلسي، دار المصطفى لإحياء التراث، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

١٣٧- **روضة الطالبين وعمدة المفتين:** أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩١م، تحقيق: زهير شاويش.

١٣٨- **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية:** عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،

الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
١٣٩- **الرسائل الأحمدية:** الشيخ أحمد آل طعّان القطيفي، المصطفى لإحياء التراث إيران قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
١٤٠- **رسالة في حديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث:** الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالمفيد، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان.
١٤١- **الرياض النضرة في مناقب العشرة:** أبو جعفر أحمد المحب الطبري، المكتبة التوفيقية للطباعة والنشر.

(ز)

١٤٢- **زاد المعاد في هدي خير العباد:** محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الفجر للتراث القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠١٠.

(س)

١٤٣- **سؤالات البرقاني للدارقطني:** أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، كتب خانه جميلي باكستان الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، تحقيق: عبد الرحيم القشقري.
١٤٤- **سؤالات الآجري لأبي داود في معرفة الرجال وجرحهم وتعديلهم:** أبو عبيد الآجري، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
١٤٥- **سرّ العالمين وكشف ما في الدارين:** حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، نسخة مصورة من مكتبة المصطفى الإلكترونية.

١٤٦- **كتاب سليم بن قيس**: سليم بن قيس الهلالي العامري، مطبعة الهادي قم إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٤٧- **كتاب سليم بن قيس**: سليم بن قيس الهلال العامري، منشورات دليل ما، تحقيق: محمد باقر الأنصاري الزنجاني.

١٤٨- **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٣م

١٤٩- **سلسلة الأحاديث الضعيفة**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

١٥٠- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

١٥١- **سير أعلام النبلاء**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة التاسعة ١٩٩٣.

١٥٢- **سنن أبي داود**: سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر بيروت لبنان، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليق: كمال الحوت.

١٥٣- **السنن الكبرى**: أحمد بن شعيب النسائي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩١.

١٥٤- **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار الفكر بيروت لبنان، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف.

١٥٥- **سنن الدارمي**: عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٥٦- **سنن ابن ماجة**: محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥٧- **السيرة النبوية**: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، دار الجيل بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

١٥٨- **السيرة النبوية**: محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤هـ، تحقيق: أحمد فريد المزيدي.

١٥٩- **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**: علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي- المطبعة الأزهرية بمصر- الطبعة الثانية ١٩٣٢.

١٦٠- **السنة**: أحمد بن محمد بن هارون الخلال، دار الراية للنشر والتوزيع الرياض السعودية، الطبعة الخامسة ٢٠٠٥.

١٦١- **السيرة النبوية**: أبو الفدا إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٧٦م.

١٦٢- **السنة**: عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني

١٦٣- **السنة**: عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، دار البصيرة الاسكندرية الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، تحقيق نبيل صلاح سليم.

١٦٤- **السنة**: محمد بن نصر المروزي، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

١٦٥- **السنن الكبرى**: أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣.

١٦٦- **سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ شخصيته وعصره**: محمد علي الصلابي، دار المعرفة بيروت لبنان.

(ش)

١٦٧- **الشافي في الإمامة**: الشريف علي بن الحسين الموسوي المرتضى، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر طهران إيران، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

١٦٨- **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**: تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المكي الفاسي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٦٩- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي بقم المقدسة، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي.

١٧٠- **شرح نهج البلاغة**: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني، الدار اللبنانية للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

١٧١- **شرح أصول الكافي**: المولى محمد صالح المازندراني، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الثانية ٢٠٠٨.

١٧٢- **شرح علل الترمذي**: عبد الرحمن بن أحمد المعروف بابن رجب الحنبلي، دار الكلمة للنشر والتوزيع مصر المنصورة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

١٧٣- **شرح صحيح مسلم**: أبو زكريا يحي بن شرف النووي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧.

١٧٤- **الشرح الجديد للتجريد**: المحقّق أحمد بن محمد الأردبيلي، مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي حوزة علمية قم، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

١٧٥- **شرح مشكل الآثار**: أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٥.

١٧٦- **شرح المقاصد في علم الكلام**: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، عالم الكتب بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.

١٧٧- **الشجرة النبوية في نسب خير البرية**: يوسف بن الحسن بن عبد الهادي المقدسي، دار ابن كثير دمشق سوريا، تحقيق: محي الدين ديب مستو.

(ص)

١٧٨- **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**: أحمد بن زكريا بن فارس، المكتبة السلفية بالقاهرة.

١٧٩- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٨٠- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين بالقاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٨٧.

١٨١- **صراط النجاة**: السيد أبو القاسم الخوئي وتعليق الميرزا جواد التبريزي، دار المحجة البيضاء بيروت لبنان، دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

١٨٢- **الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم**: زين الدين علي بن يونس العاملي البياضي، المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الطيعة الأولى.

١٨٣- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**: أبو حاتم محمد بن حبان

البستي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
١٨٤- **الصواعق المحرقة في الرّد على أهل البدع والزندقة**: أحمد بن حجر الهيثمي المكي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

(ض)

١٨٥- **الضعفاء الكبير**: محمد بن عمرو العقيلي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٨.

(ط)

١٨٦- **الطبقات الكبرى**: محمد بن سعد بن منيع البغدادي، دار صادر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٨.
١٨٧- **الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف**: السيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر المعروف بابن طاووس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م

(ع)

١٨٨- **العبر في خبر من غبر**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، التراث العربي للمطبوعات والنشر الكويت، تحقيق: فؤاد سيد.
١٨٩- **العدة في أصول الفقه**: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، دار ستاره قم المقدسة، تحقيق: محمد رضا الأنصاري.
١٩٠- **عقيدة الإمام بن قتيبة**: علي بن نفيع العلياني، مكتبة الصديق،

الطبعة الأولى ١٩٩١م.

١٩١- **عيون الأخبار**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م، تحقيق: يوسف علي الطويل.

١٩٢- **عيون أخبار الرضا** عليه السلام: الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٩٣- **عمدة القاري في شرح صحيح البخاري**: بدر الدين محمد بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

١٩٤- **علل الشرائع**: محمد بن علي بن بابويه الصدوق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان.

١٩٥- **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي** صلى الله عليه وسلم: القاضي أبو بكر بن العربي الأندلسي، مكتبة الصفا مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

١٩٦- **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**: محمد بن عبد الله بن يحي المعروف بابن سيد الناس، مؤسسة عزّ الدين للطباعة والنشر بيروت لبنان.

١٩٧- **العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ، تحقيق: ابراهيم السامرائي ومهدي المخزومي.

(غ)

١٩٨- **غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام:** السيد هاشم البحراني التوبلاني، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان.

١٩٩- **غاية المرام بأخبار سلطنة البيت الحرام:** عز الدين عبد العزيز بن عمر بن فهد، معهد البحوث العلمية والدراسات بجامعة أم القرى.

٢٠٠- **غاية السول في خصائص الرسول:** سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المعروف بابن الملقّن، دار البشائر الإسلامية بيروت لبنان.

٢٠١- **الغدير في الكتاب والسنة والأدب:** الشيخ عبد الحسين الأميني، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٢٠٢- **غريب الحديث:** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، تحقيق: نعيم زرزور.

٢٠٣- **غريب الحديث:** أبو بكر عبد الرحمن ابن الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، تحقيق: عبد المعطي قلعجي.

٢٠٤- **الغيبة:** الشيخ الجليل محمد بن ابراهيم بن جعفر بن أبي زينب النعماني، منشورات أنوار الهدى ايران قم، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، تحقيق: فارس حسون.

(ف)

٢٠٥- **الفائق في غريب الحديث**: جار الله بن محمود الزمخشري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

٢٠٦- **فقيه من لا يحضره الفقيه**: الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.

٢٠٧- **الفتاوى الكبرى**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار المعرفة للنشر والتوزيع بيروت لبنان.

٢٠٨- **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الثانية.

٢٠٩- **فتح المغيث في شرح ألفية الحديث**: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٢١٠- **فدك في التاريخ**: السيد الشهيد محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٢١١- **فضائل فاطمة الزهراء**: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م، تحقيق: علي رضا بن عبد الله.

٢١٢- **فتوح البلدان**: أحمد بن يحى بن جابر البلاذري، منشورات مؤسسة المعارف بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٢١٣- **الفتوح**: أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٢١٤- **فضائل الصحابة**: أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، تحقيق: دكتور وصي الله عباس.

٢١٥- **فرائد السمطين في مناقب المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين**: ابراهيم بن محمد بن المؤيد الحمويني الشافعي، مؤسسة المحمودي للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٢١٦- **الفردوس الأعلى**: الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، مكتبة فيروزآبادي قم، الطبعة الثالثة ١٩٨٢م، تحقيق: السيد محمد علي القاضي.

٢١٧- **فرق الشيعة**: أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي، المكتبة الأزهرية للتراث مصر/ الجزيرة للنشر والتوزيع، تحقيق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم.

٢١٨- **فهرس التراث**: السيد محمد حسين الحسيني الجلالي، دليل ما قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي.

٢١٩- **الفهرست**: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم إيران، الطبعة الأولى.

٢٢٠- **الفهرست**: أبو العباس أحمد بن علي النجاشي، شركة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣١.

٢٢١- **الفهرست**: أبو الفرج محمد بن اسحاق الوراق المعروف بابن النديم، دار المكتبة العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى.

٢٢٢- **الفوائد الطوسية**: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المطبعة العلمية قم المقدسة، تحقيق: السيد مهدي اللازوردي/ الشيخ

محمد درودي

٢٢٣- **الفوائد الرجالية:** محمد باقر الوحيد البهبهاني، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم.

٢٢٤- **فيض القدير في شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير:** محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

(ق)

٢٢٥- **قاموس الرجال:** العلامة المحقق محمد تقي التستري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ.

٢٢٦- **القول المسدد في مسند أحمد:** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ

(ك)

٢٢٧- **كامل الزيارات:** الشيخ الأقدم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ جواد القيومي.

٢٢٨- **الكامل في ضعفاء الرجال:** عبد الله بن عدي الجرجاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

٢٢٩- **الكافي:** محمد بن يعقوب الكليني، دار الأضواء للطباعة والنشر

والتوزيع، الطبعة الثانية ٢٠١٠.

٢٣٠- **الكفاية في علم الرواية**: الخطيب أبو أحمد بن علي البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥.

٢٣١- **الكامل في التاريخ**: عز الدين علي بن محمد ابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٥.

٢٣٢- **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

٢٣٣- **الكتاب المقدس**: مجمع الكنائس الشرقية.

٢٣٤- **كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار**: السيد اعجاز حسين النيسابوري الكنتوري، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.

٢٣٥- **كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد**: العلامة الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، مؤسسة النشر الإسلامي قم المقدسة، تحقيق: حسن حسن زاده آملي.

٢٣٦- **كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب**: محمد بن يوسف بن محمد المعروف بالكنجي الشافعي، المطبعة الحيدري بالنجف الأشرف.

٢٣٧- **كنز الفوائد**: الشيخ محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، دار الأضواء بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، تحقيق: الشيخ عبد الله نعمة

٢٣٨- **كنز العمّال في سنين الأقوال والأفعال**: علاء الدين علي المتقي بن

حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

٢٣٩- **الكنى والألقاب**: الشيخ عباس القمي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٢٤٠- **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**: محمد بن يوسف بن علي الكرماني، دار احياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

(ل)

٢٤١- **لبّ اللباب في تحرير الأنساب**: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٢٤٢- **لباب النقول في أسباب النزول**: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، تحقيق: أحمد عبد الشافي.

٢٤٣- **لسان الميزان**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧١م.

٢٤٤- **لسان العرب**: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، نشر أدب الحوزة، الطبعة الاولى ١٤٠٥.

٢٤٥- **اللوامع الإلهية في المباحث الكلامية**: جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري، مؤسسة بوستان كتاب، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ، تحقيق: السيد محمد علي القاضي.

(م)

٢٤٦- **مأساة الزهراء عليها السلام (شبهات وردود)**: السيد جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

٢٤٧- **المتمنين**: أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، تحقيق: محمد خير رمضان.

٢٤٨- **مثالب النواصب**: مشير الدين محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، مخطوط.

٢٤٩- **مختصر بصائر الدرجات**: الشيخ الحسن بن سليمان الحلي، المطلبعة الحيدرية بالنجف، الطبعة الأولى ١٩٥٠م.

٢٥٠- **المحسن السبط مولود أم سقط**: السيد محمد مهدي الخرسان، مكتبة الروضة الحيدرية بالنجف الأشرف، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٢٥١- **المحصول**: محمد بن عمر بن الحسن التيمي المعروف بفخر الدين الرازي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م، تحقيق: طه جابر فياض العلواني.

٢٥٢- **مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار**: محمد بن حبان البستي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٢٥٣- **المدخل إلى معرفة كتاب الإكليل**: الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، دار المغربي للطباعة، توزيع دار الهدى للنشر والتوزيع، تحقيق: ابراهيم بن مصطفى الدمياطي، مصطفى بن اسماعيل السليماني.

٢٥٤- **المذكر والتذكير والذكر**: أبو بكر بن أبي عاصم الشيباني، دار المنار

للنشر والتوزيع، تحقيق: خالد بن قاسم الردادي.

٢٥٥- **مصباح البلاغة (مستدركات نهج البلاغة)**: السيد حسن الميرجهاني الطباطبائي، دار الأولياء بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

٢٥٦- **المصباح (جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية)**: تقي الدين ابراهيم بن علي الكفعمي العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثالثة ١٩٨٣.

٢٥٧- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة بيروت لبنان.

٢٥٨- **المصنّف**: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المجلس العلمي جنوب أفريقيا، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

٢٥٩- **المعارف**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

٢٦٠- **معاني الأخبار**: الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٢٦١- **معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة**: محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني، داء الأضواء بيروت لبنان، تحقيق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم.

٢٦٢- **معرفة الصحابة**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الوطن للنشر الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٦٣- **المفيد من معجم رجال الحديث**: محمد الجواهري، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٢٦٤- **مفاتيح الغيب**: فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م

٢٦٥- **المغانم المطابة في معالم طابة**: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض، الطبعة الأولى ١٩٦٩م.

٢٦٦- **مقتل الحسين**: أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، دار أنوار الهدى، تحقيق: الشيخ محمد السماوي.

٢٦٧- **المقالات والفرق**: الشيخ أبو القاسم سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، تحقيق: محمد جواد مشكور.

٢٦٨- **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، تحقيق صلاح بن محمد بن عويضة

٢٦٩- **المقنعة في الفقه**: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٧٠- **المجموع في شرح المهذّب**: أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، دار الفكر للنشر والتوزيع بيروت لبنان.

٢٧١- **مجلي مرآة المنجي**: الشيخ محمد بن علي بن أبي جمهور الأحسائي، جمعية بن أبي جمهور الأحسائي لإحياء التراث، الطبعة الأولى ٢٠١٣م، تحقيق: رضا يحيى بورفارمد.

٢٧٢- **المحلى في شرح المجلى بالآثار بالحجج والآثار**: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار الفكر.

٢٧٣- **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى.

٢٧٤- **المستدرك على الصحيحين:** أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة للنشر والتوزيع بيروت لبنان .

٢٧٥- **الملل والنحل:** محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار السرور بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٤٨ .

٢٧٦- **مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول:** العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، دار الكتب الإسلامية للنشر والتوزيع طهران.

٢٧٧- **مرآة الزمان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان:** أبو محمد عبد الله بن أسعد اليمني اليافعي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٢٧٨- **مراتب النحويين:** أبو الطيب عبد الواحد بن علي الحلبي اللغوي، دار الآفاق العربية، تحقيق: محمد زينهم محمد عرب.

٢٧٩- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٢٨٠- **معجم رجال الحديث:**السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٨١- **المعجم الكبير:** أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة ابن تيمية القاهرة الطبعة الثانية.

٢٨٢- **المختصر في أخبار البشر:** عماد الدين إسماعيل أبي الفدا، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٢٨٣- **المعجم الأوسط:** أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين

للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى١٩٩٥.

٢٨٤- **مجموع الفتاوى**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني، دار الوفاء للنشر والتوزيع.

٢٨٥- **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**: محمد بن حبان بن أحمد البستي، دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ، تحقيق: محمد ابراهيم زايد.

٢٨٦- **المحتضر**: الحسن بن سليمان الحلي، انتشارات المكتبة الحيدرية، سنة الطبعة ١٤٢٤هـ، تحقيق: سيد علي أشرف.

٢٨٧- **المراسيل لابن أبي حاتم**: عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الرازي، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

٢٨٨- **معجم البلدان**: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٢٨٩- **المغني**: أبو محمد عبد الله بن قدامة الحنبلي، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٢٩٠- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٨.

٢٩١- **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**: جمال الدين محمد طاهر بن علي الصدّيقي الفتني الهندي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة ١٩٦٧هـ.

٢٩٢- **مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨

٢٩٣- **المفهم لما أشكر من كتاب تلخيص مسلم**: أحمد بن عمر بن إبراهيم

القرطبي، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، تحقيق: محي الدين ديب مستو.

٢٩٤- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الاولى١٩٩٢.

٢٩٥- **منتهى المقال في أحوال الرجال**: الشيخ محمد بن اسماعيل المازندراني المعروف بأبي علي الحائري، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢٩٦- **منهاج السنة النبوية**: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الحديث القاهرة مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤.

٢٩٧- **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**: حبيب الله بن محمد الخوئي، منشورات دار الهجرة قم إيران، الطبعة الرابعة.

٢٩٨- **منحة الملك الجليل بشرح صحيح محمد بن اسماعيل**: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، دار التوحيد للنشرالرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ.

٢٩٩- **المنخول من تعليقات الأصول**: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٨م، تحقيق: محمد حسن هيتو.

٣٠٠- **مستدرك الوسائل ومستنبط السائل**: المحدّث الميرزا حسين النوري الطبرسي، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة ١٩٩١م.

٣٠١- **مهج الدعوات ومنهج العبادات**: أبو القاسم رضي الدين بن طاووس الحلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان،

الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

٣٠٢- **المسند**: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة القاهرة مصر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

٣٠٣- **المسند**: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

٣٠٤- **مسند أبي يعلى**: أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، دار المأمون للتراث دمشق سوريا.

٣٠٥- **المصنف في الأحاديث والآثار**: عبد الله محمد بن أبي شيبة، دار الفكر للنشر والتوزيع بيروت لبنان.

٣٠٦- **المراجعات**: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي، دار المؤرخ العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م، تحقيق: مركز العلوم والثقافة الإسلامية.

٣٠٧- **مهذّب الأحكام في بيان الحلال والحرام**: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مؤسسة المنار قم المقدسة، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ.

٣٠٨- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(ن)

٣٠٩- **نخب المناقب لآل أبي طالب**: الشيخ الحسين بن جبر، مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، تحقيق: السيد مهدي

رجائي.

٣١٠- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:** جمال الدين يوسف بن تغري بردي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٣١١- **نزهة المجالس ومنتخب النفائس:** عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي، دار الفجر للتراث القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠١٠م، تحقيق: صبري مرسي فتح الله.

٣١٢- **نسب قريش:** مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيري، دار المعارف مصر، تحقيق ليفى بروفنسال، الطبعة الرابعة.

٣١٣- **النهاية في غريب الحديث والأثر:** مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير، المكتبة العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى١٩٧٩.

٣١٤- **نهاية التقرير في مباحث الصلاة:** السيد حسين البروجردي الطباطبائي، بقلم: الشيخ الفاضل اللنكراني، مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام.

٣١٥- **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج:** شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرملي، دار الفكر بيروت لبنان.

٣١٦- **نهج البلاغة:** جمع الشريف محمد بن الحسين بن موسى الرضي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٣١٧- **نقد الرجال:** السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفريشي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث لبروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٣١٨- **نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت:** الشيخ علي بن

الحسين بن العال المعروف بالمحقق الكركي، منشورات الاحتجاج إيران قم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٣١٩- **نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية**: العلامة جمال الدين الزيلعي، دار الحديث القاهرة مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، تحقيق: أيمن صالح شعبان.

٣٢٠- **النكت على مقدمة ابن الصلاح**: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٩٨٤م، تحقيق: ربيع المدخلي.

٣٢١- **نهاية الأرب في فنون الأدب**: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد التيمي البكري النويري، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، الطبعةالأولى ١٤٢٣هـ.

٣٢٢- **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار**: محمد بن علي بن محمد الشوكاني- دار الجيل بيروت لبنان- الطبعة الأولى١٩٧٣.

٣٢٣- **نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار**: الشيخ مؤمن بن حسن الشبلنجي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(هـ)

٣٢٤- **الهداية الكبرى**: أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان،الطبعة الرابعة ١٩٩١.

(و)

٣٢٥- **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م.

٣٢٦- **وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام**: أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ابن قنفذ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٣٢٧- **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**: نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٣٢٨- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: أبو العباس أحمد بن محمد بن خلكان، طبعة دار صادر بيروت لبنان.

٣٢٩- **الوافي**: العلامة محمد محسن المعروف بالفيض الكاشاني، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١١م، تحقيق: السيد علي بحر العلوم.

٣٣٠- **الوافي بالوفيات**: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

فهرست المحتويات